

Comparative Religions
Faculty of Usuluddin
International Islamic
University
Islamabad – Pakistan

قسم مقارنة الأديان
كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد
جمهورية باكستان الإسلامية



كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية

ترجمة وشرحا

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

قدمتها الطالبة

مريم سليم خان ما يو شيانغ MA YUEXIANG

رقم التسجيل 99-FU/PHD/S08F

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / أحمد جاني الأزهرى

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد باكستان

العام الجامعي: 1437 هـ - 2016 م



292K

Accession No TH24568

PhD

٢٩١

م ر ك

أديان - بحوث

أديان - مقارنة

أديان - تراجم

أديان - كونيونسيوية

أديان - وسطية

أديان - اعتدال

C2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ طَعَرٍ وَأُنْثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّا خُزِّنَتْكُمْ مِنْكُمْ اللَّهُ أَنْتُمْ خُزِّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرٌ)^١

中庸



كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية - ترجمة وشرحاً

儒家《中庸》--- 阿拉伯语文本的翻译与简释

巴基斯坦伊斯兰堡国际伊斯兰大学 宗教原理系 宗教比较专业 二零一六年度博士论文

قسم مقارنة الأديان

مخاية أصول الدين

الجامعة الإسلامية العالمية

بإسلام آباد - باكستان

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

أجريت مناقشة البحث الذي قدمته

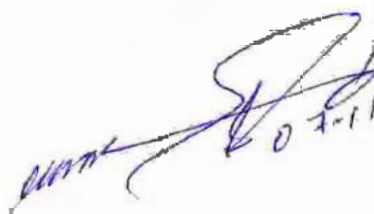
الطالبة: مريم سليمان MA YUEXIANG

رقم التسجيل الجامعي: 99-FU/PHD/S08 F

بعنوان: كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية - ترجمة وشرحا

بقاريخ: / / ٢٠١٦م

الرقم	المشرف	الاسم	التوقيع
١	المشرف	الد احمد جان الأزهرى	
٢	المناقش الداخلي	الد نبيل فولى	
٣	المناقش الخارجي	الد علي أصغر ششتى	
٤	المناقش الخارجي	الد ضياء الله شيرازى	

 04-11-16

الإهداء

أهدى ثواب هذا العمل المتواضع إلى روح أبي،
وكان أرسلنى إلى بلاد باكستان المباركة فى سبيل تعلم الدين وطلب العلم، وعلمنى الصبر
والزهد ...

وإلى روح أمى، التى أرضعتنى الإسلام والإيمان، وتحملت غيابى عنها لمدة طويلة فى
سبيل طلب العلم والحق ...

وإلى زوجى الكريم، وقد ترك فرصة لدراساته العليا فى نصف طريقه من أجل رعاية
الأسرة، كى أكمل دراستى ...

وإلى أولادى الأحباب، الذين صبروا على تقصير أمهم فى العناية بهم والرعاية لهم،
يرحوننى بابتسامهم العذب ...

وإلى كل من يحب الحق والصديق ...

الشكر والتقدير

أحمد الله وأشكره أولاً وأخيراً، على حسن توفيقه وكريم عونه وفضله على في إتمام هذه الرسالة العلمية، فلا حول ولا قوة لي على إتمامها إلا بتوفيق منه تعالى.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم: فعلاً بقول الله عز وجل: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)^١ وانطلاقاً من قول النبي ﷺ وامتنالاً لهدية ﷺ " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " ^٢ فأولاً أتوجه ببالح الشكر وعظيم التقدير للجامعة الإسلامية العالمية بصفة عامة، وكلية أصول الدين بصفة خاصة التي أتاحت لي فرصة الارتواء من عيونها العذبة والتزود منها، فأسأل الله تعالى أن يزيد ما تقدما وازدهارا وأن يحفظها ويراعيها ويزيد خيرها.

وأقدم هنا بعظيم شكري وجزيل امتناني لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد جان الأزهرى (حفظه الله ورعاه) الذي ساعدني أن تتلمذت على يديه، والذي تكرم بالإشراف على هذا البحث من البداية إلى النهاية، وصصح الأخطاء فيه، ولم يبخل علي بشيء من غزير علمه وصدق توجيهه وإرشاده، رغبة في الوصول إلى الحق وخدمة العلم، وقد أفادني بآرائه القيمة في الفكر وأسلوب التعبير وصياغة الفوائد اللغوية. في هذه الرسالة العلمية، ورأيت منه شدة الحرص على إظهار هذا البحث بمظهر لائق. وأسأل الله أن يكافئه على ذلك، ويجعله من العلماء المخلصين في سبيل خدمة الدين ودعوته، وأن يمد له في عمره وأن يرزقه الصحة والعافية، ويبارك له في أسرته وأولاده.

وأقدم شكري لرئيس قسم مقارنة الأديان الدكتور محمد أكرم، على مساعدته القيمة على حل المشاكل التي واجهتني، في أثناء التسجيل وقبول الخطة واختيار المشرف، أسأل الله أن يوفقه في العمل. وكذلك أقدم شكري للأستاذ الدكتور جمال سعاد المشرف السابق، مع أنه لم يستطع أن يشرف على رسالتي بسبب رجوعه إلى وطنه مصر، وقد أعطاني في إعداد

١- سورة إبراهيم، الآية ٧.

٢- أخرجه الترمذي في سننه، بله ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٣٣٩/٤.

رسالتى فائق اهتمامه وقام لها بالدفاع الحماسى عن قبول خطتها فى مجلس الدراسات العليا وأسأل الله تعالى أن يرزقه الصحة والسلامة.

كما أوجه بشكرى الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عيسى محمد ميثاقو رئيس قسم الدراسات الإسلامية لكلية الآداب والدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي - صكتو، وقام بتصحيح كثير من العبارات والأخطاء اللغوية والإملائية، وشجّعنى فى تقريره العلمى على مواصلة الجهود فى مجال الترجمة والدراسة لأهمّ الكتب التراثية الصينية لخدمة التبادل الثقافى والسياسى والاقتصادى بين الصين والعالم الإسلامى. وأيضاً أقدم شكرى الخالص للأستاذ الدكتور زهرة الدين طيب من كلية علم الأعراق البشرية وعلم الاجتماع بجامعة القوميات لشمالي غربى الصين- لأن تشيؤ، كتب لى الملاحظات القيمة وآراء التصحيح الثمينة فى رسالتى المتواضعة حينما أرسلت إليه للحصول على التقرير العلمى الدولى لها، أسأل الله أن يمدّهما بالعافية والتوفيق ويجزيهما عن خير الجزاء.

وأقدم شكرى وعظيم امتناني للدكتور نبيل فولى رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، وأشار - وهو المناقش الداخلى للرسالة - إلى خطأ التعبيرات الكثير فى الرسالة، وبذل جهداً كبيراً فى التصحيح والتوجيه والصياغة لها، رغم انشغاله الكثير بمهام كلية الدراسات الإسلامية، أسأل الله أن يكافئه على ذلك كثيراً، وأن يرزقه الصحة والعافية، ويبارك له فى أسرته.

وكذلك أزجى شكرى وتقديرى للمناقشين الخارجيين للرسالتى هذه : الأستاذ الدكتور حلي أصغر ششتى من كلية الدراسات الإسلامية بجامعة علامة إقبال المفتوحة - إسلام آباد، والأستاذ ضياء الله شيرازى رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بيشاور، والأستاذان الكريمان أعطيانى فى المناقشة توجيهات مفيدة وآراء نفيسة فى تكميل الرسالة على أحسن صورة، والأستاذ ضياء الله شيرازى اقترح على طباعة ونشر هذه الرسالة المتواضعة ليفيد القراء بالعربية، وشجّعنى على مواصلة ترجمة الكتب التراثية الصينية باستمرار، وكلامه

المشجع هذا سوف يدفعني في طريق البحث والدراسة في هذا المجال العلمي، إن شاء الله !
أدعو الله أن يرزقهما الصحة ويزيد لهما عمرا.

وأخيرا، أزجي الشكر والتحية لجميع الاساتذة الكرام - حفظهم الله تعالى - الذين
أفادوني دينا وعلما وخلقا، وأشكر كل من لم يدخر وسعا في إسداء النصائح والتوجيهات
إلي ، وأشكر أيضا كل من أعانني في إتمام هذا البحث العلمي معنويا وماديا، أسأل الله أن
يجزي جميعهم خير الجزاء.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله خير خلقه سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلّم.

آمين، يا رب العالمين !

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^٣ وقال سبحانه: (قُلْ مِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ لِنُنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)^٤.

شاعت حكمة الله أن يكون البشر من ذكر وأنثى، فالرجل خصائص جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية من أجل إكمال مهمته، وكذلك للمرأة مميزات خاصة من أجل إكمال مسؤوليتها، وإنما الرجل والمرأة متكاملان متعاودان، وكل منهما يسكن ويطنن مع الطرف الآخر. كما أن من آيات الله أن يكون البشر شعوباً وقبائل، وكل شعب له ثقافته وعاداته وظروفه ولغته وشكله، مما يجعل له مختلفاً عن أي شعب آخر، فالإنسان ذكر وأنثى ولكل منهما خصائص مميزة، والبشر في الأرض شعوب وقبائل، ولكل منها خصائص هوية، وهذا ليس من أجل أن نتقاتل ونتحارب بل لتتعارف ولتتعاون، ولا من أجل أن يتصادم أو يستعمر بعض الأمم بعضاً ثقافياً كان أو عسكرياً، بل لتتبادل حضارياً وتحافظ على سلام العالم وأمنه معاً.

وإذا نظرنا إلى كرة الأرض التي يعيش فيها بنو آدم، فإننا لنلفت أول التفات إلى آسيا، وهي القارة ذات أكبر مساحة وأكثر تسمية تمتاز بأنها أقدم مهد للحضارات الإنسانية وأوفر منبع للأديان العالمية، حيث يعيش فيها جميع أجناس بنى آدم الأبيض والأصفر والأسود، وهي أقدم

٣- سورة الحجرات ورقم الآية ١٢.

٤- سورة الأنعام ورقم الآية ١٦٥.

مهد عاشت فيها حضارة ما بين النهرين، وحضارة الهند وحضارة الصين وحضارة الفرس، وأوفر منبع ينبع منه الأديان من اليهودية والهندوسية والبوذية والمسيحية والإسلام.

وأنا كطالبة صينية مسلمة في تخصص مقارنة الأديان، أتمتع بأعظم نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، وهي أنني ولدت في أسرة مسلمة، ونشأت في بلاد ذات تاريخ عريق وحضارة باهرة، مع أنني قصيرة النباغ في العلم والمعرفة، فقد بدت لي رغبة شديدة في نقل " كتاب الوسطية والاعتدال "، وهو يمثل أعلى درجة في النظرية المنهجية والأخلاقية بالحضارة الصينية عامة وبمذهب الكونفوشيوسية خاصة؛ نقلا من لغته الصينية الأصلية إلى اللغة العربية، رجاء أن يكون في جهودى المتواضعة خير وصلاح في خدمة دين الله الخالد، وأن يزيد بها شيئا بسيطا وجديدا في مجال علم مقارنة الأديان عند المسلمين، لكي يستفيد منه الباحثون في هذا الحقل العلمى إن شاء الله تعالى. فمن أجل تلبية دعوة الإسلام في خدمة العلم وتبادل الحضارة وتعارف الشعوب، عقدت عزيمتى على تقديم هذا البحث تحت العنوان " كتاب الوسطية والاعتدال ترجمة ومترحا " بإشراف مشرفى الكريم الأستاذ الدكتور أحمد جان الأزهرى - طوّل الله يده في العلم والفضل.

وسأبين فيما يلى أسباب اختيار الموضوع وأهميته، ومنهج البحث وأهم المصادر المعتمدة في البحث والدراسة، وأشدّ المشاكل التى تواجهنى خلال الترجمة والفهرج، وهى كما يلى:

١- أسباب اختيار الموضوع وأهميته

أولا: مما لا شك فيه أن بلاد الصين مهد من مهائد الحضارة الإنسانية القديمة، وتتمتع بسجل تاريخى سحيق منذ حوالى خمسة آلاف سنة، ويرجع تاريخ نشأة ثقافتها المتميزة إلى الملك العظيم " هوانغ دى " (٢٧١٧ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م)، وقد بلغت نضجها في عهد مملكة أسرة " تشو " الغربية (١٠٦٦ ق.م - ٧٧١ ق.م). ولما جاء الحكيم كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد، ورث هذه الثقافة الصينية القديمة وطورها، وصاغ منها مذهبه الفلسفى الأخلاقى الذى يعتبر مدرسة مثالية

ورسمية فى بلاد الصين، وقد تركت الكونفوشيوسية أثرا عميقا للشعب الصينى فى حياته الفردية والاجتماعية منذ بضعة وعشرين قرنا. كما تأثر بالكونفوشيوسية كثير من الدول المجاورة للصين فى مناطق شرقى آسيا وجنوبها الشرقى مثل اليابان، وكوريا، وفتنام، وتايلاند وغيرها، من ناحية الأيدولوجية الاجتماعية إلى العادات الفردية اليومية حتى عصرنا الحاضر.

إنّ العالم فى القرن الواحد والعشرين لم يعد أى جزء من أجزائه مستقلا عن الآخر كما كان عليه فى الماضى، بل أصبح قرية مصغرة عالمية يتطور ثروة المعلومات السريعة حيث يتصل كل جزء فيها بالجزء الآخر اتصالا وثيقا، ولذلك أصبح التعاون بين الأمم المختلفة والتعارف بين الثقافات فى المناطق المتعددة له أهمية عظيمة لم تكن عليها سابقا. وإنّ ثقافات كل الشعوب على هذا الكوكب أى الأرض هى ميراث قيم ولؤلؤ منثور لجميع الأمم من بنى آدم ليستفيد بعضها بعضا. فعلىنا فى عصر الإنترنت، عصر التراكم المعرفى والتحصيل العلمى، أن نبني جسرا جديدا لتحقيق السلام والتفاهم فى تاريخ البشرية عبر التعلّم المتبادل والتنمية المشتركة.

ومن المعروف أن التبادل الثقافى والاقتصادى بين الأمتين الصينية والعربية، له جذور عريقة مع امتداد " طريق الحرير" فى تاريخ العالم. تتقدم عجلة التاريخ إلى يومنا هذا، وخاصة بعد أن طرح الرئيس الصينى " شي جين بينغ " دعوته السياسية " الحزام والطريق " لتعزيز الحوار والتواصل والمبادلات الثقافية والسياسية والاقتصادية بين الصين والعالم الإسلامى، فوجدت أن هناك حاجة ملحة إلى ترجمة أمهات الكتب التراثية الصينية وتقديمها إلى العالم الإسلام العربى، وخاصة مصادر الكونفوشيوسية بترجمتها من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، من أجل تنمية هذا التبادل والتواصل على مستوى الحكومات وشعوبها.

ثانيا: ولا يخفى على أحد أن فى حال الاشتغال بعلم مقارنة الأديان يحتاج الباحث قبل كل شيء إلى المعرفة الدقيقة والعلم الواسع للأديان والمذاهب المختلفة، ولا يتم هذا الفضل إلا لمن بحث ودرس فى مصادرهما الأصلية. وعلى هذا الأساس يتقدم الغرب فى هذا المجال تقدما عظيما،

وأهم الأسباب التي ساعدتهم على التقدم في هذا المجال هو وقوفهم التام على المصادر الدينية المقدسة لجميع أديان العالم، وعلى سبيل المثال فقد أخرج العلماء الغربيون سلسلة عظيمة من ترجمة الكتب الدينية الآسيوية باسم الكتب المقدسة من الشرق في سنة ١٨٩٤م^٥، وهذا العمل العظيم قد يستر للباحثين الوصول إلى النصوص الدينية الشرقية من مصادرها الأولى.

ولكن حين نلقت إلى المكتبة الإسلامية والعربية، نجد هناك فراغا كبيرا، وخاصة في مجال الديانات الصينية ومذاهبها التي تعدّ من أعرق وأضخم الحضارات القديمة في العالم كله، وبالأخص مذهب الكونفوشيوسية، ولم تتم حتى يومنا هذا ترجمة الأسفار الخمسة والكتب الأربعة الكونفوشيوسية، سوى كتاب الحوار وقد ترجم بيد الأستاذ محمد مكي (MA JIAN) في بداية الأربعينيات من القرن الماضي من خلال دراسته في جامعة الأزهر الشريف وقتئذ، ثم كتاب المعرفة الكبرى وقد تمت ترجمته بيد الدكتور زهرة الدين طيب (MA XIAOPEI) في سنة ٢٠٠٣م لنيل الدرجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

ومن هنا عقدت عزمي على أن أترجم أهم كتب في مجال نظرية المنهج والتهذيب الأخلاقي في مذهب الكونفوشيوسية، وهو (كتاب الوسطية والاعتدال) من لغته الصينية الأصلية إلى اللغة العربية مباشرة مع الشرح والتعلق عليه، وأرجو أن يكون عملي المتواضع هذا - بإذن الله تعالى - تمهيدا للباحثين المسلمين المتخصصين في الدراسة والبحث في ثقافة الصين القديمة عامة وفي مذهب الكونفوشيوسية خاصة، وأن يكون فيه إسهام وأهمية في إثراء المكتبة الإسلامية والعربية بمادة عربية حول هذه الديانة، وهي إحدى كبرى الديانات في الثقافة الصينية.

ثالثا : ومن المعروف أن العلماء المسلمين في مجال مقارنة الأديان قديما وحديثا، قد درسوا الأديان سواء كانت سماوية أو وضعية، وتعمقوا في دراستها، وبالأخص الديانات الشهيرة من

^٥ - The Sacred Books of the East is a monumental 50 volume set of English translations of Asian religious writings, edited by Max Müller and published by the Oxford University Press between 1879 and 1910.

اليهودية والنصرانية والهندوسية، وقد برز من بينهم علماء موسوعيون، مثل أبي الحسن العنبري والشهرستاني والبيروني، وقدموا خدمات عظيمة في سبيل خدمة الدين والعلم والحضارة. ولكن قليلا منهم قتموا دراسات في الديانات الصينية وفلسفاتها، وقد تكلم الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) عن الديانة الكونفوشيوسية^١، ولكن بصورة موجزة لا تغني ولا تكفي من مرجع، وهذا يعتبر أقدم الكتابات التي قتمها العرب المسلمون في دراسة الحضارة الصينية.

وكذلك لا تتوفر الكتابات عنها باللغة العربية متوفرة في عصرنا الحاضر الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة بوسائل النقل والإعلام، وخاصة الكتب المقدسة الكونفوشيوسية التي ما زال معظمها لم يترجم بعد من اللغة الصينية إلى اللغة العربية. ولعلنا نجد اليوم بعض الكتب القليلة التي تتناول الكونفوشيوسية، ولكن لا تغني غليل من يرغب في معرفة هذه الديانة وفهمها بصورة دقيقة. ونظرا للواقع العلمي المتأسف علوه، أحاول أن أترجم كتاب (الوسطية والاعتدال) من لغته الأصلية إلى اللغة العربية، مع توضيح الجوانب المبرزة للكونفوشيوسية وأهم النظريات العلمية في هذا الكتاب، للقراء الكرام في بلاد العرب خاصة ولكل المسلمين في أنحاء العالم عامة.

٢- منهج البحث وأهم المصادر المعتمدة في الترجمة والشرح

ومن خلال ترجمة كتاب (الوسطية والاعتدال) من لغته الأم إلى اللغة العربية مع شرحه والتعلق علوه، على سبيل تيسيره للقراء بالعربية لفهم معنى النصوص وإدراك أفكارها، سأتخذ في دراستي هذا المنهج الوصفي على ثلاث خطوات بحثية في إعداد رسالتي هذه.

والخطوة الأولى: وضعت لكل فصل من فصول الكتاب تمهيدا قصيرا، يبين فيه بصورة موجزة مقاصد النص إجماليا مع توضيح المناسبات والعلاقات بين النصوص وعباراته، لكي يساعد القراء على فهم بيئة الأفكار الرئيسية في النص، إذ كان المؤلف عاش في بلاد الصين قبل أربعة

١- الملل والنحل للشهرستاني، دار المعرفة ببيروت والطبعة الثانية، وانظر الذيل من تحقيق محمد سيد كيلاني، صفحة ١٨.

وعشرين قرناً، وقد يستغرب القراء بالعربية إلحوم أسلوب تعبير المؤلف فى كتابته، فعدت لكتابة تمهيد موجز للدخول فى شرح مفاهيم النص.

والخطوة الثانية: وضعت النص الأصلى باللغة الصينية القديمة وترجمته الحديثة (وهى الترجمة الحديثة لكتاب الوسطية والاعتدال للأستاذ "لى كا هونغ" بجامعة شيانغهى) كليهما فى بداية كل فصل من فصول الكتاب، ثم بدأت ترجمته باللغة العربية، وهذا من أجل الأمانة العلمية أولاً، كما يسهل ثانياً لمن يريد أن يرجع إلى نصه الأصيلى باللغة الصينية مباشراً.

والخطوة الثالثة: وهى طريق المشرح للنص، وفيه أسرد أقوال كبار العلماء الكونفوشيوسيين فى بيان النص وشرحه لفظياً ومعنوياً، وإذا كان هناك حاجة أكتب فى بداية الأمر لمحة علمية تركز على الأفكار الرئيسية المذكورة فى مقاصد النص. وفى النهاية أعرض رأى نفسى الشخصى بعد شرح العلماء فى معانى النص، مستعيناً بالمصادر الكونفوشيوسية وآراء العلماء عندهم على سبيل التلخيص والاستدراك.

وفى أثناء ترجمة النص من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، حاولت بأقصى جهودي أن أتبع وأطبق مبادئ الترجمة الثلاثة الأساسية فى عمل الترجمة. وهى الأول: حفظ الأمانة والصدق فى ترجمة معنى النص بين اللغتين الصينية والعربية، والثانى: مراعاة السلامة فى استعمال الألفاظ والسلاسة فى التعبير والإنشاء، والثالث: الحفاظ على حسن التصوير والمساغى البلاغية. وهذه المبادئ الثلاثة فى الترجمة هى توصية علمية من الأستاذ محمد مكين- رحمه الله- لمن يقوم بعمل الترجمة عامة وللبلّاحين المترجمين بين اللغة الصينية واللغة العربية خاصة.

وبالإضافة إلى ذلك، لم أهمل ولم أقل درجة كتاب الوسطية والاعتدال من حيث إن له مكانة مقدسة عند أصحاب الكونفوشيوسية (وكانت الكتب الأربعة عندهم مثلها مثل العهد الجديد عند النصارى، بينما احتلت الأسفار الخمسة عندهم مكانة العهد القديم فى النصرانية)، ونظراً لهذه الأهمية، فقد اتخذت موقف الاحتياط والتدقيق - من أجل الأمانة العلمية واحترام الغير

وعقيدتهم - في كل خطوة من خطواتي في شرح النص وإيراد أقوال العلماء فيه، فلم أستدل إلا بأشهر الشروح المعتمدة عند العلماء الكونفوشيوسيين، حتى يمكنني ذلك من اختيار أصدق وأدق التعبيرات المترجمة لمعاني النصوص الأصلية إلى القراء بالعربية في دراسة هذا الكتاب القيم للكونفوشيوسية.

وأما أهم المصادر والمراجع التي أعتمد عليها في شرح النص وبيانه، فهي على سبيل المثال: الأول: "الشرح السديد" لكتاب الأداب لـ "جينغ شوان" (١٢٧م - ٢٠٠م) "، والثاني: مجموعة الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر لـ "كونغ بينغ ذا" (٥٧٤م - ٦٤٨م) "، والثالث: مجموعة مقالات "تشينغ هأو" (١٠٣٢م - ١٠٨٥م) الكبير "و" تشينغ يي (١٠٣٣م - ١١٠٧م) الصغير "، والرابع: الشرح الجامع للكتب الأربعة للعلامة "جو شي" (١١٣٠م - ١٢٠٠م) "، والخامس: المحاضرات الدراسية في كتاب الوسطية والاعتدال لـ "جانغ جو جينغ" (١٥٢٥م - ١٥٨٢م) "، وهذه الخمسة هي من أوثق الكتب وأجمعها في الشرح المعتمد عند العلماء الكونفوشيوسيين لكتاب الوسطية والاعتدال عبر تاريخ الصين الفلسفي القديم.

وأما بالنسبة إلى آراء العلماء الكونفوشيوسيين المعاصرين في هذا المجال، فإني استفدت خاصة من العالم المشهور "هو زونغ سيان" (١٩٠٩م - ١٩٩٥م) "وكتائيه" المحاضرات التسعة عشر لفلسفة الصين "و" الذات القلبية والذات الطبيعية "، كما راجعت مؤلف "الرأي النافذ في كتاب (الوسطية والاعتدال) للدكتور "دو وي مينغ" (١٩٤٠م - حتى اليوم، يدرس كأستاذ فلسفي في جامعة هارفارد، أمريكا) "، وفضلا عن ذلك فإني راجعت أيضا بعض المؤلفات المترجمة المشهورة لكتاب الوسطية والاعتدال باللغة الإنجليزية، للاستفادة من أسلوب الترجمة والتعبير في مجال نقل الكتب المصدرة باللغة الصينية القديمة إلى اللغة الأجنبية، ومن هذه المؤلفات المترجمة مثلا: المؤلف المترجم للتأسيس الإنجليزي James Legge جمس ليغ (١٨٩٧م - ١٨١٥م)، وهو أشهر المؤلفات المترجمة في هذا المجال عند علماء الغرب، ويده تم

ترجمة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية إلى اللغة الإنجليزية ١٨٦٦م، وكذلك تم ترجمة الأسفار الخمسة الكونفوشيوسية إلى اللغة الإنجليزية ١٨٨٢م، وهو عاش في الصين أكثر من ثلاثين سنة كقسيس مبشر. وأما المؤلفات المترجمة الأخرى في هذا المجال، فرجعت أيضا إلى كتاب الدكتور Wing tsit Chan (١٩٠١م-١٩٩٤م)، كان مؤلفه المترجم إلى الإنجليزية من أشهر الكتب في عصرنا الحاضر عند علماء الغرب والمشرق في هذا الموضوع، وهو صيني الأصل ودرس في وطنه عند شبابه، ثم سافر إلى أمريكا وحصل على الدكتوراه ودرس كأستاذ فلسفة في جامعاتها.

٢- أهم المشاكل التي واجهتني في أثناء الترجمة والشرح

ومع أنني بذلت أقصى جهودي في البحث والدراسة، فقد واجهني كثير من المشاكل في خلال ترجمتي لهذا الكتاب وشرحه، أولا لأن كتاب (الوسطية والاعتدال) هو أصعب كتاب في الكتب الأربعة الكونفوشيوسية فهما ودراسة، وهو مشهور بالفاظها الإشارية الصعبة ومعانيه الفلسفة العميقة التي تم تأليفه باللغة الصينية القديمة قبل أربعة وعشرين قرنا. حتى يقول العلامة الكونفوشيوسي " جُو تسي (١١٣٠م-١٢٠٠م) " في ذلك: " طلب العلم يبتدى من كتاب المعرفة الكبرى أولا، ثم كتاب الحوار، ثم كتاب مونشيوس، وأخيرا كتاب الوسطية والاعتدال، وهو كتاب عميق أحكامه وواسع محتوياته."^٧

وسأذكر فيما يلي أهم الصعوبات في طريق ترجمتي وبحثي حول هذا الكتاب، وهي من جانبين رئيسيين داخليا وخارجيا، وتفصيلهما كما يلي:

الأول من الجانب الداخلي: صعوبة فهم النص الذي كتب باللغة الصينية القديمة وغرابة البيئة اللغوية المستعملة وإشكال اختيار أرجح الشروح وأجمعها في بيان المدلولات اللفظية والمعنوية في عبارات النص المجمل وكلماته الغامضة.

إذ كان تسجيل الكتاب يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد مرّ تاريخ اللغة الصينية

٧- مجموعة الأحاديث للعلامة " جُو تسي "، الجزء الأول، الصفحة ٢٢٥، دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.

في تطورات كثيرة خلال ألفين وأربع مائة سنة، ومع أنها لغة حية نشيطة حتى اليوم يستعملها خمس سكان العالم يومياً، ولكن بمرور التطورات اللغوية الطويلة أصبحت النصوص الصينية القديمة صعبة جداً للفهم وإن كان القارئ صينياً أصيلاً. وقد يكون للفظ واحد في النصوص الصينية القديمة عشرات المعاني مع غرابة الظروف والبيئة التي استعملها المؤلف فيها وقتئذ. وما لى في ذلك من حل إلا أن أرجع مرارا وتكرارا إلى المعاجم اللغوية المتخصصة وأقوال العلماء العديدة للبحث والمقارنة والتحقيق والترجيح، وقد يكلفني هذا إجراءات دراسية لساعات لتحقيق لفظ واحد ولإثبات معناه الأرجح والأشمل. ونفس المشكلة تواجهني بل أشد عندما بدأت في عمل الشرح لمعنى عبارات القص وكشف مقاسباتها وإخراج مقاصدها المحكمة، فأقارن وأرجح بين عشرات الشروح والتعلقات من العلماء الكونفوشيوسيين المشهورين قديماً وحديثاً، وقد يستغرق ذلك عدة ساعات أيضاً في إثبات معنى جملة واحدة وأن أستعين بواسطة الإنترنت.

الثاني من الجانب الخارجى: صعوبة تعبير عن معانى النصوص الصينية القديمة بأصطلاحات وأجمع الاصطلاحات فى اللغة العربية، مع قلة المصادر والمراجع فى مجال ترجمة الكتب الكونفوشيوسية المقدسة من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية.

ومن المعروف أن حضارة الصين - وعلى رأسها الكونفوشيوسية - حضارة عريقة جذورها فى التاريخ، فلها خصائص إنسانية ومميزات ثقافية تختلف تماماً عن الحضارات الأخرى فى العالم، ولأهل الصين أسلوب خاص فى التعبير عن أفكارهم ونمط يبرز فى تبين عاداتهم باختلاف البيئة والظروف، وكذلك للشعوب العربية أسلوب ونمط متميز فى التعبير عن أفكارهم وعاداتهم المختصة. وعلى سبيل المثال: كان أهل الصين يعتبر الشاي الأخضر مع الماء المغلى نعمة وبركة عند الشرب، بينما يعتبر العرب المسلمون الشراب البارد مع قطعة الثلج بركة ونعمة؛ وأيضاً من العادات الأصلية أن أهل الصين يستعملون عودين عند تناول الطعام، بينما يتناول العرب الطعام باليد والأصابع مباشرة. فكيف يعبر المتكلم ويترجم مشاعر الصينيين الصينى

والعربي بعضهما لبعض مع أن كثيرا من الأحوال متضادة تماما، فهذه مهمة عظيمة تلزم المترجم أن يراعى مهارة التعبير لفظيا ومعنويا كليهما. وإذا كان هذه هي الحالة في ترجمة الشؤون اليومية، فكيف الحال في التعبير عن الأفكار الفلسفية والمبادئ الاعتقادية التي تدل على أسمى درجة لحضارة القوم المسجلة؟

ومع قلة المصادر والمراجع في مجال ترجمة الكتب الكونفوشيوسية إلى اللغة العربية، وخاصة (كتاب الوسطية والاعتدال) أصعب الكتب الأربعة الكونفوشيوسية بعباراته الأخلاقية المثالية وأساليبه المنهجية الفلسفية وتصويراته الاعتقادية الميتافيزيقية، فما لي في ذلك من حل إلا أن أرجع - في سبيل الجمع بين التعبير بالأسلوب المؤلف عند القراء بالعربية وبين المراعاة لحفظ الصورة النصية الأصلية الصينية - إلى المعجم اللغوية بين الصينية والعربية والإنجليزية بحثا عن أصعب التعبيرات وأشمل الكلام في ترجمتي، مستعينا بالمصادر والمراجع الأساسية المذكورة سابقا، وبالإضافة إلى ذلك راجعت بعض الكتب العربية الشهيرة حتى أشرب الأسلوب العربي جيدا، مثل الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي وخلق المسلم لمحمد الغزالي وغيرهم، مستفيدا من أفكارهم القيمة ومهارة كتابتهم عامة ومن اصطلاحاتها الأخلاقية وتعبيراتها المنطقية والاعتقادية خاصة.

وأخر دعائي هو الحمد لله الذي هدانا إلى الصراط المستقيم برضوانه الإسلام دينا ونورا لجميع البشرية إلى يوم القيامة، والله هو المستعان الحق لكل المخلوقات في الدنيا والآخرة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بالإحسان إلى يوم الدين!

الطالبة الصينية مريم سليمان MA YUEXIANG

إسلام آباد

٢٠١٦ - ١٠ - ٣٠

التمهيد

المبحث الأول: لمحة عامة لتطورات مذهب الكونفوشيوسية في تاريخ الصين.

أطلق هيرودوت أبو التاريخ عن مصر كلمته الشهيرة: "إن مصر هبة النيل". وكذلك قال أهل الصين عن بلادهم: "إن النهر الأصفر مهد الأمة الصينية وحضارتها".

ومن الحق أن لكل شجرة - مهما كانت عابدا طولها وضخاما حجمها - فإن لها جذورا وأصلا وفروعا وأوراقا وثمرات، تدور حظها ويمضي عليها التبرعم الربيعي والازدهار الصيفي والإثمار الخريفي والسبات الشتوي المستعد للربيع القادم. وهكذا حظوظ الإنسان والدولة والمجتمع والديانة والمذهب في أحوالها المتسلسلة، وهي سنة الله الكونية الدائمة تتبين في الأنفس والأفلق.

ومذهب الكونفوشيوسية مر خلال خمسة وعشرين قرنا منذ نشأته، بست مراحل في تطورات التاريخية المديدة، وهي: ١- فترة النشأة والتأسيس، ٢- فترة التطور والازدهار، ٣- فترة التلخيص الشامل والاستيعاب لتحدي البوذية، ٤- فترة التجديد والإصلاح، ٥- فترة الانحطاط والتحجر الفكري، ٦- فترة النهضة الثقافية والتحديث الفكري. وسنلقي قليلا من النور على كل واحدة من هذه المراحل فيما يلي:

١- فترة النشأة والتأسيس. وهي تستغرق حوالي مائتين وخمسين سنة (من النصف الأخير للقرن السادس قبل الميلاد إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد)، بأبدى الأجيال الأربعة المتوارثة، وهي: الأستاذ كونفوشيوس (٥٥١ ق.م - ٤٧٩ ق.م) مؤسس المذهب، وهو وارث الثقافات الصينية القديمة ومطورها - بخاصة حضارة مملكة أسرة "تشو" الغربية (١٠٦٦ ق.م - ٧٧١ ق.م)، وصاغ منها مذهبه الفلسفي الذي يتأسس على فكرة الرحمة ونظام الآداب. وهو صاحب الجمع والتحرير للأخبار الخمسة (سفر القصائد - سفر الوثائق - سفر الآداب - سفر التبدلات - سفر الربيع والخريف) التي هذبها ولخصها من السجلات التراثية، كما أنه صاحب كتاب الحوار الذي دُون فيه تلاميذه

أحاديثه وتعليماته بعد وفاته.^٨

ثم خلفه تلميذه المشهور " تسينغ تشن " (٥٠٥ ق.م - ٤٣٥ ق.م): الذى برع فى أفكار أساتذته المؤسس تعلمًا وتعليمًا. وكان معروفًا بالورع الذاتى الكامل ويزر والده الأمثل، وهو صاحب كتاب (المعرفة الكبرى) الذى ينصب فيه راية فلسفة حياة الإنسان على تهذيب نفسه أولاً، وتعديل أفراد أسرته ثانياً، وإرشاد من حوله ثالثاً، وإصلاح المجتمع ونشر السلام فى العالم أخيراً.^٩

ثم تلميذه الشيخ " تشن ميبى " (٤٨٣ ق.م - ٤٠٢ ق.م): حفيد الأستاذ كونفوشيوس ووارثه الروحى. وهو مؤلف كتاب (الوسطية والاعتدال) الذى يعتبر أعلى الكتب وأعمقها فى مجال النظرية المنهجية والفلسفة الميتافيزيقية الكونفوشيوسية^{١٠}. وهذا الكتاب هو نحن بصدد ترجمته ودراسته فى هذه الرسالة.

وأما المعلم الثانى مونشيوس (٣٧٢ ق.م - ٢٨٩ ق.م): وهو تلميذ تلميذ الشيخ " تشن ميبى " ووارثه الروحى، فهو مكمل ومعلم ثان فى مذهب الكونفوشيوسية، صاحب كتاب مونشيوس الذى يؤكد أهمية فكرة العدل وينبئها كدعامة وقرينة لفكرة الرحمة عند مؤسس المذهب، كما أعلن نظرية حسن طبيعة الإنسان القطرية إعلاناً بارزاً فى كتابه، بينما كان جميع سلفه يثبتها ضمناً أو إشارة.^{١١}

وهؤلاء الأربعة الكبار هم أقطاب ودعائم أرسوا حجر الأساس الذى تقوم عليه جميع أفكار الكونفوشيوسية تأسيساً وتطوراً، وتركوا أثراً مرشداً فى تشخيص رجال مذهبهم خاصة وفى هداية وتوجيه أهل الصين فردياً ولجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وأيديولوجياً على وجه العموم.

ومن هذه الفترة النشطة الذهبية للنشأة والتأسيس، كانت الصين مورت لمدة مائة سنة فى

٨ - انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جينغ داي يان، الصفحة ٤٧٤-٤٧٥.

٩ - المرجع نفسه، الصفحة ٤٧٨.

١٠ - المرجع نفسه، الصفحة ٤٨٠.

١١ - المرجع نفسه، الصفحة ٤٨٢-٤٨٣.

فترة الملاحم القاسية، حتى استقرار العرش في يد إمبراطور أسرة " هان " (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠) في القرن الثاني قبل الميلاد، فدخل مذهب الكونفوشيوسية إلى الفترة الثانية:

٢- فترة التطور والازدهار لمدة أربعمئة سنة: قد ظهر في هذه الفترة عدد كبير من رجال الكونفوشيوسية، ولكن نقصر على ذكر أشهر وأوفق رجلين لا مثيل لهما في هذه المرحلة. الرجل الأول هو الحبر العظيم " دونغ زونغ شو (١٧٩ ق.م - ١٠٤ ق.م) "، وهو الذي اقترح إلى الإمبراطور بأن يعطّل كل المذاهب الفلسفية تعليماً ونشراً إلا مذهب الكونفوشيوسية كمذهب رسمي وحيد للجميع، فقبل رايه وطبق. وهذه السياسة في تعزيز الكونفوشيوسية جعلتها وحدها تصبح نافذة ومرشدة خلال ألفي سنة وأكثر، ومنذ ذلك الوقت نجد في التاريخ أن سياسة الكونفوشيوسية في مجال الأيديولوجيا مازالت سارية ومستقرة في مجتمع الصين مهما تغير العرش بين أيدي الأسر الملوكية المختلفة^{١٢}. وأمّا الرجل الثاني فهو المفسر الجامع " جينغ شوان (١٢٧- ٢٠٠ م) "، وقد جمع شروح الكتب الكونفوشيوسية الغفيرة التي ألفت من خلال أربعمئة سنة وقام بالترحيل والتعديل عليها، فوحد آراء العلماء القديمة والحديثة بأخذ النقاط القوية من بعضهم لسد ثغرات ضعف البعض الآخر تكاملاً وإتماماً، وبهذا الأسلوب الجامع فسر معظم أمهات الكتب الكونفوشيوسية، وترك أثراً عميقاً في تاريخ تطوّر الكونفوشيوسية فيما بعد^{١٣}.

٣- فترة التلخيص الشامل وحركة الاستيعابية لتحدي اليونانية: امتدت هذه الفترة لثلاثة قرون في كل عهد أسرة " تانغ (٦١٨- ٩٠٧ م) "، وهي أزهى وأقوى إمبراطورية في تاريخ الصين. وكان الرجل الممثل في فترة التلخيص الشامل للدراسات الكونفوشيوسية هو الحبر العظيم " كونغ بينغ دا (٥٧٤- ٦٤٨ م) "، وهو من أحفاد الأستاذ كونفوشيوس من بعد اثنين وثلاثين جيلاً. وقد حزر الحبر " كونغ بينغ دا " أوفق الشروح العلمية وأجمعها للأسفار الخمسة وغيرها من المصادر الكونفوشيوسية، تلبية لدعوة حاجة عصره تحت رعاية الإمبراطور ومساعدة العلماء الكبار

١٢- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي زان، الصفحة ٤٩٢-٤٩٣.

١٣- المرجع نفسه، الصفحة ١٢٨.

للمشروع وقتئذ. وأصبحت مؤلفاته مصادر معتمدة رسمية في مجال التدريس ومجال اختبار المتقنين لتعيينهم في المناصب الحكومية لمدة أربعة قرون^{١٤}.

وكما سبق ذكره أن أسرة "تأنغ" هي أقوى إمبراطورية في تاريخ الصين، وهذا لا يعنى أنها أقوى اقتصاديا وعسكريا فقط، بل هي أكثر انفتاحا حضاريا لتبادل الثقافة والديانة الوافدة من الخارج، حيث دخلت اليهودية والنسطورية والإسلام والمجوسية في بلاد الصين لأول مرة في القرن السابع الميلادي. وأما ديانة البوذية التي دخلت في الصين منذ القرن الأول، فمع انتشارها في هذه الإمبراطورية العظيمة خلال ستة قرون حتى بلغت أشدها، فقد مثلت تحديا لمكانة الأصالة الكونفوشيوسية الرسمية الأصلية في مجال الأفكار والأيدولوجيا. فقام كثير من العلماء الكونفوشيوسيين لتحدي البوذية، وعلى رأسهم المفكر الأديب الشهير "هان يو" (٧٢٨م- ٨٢٤م) "ونلميذه" "لى أو" (٧٧٢م- ٨٤١م). فكان الأول يثبت في رسالته المعروفة "تبرير طريق الحق" نظرية الأصالة الكونفوشيوسية وحقيقتها الأيدولوجية لمدة ألفى سنة في تاريخ الصين، ضد ادعاء سلطة البوذية الدينية ونفوذها. كما كان "لى أو" يؤسس نظرية "حسن طبيعة الإنسان الفطرية وشر غرائزه المادية"، يدعو إلى ضرورة إعادة الإنسان بنفسه إلى فطرته البريئة عن طريق التهذيب الأخلاقي باطنا والاتباع بنظام الآداب ظاهرا^{١٥}.

ومع فتح إمبراطورية "تأنغ" أبوابها لسياير العالم لمدة ثلاثة قرون في تبادلها في كل الجوانب الثقافية والاقتصادية والسياسية أخذا وعطاء، وخاصة في مجال استجابة مذهب الكونفوشيوسية لتحدي الديانة البوذية وغيرها، فكان كل ذلك يحث العلماء الكونفوشيوسيين على مراجعة همومهم ودراسة مذهبهم المعتمد على الإصلاح والتجديد، وقد تحقق هذا الهدف المطلوب لما أقبلت عجلة التاريخ على باب القرن الحادي عشر الميلادي، ودخل مذهب الكونفوشيوسية إلى فترة جديدة:

١٤- للمرجع نفسه، الصفحة ٦٢٢.

١٥- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي بان، الصفحة ٥١٥- ٥١٦.

٤- فترة التجديد والإصلاح في عهدي أسرة سونغ (٩٦٠م-١٢٧٩م) وأسرة مينغ (١٣٦٨م-١٦٤٤م):

وتُسمى هذه الفترة أيضا بالمرحلة الميتافيزيقية في مذهب الكونفوشيوسية، إذ ساد الاتجاه الفلفي والميتافيزيقي هذه المرحلة التاريخية كلها. وكان على رأس العلماء البارزين في هذه الفترة أخوان شقيقان هما: السيد الكبير " تشيانغ فاو (١٠٣٢م-١٠٨٥م) " والسيد الصغير " تشيانغ يي (١٠٣٢م-١١٠٧م) "، ووارثهما الروحي هو العلامة " جوشي (١١٣٠م-١٢٠٠م) ".

وكان السيدان يشتركان في الادعاء بأن " الحق " هو مصدر وجود الكون، وهو الوجود المطلق، وهو متحيز ذو ذات بلا جسم مادي. وقالوا: إن طبيعة الإنسان نوعان: فطرية وهي بحسن طبيعتها وهي منبع الأخلاق الحميدة وسجيّة وهي مشتركة بين الخير والشر وهي مصدر الشهوات والغرائز التي تتجاوز الحدّ الضرورة. والفرق الأساسي بين السيدين هو الفرق المنهجي: فالكبير يؤكد أهمية القلب والوجدان في معرفة الحق، في حين كان الصغير يؤكد ضرورة العلم والحكمة في الوصول إلى الحق، وقد لوحظ الفرق العلمي بينهما وخاصة بعد وفاة الكبير مبكرا.

وقد أدى هذا الفرق المنهجي إلى انقسام حركة التجديد والإصلاح الكونفوشيوسية في هذه المرحلة التاريخية إلى اتجاهين متضادين: اتجاه عقلي، واتجاه قلبي، بعد مائة سنة^{١٦}، وهو عصر العلامة " جوشي (١١٣٠م-١٢٠٠م) ". وكان " جوشي " تلميذا للسيدتين بعد ثلاثة أجيال، واحتل المكان الروحي الجامع، وفي الحقيقة كان يميل إلى نظرية السيد الصغير أشد وأكثراً، وهو الممثل الجامع للاتجاه العقلي في حركة التجديد والإصلاح الكونفوشيوسية في هذه المرحلة التاريخية، من حيث يدعى أن " الحق " هو الوجود الميتافيزيقي فوق الأعراض الطبيعية والاجتماعية، وهو الذات الكلية لجميع حقائق الكائنات بين السموات والأرض، وهو العلة التي يصدر منها وجود الإنسان وسائر الموجودات. ويرى أن أهم شيء في تهذيب الإنسان نفسه هو تركية شهواته

١٦- الطر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ فاي، بأن: الصفحة ٥٢٢-٥٢٤.

النفسانية في سبيل إعادة ذاته إلى طبيعتها الفطرية الحقّة، عن طريق الورع الذاتى والسعى وراء علم اليقين. ويؤكد ضرورة اتباع منهج التحليل والتقصي والاستنباط في الحصول على علم اليقين ومعرفة الحق المطلق. وكان الاتجاه العقليّ الذي يمثله العلامة " جُو شِي " يُعتبر نظريّةً رسميةً وأيدولوجيةً مهيمنة في بلاد الصين لمدة تسعة قرون حتى أوائل القرن العشرين الماضي^{١٧}.

وكان الاتجاه العقليّ المتمثل بالعلامة " جُو شِي " وبجانبه الاتجاه القلبيّ المتمثل بـ " لُو جُو يوان (١١٣٩م-١١٩٣م) " و " وانغ يانغ مينغ (١٤٧٢م-١٥٢٩م) "، يُعتبر قمة فلسفية ومبتكرة في فترة التجديد والإصلاح في عهد أسرة مينغ وأسرة تشينغ - وإن كان الاتجاه العقليّ أقوى نفوذاً رسمياً وأوسع انتشاراً في التدريس والتلقي من الاتجاه القلبيّ. إذ بعد عصر الحبر " وانغ يانغ مينغ " أُنقلت عجلة التاريخ إلى فترة الانحطاط والتخلف الفكري في مراحل تطورات مذهب الكونفوشيوسية.

٥- فترة الانحطاط والتخلف الفكري في عهد أسرة تشينغ (١٦١٦م-١٩١١م):

منذ أواخر القرن السادس عشر الميلاديّ، مع تدهور إمبراطورية أسرة مينغ ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً، وخاصة بعد سقوطها أمام هجوم قوات أسرة تشينغ في سنة ١٦٤٤م، وقعت الكونفوشيوسية في مرحلة انحطاطه وتخلفه الفكري؛ إذ كان ملا أسرة تشينغ وجيوشها أصلهم من القبائل البربرية من شمال الصين الشرقيّ، يتدينون بدين الوثنية البدائية (Shamanism)، وهم قليلو العدد بالنسبة إلى عدد السكان الكبير في داخل الصين. فلما جلست أسرة تشينغ على عرش بلاد الصين كلّها، ومن أجل حفظ سيطرتهم الملوكية، منعوا العلماء الكونفوشيوسيين عن حركة التطور الإصلاحيّ والتجديد الفكريّ، إلا أنهم سمحوا لهم في مجال تحقيق كتبهم التراثية ومراجعة تفاصيل النظريات القديمة، خدمة لمصلحة سيطرة أسرة تشينغ الملوكية على عامة الناس ثقافياً. بل أصبحت الأحوال أسوأ وأشدّ خطراً على مذهب الكونفوشيوسية ومكانته الأصيلة،

١٧- المرجع نفسه، الصفحة ٥٢٩-٥٣٠.

١٨- المرجع نفسه، الصفحة ٥٣٢-٥٣٣ والصفحة ٥٤٦.

عندما فتح الغرب المستعمر أبواب إمبراطورية الصين المتدهورة بالنار والبنادق الجبارة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فهبت أمواج الأفكار الغربية بهجوسها الشديد على مذهب الكونفوشيوسية، حتى خلعتة أخيرا عن مكانته الأيدولوجية الرسمية في مجتمع الصين، مع سقوط إمبراطورية أسرة تشينغ في سنة ١٩١١م. ومن هناك دخل مذهب الكونفوشيوسية إلى فترة جديدة^{١٩}، وهي فترة النهضة الحديثة.

٦- فترة النهضة الثقافية والتحديث الفكري للكونفوشيوسية في العهد المعاصر:

منذ العشرينيات من القرن الماضي، بدأ مذهب الكونفوشيوسية مرحلته الجديدة في النهضة والتحديث الفكري، استجابة لتحدي التغريب الثقافي وغزوته، ومحاولة لإعادة المكانة الكونفوشيوسية الأصيلة في أيديولوجيا مجتمع الصين المعاصر، على أساس أخذ المنهج المفيد من حضارة الغرب وردّ جوانبها السلبية.

وقد مرّت حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة - من مبتدئها المبكر حتى يومنا هذا - بخدمة ثلاث طبقات من العلماء الكونفوشيوسيين المجتهدين، وهم:

الطبقة الأولى: هم الذين ساهموا في حركة النهضة منذ أوائل العشرينيات إلى أواخر الأربعينيات من القرن الماضي^{٢٠}، وعلى رأسهم الفيلسوف الشهير "شونغ شي لي (١٨٨٥م-١٩٦٨م)". وهو آمنس نظريته المجيدة على أساس آراء الاتجاه القلبي في الكونفوشيوسية القديمة، حيث ادعى الوجدانية بين الذات وأعراضه، فلا أسبقية للذات على أعراضه في الزمان ولا في للرتبة المنطقية، بل كان الذات وأعراضه كلها معا، فلا وجود للذات خارج أعراضه. وقد نصب "شونغ شي لي" في خدمة نظريته رموزا للمراجعة والمقارنة من فلسفة الحياة والوجدانية للفيلسوف الفرنسي "برغسون Bergson (١٨٥٩م-١٩٤١م)" فأخذ منه اقتباسا أو اتخذ عليه عبرة^{٢١}.

١٩- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي لين، الصفحة ٧٨٩-٧٩٠.

٢٠- ومن أشهر الرجال في الطبقة الأولى: ما يي فر (١٨٨٣م-١٩٦٧م)، شونغ شي لي (١٨٨٥م-١٩٦٨م)، ليونغ شو مينغ (١٨٩٣م-١٩٨٨م). وهؤلاء يستون بفضلهم الثلاثة المجتدين في فترة النهضة المعاصرة، وكان شونغ شي لي أشهرهم.

٢١- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي لين، الصفحة ٨٦٧.

الطبقة الثانية : هم الذين برزوا في حركة النهضة منذ أوائل الخمسينيات إلى أواخر الثمانينيات في القرن الماضي، وقد درسوا فلسفة الصين الأصلية القديمة على أيدي الطبقة الأولى في الجامعات الصينية المعاصرة، وكثير منهم ذوو خبرة بالدراسة في الغرب عارفون بالثقافة الغربية وفلسفتها. وكان أشهر هؤلاء الرجال في الطبقة الثانية التلاميذ الثلاثة الكبار للفيلسوف " شونغ شي لي " الذي سبق ذكره، وهم: شو فو قوان (١٩٠٣م- ١٩٨٢م)، تانغ جون يي (١٩٠٩م- ١٩٧٨م)، شو زونغ نان (١٩٠٩م- ١٩٩٥م)، ويُعتبر هؤلاء الثلاثة شخصيات معتمدة في حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة، من حيث إنهم كتبوا وفسروا مبشرين بهذه النهضة لكل العالم شرقا وغربا بالعنوان: " إعلان عام لنهضة الثقافة الصينية أمام جميع الشخصيات الكرام في العالم رسميا " في سنة ١٩٥٨م. وقد استموا نظرية الميتافيزيقية الأخلاقية على أساس قيم الضمير والوجدان، مراجعة ومقارنة مع الفلسفة الغربية وخاصة الفلسفة الأخلاقية لـ " كنت Kant (١٧٢٤م- ١٨٠٤م) " وعلم المظاهر الروحية لـ " هيغل Hegel (١٧٧٠م- ١٨٣١م) "، وأخذا منهما قيسا وعبرة في خدمة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة^{٢٢}.

الطبقة الثالثة: هم الذين أبرزوا في خدمتهم المتطورة في حركة النهضة من أوائل التسعينيات للقرن الماضي حتى يومنا هذا. وقد تتلمذوا على أيدي الطبقة الثانية، واكثرهم درسوا في الغرب وأتقنوا الثقافة الغربية وفلسفتها، بل درسوا في الجامعات الغربية والشرقية كجسر علمي لنشر الثقافة الصينية وأفكار الكونفوشيوسية. وكان من أبرزهم في هذه الطبقة: يويينغ شي، وكو شو شان، ونو وي ميلنغ، وهم الآن على قيد الحياة. وهم يدعون بأصالة الكونفوشيوسية وأفضليتها في إرشاد أيديولوجيا مجتمع الصين المعاصر، ويرون أن الإنسانية الكونفوشيوسية التي توحد بين قيم الأخلاق وروحية الاعتقاد هي المثل الأعلى في الثقافة الصينية، كما يدعون إلى الحوار والتبادل مع حضارة الغرب في كل الجوانب أخذا وعطاء، لكسب التوازن والتوافق بين مطالب قيم الأخلاق الإنسانية وبين معطيات تقدم التكنولوجيا المالية في العصر الحاضر^{٢٣}.

٢٢- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، الصفحة ٨٩٣، ٨٩٨، ٨٩٩.
٢٣- انظر: كتاب الكونفوشيوسية الجديدة في العصر الحديث، التمهيد، الصفحة ٢٤٠٦.

وقد حصلت حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة منذ تسعينيات القرن الماضي على اهتمام واسع ودعم وافر من الشرق والغرب، وبلغت أزهر مراحل تطورها مع نهوض اقتصاد الصين وتقوية نفوذها السياسي في العالم، ولا تزال حركة النهضة الكونفوشيوسية المعاصرة تلعب دورها المهم في تأسيس وتنظيم كيان العالم من جديد ثقافيا واقتصاديا وسياسيا في بداية القرن الواحد والعشرين حتى يومنا هذا.

المبحث الثاني: الشيخ "تس سي" وكتاب الوسطية والاعتدال.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ "تس سي".

أ- مولده وحياته العلمية:

كان "تس سي" من كبار المفكرين في بداية عهد الممالك المحاربة (٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م) في تاريخ الصين القديم. ولد في إمارة "لُو" ^{٢٤} موطن آبائه في سنة ٤٨٣ قبل الميلاد، واسمه "كونغ جي"، ويلقب بـ "تس سي" تشريفا، وهو حفيد الأستاذ كونفوشيوس مؤسس المذهب، من ابنه الوحيد "كونغ لي" ^{٢٥}.

وكان "تس سي" تتلمذ على يد الشيخ "ثمينغ تس" (٥٠٥ ق.م - ٤٣٦ ق.م) ^{٢٦} صاحب كتاب المعرفة الكبرى وكتاب البر، وقد ورث منه "تس سي" ميراث جده الروحي وأفكار الكونفوشيوسية، فطور ونمى نظرية الأستاذ كونفوشيوس في منهاج الوسطية والاعتدال الذي يُعتبر مثالا أعلى في مجال الأخلاقي والميتافيزيقي في الكونفوشيوسية، وألف كتاب (الوسطية والاعتدال) من بين الكتب الأربعة. وقد ورث أفكاره تلميذ تلميذه منشيوس الذي يسمّى بالمعلم الثاني عند الكونفوشيوسية. وبهؤلاء الأربعة العظماء (الأستاذ كونفوشيوس مؤسس المذهب،

٢٤- الإمارة "لُو"، تقع حاليا في مقاطعة "شان دونغ" في شمال الصين.

٢٥- "كونغ لي"، عاش بين ٥٢٢ ق.م - ٤٨٣ ق.م، وهو ابن وحيد للأستاذ كونفوشيوس. وقد توفي "كونغ لي" وكان ابنه "تس سي" في بطن أمه.

٢٦- للشيخ "ثمينغ تس"، من أكبر تلاميذ الأستاذ كونفوشيوس، وهو واريثه الروحي بعد وفاته، يشير إليه بالبر والورع.

وتلميذه " تسونغ تسى " المرشد التابع، وتلميذه " تسى سى " المرشد الوارث، وتلميذه منشويوس المعلم الثانى) تمت سلسلة الأصالة العلمية التى تدور حولها أفكار الكونفوشيوسية كلها.

ب- نبذة عن حياة " تسى سى " التعليمية وتلقيه من جده الأستاذ كونفوشيوس.

ولد " تسى سى " ونشأ فى أسرة مثالية فى مجال للتعليم والتربية وقتئذ، ولكن هل هو تلقى التعليم مباشرة من جده العظيم وأخذ منه العلم أم لا ؟ هناك خلاف بين العلماء فى هذه المسألة.

وبما جاءت الشبهة من حيث إن الأستاذ كونفوشيوس قد مات وحفيده " تسى سى " لم يبلغ رثته بعد. ومن خلال تراسننا وجدنا سجل التاريخ والسير أن جده قد أرضعه العلم فى طفولته كالمعلم الأول له؛ لأن الأستاذ كونفوشيوس كان يهتم ويراعى قضية التهذيب والتربية لابنه الوحيد " كونغ لى " بشدة الاهتمام، وكان يطلب منه أن يدرس بجذ واجتهاد فى سفر القصائد وسفر الآداب ويعظه قائلا: " إذا لم تدرس سفر القصائد فلن تستطيع إقناع الثيران، وإذا لم تدرس سفر الآداب فلن ترسخ قدميك مستقيمة فى المسلك. " ^{٢٧}

وكذلك عقد الأستاذ كونفوشيوس آمالا عظيمة على حفيده " تسى سى "، كما سجل فى كتاب " سلسلة أميرة كونفوشيوس وذريته " أنه فى يوم من الأيام التى كان يظل فيها الأستاذ كونفوشيوس فى البيت وهو فى شيخوخته، لما أرسل زفرة حرى، وقد سمعه " تسى سى " فسأل جده قائلا: " هل تخاف يا جدى على أن أبنائكم سوف يصيرون من الجهلاء مما يجلب العار عليكم ؟ " وتعجب جده من كلامه هذا، وقال: كيف عرفت ذلك ؟ " فأجاب: " إذا قطع الأب خطبا من الغابة ولم يحمله الابن إلى البيت، فهو ليس بالبر. فأريد أن أرث قضية الآباء، وأشرع من اليوم أن أدرس بجذ ولا أترأخى فى الإرادة للدراسة أقل القليل. " فلما سمع كلامه الأستاذ كونفوشيوس قال راضيا: " لم أعد أحتاج إلى الخوف عليه. " ^{٢٨}

ومن هذه القصة ثبت أن " تسى سى " قد تعلم فى صغره من جده العظيم وتلقى مبادئ

٢٧- كتاب الحوار بترجمة محمد مكي، الفصل السادس عشر، الصفحة ٢٥٧.

٢٨- انظر: كتاب سلسلة أسرة كونفوشيوس وذريته، دار طباعة المكتبة الصينية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م، الصفحة ٦٢٤.

المعلومات الأساسية الكونفوشيوسية، وبعد وفاة الأستاذ كونفوشيوس قد تتلمذ " تس سي" على يد الشيخ " تشينغ تس" وهو من أكبر تلاميذ كونفوشيوس، ووارثه الروحي، فتعلم " تس سي" منه أفكار الكونفوشيوسية الخالصة. وذلك كما ورد في كتاب "سلسلة أسرة كونفوشيوس ووريثه" من حيث إن " تس سي" يتبع أستاذه " تشينغ تس" في سبيل طلب العلم والمعرفة، ويهذب نفسه على مكارم الأخلاق بالصدق والإخلاص، ويتلقى منه المعرفة الكونفوشيوسية الأصيلة، ويغوص بالبحث في أعماق قضية الأسرار عن أمر السماء (تيان) وفطرة الإنسان ومصدر الحياة الإنسانية وقيمها الأخلاقية، لقد روى عن أستاذه هذه الأفكار الفلسفية كلها، وصنف كتاب الوسطية والاعتدال لكي يبين تلك القضايا الرئيسية لتابعيه من الخلف.^{٢٩}

ج - عفة " تس سي" ونزاهته عن السياسة والمنصب:

لم يشارك " تس سي" في شؤون السياسة في زمنه، مع أن الحاكم وقتئذ قد دعاه إليها مرارا. وكان أمير وطنه " لو مو فونغ" (١٠ ق.م - ٣٧٧ ق.م في عرشه) " أراد تعيينه في منصب رئاسة الوزراء، ولكنه لم يقبل متعقفا واتهمك في قضية التعليم والتربية كل انهماك، فاتخذة الأمير " لو مو فونغ" مستشارا له.^{٣٠}

د - أعمال " تس سي" في التأليف والتصنيف:

عمل الشيخ " تس سي" طول حياته في مجال التدريس والتأليف، وحسب تسجيل حوليات عهد أسرة " هان الغربية" في قسم المصنفات والفنون، فقد كان له ثلاثة وعشرون مصنفًا، ولكن معظمها مفقود قبل القرن الثاني قبل الميلاد ولم تصل إلينا، إلا كتاب (الوسطية والاعتدال)، ورسالة نظام أخلاق الشعب العامة، ورسالة أدب الملأ الرسمية، ورسالة طقوس الجنازة، وهذه الأربعة من مؤلفاته محفوظة في سفر الأدب. وجدير بالذكر أن دراسة الآثار ساعدتنا على الوصول إلى بعض مؤلفاته المفقودة من قبل، عندما حصل علماء الآثار في قرية "

٢٩- انظر: كتاب سلسلة أسرة كونفوشيوس ووريثه، الصفحة ١٧٨.

٣٠- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير جيانغ داي يان، الصفحة ٤٢٩.

قُوا دِيَّانَ " بمقاطعة " هُوَ ثَان " فى السنة ١٩٩٢م على ثمانمائة وأربع لوحات قديمة من البامبو^{٣١} مكتوبة عليها بعض النص للصحف التراثية التى يرجع تاريخها إلى العشريين من القرن الرابع قبل الميلاد. وسنفضل الكلام عن هذا الكشف الجديد فى موضعه عند تعريف كتاب الوسطية والاعتدال وتاريخه فيما بعد، لكى لا يطول الكلام هنا.

هـ - وفاة " ثيس ميسى " .

توفى " ثيس ميسى " فى سنة ٤٠٢ ق.م (أربعمائة واثنين قبل الميلاد)، وكان عمره اثنتين وثمانين سنة.

المطلب الثانى : تعريف كتاب الوسطية والاعتدال.

أ- تأليفه وأهميته بين الكتب الكونفوشيوسية المقدسة:

كان كتاب (الوسطية والاعتدال) رسالة محفوظة فى سفر الآداب الذى يُعتبر واحداً من الأسفار الخمسة المقدسة للكونفوشيوسية^{٣٢}. حيث إنّ سفر الآداب مجموعة مختارة تتكون من الرسائل التسع والأربعين الكونفوشيوسية القديمة، التى امتد تأليفها من عصر كونفوشيوس وتلاميذه إلى عهد أصحاب منشيوس لمدة قرنين ونصف على أيدي العلماء الكبار للكونفوشيوسية، يحتوى على موضوعات فى جميع الجوانب الطقوسية والأخلاقية، والفلسفية، والسياسية، والتاريخية، ولقد جُمعت الرسائل التسع والأربعون هذه فى سفر الآداب الذى قام بتدوينها الحبر المشهور " ذائ شيونغ"^{٣٣} فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد. وكان كتاب (الوسطية والاعتدال) هو الرسالة الحادية والثلاثين من بينها.

ومع تحقق الدراسة عند العلماء الكونفوشيوسيين فى سفر الآداب، فقد اكتشفوا قيمة رسالة

٣١- قبل اختراع صناعة الورق فى القرن الأول الميلادى بالصين، اتخذ قتياء الصين لوحة مرقبة من الخشب والياسبر مادة للكتابة والتدوين. وقبل ذلك، فى الزمان الأقدم اتخذوا من فجل السلحفاة وعظام البقر وأمثالها مادة مستعملة للكتابة والتسجيل.

٣٢- أمهات المصادر للكونفوشيوسية المقدسة تتكون من مجموعتين: المجموعة الأولى هى الأسفار الخمسة - سفر القصائد وسفر الوثائق وسفر التبدلات: وسفر الآداب وسفر الربيع والخريف، والمجموعة الثانية هى الكتب الأربعة: كتب الحوار وكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال وكتاب منشيوس.

٣٣- " ذائ شيونغ "، حبر كونفوشيوسي مشهور فى القرن الواحد قبل الميلاد، وكان ميلاده ووفاته غير مطوم بالضبط.

(الوسطية والاعتدال) أكثر فأكثر، حتى أخرجت من بين أخواتها الأخرى كنسخة دراسية مستقلة في أوائل القرن السادس الميلادي (أي عهد الإمبراطور "لِيَنْغ وَو" ٥٠٢م - ٤٩٩م في عرشه)، وحظيت بمزيد الاهتمام في عهد أسرة تَانْغ (٦١٨م-٩٠٧م)، ولما قام الحبر الأديب "فَان يُو" بالدفاع عن الكونفوشيوسية وأصالته الأيديولوجية الرسمية استجابة لتحدي البوذية الوافدة، استيعانا برسالة الوسطية والاعتدال وأفكارها الأخلاقية والميتافيزيقية المحكمة. ومع زيادة أهميتها بشدة بين العلماء الكونفوشيوسيين، أخرجت رسالة الوسطية والاعتدال نهائياً ككتاب أصولي معتمد في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وخاصة بعد ظهور شرحه المتقن واستنباطه المحكم على أيدي الشيخين "تشيانغ فاو" وأخيه "تشيانغ يي" ووارثهما الروحي العلامة "جُو شي" ^{٣٤}.

والجدير بالذكر أن العلامة "جُو شي" له يد طويلة في خدمة كتاب (الوسطية والاعتدال) خاصة وسائر الكتب الأربعة المقدسة عامة، من حيث جمع كلاً من كتاب الوسطية والاعتدال، وكتاب المعرفة الكبرى، وكتاب الحوار، وكتاب منشوس، في مجلد واحد كسلسلة شاملة لتدريس المتعلمين على أسلوب التدرج، وقال نصيحة: "اقرأوا كتاب المعرفة الكبرى أولاً من أجل فهم البرامج العامة في الكونفوشيوسية، ثم تعلموا كتاب الحوار لإتقان أصولها المعتمدة، ثم درسوا كتاب منشوس للتربية في استنباطها، وأخيراً تفتشوا في كتاب الوسطية والاعتدال للحصول على نقائنها المحكمة من عند السلف الفضلاء." ^{٣٥} وقد بذل العلامة "جُو شي" حياته كلها في سبيل شرح هذه الكتب الأربعة المقدسة واستنباط أحكامها المرشدة حتى في مرض موته. ولقد اهتم بكتاب الوسطية والاعتدال أشد من غيره، ويرى أنه محور أخلاقي وميتافيزيقي في أصالة الكونفوشيوسية منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة في تاريخ الصين العريق ^{٣٦}.

^{٣٤}- ولقد مرّ تعريفهم في المبحث الأول سابقاً، فارجع إليه.

^{٣٥}- مجموعة الأحاديث للعلامة جُو شي، الجزء الأول، الصفحة ٢٢٥، دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى، السنة ١٩٨٦م.

^{٣٦}- أي من عهد الملوك الثلاثة الحكماء القدامى - "يَاو" و"شون" و"يُو" - الذين عاشوا بين القرن الأربع وعشرين قبل الميلاد وبين القرن الثاني وعشرين قبل الميلاد، إلى قرن الحادي عشر الميلادي الذي عاش فيه العلامة "جُو شي" نفسه.

ومع الخدمة الجليلة من السيدين " تشيانغ هاو " وأخيه " تشيانغ بي " ووارثهما الروحي العلامة " جو شي " في سبيل الكتب الأربعة المقدسة دراسة ونشراً، أصبح كتاب الوسطية والاعتدال وإخواته الثلاثة فيما بعد مقررات رسمية للتدريس واختبار المثقفين في تعيينهم للمناصب الحكومية لمدة ثمانية قرون حتى بداية القرن العشرين الماضي، حتى تركت الكتب الأربعة المقدسة أثراً كبيراً في أفكار أهل الصين ثقافياً وسياسياً واجتماعياً حتى يومنا هذا.

ب - آراء العلماء الكونفوشيوسيين في نسبة كتاب الوسطية والاعتدال إلى " تْس سي ".

هناك خلاف بين علماء الكونفوشيوسية في أن كتاب (الوسطية والاعتدال) هل هو من تأليف الشيخ " تْس سي " أم لا ؟

وفيه قولان، رأي المثبتين وهو قول الجمهور، ورأي المعارضين وهو قول بعض المتأخرين.

وكان رأي الجمهور على أن الشيخ " تْس سي " هو بنفسه صنف هذا الكتاب؛ وذلك كما دل عليه المؤرخ الشهير " س ما تشيان (١٤٥ ق.م - ٨٧ ق.م) " في كتابه " سجل التاريخ " ^{٣٧} قائلاً: " كان كتاب (الوسطية والاعتدال) من تأليف الشيخ ' تْس سي ' بعينه. " ^{٣٨} وقد وافقه على رأيه هذا العلماء الكبار للكونفوشيوسية من الحبر المفسر " جينغ شوان " في عهد مملكة أسرة " حان " والحبر الشهير " كونغ بينغ دا " والحبر الأديب " هان يو " في عهد مملكة " تانغ " ^{٣٩}، وكذلك رجال الكونفوشيوسية جاؤوا بعدهم في عهد الأسرة " سونغ "، مثل " تشيانغ هاو " وأخيه " تشيانغ بي " ووارثهما الروحي العلامة " جو شي "، وكان جميعهم يرون أن الشيخ " تْس سي " هو مصنف الكتاب بالضبط. فأكد على ذلك العلامة " جو شي " وقال في تمهيد كتابه لشرح كتاب

٣٧- سجل التاريخ لـ " س ما تشيان "، يُحضر لوثق ويشمل الكتب التاريخية عند قدماء الصين، وكان موضوعه يسجل الوقائع التاريخية لمدة ستة وعشرين قرناً امتدت من عهد الملك الحكيم " هوانغ دي (٢٧١٣ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م) " وهو المؤسس لحضارة الصين بوضع حجرة لولي لها، إلى نهاية القرن الثاني الذي عاش فيه المؤرخ " س ما تشيان " نفسه.

٣٨- سجل التاريخ، قسم أسرة كونفوشيوس، الصفحة ٥٨٩، المؤلف " س ما تشيان "، دار الطباعة الكتب التراثية بشفغهاي، الطبعة الأولى، السنة ٢٠٠٠ م.

٣٩- مر تعريفهم في المبحث الأول سابقاً، فارجع إليه.

الوسطية والاعتدال: " لماذا ألف الشيخ " تس مي " هذا الكتاب؟ والجواب هو أنه يخاف اختفاء طريق الحق وضياح أصالة تعاليم الأستاذ كونفوشيوس، فصنّفه من أجل ذلك.^{٤٠}

وبالعكس، هناك من العلماء المتأخرين يدعى أن كتاب الوسطية والاعتدال ليس من تأليف الشيخ " تس مي"، بل هو مكتوب على أيدي بعض المتأخرين بعد قرنين من وفاته، فلا يصح - حسب قولهم - نسب الكتاب إليه. وليلهم أن الكتاب مشتمل على بعض الحوادث وذكر تغييرات لم تكن وقعت في العصر الذي عاش فيه " تس مي"، بل هي حدثت بعد وفاته بأكثر من قرنين. وعلى سبيل المثال: أنه جاء في الفصل الثامن والعشرين ما نصّها: " اليوم قد تحقّق فيه الاتحاد في معيار دوليب العربية وطرقها، والاتحاد في شكلية الكتابة وأسلوبها، والاتحاد في نظام المبادئ الخلقية والسلوكية".

فاستدلّ به المعارضون وقالوا: إن هذا الكلام يعنى أن هذه الاتحادات الثقافية والسياسية والاجتماعية المذكورة، قد حدثت وتحققت في عصر الشيخ " تس مي" في القرن الخامس قبل الميلاد. وكلّ ذلك يخالف الواقعة التاريخية وقدّ تماماً، إذ كانت بلاد الصين منذ بداية الربع الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد وقعت في قبضة الممالك المحاربة التي لم تقتصر على حروبها المتتابعة القاسية فصعب، بل يختلف بعضها عن بعض في كلّ المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية أيضاً، حتى وُحِدَت أخيراً مملكة أميرة " تشين (٢٢١ ق.م - ٢٠٦ ق.م)" الجبارة جميع بلاد الصين في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. فألّى للشيخ " تس مي" أن يعرف ويكتب عن الاتحادات المذكورة في الفصل الثامن والعشرين وهو قد توفى قبل قرنين؟! وما هذا إلا دليل على أن كتاب الوسطية والاعتدال كان مصنفًا بأيدي بعض المتأخرين بعد وفاته بمدة قرنين.

ولقد أجاب العلماء المثبتون عن شكوك جماعة المعارضين من عدة جوانب، وأرجحها كما قالوا: إن من خلال النقل الشفوي والنسخ التحريري لمدة طويلة جيلا بعد جيل، قد يدخل في

٤٠. كتاب الوسطية والاعتدال بشرح جوشي، التمهيد، الصفحة الأولى.

الكتاب بعض كلمات شرح الشارح أو بعض آراء الناسخ بلا قصد، وهذه الحادثة وقعت عامة في كل الكتب التراثية؛ سواء أكانت كونفوشيوسية أو غيرها، فلا يصح الاستدلال بمثل هذه النقاط المخيلة النادرة على إنكار أصالة تأليف كتاب الوسطية والاعتدال على يد الشيخ "تس سي".^{٤١} ومن الجدير بالذكر هنا أن دراسة الآثار اليوم قد أتت رأي الجمهور على إثبات نسبة كتاب (الوسطية والاعتدال) إلى "تس سي"، عندما حصل علماء الآثار على ثمانمائة ولوحة ألواح يامبو مكتوبة عليها بعض الصحف القديمة التي يرجع تاريخها إلى العشرينيات من القرن الرابع قبل الميلاد، واكتشفت هذه الألواح الأثرية في السنة ١٩٩٣م في حفير قديم لرجل كبير من أشرف الإمارة "تشو" لمنتصف عهد الممالك المتحاربة (٧٥٠ ق.م - ٢٢١ ق.م).

وكانت هذه الألواح الأثرية تتكون من ثمانى عشرة مجموعة، ومنها عشر مجموعات للصحف الكونفوشيوسية، ومن بين هذه العشرة سبعة للشيخ "تس سي"، وواحدة منها أصل لكتاب الوسطية والاعتدال الموضوع بين أيدي القراء الآن، وأما السبعة الأخرى فهي تابعة لبعض مؤلفات "تس سي" التي فقدت قبل أكثر من ألفى سنة، وتحديدا منذ القرن الثاني قبل الميلاد.^{٤٢}

ج - محتويات كتاب الوسطية والاعتدال.

يحتوى هذا الكتاب على ثلاثة وثلاثين فصلا على رأى العلامة "جو شي" في تجزيته المعتمد، ويدور موضوعه حول ثلاثة أقسام أساسية: رأسه الجامع، وأوساطه المستقبلية، وخاتمته المعترجة. فكان الفصل الأول هو الرأس الجامع لكتاب الوسطية والاعتدال، وهو برنامج عام لكل الكتاب، وقد بين فيه المؤلف "تس سي" أولا العلاقة المتلازمة بين طبيعة الإنسان وطريق الحق وضرورة التربية والتعليم، وأكد ثانيا أهمية محاسبة النفس بالورع الذاتى عند الرجل الفاضل، ولخص أخيرا بأن منهاج الوسطية والاعتدال هو طريق الحق بين السماوات والأرض؛

٤١ - انظر: كتاب الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، الشهيد، ل "لى كا فونغ"، الصفحة ١٢٨.

٤٢ - ولقد طبعت ونشرت تصويرات اللوحات الأثرية المكتشفة هذه مع الشرح والتعليق في الكتاب اسمه "لوحات يامبو الأثرية لدى حفير الإمارة "جو" فى "فوا ديان"، بنشر دار المطبعة للتحف التاريخية، بكين، السنة ١٩٩٨م.

أى فى الكون كله.

وأما أوساط الكتاب المستنظمة من الفصل الثانى إلى الفصل الثانى والثلاثين، فهى بيان وشرح لمضمون الفصل الأول: الجانب العلمى والجانب العلمى. وكان جانبه العلمى يتكون من الفصل الثانى إلى الفصل الحادى عشر، تحليلًا وتوضيحًا لأفكار الوسطية والاعتدال، بإيراد أقوال كونفوشيوس حول المقارنة بين الرجل الفاضل والرجل الطالح وأشباههما، ومن ناحية الامتنال بالملك الحكيم " تشون " والرجل الفاضل " يآن هوى "، حتى يكشف للقراء حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، ويهديهم إلى علمه اليقين به.

وأما من الجانب العلمى، فكان المؤلف يتناوله من ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: من الفصل الثانى عشر إلى الفصل التاسع عشر - تتحدث عن تعديل الأسرة وإصلاح العلاقة بين أفرادها بخلق البر والإحسان، مؤكدًا على شمولية منهاج الوسطية والاعتدال فى دقته العميقة وفى تأثيره حياة الإنسانية اليومية.

والطبقة الثانى: من الفصل العشرين إلى الفصل السادس والعشرين - تتكلم عن سياسة البلاد وإرشاد المجتمع عن طريق ممارسة خلق الصدق والإخلاص، مبيّنًا لأهمية صفة الصدق والإخلاص فى تأسيس الأصول الثلاثة الأخلاقية الكبرى والسنن الخمس الاجتماعية العامة والقواعد التسع السياسية المعتمدة، وكاشفا عن حقيقة صفة الصدق والإخلاص فى إكمال الإنسان شخصية نفسه أولاً وإكمال شخصية غيره ثانياً على أساس الرحمة والحكمة.

والطبقة الثالثة: من الفصل السابع وعشرين إلى الفصل الثانى والثلاثين - تتناول قضية تعميم السلام والأمن تحت السماوات وفى الأرض كلها عن طريق الأخلاق الحميدة، مؤكّداً على التوافق بين مكارم الأخلاق الإنسانية وبين سنن الإله السماوية، تحقيقاً لمشاركة الإنسان مع السماوات والأرض فى تنمية الكائنات فى العالم ازدهاراً.

وفى الفصل الأخير - وهو الفصل الثالث والثلاثون - لخص المؤلف " تس سي " المقاصد الأساسية للكتاب كله عامة، ويمتدح خاصة من خلاله الموضوع المعروض فى الفصل الأول

من فطرة الإنسانية السماوية وورعه الذاتي في محاسبة نفسه واعتداله بين السماوات والأرض،
مبينا عن اتحاد الإنيمان الخلقي مع عناية الاله السماوية - تيان، وهو غاية قيم الأخلاق ومسعى
فلسفة الحياة في الكونفوشيوسية.

د - أشهر الشروح والتعليقات لكتاب الوسطية والاعتدال.

علق علماء الكونفوشيوسية على هذا الكتاب قديما وحديثا بأنه كتاب يحمل سلسلة التوارث
العلمية للكونفوشيوسية ويشمل عدة نظريات فلسفة من السنة السماوية والفطرة الإنسانية ومعرفة
القلب والوجدان عند الكونفوشيوسية، فصنّفوا مئات من الشروح والتعليقات عليه في ممر تاريخ
الصين الثقافي، نذكر منها بعض أهم الشروح فيما يلي:

١- شرح سفر الآداب لـ "جيانغ شوان" (١٢٧٠م-٢٠٠م) من عهد أسرة "هان"، وكان كتاب
الوسطية والاعتدال في ضمن سفر الآداب كرسالة من بين رسائله ولم يخرج بعد ككتاب
مستقل.

٢- شرح المعاني السديدة للأسفار الخمسة لـ "كوانغ بينغ ذا" (١٤٨٠-١٥٧٤م) من عهد مملكة
أسرة "تائغ"، وكان كتاب الوسطية والاعتدال في سفر الآداب من الأسفار الخمسة.^{٢٣}
٣- الشرح الجامع للكتب الأربعة، للعلامة "جوشى" (١١٣٠م-١٢٠٠م) في عهد أسرة "سونغ"،
وهو أكثر الشروح نفرا وتأثيرا، ويمتاز باستنباطه الفلسفي المحكم.

٤- المحاضرات الدراسية في كتاب (الوسطية والاعتدال) لـ "جائغ جونغ" (١٥٢٥م-١٥٨٢م)
في عهد أسرة "مينغ"، وكانت هذه الدروس هي المادة التعليمية للإمبراطور في صباه.
٥- الملائكة للكتب الأربعة لـ "جائغ داي" (١٥٩٧م-١٦٨٤م) من عهد أسرة "تشينغ"، وكان هذا
الشرح يشتهر بلطافة تعبيره وحيوية تمثيله للأحكام العميقة في الكتاب.

٢٣- وكان شرح المعاني السديدة للأسفار الخمسة لـ "كوانغ بينغ ذا" مع شرح سفر الآداب لـ "جيانغ شوان"، قد أدخل كلاهما في
ضمن مجامع الشرح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة عشر، التي تم جمعها للتحرير في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي.

وقد اهتم أيضا العلماء الكونفوشيوسيون في العصر الحديث بهذا الكتاب بحثا ودراسة، وقاموا بشرحه مع ترجمته من اللغة الصينية القديمة إلى اللغة الصينية الحديثة، ومن أشهر أعمالهم في هذا ما يلي:

- ١- الدروس المقررة في الكتب الأربعة للعالم التربوي " جيانغ يو تشيان " (١٨٩٢م-١٩٥٦م)، ونشره دار الطباعة العالمية بشيانغهي في سنة ١٩٤٤م. وقد استعمل كمادة مدرسية رسمية.
- ٢- الشرح والتعلق بالأسلوب الحديث لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، بتحرير " وانغ تون وو " (١٨٨٨م-١٩٧٩م). وطبعته المكتبة التجارية، تايوان، سنة ١٩٧٧م.
- ٣- التأليف الجديد في الترجمة والشرح لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال " لو سي قوان " (١٩٢٧م-٢٠١٢م)، نشرته دار الطباعة للجامعة الصينية، هونغ كونغ، في سنة ٢٠٠٠م.

- ٤- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، للأستاذ " لي كا فونغ " (١٩٢٩م- حتى اليوم)، نشرته دار الطباعة بجامعة فو دان، سنة ١٩٩٨م.
- ٥- الرؤية النافذة لكتاب الوسطية والاعتدال، للأستاذ " ثو وي مينغ " (١٩٤٠م- حتى اليوم)، نشرته دار الطباعة الشعبية بكين، سنة ٢٠٠٨م.

٥ - الأعمال السابقة في ترجمة الكتب الكونفوشيوسية المقدسة عند الغرب والعالم الإسلامي.

ذكرنا سابقا أن الغرب قد تقدم في مجال علم مقارنة الأديان تقدما كبيرا في العصر الحديث، كما أنهم أيضا تقدموا في البحث والدراسة عن الأديان الصينية وخاصة عن الكونفوشيوسية، ومنذ أواخر القرن السادس عشر بدأ التبادلات المباشرة بين الصين والغرب، عندما تدفق إلى الصين مبشرون مسيحيون بعد أن تقدمت التكنولوجيا الملاحية واكتشفت طرق بحرية تربط بين الشرق والغرب، فجاؤوا إلى هذه الإمبراطورية الشرقية العظيمة برسالتهم التبشيرية، وكان الأقدم والأشهر منهم هو المبشر الإيطالي ماثيو ريتشي (Matteo Ricci ١٥٥٢-١٦١٠) الذي وصل إلى

بكين عام ١٥٨٢م يعمل على التيسير في بلاد الصين، وطوال فترة إقامته فيها لمدة عشرين سنة، ترجم زبدة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية إلى اللغة اللاتينية، وأرسلها إلى بابا روما في سنة ١٥٩٤م، ولكن ضاعت هذه الكتب المترجمة قبل طباعتها، ولم تصل إلينا اليوم. وجاء بعده المبشر الإيطالي (Michel Ruggieri ١٥٤٣ - ١٦٠٧)، وقام بترجمة كتاب المعرفة الكبرى وكتاب منشئوس إلى اللغة اللاتينية، وقد طبعت ونشرت وقتئذ، ونجد اليوم مخطوطاتها في مكتبة إيطاليا الوطنية، وأما كتاب (الوسطية والاعتدال) الذي ندرسها هنا في موضوعنا فقد ترجمه وطبعه المبشر الآخر الإيطالي (Brospero Iutorcettai ١٦٢٥ - ١٦٩٦) في سنة ١٦٦٧م. وفيما بعد قام القسيس البلجيكي (Francais Noel ١٦٥١ - ١٧٢٩) بترجمة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية جميعها من اللغة الصينية إلى اللغة اللاتينية، وطبعها في جامعة Prague. كما أعاد المبشر البريطاني جيمس ليقة (James Legge ١٨٩٧ - ١٨١٤) ترجمة الكتب الأربعة من اللغة الصينية إلى اللغة الإنجليزية، وتم بيده أيضا ترجمة الأسفار الخمسة الكونفوشيوسية، وطُبعت كلها في بريطانيا خلال سنوات ١٨٦٥م - ١٨٨٢م.^{٤٤}

وعندما نلفت النظر إلى العالم الاسلامي نجد أنه قد تأخر كثيرا بالبحث والدراسة في ثقافة الصين القديمة عامة وفي البحث عن الكونفوشيوسية ومصادرها الأصلية خاصة، من حيث إن العلماء المسلمين لم يكن لهم اهتمام بالدراسة في الكونفوشيوسية لندرة الكتب المترجمة المعتمدة من لغتها الأم إلى اللغة العربية، واستمرت هذه الحالة الحائرة حتى بداية الأربعينيات في القرن العشرين حين جاء الأستاذ محمد مكي (MA JIAN ١٩٠٦م - ١٩٧٨م) وترجم كتاب الحوار من لغته الصينية إلى اللغة العربية من خلال دراسته في جامعة أزهر، وحينئذ بدأ بعض العلماء العرب يلتفتون بنظرهم إلى الكونفوشيوسية بالبحث والدراسة، ومنهم على سبيل المثال الدكتور محمد غلاب من قسم الفلسفة لكلية أصول الدين بجامعة القاهرة، وقدم في كتابه "الفلسفة الشرقية" (سنة الطبع ١٩٣٨م) عن "كونفوشيوس" و "منشئوس" و "جوشى" وغيرهم من فلاسفة

٤٤- المبشرون وترجمة الكتب الأربعة الكونفوشيوسية، "جوي شو باغ"، دار المطبعة الشعبية بمقاطعة سيبى تشونغ سنة ١٩٩٩.

الصين القدماء، وخاصة بالنسبة إلى الأستاذ كنوفوشيوس، وقد تناول به بصورة تفصيلية، وقم حياته وأخلاقه وكتبه وأفكاره وتأثير مذهبه في أهل الصين، وفي الخمسينيات من القرن الماضي كان عمر دسوقي من معهد تدريب المعلمين بجامعة القاهرة يرأس تحرير "سلسلة كتب مفكرى الشرق والغرب"، وكان كنوفوشيوس الشخصية الوحيدة المختارة للدخول في هذه السلسلة من بين حكماء الصين القدماء، وكان الكتاب يسمى بـ "كنوفوشيوس"، يتناول أفكار كنوفوشيوس من نواحي الفلسفة والسياسة والتربية والتعليم والأخلاق والموسيقى، وبعد ذلك في الستينيات في القرن العشرين كتب فؤاد محمد شبل كتاب "فلسفة الصين" وهو كتاب قيم مفيد في هذا المجال العلمى يفيد القراء العرب والمسلمين في معرفة حضارة الصين وفلسفتها الأصيلة^{٤٥}. ومع ظهور هذه الكتابات العربية البحثية في الكونفوشيوسية بدأ العالم الإسلامى والعلماء المسلمون يهتمون بالبحث والدراسة في الكونفوشيوسية وحضارة الصين أكثر فأكثر، ولكن مع الأسف ما زال معظم المصادر الكونفوشيوسية المقدسة من الأسفار الخمسة والكتب الأربعة لم تترجم إلى يومنا هذا غير ترجمة "كتاب الحوار" و "كتاب المعرفة الكبرى" فقط.

ومن الجدير بالذكر هنا أن علماء الصين المسلمين قد اهتموا بالبحث والدراسة في مذهب الكونفوشيوسية، وقاموا بمقارنتها مع الإسلام في سبيل الدفاع عن العقيدة الإسلامية عند مسلمى الصين وخدمة الدعوة الإسلامية في بيئة الصين الكونفوشيوسية، وبدأ هذا البحث والدراسة على المستوى العلمى المرتفع من أواخر أسرة "مينغ" (١٣٦٨م - ١٦٤٤م) ويستمر في كل عهد أسرة "تشينغ" (١٦٤٤م - ١٩١١م)، ومن أهم شخصياته: الأولى "وانغ دى يو" (١٥٨٠م - ١٦٦٠م) أول عالم مسلم في الصين قام بدراسة مقارنة الأديان في سبيل خدمة الدعوة الإسلامية من بين أهل الصين. والثانية "ما جو" (١٦٤٠م - ١٧١١م) كان عالما مشهورا في الصين ووارثا علميا للشيخ "وانغ دى يو" في دراسته ودعوته للإسلام، وكان كتابه "الإرشادات الإسلامية" قد ترك أثرا عميقا في الصين عند الباحثين والدارسين المسلمين وغيرهم من بعده. والشخصية الثالثة هو

٤٥- دراسة الحبيب عن الكونفوشيوسية ومعرفتهم بها: "سي دي جيو" من حلبة جامعة "شيان دونغ"، المجلد الثالث، ١٩٩٤م.

"ليو جي" (١٦٦٠م - ١٧٣٠م) كان عالما بارزا بين المسلمين وغيرهم في الصين ووارثا روحيا لـ "ولنغ دي يو" و "ما جو"، وكتابه (اللطائف) و(الشعائر الإسلامية) ينتشر من بين المسلمين في الصين كثيرا وواسعا.

وبعد تقديم هذه الخلفيات العلمية الضرورية عن الكونفوشيوسية وتطوره التاريخية عامة، وعن كتاب الوسطية والاعتدال وسيرة مؤلفه خاصة، وكذلك عن الأعمال السابقة في ترجمة الكتب الكونفوشيوسية المقدسة عند الغرب والعالم الإسلامي ودراساتها عند العلماء المسلمين في الصين، أحضر أمامكم أيها القراء الكرام رسالتي المتواضعة هذه على أساس محاولتي الدراسية الوصفية لهذا الكتاب القيم، رجاء أن أسد بها فراغا علميا - بإذن الله تعالى - في علم مقارنة الأديان في مكتبة العالم الإسلامي، وأن يكون عملي البسيط هذا حجرا صغيرا في بناء جسر ثقافي لتقوية التعارف والتبادل بين شعب الصين وبين أمة المسلمين في عصرنا الحاضر.

والله المستعان

《中庸》

第一章

原文：天命之谓性，率性之谓道，修道之谓教。

今译：上天赋予人的本质就叫做性，遵循这种本质行事就叫做道，按照道进行修养就叫做教。

كتاب الوسطية والاعتدال

الفصل الأول

نص القطعة الأول:

"إن ما يهبه" السماء (天 天) "للإنسان يسمى" الطبيعة الفطرية (性 性) "شيتنغ"،
واتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمى "طريق الحق" (道 道) "ذاو"،
وتهذيب الإنسان وتزكية نفسه على طريق الحق يسمى "التعلم والتقريب" (教 教) "جياو".

التمهيد :

قال العالم الكونفوشيوسي "تشين كونغ شوا" ^{٤٦} في بيان أهمية الفصل الأول - وبخاصة هذه العبارات الثلاثة الأولى - لدراسة المناهج الفلسفية للكونفوشيوسية منها: "هذا الفصل هو المدخل العام لكتاب الوسطية والاعتدال، وأما هذه العبارات الثلاثة الأولى هنا فهي الحلقة الرئيسية لهذا الفصل. وإنما مقصود الحكيم الفاضل (كونفوشيوس) في تعلم الناس، قبل كل شيء أن يعرفهم بحقيقة المصدر الرئيسي والمبدأ الكلي، ثم يبين لهم الجزئيات والتفاصيل ليرشدتهم في اجتهداتهم للتعلم والتربية." ^{٤٧}

إن الفصل الأول يشتمل على خمسة قطع، وهو البرنامج المرسوم لهذا الكتاب؛ والجمل

٤٦- "تشين كونغ شوا" (حوالي ١١٥٠م - ١٢٢٠م) هو تلميذ العلامة الكونفوشيوسي المجيد "جو شي" المشهور ١١٢٠م - ١٢٠٠م. انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٥٢٥، مطبع الموسوعية والكتب بتيانغهاي، الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م.

٤٧- للشرح التفصيلي لكتاب الوسطية والاعتدال، انظر: كا هونغ، الصفحة ١٢٢، مطبعة جامعة نهضة الصين، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

الثلاثة الأولى في القطعة الأولى قليلة الألفاظ وعميقة المعاني تعد الحبل الرئيسي في الشبكة لهذا الفصل؛ لأنها تتناول موجزا أهم القضايا من الألوهية والميتافيزيقيا ومصادر القيم والأخلاق في الكونفوشيوسية، من خلال أربعة اصطلاحات جامعة أساسية، وهي: السماء (تيان 天) أى الإله الأكبر، والطبيعة الفطرية (شيهنغ 性)، وطريق الحق (دو 道)، والتعلم والتربية (جياو 教). وسنشرح أولاً هذه الاصطلاحات الأربعة الأساسية بالتفصيل، وهو مفتاح ذهبي ذو أسنان أربعة نفتح ونعرف بها كنوز التعليمات الكونفوشيوسية عامة والمناهج الفكرية فى كتاب (الوسطية والاعتدال) خاصة، حتى نفهم مقاصد المؤلف وأسرار كتابه كما كان رسمها صاحبه لإفادة القراء وإرشادهم فى التعليم والتربية.

الشرح :

أولاً: السماء (تيان 天) أو الإله الأكبر

١- تعريف كلمة السماء (تيان 天) لغة :

إن اللغة الصينية لغة خاصة رمزية تصويرية نكتب ألفاظها بنظام كتابة تصويرية من اليسار إلى اليمين ومن أعلى لأسفل، فكل جزء من أجزاء اللفظ الواحد يرمز لمعنى خاص ومندول مستقل.

فكلمة " السماء (تيان 天) " فى اللغة الصينية يتكون لفظها من الجزئين: الجزء فوقى والجزء التحتى، وجزؤه فوقى يرمز بمقطع مستقل بخط " — " عبارة عن معنى الواحد، وأما جزؤه التحتى فرسم من مقطع آخر بثلاثة خطوط " 大 " عبارة لمعنى الكبير. فنجد من تشكيل لفظ " السماء (تيان 天) " بهذين الجزئين فوقى والتحتى معنى " الواحد الكبير ". وقد وضعت هذه الكلمة حرفاً فى اللغة الصينية ليرمز إلى معنى القمة ك رأس الإنسان، فتستعمل ويعمّم مدلولها على جميع المعانى للسمو والعلو.^{٤٨}

٤٨- انظر: شرح الألفاظ وبيان الكلم، لـ " شيو شين ٥٨م-١٤٧م "، الصفحة ٤٦، مطبعة الكتب التراثية بـ شانغهاي، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

وعلى هذا الأساس، إذا أطلق كلمة " السماء (تيآن) " مقيدة خاصة، فالمراد بها السماوات المرئية المقابلة للأرض. وأما حين استعملت مطلقاً عامة، فالمراد بها- من حيث اشتقاقها لفظياً - الطبيعة البيئية والعالم الكونى، كما تدل كلمة " السماء (تيآن) " - من حيث اشتقاقها المعنوي المجرد - على وجود الذات أو الجوهر الأولى (ثى يى). وذلك لما تحويه دلالة الكلمة " السماء (تيآن) " من المعاني السلمية والغائية.^{٤٩}

ولم تقتصر كلمة " السماء (تيآن) " على دلالتها على هذه المفاهيم المادية والمعنوية فقط، بل ينتهى استعمالها فى اللغة الصينية لتسمية الكائن المطلق والمُوجد للموجودات أى إله السماء الأكبر، عبارة عن كينونته الألوهية العليا ومجازاً لوجوده الربوبى الأقصى. وذلك يعرض فيما يلى :

٢- تعريف كلمة " السماء (تيآن) " اصطلاحاً :

إن " السماء (تيآن) " كانت كلمة مقدسة فى اعتقاد قدماء الصين، وهى كلمة تحمل معنى الألوهية الكبرى، وقد كانوا يعتقدون أن " السماء (تيآن) " هو الإله الأعلى والمالك الأكبر الذى أوجد الإنسان وسائر الموجودات فى العالم كله.^{٥٠}

وكثيراً ما نجد الاعتقاد فى " السماء (تيآن) " على أنه اللاإله الأكبر فى الكتب المقدسة القديمة من الأمفار الخمسة، والكتب الأربعة تتحدث عن هذا الموضوع عند الكونفوشيوسية. وكان أشهر النصوص التى يُستدل بها ويُورد فى هذا الموضوع، هو شيعر "عن البشر" من سفر القصائد^{٥١} حيث قال: " أوجد السماء (تيآن) إنساناً، ودبر له فى شؤونه القواعد ؛ ليتمسك بها عروةً وتقى، فعميل البشر إلى الفضائل فطرة".^{٥٢}

وكان فى نظر قدماء الصين أن "السماء (تيآن)" كالإله الأكبر والربِّ الرازق، يجب على

٤٩- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٢٣-٢٤، مطبع الموسوعة والكتب بتيانغهام، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٦م.

٥٠- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٢٤-٢٢.

٥١- سفر القصائد، يرجع تاريخ أقدم مضمونه إلى القرن الأحد عشر قبل الميلاد. وقد أعاد كونفوشيوس نظره فيه ورثبه نهائياً، وهو يحتوى على ثلاثئة وخمسة شعور رسمياً وعائياً، ويقول المجالات المختلفة فى حياة قدماء الصين علمياً وعملياً.

٥٢- سفر القصائد بشرح سون فون ملى، الصفحة ٢٤٣، دار الطباعة للعلوم الدينية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

الإنسان إلا يكف عن تقديم طقوس العبادة الخاصة والإقامة برسوم القربان المطلوبة فحسب، بل ينبغي عليه أيضا أن يطيع ويسلم لإرادته وأوامره المخطوطة للإنسانية الكاملة والمجتمع المثالي بإظهار الأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة.

وكان سفر الوثائق أقدم سجل بين الأسفار الخمسة المقدسة، يسجل أهم المواعظ التعليمية وأبرز السير المرشدة من ملوك وحكماء السلف الذين امتد تاريخهم بين القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وبين القرن السابع قبل الميلاد^{٦٢}. وكان من خلال هذه النصوص والسير التراثية كثير من الموضوعات والعبارات تتحدث عن " السماء (تيان) " باعتبار أنه الإله الأكبر والمالك الأعلى في إرادته وأوامره للإنسان والمجتمع.

وعلى أساس المثل المعروف الذي يقول : " الناس على دين ملوكهم "، يوجه سفر الوثائق مواعظه التعليمية دائما إلى الملوك والرعاة تصبحة وإرشادا، كما كان من سطور هذا السفر المقدس كثير من المواعظ الإملائية توجه إلى الشعوب والزعايا إعلانا وتأييدا.

وعلى سبيل المثل نورد بعض النصوص المشهورة من هذا السفر تتحدث عن إرادة "السماء (تيان) " باعتبار أنه الإله الأكبر وأمره بالقزام الأخلاق والفضائل موعظة للرعاة خاصة ومؤثبة للزعايا عامة.

فلنأتِ أولا إلى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد ونستمع إلى نصائح الملك الحكيم الفاضل " شون " لخليفته الشوري وولي عهده، وهو يحظه بالأخلاق والفضائل قائلا : " كعالي يا ' يو ' واسمع، فعندما يحيط بنا الطوفان الكبير ابتلاء محطورا، قد وفيت بوعدك لخدمة الشعوب ونجحت في رسالتك لترويض الطوفان. فلا أحد أفضل منك في ذلك قط ! وأحسن في إدارة شؤون الدولة بجد واجتهاد، وعفقت في عيالة معيشة أمرك بكذ وتكشف، ولم تفخر بمكانتك

٦٢- كان من هؤلاء الملوك والحكماء القدامى: يائو، وشون، ويو، وهم الملوك الثلاث العظماء المتتبعين الذين عاشوا بين القرن الثالث وعشرين قبل الميلاد وبين القرن الأحد وعشرين قبل الميلاد، واتخذهم كونفوشيوس قوة عصية في الإنسانية والأخلاق في عهد المجتمع البدائي. وأما الملك الأب " ون وانغ " والملك الابن " زو وانغ " وآخره الأمير " جيو جونغ " مؤسس مملكة لسرة " تيتو " في أواخر القرن الأحد عشر قبل الميلاد، فاتخذهم كونفوشيوس لنفسه قدوة حسنة قريبة يعمل على خطواتهم التعليمية لترب عهدهم وثبوت وثقتهم وبخاصة كمال مناهجهم وتعاليمهم.

العبدية، ولم تتكبر عن فضائلك الحميدة. فلا أحد أصلح منك في ذلك قط! وإذا لم تفخر بأفضالك فلا أحد أفضل منك فيها، وإذا لم تتكبر بنجاحك فلا أحد أنجح منك فيه. فمكارم أخلاقك هذه تستحق مني مدحا، ومحاسن فضائلك تلك تستحق مني ثناء. لقد نزل عليك السماء حظا عظيما وقدر لك أن ترث مني سلطة ومُلْكًا. إلهي الملك راعيا مرغوبا عند الشعوب؟ أوليس الشعوب بمعتمدين لدى الملك؟ بدون الراعي فمن يقتدي به الرعية؟ وبدون الجمهور فمن يعتمد عليهم الملك للدفاع عن البلاد؟ فكُن متواضعا دائما! واتق من عظمة كرسي الملك، وأد واجباتك احتراميا لإجابة مطالب الرعية وحوائج الشعوب. وإن ضاق على الجمهور من أنحاء البلاد معاشهم وثقت شؤونهم، فيقطعك السماء - تليّن عن الحظّ والنعمة بئ. " ٥٤

فالعقيدة في " السماء (تيان) " على أنه الإله الأكبر والمالك الأعلى وطاعته بامتثال الأخلاق والفضائل، تتأصل - كما أشار إليها هذا النص المذكور في حضارة الصين العريقة اشتهرت هذه العقيدة في تاريخ الفلسفة الصينية بفكرة " إظهار الأخلاق الإنمائية الحميدة استجابة لعناية السماء (تيان) وأوامره (以德配天). " ٥٥ ويرزت هذه الفكرة اعتقاديا وفلسفيا بشكل أشمل وأقوى في عهد أسرة " جيو " الغربية (١٠٧٧ ق.م - ٧٧١ ق.م)، حتى أصبح برنامجا أساسيا للملوك والحكام في المجال الأخلاقي والسياسي. وذلك كما حدث للملك الثاني الشاب لهذه المملكة الناشئة في مناسبة اعتلاء عرشه في عاصمته الجديدة، فنصحه عمه الأمير " شياو فونغ " ٥٦ بقوله: " إنما ' السماء (تيان) ' المقدس المالك الأعلى قد حرم أسرة ' شيانغ ' ٥٧ عن حظ مملكتهم الكبيرة وخلع كرسي الملك عنهم، كما قدر لك السماء المقدس ملكونا وسلطاننا وكثر لك سعادة

٥٤- انظر: سفر الوثائق. الصفحة ١٨-٢٥، مطبعة الجامعة الجنوبية الشرقية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م.

٥٥- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٣، والصفحة ٨٧.

٥٦- الأمير " شياو فونغ (١٠٩٠ ق.م - ٩٩٤ ق.م)، الأخ الصغير للملك الحكيم " فو وانغ " الأخ الأكبر، وكان مع أخيه الكبير الآخر الأمير " جيو فونغ (٩٥٠ ق.م - ٩٢٢ ق.م) " شركاء في رئاسة وزراء الدولة لابن أخيهما الأكبر الملك الشاب " شيونغ وانغ " (١٠٥٥ ق.م - ١٠٢١ ق.م)، وكلتا مستشيرين هامين لابن أخيهما في إدارة الحكومة وسياسة الدولة، فاضلوا في السيطرة وبرزوا في الإدارة، حتى تدخل بفضلهم مملكة أسرة جيو في أزهر عصورها وأقوى نفوذها حضاريا وسياسيا.

٥٧- مملكة أسرة شيانغ، تمتد سيطرته من أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد إلى الثلث الأخير للقرن الأحد عشر قبل الميلاد. وكان مؤسسها الملك تشانغ يُعتبر عند كوثوشيون ومذهب تشو حنة من صفوف الملوك والحكام الملوك الصالحين.

ونعمة، فلا تنس رسالتك في رعاية الشعوب ولا تهملها، فلن تحصل على ذلك إلا أن تبقى نفسك على الحذر والورع دائما".^{٥٨}

ثم يبين أسباب الحرمان عن العرش والعزة لأسرة الملوك السابقة بأن أواخر عهدهم قد تركوا مكارم الأخلاق، وفقدوا محاسن الفضائل لسلفهم الخيار، بل طغوا في الرذائل البغية على أنفسهم، وعتوا بالسلوك الظالم على الرعية، فتركهم السماء وكمنر مملكتهم عذابا وعقابا حتى بذلهم بأجيال صالحين خيرة وعبرة. فقال الأمير "شاو فونغ" لملكه الشاب نصيحة وشجعه على الأخلاق والفضائل عبرة: "يا صاحب الجلالة، أنت ملك شاب وجديد في مسؤوليتك العظيمة؛ كمثل الطفل في بداية حياته يحتاج إلى التعلم بالحكمة والأسلوب الحسن، وقد سعدت بحظ وافر من ذلك، وها فالآن يرزقك السماء (تيان) الحكمة الميينة ويمنحك البركات الممدودة، ويهبك الحظوظ السعيدة، إذ عرف السماء (تيان) أنك يا ملكنا الشاب قد جلست على كرسيك ناشئا وانتقلت إلى عاصمتك جديدا. أفلا يسارع ملكنا في الورع والأخلاق الفاضلة نتيجة هذه البركات والنعم السماوية التي منحت له؟ فإذا أدتي ملكنا واجباته نحو الرعية بالورع والفضائل، فليدع السماء (تيان) المقدس يمدك بحظه ويباركه للأبد".^{٥٩}

وعندما جاء كونفوشيوس قبل القرن السادس من الميلاد، لم يعتنق هذه العقيدة الموروثة فحسب، بل أقام نظريات مذهبه علميا وعمليا على أساس هذه العقيدة الوراثة، إذ طور فكرة "إظهار الأخلاق الإنسانية الحميدة لتلبية عنية السماء وأوامره (以德配天)"، فجندوها وركزها في إطار مذهبه بفكرة "الرحمة (رين 仁)"، حتى يطبقها الإنسان في حياته الواقعية أولا، مائيا على أساس طريق الحق ثانيا، عائدا إلى طبيعته الفطرية ثالثا، وعارفا بإرادة السماء وعنايته أخيرا. وهذه الموضوعات الأربعة هي المجالات التي تتناولها الاصطلاحات الأربعة (السماء- فطرة الإنسان- طريق الحق- التعلم والتربية) كلها، كما سنفتلها فيما يلي :

٥٨- انظر: سفر الوثائق. للمصفاة ٢١٥-٢١٨.

٥٩- المصدر السابق نفسه.

ومن أقوال كونفوشيوس عن السماء (تيآن) وصفاته باعتباره الإله الأعلى أنه قال: " خلقتى السماء (تيآن) على هذه الأخلاق والمواهب فطرة، فكيف بضرنى ' هينغ ثوى' ؟! " ^{٦٠} وقال عن عدم قبول تعلماته الفلسفة والسياسة ونشرها عند الأمراء والرؤساء أسفا: " لعل الذى يعرفنى هو السماء (تيآن) ! " ^{٦١} وكذلك قال: " من الذى أخذه؟ هل أخدع السماء (تيآن) ؟ " ^{٦٢} وكان يقسم على برائته فقال: " لو ارتكبت ما لا يليق للأدب، غضب على السماء (تيآن) ! غضب على السماء (تيآن) ! " ^{٦٣}

ومن الجدير بالذكر فى هذه المناسبة أن بعض الباحثين المعاصرين فى الكونفوشيوسية لم يتخذوا منها فى دراستهم موقفا موضوعيا كاملا، فمنهم من يرى أن الكونفوشيوسية لم تتناول عقيدة الألوهية وغيرها من النظريات الميتافيزيقية، ويدعون أنه ما كانت أفكار الكونفوشيوسية وتعلماتها إلا القيم الخلقية والآداب الاجتماعية التى تتركز على الجوانب السلوكية فى الحياة الإنسانية فقط. وهذا الرأى فيه نظر وتأمل، ونقول: يبدو أن البحث فى ذات " السماء (تيآن) " كإله الأعلى وألوهيته الكاملة، لم يكن أهم موضوع دراسى عند كونفوشيوس ومذهبه، أى لم يدخل صاحبه فى هذه القضية عميقا، بل كان يتوقف احتفاظا وسكت عنها، وذلك كما قال تلميذه المشهور " تشن فونغ " ^{٦٤} فى هذه القضية: " يمكن أن تسمع فضائل الأستاذ وآدابه، ونادرا ما تسمع أحاديثه فى طبيعة الإنسان وفى ذات السماء (تيآن) وسلكه. " ^{٦٥}

وهنا تسأل، لماذا لم يتحدث كونفوشيوس نفسه عن قضية الألوهية وسكت عنها ؟

وقد أجاب عن ذلك العالم المعاصر الممثل للكونفوشيوسية المعاصر " مو زونغ سان (١٩٠٩م - ١٩٩٥م) "، فقال: " إن قضية السماء (تيآن) وذاته موجود بنفسه موضوعيا، وإن الحكيم

٦٠- كتاب الحوار بشرح جو شى، الفصل ٧ الصفحة ٦٨.

٦١- المصدر السابق نفسه الفصل ١٤ الصفحة ١٥٠.

٦٢- المصدر السابق نفسه الفصل ٩ الصفحة ٨٧.

٦٣- المصدر السابق نفسه الفصل ٦ الصفحة ٥٨.

٦٤- " تشن فونغ " المقرئ سنة ٤٥٦ ق.م، كان من أشهر تلاميذ كونفوشيوس بالذكاء والآداب.

٦٥- كتاب الحوار بشرح جو شى، الفصل ٥ الصفحة ٤٣.

(كونفوشيوس) غالبا لا يضيع وقته في الاستقصاء عن ذات السماء (تيآن)، ولا يدخل فيه ظلماً عقلياً، إذ كان هذا الموضوع في الحقيقة لا يصل بعقل الإنسان وظنه إلى معرفة حقيقته. ولهذا السبب قد ترك كونفوشيوس نفسه ذلك الموضوع مؤقتاً، بل فتح باباً آخر، وهو التطبيق لفكرة الرحمة (رين) والمسير على طريق الحق لمعرفة إرادة السماء (تيآن) وعنايته، حتى يتصل أخيراً به اتصالاً خلقياً وروحياً.^{٦٦}

وإن هذه القضية نفسها كانت مجالاً واسعاً للبحث والدراسة في القرون الوسطى لعهدئ مملكة أسرة سونغ (٩٦٠م- ١٢٧٩م) وأسرة مينغ (١٣٦٨م- ١٦٤٤م)، عند العلماء المجددين الكونفوشيوسيين خاصة.^{٦٧} وكانوا على اتجاهين رئيسيين وهما: اتجاه نظري عقلي، واتجاه نظري قلبي، وكان العلامة " جُو شِي " (١١٢٠م- ١٢٠٠م) ممثلاً للاتجاه الأول، ونظرية المشهور العلامة " لُو جِيُو يُوَان " (١١٣٩م- ١١٩٣م) ممثلاً للاتجاه الثاني،^{٦٨} ولا حاجة بنا أن ندخل في دراستهم الفلسفة بالتفصيل؛ لأنها لا تتعلق ببحثنا مباشرة حتى لا نطيل الكلام هنا، فمن يهمله معرفة هذا الموضوع فليرجع إلى الكتب والمقالات المتعلقة به.

ثانياً : الطبيعة الفطرية (性)

بعد أن بيّنا كلمة " السماء (تيآن) " لغة واصطلاحاً مع توضيح الاعتقاد الخاص به، يسهل لنا أن نفهم المراد بالجملة الأولى وهي " إنَّ ما وقبه السماء (تآن) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية "؛ لأن " السماء (تيآن) " هو موجد العالم بما فيه من الإنسان والموجودات الأخرى كلها حسب هذا الاعتقاد، هو ربّ السماوات والأرض، هو الذي وضع الطبيعة الفطرية راسخاً في

٦٦- كتاب القلب والفطرة، مؤلف سنة الجزء الأول، الصفحة ١٨٧، مطبع الكتب التراثية بشينغهاي، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٦٧- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ١٩٥-١٩٧.

٦٨- وكان اتجاه نظرية العقلية أكثر تشبهاً وأقوى نفوذاً من قرونه الأخرى، من حيث اتخذه السلطة والحكومة اتجاهاً رسمياً في مجال الفكرة والمبتكرين، وجعلته خطأً رسمياً في مناهج التعليم والتربية ومقاييسها وحيداً لاختيار الموظفين للحكومات منذ أواخر القرن الحادي عشر إلى بداية القرن العشرين. وأما اتجاه نظرية القلبية فهي اتجاه فكري يميل إلى العلم القاطن والكشف الوجداني أكثر وأعظم، فلم يزل مكانة رسمية عند السلطة والحكومة كقرونه الأخرى. وقد نضج اتجاه نظرية القلبية كاملاً في عهد العلامة "وانغ وانغ مينغ ١٤٧٢م- ١٥٢٨م".

كيان الإنسان وسائر الموجودات. وهذا ما اتفق عليه جميع العلماء في الكونفوشيوسية منذ بداية الأمر، ولكن هناك خلاف بينهم في الرأي حول طبيعة الإنسان من حيث كونها خيرة أم شريرة ؟ وكان كونفوشيوس قد اتخذ موقف التحفظ في قضية طبيعة الإنسان، وذلك كما أخبر عنه تلميذه " تشن فونغ " - الذي سبق ذكره - قائلا : " ونادرا أن نسمع أحاديثه في طبيعة الإنسان وفي ذات السماء (تيان) وسننته"^{٦٩}. وكما صرح كونفوشيوس نفسه بتمثل طبيعة الإنسان وتأثير البيئة الاجتماعية فيه فقال: " إن الإنسان في طبيعته يتقارب ويتمثل، ولكن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تجعله يختلف بعضهم عن بعض."^{٧٠} ومع هذا الاحتياط والتحفظ المذكور، كان الأستاذ كونفوشيوس يميل إلى رأي بخيرية طبيعة الإنسان، وقد أشار إلى ذلك من خلال قراءته للقصيدة "عن البشر" من سفر القصائد حيث قال الشاعر :

" أوجد السماء (تيان) إنسانا، ونبر له في شؤونه القواعد؛

لئتمسك بها عروة وثقى، فتميل البشر إلى الفضائل فطرةً."

فوضع كونفوشيوس تعلقا على هذه القصيدة وقال: " أفلا يعلم شاعر هذا البيت طريقة الحق؟! وقد قال: لكل شأن من شؤونه قاعدة، فتمسك الإنسان بها عروة وثقى، فحتيون مكارم الأخلاق فطرةً."^{٧١}

وهذا رأي صاحب المذهب في هذه القضية، وأما جمهور العلماء المتقدمون للكونفوشيوسية من بعده، وعلى رأسهم " تشن سي " وتلميذه " منشيوس " ، فيرون بخيرية طبيعة الإنسان، وصرح بذلك منشيوس، وهو يُعتبر كما سبق المعظم الثاني لمذهب الكونفوشيوسية في تاريخ الفلسفة الصينية ، وقال : " كان الإنسان في بداية أمره على حسن طبيعته فطرةً."^{٧٢}

واستدل منشيوس على رأيه بنص الشعر السابق "عن البشر" الذي علق عليه كونفوشيوس، من حيث إنه مصدر موثوق من المصادر الكونفوشيوسية، كما أيد رأيه عقليا من واقع حياة

٦٩- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل الخامس الصفحة ٤٣.

٧٠- المصدر السابق نفسه، الفصل ١٧ الصفحة ١٢٣.

٧١- مجموعة الأحاديث للعلامة " جو شي " الجزء الأول، الصفحة ٢٢٥، دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.

٧٢- كتاب منشيوس بشرح جو شي، الفصل ٢١ الصفحة ١٥٩، مكتبة تشي لو، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م.

الإنسان وضرب مثلاً بقوله: " لكلّ امرئ قلب ملئء بالشفقة لغيره، وهذه الشفقة هي ما نشاهده في واقع حياتنا اليومية، مثلاً أنه إذا سقط طفل من الأطفال في البئر فمن شهد هذا المشهد في أول وقته يشفق على الطفل ويسرع إلى إنقاذه من الغرق، وإنما فعل ذلك ليس من أجل الامتنان على أهل الطفل أو كسب ثناء من الناس، بل دفعه إليه طبيعته الإنسانية الفطرية. وعلى سبيل ذلك نقول: من ليس له قلب مفعم بالشفقة فهو غير مستحق لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة، ومن خلا عنه الحياء فهو ليس مستحقاً لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة، ومن ليس له قلب الرحيم العطوف فهو لا يستحق لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة، ومن خلا قلبه عن تمييز الحق من الباطل فهو لا يستحق لأن نسميه بالإنسان بكل معنى الكلمة. فقلب الشفيق مؤدّ إلى الرحمة، وقلب المستحى سبب للعدل، وقلب المتواضع مؤدّ إلى الآداب، وقلب المميز بين الحق والباطل مسبب للحصول على الحكمة. فالإنسان فُطر على هذه الأخلاق الأربعة الحميدة طبيعياً، كما وُلد من أمه وله الجوارح الأربعة خلقاً." ٧٣

ولم يهمل منفيوس تأثير البيئة في طبيعة الإنسان ودور الظروف على تكوين شخصيته، بل أكد أهميتها في ذلك فيقول: " إن الإنسان معروف بخيرية طبيعته معرفة أولية، وذلك كما يميل الماء على طبيعته من موضع مرتفع إلى مكان منخفض. فما من الإنسان إلا وهو يمتاز بحسن طبيعته، وما من ماء إلا وهو سائل إلى مكان منخفض. ولكن هناك حال طارئة استثنائية من طبيعته، فمثلاً: إذا ضرب أحد سطح الماء بالقوة جعل تتطاير قطراته إلى الجهات المختلفة حتى يتطاير بعضها أعلى من ناصية الضارب، وإن يرد الماء بالساقية (الناعورة) لجعله يسير إلى مكان مرتفع حتى قمة الجبل. فهل ذلك من طبيعة الماء؟ كلا، إنما ذلك على تغير الظروف والأحوال فيها، فنفس الشيء يحدث للإنسان بأن يصبح سيئ الطبيعة إذا كانت بيئته سيئة." ٧٤

وكذلك قد بين أصلالة حسن الطبيعة في الإنسان أنها ذاتية، فقال: " إذا صدر من طبيعة الإنسان أمر فطري فهو مبنى على الخير، وهو حسن، وإذا صدر عنها شر فهذا أمر طارئ غير

٧٣- المصدر السابق نفسه الفصل ١١ الصفحة ١٥٩

٧٤- المصدر السابق نفسه الفصل ١١ الصفحة ١٥٥-١٥٦.

طبيعى لا يسند إلى فطرة قط ، والقلوب مجبولة بالخيرات؛ وإنما لكل امرئ قلب به الشفقة والحنان، كما قلب به الحياء والخجل؛ ولكل امرئ قلب فيه التواضع والاحترام، كما له قلب به التمييز بين الحق والباطل. فإن قلب الشفقة والحنان كان من باب الرحمة، وقلب الحياء والخجل كان من باب العدل، وقلب التواضع والاحترام كان من باب الآداب، وقلب التمييز بين الحق والباطل كان من باب الحكمة. فهذه الصفات الأربع من الرحمة والعدل والآداب والحكمة ليست بمكتسبة من خارج نفسى، بل هى راسخة أو مغروسة فى النفس، أفلا تتفكرون ؟ وذلك كما قيل :

' مَنْ سَعَى حَصَلَ، وَمَنْ أَهْمَلَ فَقَدْ.' فالتناس كانوا متفوقين بعضهم على بعض فى السلوك والأعمال ضعفا واضعافا حتى لا يُخصى، إنما تحدث هذه التفوقات بسبب أنهم لم يكملوا فطرتهم الموهوبة. وذلك كما يقول الشاعر: أوجد السماء (تيآن) إنسانا، ودبر له فى شؤونه القواعد؛ ليتمسك بها عروة وثقى، فميل البشر إلى الفضائل فطرة.^{٧٥}

وقد مر بنا رأى كونفوشيوس فى هذا الشعر وتعلقه عليه قبل قليل، وكان منشيوس يلاحظ أيضا أهمية هذه القصيدة فى إثبات حجية حُسن أو خيرية طبيعة الإنسان. ولقد كشف أسرارها العلامة الكونفوشيوسى المجدد " جُو شِي " بدقة تأويله ولطف تعبيره، فذهب إلى أن هذا الشاعر يعرف أن السماء (تيآن) بعد إيجاده الإنسان لم يتركه سدى فى الجهل والظلام، بل رثب لشؤونه القواعد المناسبة. فالإنسان كفرد مستقل أوجد السماء (تيآن) له أعضاء الحواس الخمسة، فتصل بها مع البيئة المحيطة به. وأما الإنسان فى المجتمع فله العلاقات الخمس الأساسية مع الآخرين فى حياته الاجتماعية، وهى: علاقة المصاهرة بين الزوجين، وعلاقة القرابة بين الوالد وولده، وعلاقة الرحم بين الأخ الكبير وأخيه الصغير، وعلاقة المتبوع بتابعه أى بين الحاكم والمحكوم، وعلاقة المودة والعون بين الأصدقاء. فهذه العلاقات الفردية والاجتماعية جميعها هى الشؤون الإنسانية التى ذكرت فى الشعر، ولما قواعد الالتزام والطاعة التى يتمسك بها الإنسان فى المبادئ الأخلاقية التى يتبعها الناس فى حياتهم الفردية والاجتماعية، فالمبدأ الخلقى فى علاقة

٧٥- كتاب منشيوس، بشرح جُو شِي، الفصل ١١ الصفحة ١٥٩.

القربة بين الأب والابن (على سبيل المثال) بأن يكون الأب رؤوفاً بانه، وعلى الولد أن يكون
بازاً بوالده. وعلى أساس المبادئ الأخلاقية السعوية هذه، كان الإنسان يرغب في الأخلاق
المحمودة فطرةً، ويكره الأخلاق المذمومة طبيعةً. ولأهمية هذا الشعر، قد مدحها كونفوشيوس
بأن هذا الشاعر عارف بطريق الحق، ولما جاء منشوبس أورد هذا الشعر نفسه في إثبات حجته
حسن طبيعة الإنسان. فليتنبه القراء إلى هذا الشعر ويتكبروا في مقاصده.^{٧٦}

وكانت نظرية منشوبس بحسن طبيعة الإنسان رأياً معتبراً لمذهب الكونفوشيوسية في هذه
القضية، وهناك أحاد يخالف منشوبس في هذا الموضوع، وصاحبه هو " شون تسي"
(٢٩٨ ق.م - ٢٢٨ ق.م) حيث يقول: " إن طبيعة الإنسان سيئة، وإن أصبحت حسنة فهو عن طريق
التكسب والوضع بعد الميلاد." ^{٧٧}

وادعي " شون تسي " أن الإنسان بطبيعته الخلقية هذه يميل إلى ما تشتهيه نفسه وهواه،
ويرغب عما يخالفها فيقول: " العين تهوى الألوان المبهجة للنظر، والأذن ترغب في الأصوات
المعبرة للسمع، والفم يشتهي إلى المأكولات لذبا طعمها، والنفس تحب الشهوات المريحة
لرغبتها والجسم يميل إلى الترفه المتعشة لبدنه. وجميع ذلك ينتج من سجية الإنسان، ويتأصل
في طبيعته الخلقية." ^{٧٨}

ومع ذلك لم ينكر " شون تسي " ضرورة اكتساب الإنسان للأخلاق الحميدة عن طريق
التعلم والتربية، بل أكد أهمية هذا الاكتساب الوضعي في تكميل الطبيعة الإنسانية وتأمين الحياة
الاجتماعية، ويقول في ذلك: " الطبيعة هي سجية مطبوع عليها الإنسان؛ وما يتكسبه البشر
ويتخلق به من القيم الأخلاقية والآداب السلوكية فهذا من باب الوضع الخلقى والتأديب العملى.
فلا تحقق قيم الأخلاق وأهمية الآداب بدون مراعاة طبيعة الإنسان الانسانية السيئة، كما لا يكمل
الإنسان طبيعته ويرقى بها بدون التكسب المهذب والتأديب الاجتماعى." ^{٧٩}

٧٦-الظر: خصائص الفلسفة الصينية، موزونغ سن، دار طباعة الكتب التراثية بشانغهاى سنة ١٩٩٧م، الصفحة ٢٣-٢٤.

٧٧-كتاب شون تسي، شون تسي، دار الطباعة بجامعة نان جينغ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧، الفصل ١١ الصفحة ١٠٥.

٧٨-المصدر السابق الفصل ١١ الصفحة ١٠٦.

٧٩-كتاب شون تسي، شون تسي، الفصل ١١ الصفحة ١٠٩.

وكان رأي "شون تسي" يعارض نظرية منشوس التي تُعقِر رأي الجمهور في قضية طبيعة الإنسان، ولكن يتفق كلاهما على ضرورة الأخلاق الحميدة وأهمية الآداب المنظمة في إرشاد وإسعاد حياة الإنسان و تنظيم المجتمع وتعايش الموجودات المنعجمة. إلا أن "منشوس" يرى أن الأخلاق الحميدة كأنها كانت مضغنة ذاتية في نفس الإنسان مهياة للكشف والنهوض، حتى تساعده على تكميل إنسانيته والعودة إلى فطرته الحسنة في حين يصف "شون تسي" هذه الأخلاق والآداب بأنها كانت خارجية عن نفس الإنسان مكتسبة وضعية للتخلق والاتباع، لكي تضمنه في تصحيح طبيعته السيئة وتشخيصها من جديد في سبيل كفالة الأمن والسلام والانسجام للمجتمع البشري.

وقد حاول العالم الكونفوشيوسي المعاصر "موزونغ ستان"^{٨٠} أن يوفق بين هذين الرأيين في هذه القضية، وقال: "إن الطبيعة الإنسانية ثنائية في حقيقتها، ولها ناحيتها السامية وناحيها الدنيئة. فمن الناحية الأولى تظهر الإرادة والعقل والحكمة، فهذه الصفات الطبيعية تمكن الإنسان من تمييز الحق من الباطل وتفرق الخير من الشر؛ ومن الناحية الثانية تظهر غريزة الإنسان وميله إلى الشهوات. ولم يقل جمهور العلماء المتقدمون للكونفوشيوسية بهذه الثنائية، بل يركزون الهمم على الأولى، وهي الناحية العاللة من طبيعة الإنسان الفطرية. وبعبارة أخرى نقول: إنه كان "السماء (تيان)" باعتباره الإله الأعلى قد وهب للإنسان فطرة بازة، فكون الإنسان بخسن طبيعته، وبها رجع البشر غيره وفضل عليها، وهو كصفوة الخلق بين السماوات والأرض، فنجب على الإنسان أن يظهر طبيعته الحسنة ويجلبها بالأخلاق الفاضلة والقيم الحميدة ويسعى وراءها طول حياته، إذ كانت الطبيعة الإنسانية مفضرة على حب الأخلاق الحسنة والفضائل، وهو الفارق المبين بين الإنسان في أفضليته وبين الحيوانات في وحشيتها، بحيث لو فقد الإنسان لنزل بنفسه إلى صفوف الحيوانات المتوحشة."^{٨١}

٨٠ - قد مرّ التعريف به في التمهيد لهذه الرسالة؛ الصفحة ٢٠.

٨١ - انظر: خصائص الفلسفة الصينية، موزونغ ستان، الصفحة ٢٢ - ٢٤، مطبعة الكتب التراثية بتهانغهاي، الطبعة الأولى سنة

ثالثاً : طريق الحق (道) .

كلمة طريق الحق (道) في اللغة الصينية، كان معناها الحرفى هو الطريق الذي يسلكها الإنسان، فنقال: سنُّ له الطريق. ثم يطلق على معنى الأسلوب أو المنهاج الذي يتبعه الإنسان في أمر ما، أي سنُّ له قاعدة وقانوناً.^{٨٢}

وأما معناها الاصطلاحي في الفلسفة الصينية، فهو الحق الأعلى، والذات الأصلي الذي يصدر منه كل الموجودات والكائنات في العالم.^{٨٣}

وعندما أتى إلى ترجمة لفظ " 道 " من لغتها الصينية الأصلية إلى اللغة العربية، أرى بعد التفكير والتأمل فيها مرات كثيرة، أن من الأحسن أن أترجمها بـ " طريق الحق " جمعاً لمعناها المُنشئ من حيث اللغة ولمعناها الحَقَّاني من حيث الاصطلاح الكونفوشيوسي، حتى يسهل على القراء بالعربية لفهم والتعبير.

فطريق الحق (道) من حيث سُنيتهما الخالدة وحَقَّانيتهما الكاملة، تُطلق وتُفهم عند الكونفوشيوسية من جانبين: الجانب العلم، والجانب الخاص:

فمن جانبها العام تُسمي بطريق الحق الكونية، وهي تتحدث عن وجود العالم وكيفيات كيانه. ويسفر التبدلات من الأسفار الخمسة كتاب خاص يتحدث عن طريق الحق الكونية وكيفياتها.^{٨٤}

وإذا أطلقت كلمة طريق الحق خاصاً تُسمي بطريق الحق الإنسانية، وهي تتناول مجال الإنسانية بعينها من جوانبها المتنوعة التي تتمثل في نظريات القيم والأخلاق وفي معارف الإنسان بما حوله من البيئة والمجتمع فكرياً وعملياً. وهذا الاستعمال الخاص هو الملائم للبيان

٨٢- انظر: كتاب شرح الألفاظ وبيان الكلم، شو شين ٥٨ م، ١٤٧ هـ، الصفحة ١٨٦.

٨٣- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٢٢-٢٣.

٨٤- يُعدُّ سفر التبدلات أهمّ الديناييج التراثية المتقدمة في الكهانة و أسرار الكون وهو في غاية الفموض والاشكال. وكان كونفوشيوس يحب هذا السفر حباً جماً لموسوعيته الميتافيزيقية والنفسيية، وكان في شبحرخته أكثر قراءة له وقد تعمق في دواسته حتى تفككت خيوط تجليده عدّة مرات بسبب القراءة المتكررة، وقد نشره في أواخر عصره وعلّقه بتبيين عباراتها للمجملّة وتصيل كلماته المبهمة. وذلك كما قال بنفسه محملاً لأهمية هذا الكتاب وهو ابن سبعين من كُمره قائلا : " لو ازداد لي بضعة سنين لأنتم برايتي كتاب التبدلات، لأمكنني أن أسلم من الأخطاء الكبيرة."

والدراسة هنا بحينه، إذ كان التعبير المناسب في النص " إنَّ ما يهبه السماء (نِيَّان) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية، ولتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمى بطريق الحق، وتهذيب الإنسان وتركيبه نفسه بطريق الحق يسمى بالتعليم والتربية. " يدل هنا على أنَّ كلمة طريق الحق هنا يشير إلى جانبه الإنساني مخصوصا بالذكر والبيان.

وقد تحدثت كونفوشيوس عن أهمية طريق الحق في حياة البشر وضرورتها في إرشاد المجتمع، حيث يقول : " مَنْ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَتَزَلِهِ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ؟ فَلَمْ لَا يَسِيرُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ هَذَا ؟ " ^{٨٥} يعنى إذا كان لا بدُّ للإنسان من أن يدخل ويخرج من بيته - كعادته - عن طريق الباب لا غيره، فمن البديهي أن يتبع الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية طريق الحق كسنة سليمة لمدِّ حوائجه المادية والمعنوية؛ وإنَّ تركها فستقع حياته في الشقاء والضراء.

ولقد بيَّن كونفوشيوس العلاقة التفاضلية بين طريق الحق وبين الإنسان مؤكداً للفعالية الإنسانية فيها، وقال: " يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَطْلُقَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَيُوسِّعَهَا، وَلَا تَسْتَطِيعُ طَرِيقُ الْحَقِّ أَنْ تَمْلَأَهُ وَتَحْطِمَهُ. " ^{٨٦} أى يروونه أن يطبقها ويلتزم بها.

فشرح تلميذه المشهور " تسانغ تس " ^{٨٧} مقاصد أساتذه كونفوشيوس بهذه العبارة بعد تجاربه التطبيقية فيها قائلا: " من الضروري أن يكون العالم المهذب واسع الصدر وثابت العزم، فإنَّ عبئه ثقيل وطريقه بعيد. وإذا كانت " الرحمة " (رين) هي العبء يتحمله أفليس بثقيل عبئه ؛ وإذا كان طريقه لا ينتهي إلا بقضاء نحبه أفليست ببعيد طريقه؟ " ^{٨٨}

وكان طريق الحق الإنساني في الكونفوشيوسية يتكون من ناحيتين: الناحية الخلقية الباطنة، والناحية السلوكية الظاهرة. كانت الأولى تتمثل بفكرة " الرحمة "، وهي جامع الأخلاق الحميدة والفضائل السامية؛ وأما الثانية فتتمثل بنظام الآداب، وهي السلوك المستحب والمعاملات الأدبية.

٨٥- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل ٦، الصفحة ٥٥.

٨٦- المصدر السابق نفسه، الفصل ١٢، الصفحة ١١٥.

٨٧- تسانغ تس هو صاحب كتاب المعرفة الكبرى، اشتهر بين زملائه بالبرِّ والورع، وهو أساتذ " تس سي " صاحب كتاب لرمطبة والاعتدال.

٨٨- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل الثامن الصفحة ٧٧.

وهناك حديث يدور بين الأستاذ كونفوشيوس وبين أفضل تلاميذه " يَانْ يُوَانْ " ^{٨٩} في كتاب الحوار، قد كشف لنا أمرار العلاقة المتينة بين فكرة الرحمة وبين نظم الآداب باطنية وظاهرة، وهو كما يلي:

سأل " يَانْ يُوَانْ " أستاذه عن الرحمة ؟ فقال الأستاذ: " الرحمة هي أن يجاهد الإنسان نفسه ويؤد مطالب الآداب. وإن يحقق مجاهدة النفس والعودة إلى الآداب يوما فسيغود جميع الناس تحت السماوات إلى " الرحمة "؛ وإنما تنال الرحمة ببذل جهدك، أظن بعون غيرك؟ " قال يَانْ يُوَانْ: ما المناهج والأصول الأساسية لها؟ قال الأستاذ: " لا تنظر إلى ما ينافي الآداب، ولا تسمع لما ينافي الآداب، ولا تنطق بما ينافي الآداب، ولا تتحرك لما ينافي الآداب. " قال يَانْ يُوَانْ : إني وإن كنت بليدا لأعمل بجهودي على تطبيق هذا الحديث المرشد". ^{٩٠}

يدلنا هذا الحوار على أن كونفوشيوس كان يرى الفطرة الإنسانية ينبوع الخير والنفس أماراة بالسوء، ومن غالب نفسه وغلبها فقد عاد إلى فطرته السليمة ونشأ عنه الخيرات الجمّة؛ ومن أطاع نفسه وهواه فقد ضلّ ضللا بعيدا. فمن أجل ذلك حثّ الناس على مجاهدة النفس ببلغ كونفوشيوس في سرعة إثمارها، إذ قال: وإنّ يحقق ذلك يوما، فسيغود جميع الناس تحت السماوات إلى " الرحمة ".

وكانت فكرة الرحمة جامعة الأخلاق والفضائل عند الكونفوشيوس، وهي المثل الأعلى في تحقيق الإنسانية الكاملة، فاهتم بها كونفوشيوس غاية الاهتمام، وأسّس عليها نظرياته الفلسفية والاجتماعية. ونجده كثيرا ما يتحدث عن فكرة الرحمة في كتابه الحوار، ويؤكد أهميتها في مثالية إنسانية، حتى قال: " الرجل ذو الهمة والرحمة لا ينقص في رحمته من أجل حياته، بل يضحي بنفسه للدفاع عنها. " ^{٩١} كما أشار إلى همة الرجل الفاضل فيها قائلا: " اعتد عزيمتك على طريق

٨٩- يَانْ يُوَانْ (٥٢١ ق.م - ٤٨١ ق.م)، واسمه " هوى "، وهو أحد تلاميذ كونفوشيوس وأفضلهم علما وخلقا، واشتهر بين زملائه بنقله للرأي وبلغ العفة، مات كهلا قبل وفاة أستاذه بسنتين، وحزن عليه كونفوشيوس أشد الحزن.

٩٠- كتاب الحوار بفتح جو شي، الفصل ١٢ الصفحة ١١٥.

٩١- المصدر السابق نفسه، الفصل ١٥ الصفحة ١٥٧.

الحق، وحافظ على الفضائل، واعتمد على الرحمة، وسل نفسك بالفنون الستة." ^{٩١} وأكد كونفوشيوس ضرورة فكرة الرحمة في تحقيق الإنسانية المثالية منادياً: "إن لم يكن الإنسان ذا رحمة فماذا تفيد الأدب؟ وإن لم يكن الإنسان ذا رحمة فماذا تفيد الموسيقى؟" ^{٩٢}

وهذه هي فكرة الرحمة بصفاتها جامعة الأخلاق والفضائل، تتمثل في الناحية الباطنة لطريق الحق عند الكونفوشيوسية. وأما ناحيته السلوكية الظاهرة التي تتمثل بنظام الأدب، فهي السلسلة المرسومة من القواعد السلوكية والأصول العملية في التصرفات الفردية والمعاملات الاجتماعية لكل جوانب حياة الإنسان كبيرها وصغيرها. ^{٩٣}

وقد ورث كونفوشيوس هذه الأدب والرسوم عن الملوك الحكماء القدامى، فجمعها ورتبها في سفر الأدب، ودعا الناس إلى العودة إلى هذه الأدب المحمود، لكي ترشدهم في التصرفات الفردية، وتصححهم في المعاملات الاجتماعية من الناحية السلوكية والعملية ظاهراً، في حين أن فكرة الرحمة تقوّم الناس وتهذبهم في القيم والأفكار من الناحية الخلقية والعلمية باطنياً.

ويبين كونفوشيوس مصدر الأدب وأهميتها في حياة البشر، وقال: "فالأدب هي ما جاء به الملوك الحكماء القدامى امتثالاً لإرادة السماء (تيان) وإحكاماً لشؤون الناس. فمن فقد الأدب يهلك، ومن حصل عليها يتلج. وذلك كما قيل في سفر القصائد: 'انظر إلى فأر ذي جسم مع الهيئة تناسبه، وانظر إلى شخص ذي جسم ولم يتأدب، وإذا لا يتأدب الإنسان فله الهلاك مصيراً عاجلاً(انتهى)'. فالأدب ونظامها كانت تصدر عن السماء (تيان)، وهي ممثلة في الأرض،

٩٢- كتاب الحوار بشرح جو شيه، الفصل ٧ الصفحة ٦٢.

٩٣- الموسيقى الأنويك الملوم وسيلة إيجابية لترقية فوق الإنسان وألفقه المعنوية في نظر الكونفوشيوسية، وينفصلها بعد قليل.

٩٤- كتاب الحوار بشرح جو شيه، الفصل ٢ الصفحة ٢٠.

٩٥- كانت مصادر نظام الأدب ومراجعتها هي ما ورثها كونفوشيوس من الأفكار التقليدية للملوك الحكماء القدامى في تاريخ الصين البعيد، وخاصة من أسرة 'تشو' وملوكها الحكماء القدامى التي ازدهرت سيطرتها من النصف الأول للقرن الأحد عشر قبل الميلاد إلى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد، التي تسمى في تاريخ الصين بفترة أسرة 'تشو' الغربية المزدهرة، ثم جاءت فترتها الشرقية التي ضعفت وانصلت نفوذها من القرن الثامنة قبل الميلاد إلى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد وهي تسمى في التاريخ بعهد الربيع والخريف الذي عاش كونفوشيوس في أواخره وأسس مذهبه الفلسفي، ثم جاءت فترة أسرة 'تشو' الشرقية إلى عهدها الأخير عهد السالك المحاربة التي انكسرت بقوة حطاطها الانهوية حتى قضت أواخر نصفها في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد.

ومشتركة في صفوف الملائكة والجان، ومطبقة في شؤون حياة الإنسان فرديا واجتماعيا. فقدم الملوك الحكماء القدامى نظام الآداب للجمهور العوام حتى يستقر بفضلهم كل الأسر وجميع الدول تحت السموات".^{٩٦}

وكشف سفر الآداب في سطور الأولى بالفصل الأول مقاصد الآداب فقال: " إنما تفيد الآداب إثباتا لمراتب النسب والقراية، وتحليلا للشكوك والإشكالات، وتفريقا للنظائر والأضداد، وتبيينا للحق من الباطل. فمن الآداب أن لا تُسرف في مجاملة الغير، ولا تترثر في كلامك، وأن لا تفرط ولا تفرط في السلوك والمعاملات، وأن لا نظلم غيرك ولا تعتدي عليه، وأن لا تتطرف ولا تهوّر عند الأحناء والأقارب. وإنما تهذيب النفس والوفاء بالعهد ذلك يسمى بالسلوك المحمود، فتطبيق السلوك المحمود والسعي وراء طريق الحق ذلك هو مقاصد نظام الآداب بعينها".^{٩٧}

وقد بين لنا كونفوشيوس اتفاق نظام الآداب مع الأخلاق الحميدة في تصحيح الجمهور لسلوكهم ظاهرا، وتهذيب المجتمع لأخلاقهم باطنا، وهو يقول: " إذا قاد الراعي رعيته بالأوامر الحكومية، وسكدهم بالعقوبات القهرية، فسيحولون التخلص منها، وهم ليمسوا بالحياء والخجل يرجعون من ارتكاب الجرائم؛ وإذا سلّمهم بالأخلاق القاضية، وأصلحهم بالآداب المهدية يستحيون من ارتكاب الجرائم وهم صالحون".^{٩٨}

وأكد الأستاذ كونفوشيوس تعاون نظام الآداب مع الأخلاق الحميدة، واقتران بعضهما ببعض في سبيل تحديد التصرفات الفردية وتقويم المعاملات الاجتماعية، وهو يقول: " الاحترام من غير الألب يكون متعبا، والورع من غير الأدب يصير جبنا، والشجاعة من غير الأدب تصبح عصيانا، والصراحة من غير الألب نصير خشونة".^{٩٩}

وهكذا عرفنا فكرة الرحمة ونظام الآداب ودورها في تطبيق طريق الحق خلقيا باطنا

٩٦- سفر الآداب بشرح فلان متلو قانع، الفصل ٩ الصفحة ١٢٧، دار الطباعة الاجتماعية الصينية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

٩٧- سفر الآداب بشرح فلان متلو قانع، الفصل ١ الصفحة ٦٥.

٩٨- كتاب الحوار بشرح جو شي، الفصل ٢ الصفحة ١٠.

٩٩- المصدر السابق نفسه، الفصل ٨ الصفحة ٧٤.

وسلوكميا ظاهرا، فى سبيل إرشاد حياة الإنسان وإسعاد المجتمع الإنسانى عند الكونفوشيوسية. إذن، فكيف نطبق طريق الحق هذا بناحيته العلمية والعملية فى حياتنا اليومية حتى نتجح هذه المثالية العليا الإنسانية بتطبيقها العملى وتصبح واقعية بتحقيقها ؟

وهذا الموضوع يتناوله مجال التعلم والتربية مع النص " وتهذيب الإنسان وتركبة نفسه على طريقة الحق يسمى بـ " التعلم والتربية (خأو 教). " وذلك فيما يلى :

رابعا : التعلم والتربية (خأو 教):

ولأهمية قضية التعلم والتربية فى تحقيق الإنسانية المثالية فى الكونفوشيوسية، اتخذها صاحب كتاب الوسيطية والاعتدال "تس سي" مسألة رابعة تتصل اتصالا متدرجا بتحقيق الأهداف الثلاثة العليا: فبطريق الحق كهف قريب، وبطبيعة الإنسانية الفطرية كهف بعيد ميتافيزيقيا، وبإرادة السماء (تيآن) وعنايته كهف غائى روحيا. فمشروع للتعلم والتربية يصبح أسلوبا فعلا لهذه السلسلة الرباعية المثالية فى إرشاد الإنسان وإسعاد المجتمع ماديا ومحتويا.

وفى نظر الكونفوشيوسية إن الإنسان مع خلقته على الفطرة السليمة، وميله إلى الأخلاق الحميدة تلقائيا، ولكنه لما جاء إلى هذا العالم المادى غرته الحياة الدنيا، وهبت فى نفسه الأهواء والشهوات من حبّ الغنى والجاه، والرغبة فى الثرف والأنفة وما عداها من الأخلاق المذمومة، كما كشف سقر الآداب أسباب ذلك قائلا: " الإنسان وُلد بسكينة وسلام، وكان شأنه هذا من فطرته السماوية؛ ولما أثرت فيه البيئة الخارجية المادية وهو متأثر بها، أصبح ذلك من غريزة طبيعته. فتأثر الإنسان بالبيئة المادية ومعرفته وإدراكه للعالم المادى، بسبب شهوات الرغبة أو الكراهة فى نفس الإنسان. وإذا تجاوزت هذه الشهوات والغرائز حدودها فى نفس الإنسان باطناء، وخدعتة معارفه ومشاغره المادية خارجا، وهو فى نفس الوقت لم يحاسب نفسه، فسوف يضيع منه طريق الحق هداية، ويفقد فطرته السماوية مرجعا." ١٠٠

والإنسان بسبب استجابته للأهواء النفسية وتأثره بالشهوات المادية يطغى على فطرته السليمة، ويؤدي إلى غلبة الأخلاق المذمومة على الأخلاق المحمودة، مما يوقع نفسه في التنازع والتنافس لإشباع الشهوات والأهواء خاصة، وينحط المجتمع من الأمن والسلام إلى الشقاء والضراء عامة. وذلك كما حدث في عهد كونفوشيوس وشهد بنفسه من ثوران الدولة وفن المجتمع، فادعى كونفوشيوس والعلماء الكونفوشيوسيون أهمية التعلم والتربية في تحقيق فكرة الرحمة وتطبيق نظام الآداب، وفقا لمطالب طريق الحق وعودة إلى فطرة الإنسانية السليمة، واتخذوا مشروع التعلم والتربية أساسا واقعا تعتمد عليه هذه المقاصد المثالية كلها.

وكان كونفوشيوس أول من أسس في تاريخ الصين مدرسة مفتوحة متجهة إلى جميع أبناء المجتمع، بعد أن كان العلم وحركة التعلم حكرا على طبقة الأشراف والملا في المدرسة الرسمية. فبذل كونفوشيوس أقصى جهوده في مشروع التعلم والتربية، وقد بلغ عدد تلاميذه أكثر من ثلاثة آلاف وقتئذ، وبينهم اثنان وسبعون من النبلاء المتفوقين.^{١٠١}

ف قضية التعلم والتربية تحتل مكانة محورية في الكونفوشيوسية؛ إذ تتصل أولا بالقضايا الكبرى النظرية، وهي من قضايا طريق الحق، وطبيعة الإنسانية الفطرية، وإرادة السماء- تيان؛ هذه القضايا الفلسفية الميتافيزيقية، وثانيا تتصل بالتطبيق العملي برشد الإنسان في كفالة حياته المادية عن طريق تعليم الفنون المختلفة لكسب الوظائف. وفي النهاية يصل هدف التعليم والتربية عند الكونفوشيوسية إلى تحقيق الإنسان طريق الحق ماديا ومعنويا.

وقد بين لنا صاحب المذهب كونفوشيوس العلاقة الثنائية الوثيقة في مثاليته بين مشروع التعلم والتربية قائلا: " اعقد عزمك على طريق الحق، وحافظ على الفضائل، واعتمد على الرحمة، وسلي نفسك بالفنون الستة."^{١٠٢}

١٠١- سيجانغ تاريخ الصين، مي ما تيان (١٤٥ ق.م- ٨٦ ق.م)، فصل أسرة كونفوشيوس، الصفحة ٥٨٩. دار طباعة الكتب التراثية الطباعة الأولى سنة ٢٠٠٢م.

١٠٢- كتاب الحوار بفرح جو شي، الفصل ٧ الصفحة ٦٢.

كما قال في حصول التعلم والتربية عن طريق تهذيب الأخلاق وامتنال الفضائل: " وحزنى
تقصيرى فى تهذيب الأخلاق، وفى المباحثة فى العلم والمعرفة، وفى الهجرة من النقائص إلى
الفضائل، وفى التوبة من الخطايا والذنوب. " ١٠٣

ولخص فى أواخر شيخوخته مراحل حياته المستمرة بين طلب العلم وبين تهذيب الأخلاق،
وقال: " صرت مكبا على العلم وأنا ابن خمسة عشر عاما، وأصبحت قائما به وأنا ابن ثلاثين، ولم
أشك فى حقائق الأشياء وأنا ابن أربعين، وعلمت إرادة السماء (تيان) وأنا ابن خمسين، وأمست
أذناى صاغية إلى الحق وأنا ابن ستين، وأذعنت لجميع ما تشاء نفسى (النفس المطمئنة) ولم
أجاوز حد الاستقامة وأنا ابن سبعين. " ١٠٤

فكان مشروع التعلم والتربية قضية مركبة من " التعلم " و " التربية " فى الكونفوشيوسية،
والمراد من جانب التعلم هو الدراسات والتدريبات العقلية فى العلوم والفنون المتنوعة، والمقصود
من جانب التربية هى الرياضات التهذيبية الخلقية من الفضائل والقيم. وهكذا يتكون التعلم العقلي
والتربية الخلقية قريتين متفتحتين آليا وعاليا- كجناحي الطائر الأيمن والأيسر- فى الخدمة لتكوين
الإنسان وتشخيصه كفرد عاقل مهذب وتأسيس المجتمع الفاضل المثالى فى الكونفوشيوسية.

وهذه القضايا الأربع (إرادة السماء- تيان وعنايته، وطبيعة الإنسان الفطرية، وطريق الحق،
والتعلم والتربية) هى المقاصد العليا فى الكونفوشيوسية، موضحة ومشروحة فى الكتب الأربعة
من كونفوشيوس و " تسينغ تشى " و " تشى سى " و " منشوس " جيلا بعد جيل. وخاصة صاحب
كتاب (الوسطية والاعتدال) " تشى سى " يعرض هنا للقراء منهجا أصوليا فلسفيا للكونفوشيوسية
لتحقيق هذه المثالية العليا، وهو منهج الوسطية ومبدأ الصدق والإخلاص عنده، ومنفصل ذلك فى
الفصول والمباحث التالية إن شاء الله.

إذن، فلنعرف هنا ما الموضوعات والمهمات فى قضية التعلم والتربية فى الكونفوشيوسية
من ناحيتها العقلية والخلقية. أما ناحية التعلم العقلية فتكون من قسمين قريتين، وهما: قسم العلوم

١٠٣- كتاب الحوار بشرح جوشي، الفصل ٧ الصفحة ٦٢.

١٠٤- المصدر السابق نفسه، الفصل ٢ للصفحة ١٠.

الآلية وقسم العلوم العالية. وكانت العلوم الآلية تسمى عندهم بالفنون الستة، وهي كما يلي:

الأول : علم الطقوس والأدب بالأنواع الخمسة.^{١٠٥}

الثاني : علم الموسيقى بالأنواع الستة.^{١٠٦}

الثالث : مهارة الرمي بالسهم على الأنواع الخمسة.^{١٠٧}

الرابع : مهارة سياق العربات بخمسة أنواعه.^{١٠٨}

١٠٥- علم الطقوس والأدب بخمسة أنواعه، وهي: النوع الأول- الطقوس والرسوم المقدسة لتقديم الأضحية والتبرين. وهي تحتوى على ثلاث طبقات، الأولى: تقديم التبرين إلى السماء (تيان) كالإله الأعلى، وذلك مخصص لملك الصين وحده بإقامته؛ الثانية: تقديم التبرين للملائكة والجان مشتملة في النجوم والجيال والأنهار، وذلك يمكن للملأ إقامته؛ الثالثة: تقديم التبرين لأبناء الأسرة وأجداد العتيقة، وذلك مباح لجميع أبناء المجتمع بإقامته. النوع الثاني: أدب التسليم التي تقام في مناسبة الضراء والمصائب، كمثال الجفارة والتلويح، والحب والطوفان، وهزيمة لجيش واضطراب الدولة إلخ. والنوع الثالث: أدب الحسكر ورسومه، وهي تقصد بأحوال الحركات العسكرية الدورية وكنيتها، كمثال للتجند واستعراض الجيوش، وتجهيد الطرق وتحصين القلاع، وما من ذلك في الحركات العسكرية. والنوع الرابع: أدب الضيافة ورسومها، وهي تقصد بالرسوم المعاملة بين الملك والأمراء والأدب المتبادلة بين الملأ بعضهم بعضا، والأدب المتبادلة بين العوام بعضهم بعضا، والنوع الخامس : أدب الميمنة ورسومها، تقام في الأعياد الوطنية المختلفة، وفي حفلات الأفراح الشعبية الخاصة لصله رحم والتزانية، وقد تطلق أداب الميمنة أحيانا على الزفاف والعرس خاصة.

١٠٦- علم الموسيقى بمئة أنواعه، وهي: للنوع الأول- موسيقى يُون شون، وهي موسيقى عهد الملك هوانغ دى (حوالى ٢٧١٧ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م)، يعتبر الملك هوانغ دى للمؤسس الأول للحضارة الصينية المتحدة، إذ وجد في عهده قبائل عديدة ومناطق مختلفة في أراضي الصين اتحادا سياسيا وحضاريا، وجمع أهل الصين في قومية مشتركة ودولة واسعة، فأليه يرجع تاريخ الصين بخمسة آلاف سنة حضاريا وثقافيا حتى يومنا الحاضر. والنوع الثاني: موسيقى ذا شينان، وهي موسيقى عهد الملك يائو (حوالى ٢٢١٤ ق.م - ٢٠٩٧ ق.م) والنوع الثالث- موسيقى ذا شياو، وهي موسيقى عهد الملك شون (حوالى ٢١٨٤ ق.م - ٢٠٧٢ ق.م). والنوع الرابع: ذا شيا، وهي موسيقى عهد الملك يو (حوالى ٢١٦١ ق.م - ٢٠٦٠ ق.م). والنوع الخامس: موسيقى ذا هويوا، وهي موسيقى عهد الملك ثيكتغ تونغ (حوالى ١٦٧٥ ق.م - ١٥٨٨ ق.م). والنوع السادس: موسيقى ذا زوا، وهي موسيقى عهد الملك زو وانغ (حوالى ١٠٨٧ ق.م - ١٠٤٣ ق.م).

١٠٧- مهارة الرمي بالسهم على خمسة أنواعها، وهي: الرمي الصائب القوى، والرمي الثلاثى المتصلل بثلاثة أسهم، والرمي السريع الهذاف، والرمي المتميز المؤيد للوزير مع الحكماء، والرمي للرياحى المتكلى المضبوط.

١٠٨- مهارة سياق الحربة، وهي مهارة ضرورية في مجتمع قدام الصين، وليس بكثرها واسطة عامة للنقل والمواصلات فصحب، بل كانت الحربة الحربية سلاحا هداما- كالدبابة الحربية في العصر الحاضر- في ميدان القتال وقتل. وكثقت مهارة سياق الحربة بخمسة أنواعها، وهي: السيلالة المظمتة والسليمة الجرس، والسيلالة السريعة المأمونة عند شاطئ النهر، والسياق المتكرب عند محلات الفلك، والسياق المتفن في الشوارع المزدهمة، والسياق المخصصة للصيد بالرمي من اليمس.

الخامس: علم الكتابة بستة أنواعها.^{١٠٩}

السادس: علم الحساب والرياضيات بتمعة أنواعه.^{١١٠}

وأما العلوم العالية في مجال التعلم العقلي في الكونفوشيوسية، فهي تقصد بالأسفار الستة المقدسة التراثية التي كانت تُدرس وتُدْرَس في عهد كونفوشيوس، وهي تشمل على سفر القصائد، وسفر الوثائق، وسفر الآداب، وسفر الموسيقى (المفقود)، وسفر التبدلات، وسفر الربيع والخريف. وبسبب فقدان سفر الموسيقى قبل منتهي سنة من الميلاد المسيحي، أصبحت هذه المجموعة للكتب المقدسة التراثية مشهورة بالأسفار الخمسة عند الكونفوشيوسية في تاريخ الصين.^{١١١}

وقد بين لنا العلامة الكونفوشيوسي المجدد "جوشى" المراحل المرتبة في دراسة العلوم الإلهة والعلوم العالية وقال: "الطفل في الثامنة من عمره يدخل أولاً في مرحلة دراسة العلوم الإلهة، فتعلم الآداب البدائية وعلم الكتابة وعلم الحساب في المرحلة الابتدائية، ثم يدرس العلوم الأخرى من الآداب والموسيقى والرسم والسياسة مع نمو عقل الطفل وبينة جسمه. ولما بلغ شبابه في الخامس عشر من عمره، يدخل ثانياً في مرحلة دراسة العلوم العالية، ليبحث في أفكارها،

١٠٩- علم الكتابة بستة أنواعه، وهي كما يلي: النوع الأول- كتابة تصويرية رسمية وهي مكتورة الألفاظ الصينية و أسس حديثي لأخواتها الخمسة الباقية في تطورها. النوع الثاني- كتابة شكلية إشارية. النوع الثالث- كتابة محووية فهمية. النوع الرابع- كتابة صوتية شكلية، وهي آخر أخواتها الست ظهوراً في تاريخ الكتابة الصينية، ومع تآخر ظهورها قد صارت أحد حيوية لغوية بين أخواتها الست، وأكثر استعمالاً مع تطور اللغة وعلم الكتابة. النوع الخامس- كتابة شرحية استنباطية. النوع السادس- كتابة استعارية مجازية. إن اللغة الصينية لغة فريدة في تنوعها من اللغات الألف والمليون في العالم، فكل نقطة وخط في اللغة الصينية شكل مختلف ومعنى مستقل. ولذلك كان دراسة كتابة الألفاظ الصينية وإتقان كيفية استعمالها علماً ضرورياً لكل الدارسين الصينيين. وإذا ضربنا مثلاً فنقول: كان فن الكتابة وطها عند الصينيين يساوى فن الخط وعلم الصرف والنحو عند العرب من حيث الأسس المبدئية.

١١٠- علم الحساب والرياضيات بتمعة أنواعه. وهي كما يلي: النوع الأول- قضايا قياس الأراضي وحذ الحقل بمختلف أشكالها، والنوع الثاني- قضايا نسبة التبدل الحسابية في كمية الزروع والأغذية. النوع الثالث- قضايا النسبة لتقسيم الضرائب وللموم عن الجذر التربيعي والتكعيب. النوع الرابع- قضايا علاقة المساحة والحجم بأجزاءهم من العرض والطول و قطر الدائرة الخ، النوع الخامس- قضايا هندسة عملية من الحجم والكمية في مشروعات البناء والتأجير. النوع السادس- قضايا إيجاد الجذر في نفقات النقل والمواصلات. النوع السابع- قضايا مجهول زائد و مجهول ناقص في الهندسة العملية. النوع الثامن- معادلة حسابية، تقصد بالمعادلة ذات المجهول أو أكثر من الدرجة الأولى. النوع التاسع- قضايا المثلث القائم الزاوية وتوابعها. ١١١- انظر: موسوعة اللغفة الصينية، الصفحة ٤٢٢.

ويتعمق في حقائقها أصوليا واستنباطيا، حتى يستفد منها خلقيا وعمليا أخيرا.^{١١٢} وذلك على حد وصف الأستاذ كونفوشيوس لنموذج ناجح في دراسته علميا وعمليا فقال: "الناشؤون تُسْمَو بِإثارة القصائد همُّهم، وترسخ بتثبيت الآداب أقدامهم، وتكمل بتهديب الموسيقى أخلاقهم."^{١١٣}

بعد تعريفنا لجانب التعلم العقلي في الكونفوشيوسية، نأتى الآن إلى تبیین جانب التربية الخلقية لهم، فغاية التربية هنا هي التهدييات النفسية والرياضيات السلوكية في قيم الأخلاق والفضائل؛ لأن الإنسان المثالى أو الإنسان الكامل في نظرهم ليس الذى يتمتع بالعدل البارز والعلم الواسع لمصعب، بل هو الذى يتصف بمكارم الأخلاق ومحاسن السلوك باطنيا وظاهريا. فمطالب الكونفوشيوسية ومقاصدها لمكارم الأخلاق ومحاسن السلوك، تنأسس على فكرة الرحمة، وتتمثل بنظام الآداب، وقد عرفناها من قبل الآن.

وقبل ختام حديثنا حول قضية التعلم والتربية، أود أن أذكر موقف كونفوشيوس في ضرورة اتحاد العلوم النافعة بمكارم الأخلاق في تحقيق الإنسانية الكاملة، إذ يرى فكرة الرحمة - وهي جامعة لمكارم الأخلاق - مع شرفها وعظمتها في تربية الإنسان وتهديبه لم تكن بعيدة عن حياة البشر الواقعية، كما كان العلم والمعرفة مع صقه وسعته مازال يتعلق وثيقا بمعيشة الناس اليومية، بل كانت مقاصد التعلم والتربية واسطة علمية وعملية في إرشاد الإنسان إلى معرفته لنفسه أولا وإصلاح المجتمع ثانيا. لقد فسر كونفوشيوس هذه المقاصد العليا بعدة كلمات قليلة ألفاظها وعميقة معانيها، حين سئل عن "الرحمة"، فأجاب: هي حب الناس. ثم سئل عن المعرفة، فأجاب: هي معرفة الإنسان.^{١١٤}

وقد بين حفيده "تس سى" أمرار هذه العبارة المفيدة في مقاصد فكرة الرحمة ونظام الآداب، وشرحها شرحا فلسفيا ومنهجيا، فقال في كتاب (الوسطية والاعتدال): "صاحب الرحمة هو الإنسان بمعنى الكلمة كله؛ فرأس الرحمة صلة الرحم وذوى القربى؛ والعدل هو الاعتدال،

١١٢- كتاب المعرفة الكبرى، بشرح جو شي، المقدمة، الصفحة ١، دار طباعة مكتب شي لواء الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

١١٣- كتاب الحوار، بشرح جو شي، الفصل ٨ الصفحة ٧٧.

١١٤- المصدر السابق نفسه، الفصل ١٢ الصفحة ١٢٥.

ورأسه احترام الصالحين والعلماء بالكرم والشرف. فصلة الرحم وذوى القربى على أساس التدرج بنظام الأقرب فالأقرب، وإكرام الصالحين والعلماء على أساس ترتيبهم بنظام الأصلح فالأصلح. وهذان (التدرج والترتب) كلاهما من مبدأ الآداب ومصدرها، فالرجل الفاضل لا بد له أن يهذب نفسه، وإذا أراد تهذيب نفسه يتبغى عليه أن يصل الرحم وذوى القربى، وإذا أحب صلة الرحم وذوى القربى فلا بد له من معرفة الإنسانية، وإذا شاء معرفته الإنسانية فيتبغى عليه أن يعرف إرادة السماء (تبيان) وعنايته.^{١١٥}

وإلى هنا اكملنا تعريف الاصطلاحات الأربعة من السماء (تبيان) إرادته وعنايته، والطبيعة الفطرية (شيبينغ)، وطريق الحق (دأز)، والتعلم والتربية (جأز)، وهي تشمل على أهم القضايا من منابع الألوهية والميتافيزيقية ومصادر القيم والأخلاق عند الكونفوشيوسية. وضرربنا مثلا لأهمية هذه الاصطلاحات الأربعة فى بداية هذا المقال، وقلنا إنها مفتاح ذهبى ذو أمانان أربعة نفتح ونعرف به كنوز التعليمات الكونفوشيوسية عامة والمناهج الفكرية فى كتاب (الوسطية والاعتدال) خاصة. ولنأت إلى نص القطعة الثانية للفصل الأول، وهى:

原文：道也者，不可须臾离也，可离非道也，是故君子戒慎乎其所不睹，恐惧乎其所不闻。

今译：道是时时刻刻不能离开的，如果可以离开那就不是道了，所以君子即使在自己没有被别人看见时也要谨慎戒惧，在自己没有被别人听到时也应恐慌畏惧，警醒自己。

نص القطعة الثانية :

” إلما طريق الحق يحتاج إليه الإنسان فى كل لحظة من لحظات حياته، ولو كان استغناء

الإنسان عنه ممكنا لما كان بمستاه حقا.

فالرجل الفاضل^{١١٦} لا حالة من أحواله إلا وهو حذرٌ ويقظٌ من السقوط في الخطأ والزلل، وإن يكن في الخلوة والسترة لا يراه أحد ولا يسمعه غيره.

الشرح :

بعد التقديم المجلد السابق للاصطلاحات الأربعة السابقة ذكرها وبيان علاقتها الأصولية بعضها ببعض كمفتاح لهذا الكتاب، بدأ المؤلف "تم مي" هنا في هذه القطعة اللاحقة يعبر عن ضرورة طريق الحق في إرشاد حياة الإنسان، ويؤكد أن طريق الحق هي السنة الراسخة الساموية في طبيعة الإنسانية الفطرية، لا يظهرها إظهاراً حقيقياً إلا الرجل الفاضل كقدوة حسنة في حفظ نفسه، وهو حذرٌ ويقظٌ دائماً حتى عند أحواله الخفية والسترية.

قال الحبر الكونفوشيوسي "كونغ بينغ دا"^{١١٧} في بيان مقاصد هذه العبارة : "إن الحكيم كونفوشيوس يدعو ويطبّق الرحمة والعدل والآداب والعلم والأمانة من أجل تعليم الناس وتربيتهم، فمثل طريق الحق كمثل السبيل الذي يسلك الإنسان، إذ إن طريق الحق يهتدى بالإنسان إلى طبيعته الفطرية، كما أن السبيل المسلوك يهتدى به إلى غرضه المطلوب، وإن يسلك الإنسان على سبيله الممهد طلباً لغرضه، فلن يتركه أي لحظة من لحظاته حفظاً له من ضلال نفسه عن غايته. فالرجل الفاضل في تطبيقه لطريق الحق يراعى ويهتم أولاً بتفاني أمورِهِ، حيث إنه إن يهتم بالصغيرة ويراعى الفرعية فمن الضروري أن يتفق جميع أمورِهِ مع موجب طريق الحق سواء

١١٦- الرجل الفاضل 君子، كانت هذه الكلمة تستعمل في اللغة ليعني رجل عظيم في مكانة اجتماعي ومياني. وأما استعمالها الاصطلاحي عند مذهب الكونفوشيوسية فلمراد بها هو الرجل العظيم في الأخلاق والفضائل، مقابل ومعتاداً لمصطلح الرجل الطالح 小人 الذي كان تعني الخلق ورجل المطوك. وقد ذكر كتاب الحوار كلمة الرجل الفاضل أكثر من مائة مرة، إشارة إلى أنه كان خطوة حسنة تجمع بين الخلق والعلم لتطبيق طريق الحق والعباد، كما كان نموذجاً مثالياً في شخصية الإنسانية لإصلاح المجتمع وإرشاد الجمهور.

١١٧- (كونغ بينغ دا، ٧٤٨م-٦٤٨م)، كان من أشهر العلماء الكونفوشيوسيين في عصره، برع بعلومه الواسع وخاصة في دراسة الأسفار الخمسة، وألف كتاب "الشرح الصحيح للأسفار الخمسة" الذي يعتبر مادة رسمية للامتحان الحكومية للوظائف والتعيين وقتئذ، كما أشرف على تحرير مجاميع الشرح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة العشر الكونفوشيوسية التي يعتمد عليها من بعده كل من ينسب إلى مذهب الكونفوشيوسية.

أكان كبيرا أصوليا أم صغيرا فرعيا. لذا، كان الرجل الفاضل يبقى دائما على حال الحذر واليقظ.^{١١٨} وهكذا تفهم أنّ ضرورة طريق الحق بالنسبة إلى الإنسان من حيث المعنوية والروحية كضرورة الطعام والشراب والكسوة والمسكن له من حيث المادية والعرضية، فلا يمكن للإنسان أن يترك ويبعد نفسه عن طريق الحق في أي حال من أحواله، ولو أمكن انفصاله عن إرشاد حيلة الإنسان لما كان حقا ضروريا. وعلى هذه الأهمية إذا ترك الإنسان طريق الحق سبيلا ومسلكا، غره هواه ونفسه الأكاره بالسوء بليّة وشقاء كما حدث للرجل الطالح الذي إن يترك وحده ولا يراقبه غيره طغى في الأثام والشور كلما ساقته نفسه و لعب به هواه. وأما الرجل الفاضل فكون بعكسه تماما، وإن لم يره أحد ولا يسمعه غيره، فهو يكتفي في الحذر والنقطة مراقبا لنفسه تربية وتهذيبا، فلن يغادر طريق الحق مهما كانت أحواله علانية أو سرية.

وكان " تسانغ تس " صاحب كتاب المعرفة الكبرى يُعتبر قدوة حسنة في الحذر اليقظة عند الكونفوشيوسيين، ولما اشتد مرضه عاده الوزير " مونغ جينغ تس " فقال له المريض نصيحة :
" الطائر إذا أشرف على الموت يغرد تغريدا حزنا، والإنسان إذا أشرف على الموت يقول قولاً حسنا. فأقول لحضرتكم : إن ما يحثه الرجل الفاضل ذا أهمية خاصة من طريق الحق ثلاثة : أن يكون وقورا في مظاهره السلوكية فتجذب في تصرفاته الغلظة والطيش، وأن يكون سديدا في ملامحه المرئية فتتقرب هيناته من الصدق والوفاء، وأن يكون محكما في كلامه المسموع فتبتعد أحاديثه عن الدناءة والمخافة."^{١١٩}

واستفدنا من هذا النموذج المثالي، فنقول: إنما طريق الحق هو السُنّة الإنسانية عند الكونفوشيوسية، يتمثل في الأصول والقواعد التي يتبعها الإنسان في شؤونها الواقعية ميرا وعلانيا ، وهو مضمّن في ذمة الإنسان الباطنة فحُثّه على سعيه وراءه بلا ملل، ويجتهد من أجل تحقيقه بلا تعب، وخاصة من ناحية استقامة القلب الإنشائي بالورع والحذر، وهي خطوة أولى لمن يهذب

١١٨- مجامع الشرح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة العشر الكونفوشيوسية، كونغ بينغ دا، الجزء ٢، الصفحة ٣٤٧، مطبعة الكتب التراثية بشونغهاي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧م.
١١٩- كتاب الحوار بشرح جو شى، الفصل ٨ الصفحة ٩١.

النفس ويصلح الذات في تطبيق طريق الحق، وذلك كما بين المؤلف في القطعة التالية.

原文：莫见乎隐，莫显乎微，故君子慎其独。

今译： 在人的意念中，没有比幽暗时更为明显，没有比细微时更为显著，所以君子应该谨慎地对待自己独处之时（以提防不正当欲望的潜滋暗长）。

نص القطعة الثالثة:

" وفي ضمير الإنسان ووعيه، ما من ظاهر إلا ازداد ظهوره في مكان الخفاء والغموض، وما من بارز إلا اشتد بروزه في حالة الخفية والدقة؛ فلذا، فليحاسب الرجل الفاضل نفسه عند الخلوة والوحدة حذرا وورعا من الشهوات والأهواء الأتمة بالسوء. "

الشرح :

أكد المؤلف في هذه القطعة أهمية استمرار الإنسان على طريق الحق في سلوكه الخارجي علانية وسرا بالحرل دائم واليقظة الصابرة، وفي هذه القطعة بين ضرورة على محاسبة الإنسان نفسه على شهواته الباطنة حذرا وورعا، ومراقبتها عند الخلوة والوحدة.^{١٢٠} فجاء هذا النص مؤكدا للنص السابق، فإشار إلى أن الرجل الفاضل باعتباره قدوة حسنة في شخصيته الإنسانية - لم يكتف بالبقاء دائما على اليقظة والاحتياط فقط، بل يحاسب نفسه عند الخلوة والوحدة حذرا وورعا وتزكية للذات عن الشهوات الباطنة المضمرة. إذ إن الحركات النفسانية هي من الشهوات والأهواء المضمرة مع شدة خفائها ودقتها تظهر وتبرز في ضمير الإنسان وفي قلبه الباطن بصورة ظاهرة، وهو نفسه يعرفها واضحة، فينبغي على الإنسان أن يحاسب نفسه أكثر في حال وحدته منفردا عن الناس حتى يسد الطريق على الشهوات ومهاجمة الأهواء عند طلوع براعها في نفسه المضمرة .

١٢٠- الطن: الشرح اللفظي لكتاب الوسيلة والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٤٠.

وقد شرح الحبر "كونغ بينغ دا" معاني هذه العبارة قائلا: "إن المرء عندما يكون أمام الناس في مكان الجهر فيضبط نفسه في أقواله وأعماله خشية من الرأي العام والنقد الجمهوري؛ ولكن عندما يتوكل على الناس ويبقى وحده في الخلوة والسير، يظن أنه قد ابتعد عن أنظار الناس وأسماع الجمهور، ومن ثم يترك نفسه لهواه وشهواته حيثما تقوده جراءة وطغياناً. كلاً، ستبصر العيون قواحه، وستسمع الأذان قبائحه مهما كانت خفية أو سريّة، بل ستعظم وقاحته أمام الناس لغنا، وستشتد فاحشته عند الجمهور ذماً. فكان الرجل الفاضل يحاسب نفسه عند الخلوة والوحدة، حذراً من خفاء الصغائر وغموضها، وواقياً من ظهور الكيثر وتجليتها. فهو يثابر على محاسبة نفسه دائماً عند الخلوة والسير دائماً، حيث إنه إن يبقَ وحده بعيداً عن الأبصار والأسماع سيظل حذراً وورعاً حتى يحفظ نفسه مستمداً على طريق الحق، وإن يتعدى حدوده."^{١٢١}

وفي حقيقة الأمر فإن محاسبة النفس بالحذر والورع عند الخلوة والوحدة هي ليست أمراً مستحدثاً عند "تس سي"، بل هي قضية خلقية هامة قد تناولها مؤسس المذهب كونفوشيوس نفسه تناولاً عاماً من ناحية الاحترام والتواضع، ثم جاء تلميذه المشهور "تسآنغ تس" صاحب كتاب (المعرفة الكبرى)، وخصص هذه القضية بالبحث والكشف، فتناحروا تلميذه "تس سي" وأكد أهميتها، واتخذها مدخلاً أساسياً إلى منهج الوسطية والاعتدال.

وذلك كما يستشهد بما ينص عليه صاحب (كتاب المعرفة) الكبرى "تسآنغ تس" عندما يتحدث عن الإخلاص والورع قائلا: "المراد بإخلاص النية هو ألا يخون الإنسان نفسه، بل يحفظ ضميره على الصدق والأمانة. وهذا أمر يدهي كما يكره الإنسان الرائحة الكريهة فيرغب عنها، ويحب المنظر الجميل فيرغب فيه، ويسمى ذلك براحة البال وطمأنينة النية. ومن ثم كان الرجل الفاضل يحاسب نفسه حذراً وورعاً عند الخلوة والوحدة. وأما الرجل الطالح، فإنه إن يترك هملاً ولا يراقبه أحد يتخذ إلهه هواه ويطغى فيما تشاء به شهواته من القواحش والقبائح؛ ومع ذلك عندما يقابل الرجل الطالح الرجل الفاضل يستحي منه، فيحاول أن يمتكر قواحه مع كثرتها

١٢١- مجاميع الشرح والتعليق للأسماء والكتب الثلاثة العشر للكونفرشيوسية، كونغ بينغ دا، الجزء ٧، الصفحة ٣٤٨.

مخادعة، ويطن محاسنه مع قَلَّتْها مِمَّا كَرِهَ. ألا تعلم أن الناس يعرفونك علانيا وميزا كما يعرفون أنفسهم؟ ! وكيف تفدك هذه المخادعة والمماكرة؟ وذلك كما يقال: ' ما يضر في نفسك من خير أو شر يظهر في تصرفاتك حسنة أو سيئة. ' فيجب على الرجل الفاضل أن يحاسب نفسه حذرا وورعا عند الخلوة والوحدة.^{١٢٢}

原文：喜怒哀乐之未发，谓之中，发而皆中节，谓之和。中也者，天下之大本也；和也者，天下之达道也。

今译： 喜欢 愤怒 悲哀 快乐各种感情还没有向外表露得时候，是不偏不倚的，叫做中；向外表露的时候，没有太过和不及，都能合着自然的理，叫做和。中，是天下人们的大根本；和，是天下人们共同要走的路。

نص القطعة الرابعة :

" المحبة والغضب والحزن والفرح، مثل هذه العواطف العامة إذا لم تتحرك في قلب الإنسان، وتبقى على سكونها وبساطتها بدون التغير والميل، فهذه الحالة تُسمى بالتوسط؛ وإن تتحرك وتنطلق منه وفقا للأداب والحدود بلا إفراط ولا تفريط، فتلك الحالة تُسمى بالتوافق. وإنما التوسط قاعدة أصولية كبرى للناس كلهم، في حين أن التوافق هو المنهاج المستقيم للمجتمع بسائر أبنائه. "

الشرح :

بعد بيان أهمية محاسبة النفس بالحنز والورع عند الخلوة والوحدة للرجل الفاضل في تطبيق طريق الحق، جاء المؤلف هنا يتناول لأول مرة محور كتابه، منهاج الوسطية والاعتدال، تعريفا لما هيته، وتبييننا لمنافعه في إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع أصولا ومنهاجا.

قال " كونغ بينغ ذا " في شرح هذه العبارة: " المحبة والغضب والفرح والحزن، هذه

١٢٢- شرح كتاب المعرفة الكبرى، ج ١، الفصل ٧، الصفحة ٦.

العواطف تحدث وتظهر عند ملامستها مع العواض والأمر الخارجية. وإذا لم تحدث ولم تتغير في حالة السكون والبساطة وكان قلب الإنسان يرى من الهم والحرص، بل ارتاح ثابتاً على فطرته الحقيقية، فتسمى هذه الحالة بالتوسط. وإن حدثت هذه العواطف المضمرة وتحركت وفقاً للأدب وحدودها فاتفقت ولاعت طبيعته الإنسانية مع سلوكه باطنياً وظاهراً كتلاؤم البرق والشمس عند تناولهما معاً، فتسمى تلك الحالة بالتوافق. وإنما عواطف الإنسان وغرائزه إذا لم تتحرك ولم تتغير كان سكونها يصدر من مبدأ طبيعته الفطرية، فهو يسمى بالقاعدة الأصولية الكبرى للإنسان؛ وإن حدثت وتحركت هذه العواطف والغرائز وطابقت الأدب ووافقت حدودها، وعمت هذه الحقيقة في المجتمع وجرت فيه، فتسمى بطريق الحق المستقيم في العالم.^{١٢٢}

ومن أجل تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال وتطبيقه في الحياة الواقعية، لا بد للإنسان أن يعتدل عواطفه ويضبط غرائزه عن طريق تزكية النفس وتصفة القلب حسب مطالب طريق الحق وفطرة الإنسان السماوية. فكان مؤلف الكتاب لم يكتب هنا بدلالة النص لإفادة القراء في فهم العبارة وإدراكها، بل يفتح لهم باب دلالة الإشارة ليدلهم على محورية منهاج الوسطية والاعتدال بين إعادة الإنسان إلى طبيعته الفطرية وبين معرفته لطريق الحق علمياً وعملياً.

وقد بين لنا العلامة " جوشي " دلالة الإشارة في هذا النص قائلاً: " إنما المحبة والغضب والفرح والحزن من عواطف الإنسان وغرائزه، إذا سكنت ولم تتحرك فهي من طبيعته الفطرية، إذ إنها في حالة لا تفريط ولا إفراط فيها، فتسمى هذه الحالة بالتوسط. وإذا ظهرت وتحركت وفقاً للأدب وحدودها، فهي من سداد العواطف وإحكامها، إذ إنها في حالة لا ميل ولا انحراف فيها، فتسمى هذه الحالة بالتوافق، وإنما تسمية التوسط في النص بأنها قاعدة أصولية كبرى للإنسان؛ لأنها مصدر ترجع إليه فطرة الإنسان السماوية وأدب المجتمع كلها، فهي ذات طريق الحق وجوهره. وأما القول بأن التوافق هو المنهاج المستقيم المشترك بين الإنسان، فالمراد به تسمية اتباع الإنسان فطرته السماوية، فمنهج عليه أبناء المجتمع بأسرهم حديثاً وقديماً، وهو منافع طريق

١٢٢ - مجمع الشرح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة العشر الكونفوشيوسية، كونغ يينغ دا، الجزء ٢، الصفحة ٢٤٨.

الحق ومظاهره. وهذا النص يبين صفات طبيعة الإنسان الفطرية وعواطفه النفسية، إشارة إلى أن طريق الحق لا برهة من الزمن تمر على الإنسان إلا وهو محتاج إليه في حياته اليومية.^{١٢٤} ومن خلال دراسة هذا النص وشرحه، نجد أن منهاج الوسطية والاعتدال مع عظمتها وأهميتها في إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع أصوليا ومنهجيا، لم يكن عند مؤلف الكتاب غاية بعيدة عن فهم الإنسان وإدراكه، بل كان أصلا كبيرا للناس كلهم ومنهاجا مستقيما للمجتمع أجمعه يسعى وراءه بلا تعب ولا ملل كما قال " تس سي" في كتابه استفادة بتعاليم كونفوشيوس: " إن طريق الحق ليس يبعد عن الإنسان وحياته، وإنما أبعد الذين جاؤوه بالتطرف والتقص، فذلك ليس بطريق الحق بته".^{١٢٥}

فالإنسان الذي صفوة ما بين السماوات والأرض في نظر الكونفوشيوسية إذا أكمل إنسانيته بالأخلاق والفضائل، واهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال، ليحل محله المركزى الفعال بينه وبين السماوات والأرض وفاقا، ومن ثم يشاركهما في تنمية الكائنات المختلفة وازدهارها في الكون، وذلك كما فصل المؤلف في القطعة التالية:

原文：致中和，天地位焉，万物育焉。

今译： 人如果达到中和的境界，天地就会在中和中各安其位，万物就会在中和中繁荣昌盛。

نص القطعة الخامسة:

" إذا بذل الإنسان أقصى جهوده في الاهتداء بالوسطية والاعتدال سعيا وامتنالا، يستقر السماوات والأرض بفضلها في مقامهما السجاما، ويتمو كل الكائنات بينهما بفضلها ازدهارا. "

الشرح :

^{١٢٤} انظر : الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٤.

^{١٢٥} - كتاب الوسطية والاعتدال، شرح جو شي، الفصل ١٢، الصفحة ٨.

هذه القطعة هي العبارة الخامسة والأخيرة من الفصل الأول، وتتناول جانبين رئيسيين من مفاهيمها، ففي الجانب الأول تتحدث عن أهمية التوسط والتوافق في للإنسان خاصة، وعن تأثيرها في السماوات والأرض وما بينهما من الكائنات المختلفة عامة، أما الجانب الثاني فهو خاتمة موجزة، تختصر مقاصد الفصل الأول التي تشتهر عند الكونفوشيوسية كبرنامج أصولي لكتاب الوسطية والاعتدال كله.

وبالنسبة إلى الجانب الأول، فقد شرح العلامة " تشيانتغ فآو (١٠٢٢م-١٠٨٥م) " معاني هذه القطعة بعبارة أدبية وإشارة دقيقة وقال : " في هذا النص بيان لأهمية التوسط والتوافق، وتأكيد لمنافعهما العملية الشاملة. فالإنسان إذا علم حقيقة التوسط في نفسه أدرك حقيقة التوسط في السماوات والأرض حق إدراكها، وإذا فهم حقيقة التوافق في نفسه، يتقن حقيقة التوافق في السماوات والأرض حق إتقانه. وبفضل ذلك تستقر السماوات والأرض في مقامهما انسجاما، وينمو كل الكائنات المختلفة فيهما ازدهارا. " ١٢٦

وكان الكونفوشيوسية أسس نظرياته وفلسفته على مقصد ثنائي يجمع بين إصلاحية الفرد وإرشادية المجتمع بتهذيب النفس وسياسة الدولة. فتهديب النفس بالأخلاق والفضائل هو أساس ومبدأ لإرشاد المجتمع وسياسة الدولة بالعدل والحكمة، كما كان الثاني نتيجة وثمره وغاية مطلوبة للأول الأساسى المبني. ولذلك كان مذهب الكونفوشيوسية يتخذ الرجل الفاضل الذي يجمع بين الخلق والعلم نموذجا مثاليا في الإنسانية، بل كانوا يعتبرون أن الملك الحكيم الذي يجمع بين علو السلطة الظاهرة وكمال الخلق الباطن هو المثل الأعلى في إصلاح الإنسانية، والقودة الحسنة الفريدة في إرشاد المجتمع وتأمين البلاد والعالم، حتى يشارك بفضل هذه المثالية والأفضلية السماوات والأرض في تنمية الكائنات المختلفة ورعاية ازدهارا.

وكان هذه القطعة الخامسة من الفصل الأول في كتاب الوسطية والاعتدال، قد استدل بها الحبر " كونغ بينغ دا " على هذه القضية حيث يقول: " إذا كان الملك الحكيم الجامع بين علو

١٢٦- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، ليو كا هونغ، الصفحة ١٤٢.

السلطة وكمال الخلق، يبذل أقصى جهوده في وصوله إلى التوسط والتوافق سعياً وامثالاً،
ويقتصد في متابعة القوتين الإيجابية والسلبية على رعاية الشعوب ومياسة البلاد، وتتمكّن بفضل
السموات والأرض في مقامهما وفقاً وانسجاماً؛ كما كان يتكّبت بفضل الحياة في العالم على
طبيعتها الفطرية، فتتم الكائنات المختلفة بينهما ازدهاراً.^{١٢٧}

وأما الجانب الثاني في هذا المقطع فهو مختصر للقطع الخمسة كلها من الفصل الأول، وقد
تناول هذا الموضوع العلامة "جوشى"، ويبيّن مناسبة مقاصدها الخلقية بعضها لبعض قائلاً:
"إنما الرجل الفاضل كان يثابر على تهذيب نفسه بالحذر والاحتياط حتى يحصل قلبه على حال
التوسط بالسكون والبساطة، لا إفراط ولا تفريط فيها، فيحفظ نفسه على حال الوسطية ولا
يخادرها أبداً. وقد بذل أقصى جهوده في الوصول إلى هذه الحال، ويفضل إدراكه لحقيقتها يمكن
له أن يُجِلّ السموات والأرض مقامهما وفقاً. كما كان الرجل الفاضل يداوم على محاسبة نفسه
بالحذر والورع عند الخلوة والوحدة، حتى يستقرّ قلبه على منهاج الوسطية الاعتدال، لا عوج ولا
انحراف فيه، ويفضل إدراكه لحقيقته يتابع طريق الحق على معاملته مع الناس وما حوله من
الأشياء والشؤون، حتى يشترك في تنمية الكائنات المختلفة بين السموات والأرض ازدهاراً.^{١٢٨}
ثم جاء تلميذه "تشان تشون (١٥٩م-١٢٢٣م)"، وأكمل شرح أستاذه في هذا الموضوع
بأدق عبارة فلسفية حيث قال: "كلمة الوصول إلى التوسط هي تتحدث عن معرفة الإنسان طبيعته
الفطرية السماوية؛ وكلمة الوصول إلى التوافق هي تتبيّن عن اتباع الإنسان طريق الحق الذي
يحقق به طبيعته الفطرية السماوية ويكملها. وأما العبارة: "يستقرّ السموات والأرض بفضل في
مقامهما انسجاماً، وينمو كل الكائنات بينهما بفضل ازدهاراً،" فهي تتناول ضمنياً قضية التعليم
والقربة لتطبيق طريق الحق في إصلاح الفرد والمجتمع."^{١٢٩}

١٢٧- مجامع الشروح والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كونغ بينغ دا، الجزء ٢، الصفحة ٣٤٩.

١٢٨- الشرح اللطفي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا مونغ، الصفحة ١٤٣.

١٢٩- المصنّف السابق نفسه، الصفحة ١٤٤.

第二章

原文：仲尼曰：“君子中庸，小人反中庸。君子之中庸也，君子而时中；小人之反中庸也，小人而无忌惮也。”

今译：仲尼说：“君子做事能够符合中庸的道理，小人的所做所为完全违背中庸的道理。为什么这样呢？君子对于中庸的道理能时时省查，做到随时而异，适中不偏。小人对于中庸的道理，任性妄为，肆无忌惮。”

الفصل الثاني

التمهيد:

ذكر " تس سي " في هذا الفصل موقف الرجل الفاضل من منهاج الوسطية والاعتدال مقارنا بموقف الرجل الطالح منه، مع بيان أسباب اختلافهما فيه. وأشرنا بإيراد كلام كونفوشيوس إلى أن منهاج الوسطية والاعتدال هو الطريق المستقيم من السماء (تيان) لا عوج ولا انحراف فيه، ولا إفراط ولا تفريط فيه، بل هو حقيقة ثابتة تترسخ في فطرة الإنسان وتتجلى في حياته اليومية، وإنما الرجل الفاضل يقف على حقيقته ويدركه إدراكا تاما، فيطبقه على الدوام في سلوكه وشؤونه اليومية، وبالعكس، كان الرجل الطالح لا يقدر على فهم هذا المنهاج فهما حقيقا فيعجز عن تطبيقه في سلوكه ولموره الواقعية، بل يخالفه تماما قولا وفعلا.

النص:

" قال جونغ نى^{١٢٠} : " إن الرجل الفاضل ليهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال، فيتبعه باطنا وظاهرا، وإن الرجل الطالح^{١٢١} يضل عن منهاج الوسطية والاعتدال، فيخالفه قولا وفعلا.

١٢٠- جونغ نى : لقب كونفوشيوس، يسمى به هنا للتشريف والتعظيم.

١٢١- الرجل الطالح 小人 : وهو لقن الخلق وورثى السلوك مقابلا لمصطلح الرجل الفاضل، وغالبا يذكر الرجل الطالح في كتاب الوسطية والاعتدال وفي المصادر الكونفوشيوسية مع ذكر الرجل الفاضل على سبيل المقارنة بينهما أخلاقيا. راجع إلى الهامشة للرجل الفاضل في صفحة ٥٩ لمصطلحه.

والرجل الفاضل يهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال حيث إنه يقتصد في كل أموره بالتكليف في وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال، حينما يضل الرجل الطالح عن منهاج الوسطية حيث إنه يطيع هواه لشهواته فيفرط ويفرط عنادا.

الشرح :

وكان العلامة "جو شي" يشرح هذا النص بصورة دقيقة وعميقة قائلا: "إن منهاج الوسطية والاعتدال يراد به أنه لا إفراط ولا تفريط بل أخذ الوسط والاقتصاد في كل الأمور والسلوك، وإِنَّ حَقِيقَةَ عَامَةِ بَيِّنَةٍ تَصْدُرُ مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ (تِيَان)، وَقَدْ بَلَغَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ قِمَّةَ الْحَسَنِ وَالذِّقَّةِ. وَإِنَّمَا الرَّجُلُ الْفَاضِلُ مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُ دَائِمًا عَلَى تَطْبِيقِ مِنْهَاجِ الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ؛ لِأَنَّهُ يَقِفُ عَلَيْهِ وَيَفْهَمُهُ فَهُمَا حَقِيقَا، وَهُوَ لَا يَتَّصِفُ بِإِخْلَاقِهِ الْفَاضِلَةِ فَقَطْ، بَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْتَصِمَ بِالْوَسْطِيَّةِ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا بِلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ فِيهَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّالِحُ فَهُوَ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، يِعَارِضُ مِنْهَاجَ الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ يَخْضَعُ لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ، فَيَتَخَلَّى عَنِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مَجْرَدًا مِنْ مَبَادِنِهَا." ثم قال: "الرجل الفاضل يعرف أنَّ هذه الحقيقة ظاهرة وموجودة في كل حال من الأحوال تحذره وتوقظه في كل وقت من السقوط في الخطأ والزلل، ولو أنه في الخلوة والسرية التي لا يراه أحد ولا يسمعه غيره فيها، وأما الرجل الطالح فلا يعرف ذلك، فإنَّ قَلْبَهُ يَخْضَعُ لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ، فَيَتَخَلَّى عَنِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مَجْرَدًا مِنْ مَبَادِنِهَا."^{١٣٢}

وأما العبارة في النص: "والرجل الفاضل يهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال حيث إنه يقتصد في كل أموره بالتكليف في وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال"، فنجد في هذا القول نقطة مهمة تستحق الذكر هنا خاصة، لكي ينتبه إليها القراء، وهنا يعني أن منهاج الوسطية والاعتدال كالمثل العليا يمثل أعلى الدرجات للقيم الأخلاقية عند الكونفوشيوسية، وهو ليس تعليمات جامدة لا تقبل التبدل في أي حال من الأحوال، بل نجد فيه مرونة وتكيفًا في التطبيق

العملى به مع الواقع حسب الضرورة، فلا بد للرجل الفاضل أن يتجنب عند تطبيقه والعمل به الجمود والصلابة، وهذا مهم جدًا.

وفى نظر المؤلف "تس سي" أن الرجل الفاضل ليس فقط يتوسط فى أموره وسلوكه بلا إفراط ولا تفريط، بل عليه أن يقتصد فيها مع التكيف فى وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال، ويتخذ إجراءات ملائمة فى ضوء الظروف الخاصة، وهذا التكيف موافق لمعنى منهاج الوسطية الحقة، فنجد المثال الحى فى الحياة الواقعية فى كتاب "منشيوخ" لتفسير هذه المرونة والتكيف، حين يجيب منشيوخ عن سؤال التالى: هل يجوز أن يساعد الأخ زوجة أخيه غارقة فى الماء بمد يده إليها لإنقاذها؟ وكان الحوار يجرى بين منشيوخ و تونغ يو كونغ^{١٣٣} كما يلى:

سأل "تونغ يو كونغ" الشيخ منشيوخ: "النس الملامسة بإلبد بين الرجل والمرأة عند الأخذ والعطاء أمرا ممنوعا فى نظم الآداب؟"

أجاب منشيوخ: "بلى، وهو كذلك."

وقال تونغ يو كونغ: "إن، لو وقعت زوجة الأخ فى الماء، فهل يجوز لأخى زوجها أن يمد يده إليها، حتى ينقذها من الغرق؟"

فأجابه منشيوخ: "إذا حدث كذلك، وهو لم يمد يده إليها للمساعدة والإنقاذ، لكان عمله من عمل بنات الأوى والذئاب المتوحشة (أى تناقض الإنسانية والعقلانية)، وإن الاختلاط بين الرجل والمرأة ممنوع بنظم الآداب وحرام بحدود الأخلاق، ولكن إنقاذ زوجة الأخ الغريقة من الهلاك فهذا هو أسلوب التوسط والاقتصاد مع التكيف فى وقت الحاجة حسب الظروف، لأن الضروريات تبيح المحظورات." ^{١٣٤}

وهذا المثال يدل على أن الرجل الفاضل توسطه واقتصاده لا يقوم على أساس القواعد

١٣٣- تونغ يو كونغ: عقل بين ٣٨٦ ق.م - ٣١٠ ق.م فى عصر الممالك المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م)، سوانسى مشهور ومفكر واسع المعرفة و متحدث المواهب يعزف ببراعة المجادلة.

١٣٤- ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، ليو جينج تيان و لين سونغ و يو كا كون، كتاب منشيوخ، الفصل السابع، الصفحة ٢٩٧.

والأصول الثابتة فقط بل عليه أن يدخل التعديل ويجرى بعض التغييرات متكيفا مع الظروف والأحوال، وبعبارة أخرى أنه يلزم أن يجمع بين ثبات المبادئ ومرونة الأساليب معا، ويتخذ إجراءات ملائمة في ضوء الظروف الخاصة، حتى لا يكون من أصحاب الجمود العقائدي والصلابة في التزام النظام.

第三章

原文：子曰：“中庸其至矣乎！民鲜能久矣。”

今译：孔子说：“中庸之道最高最完美啊！可惜人们很少能够长久实行它了。”

الفصل الثالث

التمهيد:

أورد المؤلف "تس سي" في هذا الفصل قولاً للأستاذ كونفوشيوس، مدحاً لصلاحية منهاج الوسطية والاعتدال، وتأمناً على قلة صبر الناس على هذا المنهج المثالي، وعدم مداومتهم على العمل به في حياتهم منذ زمن طويل.

النص :

قال الأستاذ كونفوشيوس: " ما أعلى منهاج الوسطية والاعتدال سنّةً وأكملّه طريقاً ! يا للأسف، قلماً يثابر عليه العوام بالصبر والمداومة منذ زمان ! "

الشرح :

قال العلامة " جو شي " في بيان مقاصد هذا الفصل: " إنّ الإفراط يؤدي إلى المجاوزة على حدّ الوسطية، فقد تعدّى عنه، والتفريط يؤدي إلى التقصير في حدّ الوسطية، فلم يبلغه؛ بل كان منهاج الوسطية والاعتدال يتمسك بأوسط الأمور بلا إفراط ولا تفريط بين طرفيهما، فهو المثل الأعلى لفضيلة وسلوكنا. إنّما الاهتداء بمنهاج الوسطية والاعتدال كان أمراً طبيعياً يمكن لكل واحد أن يتمسك به، ولكن مع تدهور العصور وانحطاط التعليم والتربية، انحدر الناس للعوام خلقياً وسلوكياً، قلماً يثابرون على هذا المنهاج المثالي بالصبر والمداومة منذ زمن بعيد. " ١٣٥

١٣٥- الفرج الجامع للكتب الأربعة- اسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤. مكتبة تشي لو، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

كان منهاج الوسطية والاعتدال صراطاً مستقيماً في إرشاد الإنسان وإسعاده حياته الواقعية عند الكونفوشيوسية؛ كما اختلفت فكرة الرحمة بمكانة جامع مكارم الأخلاق في تحقيق الإنسانية الفاضلة وقاسيس المجتمع المثالي. فكل واحد من فكرة الرحمة ومنهاج الوسطية والاعتدال مع مثاليتهما الخلقية والمنهجية، لم يكن بعيداً عن الإنسان وحياته الواقعية، بل كان أمراً طبيعياً يقدر كل واحد منهم على أن يتمسك به. وذلك كما قال كونفوشيوس عن بساطة فكرة الرحمة لدى الإنسان: "أ تكون الرحمة شيئاً بعيداً عن مثاليها؟ إن رغبْتُ فيها فسنصل إليها حالاً." ^{١٣٦} وكما تحدث عن قرب طريق الحق من حياة الإنسان الواقعية قائلاً: "إنَّ طريق الحق ^{١٣٧} ليس ببعيد عن الناس وحياتهم، وإنما أبعد الذين جازوا بالتطوُّف والتشغف، فذلك ليس بطريق الحق بئاً." ^{١٣٨}

فالمشكلة ليست في فكرة الرحمة وعراية منهاج للوسطية والاعتدال عن الناس وحياتهم، بل كان الذنب هو قلة صبر الناس وعدم مداومتهم عليها، ولكن هناك جماعة مثالية من الرجال الفضلاء الذين يعرفون حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، ويعملون به وهم صابرون. وذلك كما ذكر المؤلف في الفصل السابق صفة الرجل الفاضل في اهتدائه بمنهاج الوسطية والاعتدال بأنه يقتصد في كل أموره بالتكيف في وقت الحاجة حسب الظروف والأحوال بلا إفراط ولا تفريط.

وأما العوام الذين لا يعرفون حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال إلا معرفة قليلة سطحية، فهم لا يثابرون عليه من قلة الصبر وضعف العزم، فلم يطبقوه في حياتهم منذ زمان طويل، فلذلك قد تأسف كونفوشيوس عليهم ودعاهم إليه، ومبيناً سبب قلة صبرهم وعدم مداومتهم عليه من خلال العبارات التالية في الفصل القادم حيث قال: "ما من أحد إلا وهو يأكل ويشرب، ولكن قليلاً منهم يميز حقيقة طعم ما يأكل ويشرب!"

١٣٦- كتاب الحوار، الفصل ٧ الصفحة ٩٦.

١٣٧- طريق الحق: هنا يشير إلى منهاج الوسطية والاعتدال.

١٣٨- كتاب الوسطية والاعتدال، شرح جوشي، الفصل ٧ الصفحة ٨.

第四章

原文：子曰：“道之不行也，我知之矣；知者过之，愚者不及也。道之不明也，我知之矣；贤者过之，不肖者不及也。人莫不饮食也，鲜能知味也。”

今译：孔子说：“中庸之道不能实行的原因，我知道了，明智的人常常超过了中庸，愚笨的人未达到中庸。中庸之道不显明于世的原因，我也知道了，贤能的人超过了限度，无才德的人却达不到。就像人没有不吃喝的，但很少能够分辨滋味啊。”

الفصل الرابع

التمهيد:

هذا الفصل يربط بالنقل عن كونفوشيوس أيضا ما ذكر في الفصل السابق من قلة صبر الناس العوام على منهج الوسطية والاعتدال وعجز مداومتهم عليه، فكان المؤلف يؤكد هنا أسباب صعوبة تطبيق منهج الوسطية والاعتدال وعموض حقيقته عن أعين الناس، حتى يدركوا مدى صلاحية منهج الوسطية والاعتدال في حياة الناس وتوجيهها نحو الخير في الحياة الإنسانية فرديا واجتماعيا.

النص :

قال الأستاذ كونفوشيوس: "إنما منهج الوسطية والاعتدال لم يطبقه الناس ولم يحقق في المجتمع إجراء وتفيذا، وقد عرفت سبب ذلك؛ إذ إنه كان العاقل بذكائه مفرطا عليه فجاوزه، وكان الجاهل بجهالته مقصرا عنه فلم يبلغه. وإنما منهج الوسطية والاعتدال لم تتكشف حقيقته في المجتمع إظهارا وتبيينا، وقد عرفت سبب ذلك؛ إذ إنه كان قوى الكفاءة بكثرة فضيلته يفرط عليه فعذاه، وكان ضعيف الكفاءة بقلة فضيلته يفرط فيه فلم ينله. ألا ترى أنه ما من أحد من الإنسان إلا وهو يأكل ويشرب، ولكن قليل منهم يميز حقيقة طعم ما يأكل ويشرب !"

الشرح :

قال العلامة " جُو شِي " فى شرح معانى الفصل الرابع : " طريق الحق هى السنة السماوية التى فطرت عليها حياة الإنسان، والمراد بالسنة السماوية هنا منهاج الوسطية والاعتدال. وفى هذه القضية كان العاقل والجاهل، وكذلك قوى الكفاءة وضعيفها، كل واحد منهم يقع فى مشكلة الإفراط أو التفريط، ولم يصب حد الوسطية باختلاف سجيته وعادته. فالعاقل يقتصر بحدته نكاته وبراعة ذهنه، ويظن أن منهاج الوسطية والاعتدال كان أمرا بسيطا مبتذلا على رجل عاقل مثله، فلم يهتم بحقيقة علمه، ولم ينشغل بالله بتابعه وأفعياه، حتى يفرط فى أمور حياته فتجاوز حد الوسطية. وأما الجاهل فهو بقلة ذكته يقتصر علميا إلى معرفة حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، كما كان هو بسخافة عقله يعجز عمليا عن تطبيقه على وجه صحيح، حتى يفرط فى أمور حياته فلا يستطيع الوصول إلى حد الوسطية. وهكذا كان إفراط العاقل وتفريط الجاهل يستب صعوبة تنفيذ منهاج الوسطية والاعتدال فى المجتمع. ونفس الشيء يحدث لمن هو قوى الكفاءة، فهو يتشرف بفضائله، ويظن أن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال كان عملا بسيطا مبتذلا على رجل مثله، ولا يستحق معرفة حقيقته، فأفرط فى حد حق الوسطية. وأما من هو ضعيف الكفاءة، فهو بقلة أهليته ينقصه تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال عمليا، كما أنه بسخافة خلقه لا يحاول معرفة حقيقته علميا، فقد فرط فى حد الوسطية. وهكذا كان الإفراط من قوى الكفاءة والتفريط من ضعيفها يؤدى إلى فقدان حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال بإظهاره بين عوام الناس. وأما منهاج الوسطية والاعتدال كطريق الحق لا يستغنى عنه الإنسان فى إرشاد حياته الواقعية وإصلاح شؤونه الاجتماعية، فإنه لم يحاسب الناس أنفسهم علميا وعمليا، فوقعوا فى مشاكل الإفراط والتفريط عند تطبيق هذا المنهاج المثالى.^{١٣٩}

وأما مناسبة الفصل الرابع هذا للفصول القادمة، فقد تناولها " هُو بينغ زُون " من أجل

١٣٩- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، ليركا هونغ، الصفحة ١٥١.
١٤٠- هُو بينغ زُون: عاش (١٢٥٠م - ١٣٣٣م)، وهو عالم ترويض وأديب مشهور كان يعمل بطول حياته على البحث والدراسة فى فكرة العلامة جوشي العقلية وعلى الإثبات والدعوة لها. انظر: الصفحة ٥٥٠، موسوعة الفلسفة الصينية، دار للطباعة الموسوعة بكينغهاى، ورئيس التحرير جيانغ دى ليان، سنة ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.

كشف المناسبات بعضها ببعض حيث قال: " هذا الفصل ينقسم إلى قسمين: القسم الأول يتحدث عن صعوبة إجراء منهاج الوسطية والاعتدال في المجتمع، والقسم الثاني يتناول عدم إظهار حقيقته فيه. فنسق المؤلف في هذه المناسبة كلام الملك الحكيم ' شون ' في الفصل السادس باعتباره قدوة حسنة في بيان تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال؛ كما ورد الحديث في الفصل الثامن حول صلاحية التلميذ الأفضل لكونفوشيوس ' يَان هُوِي ' ومثابرتة على منهاج الوسطية والاعتدال وزهده في حياته المادية في سبيل إكمال طريق الحق، نموذجاً مثالياً في كشف إظهار منهاج الوسطية والاعتدال. وأيضاً ناقش المؤلف صلب الموضوع في الفصول السادس والثامن والعاشر يتحدث عن معاني العلم والرحمة والشجاعة المثالية، وكان الفصل الرابع كمقدمة تمهيدية لهذه الفصول الثلاثة المتتالية.

وقد كشف المؤلف من خلال مناسباتها بعضها ببعض أنه إفراط العاقل يرجع إلى الغرور بنفسه ذكاء، حتى يستكبر على بساطة منهاج الوسطية والاعتدال، فهو رجل ناقص الرحمة خلقياً؛ وكذلك قوئ الكفاءة كان إفراطه يرجع إلى الغرور بنفسه ويسبب إلى نفسه الفضيلة، حتى يستخف بعلم حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، فهو غير عارف بالعلم الحق؛ وأما بليد العقل وكذلك ضعيف الكفاءة الذي مر ذكره في النص، فهم يكتفون بتقصيرهم في منهاج الوسطية والاعتدال علمياً وعملياً، ولا يشجعون أنفسهم على طلب معرفة العلم الحق، ولا يقدمون على كسب كيفية العمل الصحيح، فهم غير أهل للشجاعة والمروءة أيضاً. " ١٤١

第五章

原文：子曰：“道其不行矣夫！”

今译：孔子说：“中庸之道恐怕很难在世上实行啊！”

الفصل الخامس

التمهيد:

إنّ منهاج الوسطية والاعتدال باعتباره طريق الحق بين وواضح، وهو ليس ببعيد عن الناس وحياتهم الواقعية، بل كانوا يباعدون بينه وبين أنفسهم بإفراط أو تفريط فيه. كما أنّه لا يوجد من الإنسان إلّا وهو يأكل ويشرب حاجة وطبعاً، ولكن قليل منهم يستطيع أن يعرف ويميّز حقيقة نوق ما يأكل ويشرب. فهذا المثل يصوّر لنا فقدان المعرفة الحقيقية لديه، وهو فقدانهم معرفة منهاج الوسطية والاعتدال، حتى يصعب عليهم تطبيقه في حياتهم الواقعية كما ينبغي له أن يكون عليه، وهذه هي المبادئ الواردة في الفصل الرابع كما بيناه فيما سبق. ونجد في هذا الفصل نداءات كونفوشيوس وتوجيهاته للناس نحو الالتزام بمنهاج الوسطية والاعتدال، كما حزن وتأسف على من تأخر عن فهم المنهاج وتطبيقه عملياً في حياته.

النص :

قال الأستاذ كونفوشيوس: " عسى أن يصعب تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في

المجتمع ! "

الشرح :

قال العلامة المجدّد "جو شي" في شرح هذه العبارة " لأن مبادئ منهاج الوسطية والاعتدال كانت غير مفهومة حقّ فهمها عند الناس، فقد أصبح تطبيقه صعباً عليهم. " ^{١٢} وكان

١٢٦- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الفصل ٥ الصفحة ١٧.

"تشين تشون" وهو تلميذ لـ "جو شي" قد بين هذا النص بأبسط تعبير حيث قال: "إنما يصعب على الناس أن يطبقوا منهاج الوسطية والاعتدال في حياتهم الواقعية، وكان السبب في ذلك يرجع إلى عدم معرفة حقيقته." ١٤٢

والجدير بالذكر هنا على وجه الخصوص أن نداء كونفوشيوس وإيراد المؤلف كلامه هذا في هذا الفصل ليس من باب اللبس وفقدان الرجاء والأمل في الناس، حيث إنهم ابتعدوا عن طريق الحق، بل كان ينادى ترجيا وترخما لإرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع، فيقدم المؤلف القراء في الفصول التالية قدوة حسنة للعلم الحق من الملك الحكيم "شون" ونمونا مثاليا للعمل الكامل من التلميذ الأفضل لكونفوشيوس "يان هوى"، كما بين للقراء في الفصول التالية حقائق العلم والرحمة والتشجاعة التي أسس عليها مبادئ منهاج الوسطية والاعتدال تعليميا وتربيا للناس جميعا.

١٤٣- الشرح النقطي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٥٣.

第六章

原文：子曰：“舜其大知也与！舜好问而好察迩言，隐恶而扬善，执其两端，用其中于民，其斯以为舜乎！”

今译：孔子说：“舜真是算得上具备大智慧的人啊！他能虚心地向人请教，即使浅近的话也必认真体察。听到不合理的恶言便隐藏起来，听到合理的的善言便加以宣扬。他能把握事物的两个极端，而用其中道施与老百姓。由于舜能吸收天下人的智慧变成自己的智慧，所以舜就能成其为舜了！”

الفصل السادس

التمهيد:

بعد أن سجل المؤلف تأسف كونفوشيوس لصعوبة تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في المجتمع، وفقدان الناس معرفة حقيقته في الفصل السابق، قدّم لنا المؤلف في هذا الفصل شخصية مثالية من الملوك الحكماء القدامى في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال كاملاً، وهو الملك الحكيم "شون"، كقدوة حسنة ونموذجاً في تطبيق هذا المثل الأعلى في الحياة الواقعية، وأنه قد جمع بين العلم للصابق والخلق العظيم في الكونفوشيوسية، كما كشف هذا الفصل أيضاً أسباب النجاح العلمية والعملية، وصوّر لنا أن الملك الحكيم "شون" كان يارعا في السؤال والاستفادة من الآراء البسيطة، وأميناً في إخفاء الآراء السيئة وإظهار النصائح الحسنة، وكان صاحب عزم وإرادة في اتخاذ الرأي وتقريره بلا إفراط ولا تفريط، مع اعتصامه بمنهاج الوسطية والاعتدال، وسنسلط الأضواء على شخصية الملك الحكيم المثالية فيما يلي.

النص :

قال كونفوشيوس: " ما أعظم الملك 'شون' بعلمه وحكمته ! إنه يحب أن يطلب النصيحة من غيره، ويسمع إلى الناس تواضعاً، ويحب أن يتفكر في الكلام المسموع ويتدبر في الرأي المعروض، وإن كان الرأي المعروض بسيطاً وعادياً. وإذا سمع قولاً سيئاً سكّت عنه وأخفاه؛

وإن حصل على كلام طيّب أعلنه ودعا الناس إليه. وكان يتأمل في أموره الإدارية من كل جوانبها حتى يتمسك بأوسطها دون إفراط ولا تفريط بين طرفيها، ثم يطبقه في رعاية الشعوب وسياسة البلاد. ها هو 'شون' أصبح ملكا حكيما يجمع بين العلم الصادق والخلق العظيم !

الشرح :

قال العلامة "جوشي" في شرح معاني هذا الفصل: "إنما الملك 'شون' وصف بأنه حكيم ذو علم صادق؛ لأنه لا يستكبر برأيه، بل يستمع إلى نصائح الآخرين وآراء الجمهور، ثم يتخذ أوسطها. والمراد بالرأي البسيط هنا في النص هو القول البين والاقتراح السهل، فبدل ذلك على أن الملك الحكيم 'شون' لم يستخف بأى نصيحة من الناصحين من الناس؛ يستمع إلى نصيح أتباعه ولو كان يسيرا، ثم يرجع ويفكر في مضمونه وحكمه، ويستخرج القوائد منه، حتى يمكنه أن يحصل على كل حسنة وخير من الآراء والاقتراحات الموجهة إليه، وقضلا عن تلك فباله إذا سمع كلاما سيئا أو رأيا غير مرضي، سكت عنه ولا يظهره أمام الناس، وإن حصل على قول طيب أو اقتراح صالح، أعلنه ولا يستره أبدا، حتى يستفيد منه الناس. فهو بفضل سماحته وصراحته في القول وعدم الاستبداد برأيه يعامل الناس على حد سواء، وإذا كان الأمر كذلك، فمن لا يحب أن يقدمه رأيا مفيدا ونصيحة حسنة ؟ أما الكلمة الواردة في النص "من طرفين"، المراد بها الإفراط الأشد والتفريط الأبلغ في الآراء والنظريات المختلفة، فإن لكل شيء من جنسيته طرفان متضادان من حيث الكمية والنوعية، مثل صفة الكثرة والقلة، والقلل والخفة، والرقرة والسفكة إلخ، وإن كانت الآراء حسنة مفيدة يتوسط الملك الحكيم "شون" بين طرفيها الأعلى والأدنى حتى يتخذ ويتمسك بأوسطها، ثم يطبقه مراعيًا لمصالح الشعوب وسياسة الدولة، ويفضل اختياره المتوسط بعد التأمل والتكيف، يمكنه أن يطبق منهاج الوسطية والاعتدال كما ينبغي له أن يكون عليه، وهذا هو العلم الصادق الخالص من الإفراط والتفريط، ويفضله يعمل بمنهاج الوسطية والاعتدال ظاهرا وجليا." ١٤٤

١٤٤ - الشرح الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب اوسطية والاعتدال، جوشي، الفصل السادس الصفحة ٥.

وعلى أساس قراءتنا لنصّ هذا الفصل مع شرح العلامة " جو شى " له، يمكن أن نستنتج
الأمياليب التالية من نجاح الملك الحكيم " شون " فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال فى أرجاء
بلاد الصين وقتئذ كما يلى:

والأول: أنّ الملك الحكيم " شون " بارع فى السؤال ومستفيد من الآراء البسيطة، وهو يحبّ
أن يستشير رعيته متواضعا، ويستمع إلى النصائح مصغيا، حتى يجمع آراء الجماهير الصائبة،
ويستفيد من الحكمة والدهاء منها. والجدير بالذكر أنّ الملك الحكيم " شون " كان لا يستخف بأى
رأى أو اقتراح ولو كان بسيطا، بل يدرسه من كل ناحية، ويترصد فيه الجوانب الإيجابية والسلبية
لكى يتمكن من كسب القدرة فى التمييز بين الحق والباطل، ويزيد له الكفاءة فى إدارة أمور البلاد
ورعاية شؤون الرعية.

والأمر الثانى من أسباب النجاح للملك الحكيم " شون "، إخفاء الآراء السيئة وإظهار
النصائح الحسنة، وإذا سمع كلمة طيبة أعلنها، ودعا الناس إليها، وإن حصل على قول سيئ سكّ
عنه ولا يظهره أمام الناس؛ حتى يشجّع العقلاء من قومه فى تقديم النصيحة والاقتراح عليه
بحماسة، ويرغب الجهلاء منهم فى إبداء رأى بصراحة، فيستمع إلى الآراء والمقترحات من
جوانب شتى إيجابا وسلبا عن طبقات المجتمع المختلفة، لكى يعرف جميع الحاجات والمصالح من
أبناء المجتمع، وكلهم على السواء عدّه.

والسبب الثالث: هو اتخاذ الرأى وتقريره بلا إفراط ولا تفريط، وإدراك الملك الحكيم " شون "
مغزى الطرفين من الأسباب الإيجابية والأسباب السلبية، ثم يأخذ أوسطه لمصلحة رعيته،
وكان بعد استماع النصائح وتقليب الآراء بالتأمل والتدبّر فيها إيجابا وسلبا، يتخذ طريقا وسطا،
ويقتصد فى تقرير رأيه، ويطبقه فى سياسة البلاد مراعاة لجميع مصالح طبقات المجتمع بلا
إفراط ولا تفريط، ويعمل بمناجى الوسطية والاعتدال فى إرشاد الجماهير والمجتمع.

ها هو الملك الحكيم " شون " شخصية مثالية فى الحرص على استماع النصيحة والمشورة،
والتزود بالخبرة والاطلاع، وهو واسع الصدر كثير السماحة، جتمع بين العلم الصادق والخلق

العظيم، وكان قدوة حسنة في إظهار حقيقة منهج الوسطية والاعتدال وتطبيقه العملي لهذا
المنهج الوسطي، كما يسعى وراءه المؤلف "تس سي" وعلماء الكونفوشيوسية تاريخيا وواقعيا.

第七章

原文:子曰:“人皆曰予知,驱而纳诸罟获陷阱之中,而莫知辟也。

人皆曰予知,择乎中庸,而不能期月守也。”

今译:孔子说:“人们都说:我是明智的,但是如果将他驱赶到祸机四伏的罗网、木笼或陷阱中去,而不知道如何躲避。人们都说:我是明智的,但是选择了中庸之道,却不能谨守一个月的时间。”

الفصل السابع

التمهيد:

بعد بيان العلم الصادق للملك الحكيم "شون" في الفصل السابق، وكشف أسباب نجاحه في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، واتخاذ كأسوة حسنة للناس من الملوك الحكماء المتقدمين ترغيباً وتشجيعاً على الاقتداء به في الحكمة ومكارم الأخلاق، وقد أشار المؤلف "تم سي" في هذا الفصل بأسلوب التشبيه ترهيباً وموعظة لمن يعتز بنفسه ويغرق في شهواته، ثم يدعى لنفسه الحكمة والذكاء، وهو في الحقيقة بعيد عن العلم اليقين، وقليل الصبر والهمة عن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال.

فكثير من الناس يزعم الذكاء لنفسه وسعة العلم فخراً وتكبراً، ولكنه إذا خدعه أحد وأغواه بالخطر والهلاك بالجاه والمال... إلخ، فمن النادر أن يبعد نفسه عن الوقوع في مثل هذه الخديعة والغرور، وهو يعرف أضرارها وأخطارها بشكل واضح. مثله مثل الذي يزعم أنه يتهدى بمنهاج الوسطية والاعتدال، ولكنه إذا غرته نفسه وشهواته، فهو فقد صبره في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، ولا يواظب عليه ولو لمدة قليلة. وهكذا قد كشف المؤلف جهل الإنسان بعدم العلم اليقيني نظرياً وقلة صبره تطبيقياً.

النص:

قال الأستاذ : " ما من أحد إلا وهو يدعى دائما أنني عارف وعاقل، ولكنه إن غره الآخر بحيلة ومكيدة كما يكرر الصياد بصيده بحباله وشبكته، فقد انخدع بهذا الغرور، وأوقع نفسه في الخطر والهلاك، وهو لا يعرف ولا يعقل كيف يجتنب نفسه منه. وما من أحد إلا هو يدعى دائما أنه عارف وعاقل، ولما اختار منهاج الوسطية والاعتدال هدى ورشدا فما استطاع أن يصير على تطبيقه شهرا أو بعضه".

الشرح:

قال العلامة " جو شي" في شرح مقاصد هذا الفصل: " التوسط بين الطرفين الإيجابي والسلبي، وتمييز الحق من الباطل، والسعى في تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال، وكل هذه هي الأهداف المذكورة في الفصل السابق (الفصل السادس) أي من حسن السؤال وحب النصيحة (عند الملك الحكيم " شون ") في سبيل تمسكه بأوسط الأمور في رعاية شعوبه. وأما في هذا الفصل، فيبين أن الإنسان يدرك بنفسه أنه معرض لغرور الشهوات والأهواء، ومع ذلك يصعب عليه أن يقي نفسه من الوقوع فيها، وكما كان الإنسان يستطيع أن يختار المنهاج الوسطي اهتداءً به، ولكنه يعجز عن المثابرة على تطبيقه على صورة الدوام. وكلتا الحالتين ترجع إلى فقدان الإنسان علم اليقيني ومعرفة حقيقة الوسطية والاعتدال." ١٤٥

من النص مع شرحه للعلامة " جو شي " نستفيد أن منهاج الوسطية والاعتدال باعتباره المعيار الأعلى في الكونفوشيوسية نظريًا وعمليًا، مع التركيز على قيمته التطبيقية، فهو يحتاج إلى تمسك الإنسان به دائمًا، والمثابرة عليه في كل أوقات حياته، وهذا الفصل يبين المؤلف بأسلوب التشبيه أن الإنسان يدعى بأنه يتمتع بالعقل والتمكن، ولكنه في الحقيقة جاهل وعاجز؛ لأنه لو سقط في شبكة أو فخ أحاط به فيها الخطر والهول لما عرف كيف يجنب نفسه ذلك ولا يستطيع أن يتجنب البلاء والمصيبة التي تواجهه؛ لأنهم ما أدركوا ماذا يحيط بهم، وهذا كمن لا

١٤٥- الشرح الجملع للكتب الأربعة، قسم كتاب اوسطية والاعتدال، جو شي، الفصل ٦ الصفحة ٥.

يصبر على تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال ولو شهرا واحدا. وقد أشار العلامة " جو شى " إلى أهم الأسباب فى هذه القضية، وذلك لأن الإنسان لا يعرف منهاج الوسطية والاعتدال حق المعرفة ولا يفهمه حق الفهم، ولأنه لا يقف عليه وقفا حقيقيا، فلا يكون له موقفا ثابتا منه، ولا يكون مستقرا عليه، وإن الموقف الثابت لا يأتى إلا بعلم يقين. فلذلك من ليس له علم يقين ومعرفة حقيقية لمنهاج الوسطية والاعتدال فلا يستطيع أن يثابر على التمسك به وقفا طويلا؛ فلذا جاء الفصل السابق بنموذج الملك الحكيم " شون " فى معرفته لمنهاج الوسطية والاعتدال معرفة حقيقية، وليس من الغرابة أن الملك الحكيم " شون " عظيم الحكمة والعقل وكامل الخلق والفضيلة وقد كان يقف على منهاج الوسطية والاعتدال وقفا حقيقيا؛ لذا يمكنه أن يتمسك به بلا انقطاع ويثابر عليه دائما.

ولقد كشف العالم الكونفوشيوسى " يانغ شينغ آن " ^{٤٦} سر المناسبات فى هذه الفصول المتتالية من الفصل الخامس إلى الفصل السابع إرشادا وإفادة للقراء قائلا: " أورد المؤلف فى الفصل الخامس قول الأستاذ كونفوشيوس ' عسى منهاج الوسطية والاعتدال يصعب تطبيقه فى المجتمع،' متأسفا على فقدان الناس معرفة حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال من أجل التنبيه و الموعظة، ثم أعقبه فى الفصل التالى بتمثيل العلم اليقين للملك الحكيم " شون " كقدوة حسنة تشجعا للناس فى الاقتداء به، وبعد ذلك أورد قول الأستاذ كونفوشيوس: " ما من أحد إلا وهو يدعى بانى عارف وعاقل فى الفصل السابع الذى عالجه الآن، متعجبا معجز الناس عن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، وفيه مزيد من تنبيههم و دعوتهم إلى التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال والاهتداء به، ثم قرن الفصل السابع بالفصل القادم بذكر التلميذ الأفضل للأستاذ كونفوشيوس " يان هوى"، وتطبيقه المخلص لمنهاج الوسطية والاعتدال، وذكره كأموة نموذجية

١٤٦- يانغ شينغ آن : عاش (١٤٨٨م - ١٥٩٩م) فى عهد مينغ، وكان فيلسوفا، عالما سياسيا و ابنيا مشهورا فى عهده، انظر إلى الصفحة ٥٥٠، مجموعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعية بشانغهاي، ورئيس التحرير جيانغ دى نون، سنة ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.

أخرى بعد الملك الحكيم" شون " ترغيبا لامتنال الناس به. وكلّ هذا من التنبيه والترغيب،
والنأسف والتعجب يدل على أن المؤلف قد بذل فيه أقصى جهوده في إرشاد الناس إلى معرفة
حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال وتطبيقه على الدوام والعمل به على أحسن صورة.^{١٤٧}

١٤٧- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، أس. كا خونغ، للصفحة ٢٥٨.

第八章

原文：子曰：“回之为人也，择乎中庸，得一善，则拳拳服膺，而弗失之也！”

今译：孔子说：“颜回做人处世，能审察选择中庸，如果领悟到中庸的一个道理，就牢记在心，不让它失去了！”

الفصل الثامن

التمهيد:

في هذا الفصل أورد المؤلف "تس سي" ثناء أستاذه كونفوشيوس على أفضل تلاميذه "يان هوى" مدحا على علمه اليقيني في منهاج الوسطية والاعتدال وثناءا على صبره الجميل في تطبيقه ومداومته عليه.

النص:

قال الأستاذ: "ومن بين تلاميذى إنما ميزة شخصية 'يان هوى'^{٤٨} يختار منهاج الوسطية والاعتدال ويطبقه في تهذيبه النفسى وتركيبته الذاتية، ويعمل به في معاملة الآخرين بالتأمل والتحفظ ولما فهم الحسنة والفضيلة اعتصم بها، وثبتها واحتفظ بها في أعماق قلبه متممكا بها، ولن يتخلى عنها أبدا."

الشرح:

قال "تشينغ فاو" في بيان أفضلية "يان هوى" العلمية والعملية: "إن السيد 'يان هوى' اختار وطبق منهاج الوسطية والاعتدال، ويعتصم به في كل أمورهِ الفردية والاجتماعية، ويدوم عليه بالصبر الجميل والعزم الثابت. وأما الآخرون فلا يستطيعون أن يواظبوا على تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال دون شهرة؛ لأنهم لم يدركوه إدراكا حقيقيا، ولم يعلموه علما يقينا، وإن السيد

١٤٨- ارجع بتعريفه إلى صفحة ٥٠ في الفصل الأول لهذه الرسالة.

'يان هوى' اعتصم به ويثبت في صدره، فلن يتخلى عنه أبداً؛ لأن له علم يقين على منهاج

الوسطية والاعتدال، وهذه هي أفضليته التي لا يماثله فيها أحد غيره.^{١٤٩}

وقد شرح العلامة "جو شى" هذا الفصل بأفصح العبارة، وقال: "إن علم السيد 'يان هوى' هو العلم الصادق مصحوباً باليقين، فاستطاع أن يختار به منهاج الوسطية والاعتدال، وثابر على تطبيقه بالصبر، وقد بلغ تطبيقه العملى قمة الكمال والإبداع، فكان علمه الصادق اليقيني هو العلة الأساسية للنجاح فى تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال مدى طويلاً بلا إفراط ولا تفريط، وإظهار طريق الحق واضحاً وبيّناً".^{١٥٠}

وكما بيّنا فى الفصل السابق أن الأستاذ كونفوشيوس قد أبدى تأسفه على نقصان الناس من ناحية المعرفة الحقيقية والإدراك اليقيني لمنهاج الوسطية والاعتدال، وقلة صبرهم وعزمهم على التطبيق والمداومة عليه طويلاً الأجل، وفى هذا الفصل أورد المؤلف مدح كونفوشيوس لتلميذه الأفضل "يان هوى" مثلاً نموذجياً فى اختياره منهاج الوسطية والاعتدال وتطبيقه المثابرة عليه. وفى هذا النص يرى كونفوشيوس أن فى كل أمر حقيقة التوسط، ولكن الناس لا يدركونها، وهناك من يتأمل فيها ويدركها ولكن لا يقدر على أن يثابر على التمسك بها، وإنما يتفكر "يان هوى" بدقة فى أموره اليومية ويدرك حقيقة التوسط فيها، طالما عرف واستوعب واحدة من حقيقة التوسط، أثبتتها فى صدره ويطبقها فى واقع حياته بجدية وإهتمام، وفضلاً عن ذلك حافظ عليها بعزم لا يتزعزع به، ولا يتركها فى أية حالة من حالات حياته، وقد مدح الأستاذ كونفوشيوس هذا التلميذ غير مزة، وكان يمدح عزمه على طريق الحق وقال: "إن 'يان هوى' لا يخالف فكرة الرحمة إطلاقاً ثلاثة أشهر متتالية، أما الباقون من تلاميذى فمنهم من يتمسك بها يوماً واحداً ثم يخالفها، ومنهم من يواصل سيرة شهراً واحداً، ثم يخالفها بعد ذلك، ولا يثابر عليها أحد غيره أكثر من ذلك".^{١٥١}

١٤٩- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال: لى كا خونغ، الصفحة ١٥٩.

١٥٠- الشرح الجامع للكتب الأربعة: قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شى، الصفحة ٥.

١٥١- كتاب الحزاز، الفصل السابع، الصفحة ٧٨.

وهذا إدراك جيد من كونفوشيوس لطبيعة الإنسان، وضيقة الالتزام بالمناهج الأخلاقية، وأن المخالفة لبعض الوقت لا تعنى سقوط الإنسان وعجزه عن التطبيق، وإنه كان يلزمه التصويب وحسن المتابعة حتى يضيق على سوء الخلق كل طريق.

وكان السيد "يان هوى" يدرج على رأس اثنين وسبعين تلميذا ملتزما لكونفوشيوس، وقد صاحب أستاذه في السفر إلى الإمارات المختلفة لينشر نظريته - سياسة الرحمة - بين الأمراء والرؤساء وقتئذ، وتحمل المصاعب والويلات أثناء السفر، وقد استغرقت هذه الرحلة أربع عشرة سنة، وكان "يان هوى" أتبع أستاذه بثبات واطراد بينما شك بعض التلاميذ في مذهبه الفكري وغادره آخرون، كما أن "يان هوى" اشتهر بالتقشف والزهد بين زملائه، فأتى عليه الأستاذ كونفوشيوس في كتاب الحوار، فقال: "ما أصلح 'هوى' ! وليس عنده إلا سُليلة من الطعام ونصف جرعة من الشراب، وهو يقطع بها، ولكن الناس لا يقدرّون على الصبر والتحمل مع هذا التقشف والزهد، ومع ذلك نجد أنّ الفقر لم يؤثر في "هوى" ولم يغير عزمه ولم ينقص سيره على طريق الحق رضا وسرورا، ما أصلح 'هوى' ! " ١٥٢

第九章

原文: 子曰: “天下国家可均也, 爵禄可辞也, 白刃可蹈也, 中庸不可能也。”

今译: 孔子说: “天下国家是可以平定治理的, 爵位和俸禄是可以推辞的, 利刃是可以踩踏的, 但中庸是很难做到的。”

الفصل التاسع

التمهيد:

تحدث المؤلف "تس سي" في هذا الفصل عن الأمور الثلاثة العظيمة التي يصعب على الإنسان تحقيقها وتنفيذها، وهي: الأول سياسة الدولة بالحكمة والكفاءة وتحقيق الاستقرار والأمن فيها. والثاني رفض المناصب الشريفة والرواتب العالية في سبيل التعفف والتزهد، والثالث وطء حد السيف مشياً عليه بشجاعة ومروءة (مجازاً عن التضحية بنفسه بدون خوف الموت) من أجل تحقيق فكرة الرحمة والعدل.

فهذه هي المبادئ الثلاثة العظيمة، غير أنها صعبة المنال على الإنسان، ولكن يمكن لمن يتأهل من أصحاب الكفاءة والقدرة أن يحققها ويتمها، ويرى "تس سي" أن الصعوبة لهذه الثلاثة ليس بأكثر من صعوبة تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال وإكماله، مع أنه حقيقة عامة وبصفته الشمولية يمكن للإنسان أن يفهمه ويعرفه بدون صعوبة، فإن الإنسان ليس بمقدوره أن يحققه ويطبقه لزم من طويل المدى إلا نادراً.

وفي نظر الأستاذ كونفوشيوس فإنما الملك الحكيم "شون" قد وصل إلى هذه المرتبة، كما أن تلميذه الأفضل "يان هوى" يواصل تطبيقه لمدة ثلاثة أشهر فقط، لأن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال هو جهاد النفس يومياً، فيحتاج الإنسان إلى تحقيق التهرب الذاتي والتزكي النفسية، ويلزمه أن يكافح الأهواء والشهوات، ويتغلب عليها في كل الأوقات في حياته، ويتمسك في أموره

اليومية بمنهاج الوسطية والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط فيها، ومن أجل الوصول إلى هذه الدرجة الأخلاقية والهدف النبيل يحتاج الإنسان إلى بذل الجهد المتواصل طوال حياته.

النص:

قال الأستاذ: "إن البلاد وما تحت السموات يمكن أن تخكم وتستقر، وإن المناصب والرتب العالية يمكن أن ترفض وترد، وإن حد السكين والسيف الحاد يمكن أن يوطأ ويداس، ولكن منهاج الوسطية والاعتدال هو أصعب الأمور من حيث التحقيق والثبات عليه إلى مدة أطول."

الشرح:

قال "جانغ جو جينغ" ^{١٥٣} في تعليقه لهذا النص قائلا: "إن الدولة شؤونها متنوعة ومعقدة، والمجتمع مجموعة من الأجناس وأخلاق من الناس، فسياسة الدولة وإقرار المجتمع مسؤولية كبيرة عظيمة، ولكن من يتمتع بأهلية الذكاء وصفاء الحكمة، يمكن أن يتحمل هذه المسؤولية العظيمة. وإن المناصب المرموقة والرواتب العالية هي التي يرغب فيها الإنسان، فتركها والتعفف عنها أمر في غاية الصعوبة، ولكن الذي يتصف بالعفة والرحمة، فهو يقدر على رفض هذه المكانة المرغوبة. وإن السيف حده قاطع ومخيف، يهلك حياة الإنسان، فالجراحة على حد السيف ومقاومته بالحياة أمر خطير، ولكن الذي يتصف بالمروءة وصفة الشجاعة، يستطيع أن يقف أمام السيف القاطع بدون الخوف والقلق، وذلك ليس بنادر الأمثال." ^{١٥٤}

وإن سياسة البلاد تحتاج إلى الحكمة والعقل، ورفض المناصب الشريفة والرتب العالية في حالة تعارضها مع طريق الحق يحتاج إلى الأخلاق الحميدة، والمشي على حدة السيف يحتاج إلى الشجاعة والمروءة. وهذه الأخلاق الثلاثة من الحكمة والرحمة والشجاعة عند الكونفوشيوسية

١٥٣- "جانغ جو جينغ"، عاشر ١٥٢٥م - ١٥٨٢م عالم كونفوشيوس وسياسي كبير في عهد مينغ، له الكتاب "الشرح والتعليق لكتاب الحار وكتاب الوسطية والاعتدال"، انظر إلى الصفحة ٥٥٧، موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعية بشانغهاي، ورئيس التحرير جانغ دي تيان، سنة ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.
١٥٤- الشرح والتعليق لكتاب الحار وكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جو جينغ، الصفحة ٦٥، دار الكتب والمعاجم بشانغهاي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

أخلاق أساسية وكبيرة، ممكن أن يصل الإنسان إليها، غير أنها صعبة جداً في تحقيقها، ولكن بالنسبة إلى الدرجة الصعبة لهذه الثلاثة في نظر المؤلف "تس سي"، كان منهاج الوسطية والاعتدال أكثر صعوبة على الإنسان بتطبيقه، مع أنه حقيقة بسيطة وسهلة للفهم، ولم يصل إليه إلا الفادر من الناس كالملك الحكيم "شون" والتلميذ الأفضل "يان يوان" عند الكونفوشيوسية، وإنهما قدوة حسنة للناس في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال علمياً وعملياً.

وكشف العلامة "جو شي" مقاصد هذا النص وقال: "هذه الأمور الثلاثة تقتل عموماً قضايا الحكمة والرحمة والشجاعة، وهي من الأمور صعب تحقيقها وتنفيذها في حياة الإنسان، وإن حققها بعض الناس، فيمكن أن لا يوافق فيها مطالب منهاج الوسطية والاعتدال. وهذه الأمور الثلاثة يمكن أن يحققها صاحب الحكمة والرحمة والشجاعة في مدة معينة إن بذلوا جهودهم بجد واجتهاد، أما منهاج الوسطية والاعتدال فهو أصعب منها حيث إنه يطلب من الإنسان تطبيقه في أموره اليومية كلها طول حياته، وهذا يبدو أنه لا يكون عسيراً كالأمور الثلاثة المذكورة، ولكنه إن يبلغ فيه حد الوسطية والاعتدال إلا أصحاب العزم والإرادة الذين يتصفون بالرحمة، ويتركون أنفسهم من الأهواء والشهوات تركية تامة." ١٥٥

وقد ألحق "جيانغ داي" ١٥٦ نقطة مهمة في شرح العلماء السالفين لهذه العبارات، وتحدث عن صعوبة تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال من ناحية موضوعه المنهجي الأخلاقي، حيث قال: "صعوبة تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال تعني استحالة تطبيقه بالقوة الجسدية، وإلا لا يعتبر أعلى الأخلاق الفضيلة، وإن الإفراط مثل التفريط، كل شيء زاد عن حده، انقلب إلى ضده، فمنهاج الوسطية والاعتدال يطلب إلا يزيد شبراً فيفراط، ولا ينقص خطوة فيفراط، بل يتخذ ما بين الطرفين فهو يحتاج إلى الضبط والإحكام." ١٥٧

١٥٥- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، الصفحة ٦، دار الكتب "تس سي" الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٢م.
١٥٦- "جيانغ داي" : عالم كونفوشيوس وأديب، عاش ١٥٩٧م- ١٦٧٩م في نهاية عهد مينغ (١٣٦٨م- ١٦٤٤م) وبداية عهد تشينغ (١٦٤٤م- ١٩١١م). انظر: موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعية بكينغ، ورئيس التحرير جيانغ داي تيان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٠م.

١٥٧- انظر: الشرح القلبي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٦٢.

ومن هذه الشروح القيمة نفهم النقطتين المهمتين في صعوبة تطبيق وتحقيق منهاج الوسطية والاعتدال على الإنسان :

والنقطة الأولى هي: إن منهاج الوسطية والاعتدال يحتاج الإنسان إلى تطبيقه في كل أمر من أموره اليومية وفي كل وقت من أوقات الحياة، وهو يتمثل في شؤونه العامة المختلفة فردياً واجتماعياً والإنسان لا يستطيع أن يثابر على التمسك المتواصل به طول حياته.

النقطة الثانية هي: من ناحية موضوعه التطبيقيّ المنهجيّ يستحيل على الإنسان أن يحقق التوسط في كل أموره اليومية دون الإفراط أو التفريط فيها، وأن لا يتجاوز حدّ منهاج الوسطية والاعتدال فيها، وهذه هي الأسباب التي لا يقدر على إكمالها إلا قليل من أولى العزم والإرادة الذين يتصفون بـ " الرحمة ".

第十章

原文：子路问强。子曰：“南方之强与？北方之强与？抑而强与？宽柔以教，不报无道，南方之强与，君子居之。衽金革，死而不厌，北方之强也，而强者居之。故君子和而不流，强哉矫！中立而不倚，强哉矫！国有道，不变塞焉，强哉矫！国无道，至死不变，强哉矫！”

今译：子路问孔子：“怎样才算是强呢？孔子回答说：“你问的是南方的强呢，还是北方的强呢？或者是你自己的强呢？用宽容柔顺的方法教化人，不报复对自己蛮横无理的人，这是南方的强，君子拿这种忠厚、宽容的道来指导自己的行动。用武器甲冑当卧席，即使战死也毫不惧怕，这是北方的强。北方的强者拿这种强力胜人的道来指导自己的行动，所以君子对大家和蔼可亲而又不失之于流俗，岂不可算是矫强吗？中立而不偏倚，岂不可算是矫强吗？处在国家政清明的时候，不改变显达以前的操守，岂不可算是矫强吗？处在国家政黑暗的时候，至死不变平生的志愿，岂不可算是矫强吗？”

الفصل العاشر

التمهيد:

فى هذا الفصل ظهر تلميذ آخر للأستاذ كونفوشيوس، وقد كان معروفا ببسالته وشجاعته بين التلاميذ الآخرين، وهو " تس لو". وعندما سمع مدح الأستاذ لزميله " يان يوان " بمثابرته على منهاج الوسطية والاعتدال وعلى تمسكه بطريق الحق بلا انقطاع ولا ترزعزع جاء " تس لو" إلى أستاذه يسأله عن ماهية القوة الحقيقية أو الشجاعة الكاملة التى ترافق منهاج الوسطية والاعتدال. وفى هذا النص قد حُلّل الأستاذ لتلميذه " تس لو " معنى القوة الحقيقية والشجاعة الكاملة بمعنى الكلمة عند الرجل الفاضل، وبين صفات مختلفة بين من يتمتع بقوة مثيلة البنية وشدة البأس وبين من يتصف بقوة مثيلة الروح وصلابة الإرادة والعزم عند الرجل الفاضل، كما حث فيه

الأستاذ "تسى لو" على أن يتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال، ويهتذب نفسه بقوة متينة البنية؛ حتى ينجز و يكمل القوة والشجاعة الروحية التي هي من صفة الرجل الفاضل المثالي.

النص:

سأل "تسى لو"^{١٥٨} استاذة كونفوشيوس عن معنى القوي والشجاع، فأجابته وقال: "عن أي نوع من القوي والشجاع تسأل؟ أتريد القوي من أهل جنوب الصين؟ أو القوي من أهل شمال الصين؟ أو القوي الذي ينبغي أن تتمتع به نفسك أنت؟ فإنّ تعليم الناس وتهذيبهم بالسماحة والمرونة وعدم الانتقام ممن يعامله فظاً غليظاً، فهذا هو معنى القوي من أهل جنوب الصين، وكان أصحاب الفضائل الحميدة يتصفون بهذا النوع من القوة. وأما من حمل السلاح واضطجع على نرعه مستعداً للقتال في أي وقت ومواجهة الموت والهلاك في ميدان المعركة بلا خوف ولا قلق، فذلك هو القوي من أهل شمال الصين، وكان أصحاب الشجاعة والبسالة يتمتعون بهذا النوع من القوة ويدعون إليها. وبجانب كل منهما، كان الرجل الفاضل يعامل الناس جميعاً باللطف والوداد، ولكنه لا يتبع شهواتهم الرديئة، ولا يعيش مع القيلر الاجتماعي السخيف، أليس هو القوي الحق والشجاع الكامل؟ ويأخذ دائماً في لموره بأوسطها، ويقتصد في تصرفاته بلا إفراط ولا تفريط، أليس هو القوي الحق والشجاع الكامل؟ وعندما كانت الدولة عائدة سياستها ومستقر مجتمعها، كان الرجل الفاضل إذا حصل على المنصب والشراف، فلم يغير أخلاقه الفاضلة وسلوكه الحسن الذي ثابر أن يعتصم به في عصر خموله، أليس هو القوي الحق والشجاع الكامل؟ وإذا صارت الدولة ظالمة سياستها ومضطرباً مجتمعها، كان الرجل الفاضل لا يبذل سعيه الثابت في طريق الحق خلقياً وسلوكياً، ولا يخاف الموت والهلاك في سبيل الاهتداء إلى طريق الحق والتمسك به، أليس هو القوي الحق والشجاع الكامل؟ !"

١٥٨- "تسى لو" عاش ٥٤٢ ق.م - ٤٨٠ ق.م، وهو من أفضل التلاميذ عند الأستاذ كونفوشيوس، وقد اشتهر بالقوة والشجاعة بين البابليين، وكان ماهراً في الأمور السياسية، وقد ساق لأستاذة عرية خيل وقام بالحرس له خلال طلبه العلم عنده، كما صاحب استاذة كونفوشيوس في سفرته إلى مختلف الممالك لنشر مذهبه السياسي بين أمراءها، وقد تجزء على تنقيذ رأى استاذة وتحلى بالشجاعة والقوة على اعترافه بأخطائه نفسه والتصحيح لها، فقال تقديراً له من الأستاذ كونفوشيوس، وقال فيه: "إن وجهه نظري إذا لا يرفع في البلاد، فسوف أسافر بالرفقة إلى بلاد ما وراء البحار، وفي ذلك الوقت لا أحد معي إلا تلميذي "تسى لو".

الشرح :

قال " تشينغ ملو " فى بيان مقاصد هذا الفصل: " يكشف هذا الفصل حقيقة القوى فى منهاج الوسطية والاعتدال؛ فالقوى فى جنوب الصين لم يبلغ حقيقته، والقوى فى شمال الصين قد بلغ حقيقته. والجنوب هنا المراد به جنوبى الصين وأهله، وكان القوى من أهله وإن لم يبلغ حقيقته فإنه من سجيته اللطيفة والمرنة لا ينتقم ممن يعامله فظاً غليظاً، وهذا لا يضر صفات الرجل الفاضل وأخلاقه. وبجانبه كان القوى من أهل شمال الصين يبلغ فى القوة والجرأة، ويميز بصفات البطل الشجاع. وأما من أصبح ثابت جأشه على أساس منهاج الوسطية والاعتدال فقد حصل على حقيقة القوة والشجاعة التى ينبغى للرجل الفاضل أن يتصف بها. فالكلام فى النص نقول: " كان الرجل الفاضل يعامل الناس جميعاً باللطف والوداد، ولكنه لا يتبع شهواتهم الرديئة، ولا يتمشى مع التيار الاجتماعى السخيف... " وما يعدها من عبارات النص، تتكلم عن مبادئ القوة الحققة وصفات الشجاعة الكاملة التى يحرز بها الرجل الفاضل نفسه خلقياً وسلوكياً.^{١٥٩}

وقد شرح العلامة " جو شى " هذا النص بأدق العبارات الإشارية وقال فى ذلك: " إن عبارة النص ' تعليم الناس وتهذيبهم بالسماحة والمرونة ' تعنى أن يعاملهم بالليونة والموانسة تهذيباً لهم على ما فرطوا. وعبارة النص ' وعدم الانتقام ممن يعامله فظاً غليظاً ' تعنى أنه إذا واجهه الأذى والضرر، قبله بصبره وصلاحيته، وترك الانتقام والإضرار بفاعله. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن جنوب الصين وبيئته كانت تتمتع بالهدوء ورعاية الإنسانية تميل إلى اللطف والليونة، فأصبح أهل الجنوب بهذه الصفة معروفة بأن يغالب الواحد منهم العنف والقهر بصبره وعفوه وهو صاحب القوة والحق، وهذا يوافق ما يدعو إليه الرجل الفاضل المثالى فى الأخلاق والقيم. وأما شمال الصين فكانت بيئته وثقافته تميل إلى الثبات والبسالة، فصار أهل شمال الصين يتصفون بصفة أنهم قد غلبوا على غيرهم بالجرأة، يعتبر هؤلاء بأنهم أصحاب القوة الحق، وذلك يوافق ما يتصف به البطل القوى من الشجاعة والمروءة. وبالنسبة إلى

١٥٩- انظر : القرح اللغوى لكاتب الوسطية والاعتدال، لى كا هولنج، الصفحة ١٦٤.

شخصية الرجل الفاضل المثالية، يبين النص أنه إذا عاش في عصر يتمتع يعدل سياسة الدولة وحصل على والشرف والمناصب، فلم يتجاوز ما كان يثابر عليها في خموله من أخلاقه الفاضلة وسلوكه الحسن، وإذا تحولت الدولة إلى سياسة ظالمة واضطرب مجتمع بظلمه، ظل الرجل الفاضل ثابتا على طريق الحق خلقيا وسلوكيا متمسكا بمنهاج الوسطية والاعتدال؛ لم يتزعزع، ولم يتوان في سيرته، حتى يتغلب على أهواء وميول، ويثابر على الشدائد هذا يعتبر شجاعا وقنوة للآخرين. وهكذا كان الأستاذ كونفوشيوس ينصح تلميذه الحبيب ' تس لو ' موجهها إلى بسالته الخلقية الجسمية ومرغيا لمروءته الخلقية الروحية. " ١٦٠

ويعطينا هذا الفصل فكرة عن الوسطية والاعتدال في القوة والشجاعة عن طريق إجابة الأستاذ كونفوشيوس على سؤال تلميذه " تس لو " فقال الأستاذ: " أي قوة وشجاعة تعني؟ هل تعني القوة التي يتصف بها أهل جنوب الصين؟ أم القوة التي يدعو إليها أهل شمال الصين؟ أم قوة من عند نفسك وأنت تفتخر بها؟ وبذلك يستخدم الأستاذ كونفوشيوس الطريقة الاستنباطية في تدريسه، فلم يجب على سؤال " تس لو " مباشرة، بل يوجهه إلى التفكير في ماهية القوة والصلابة والمقارنة بينها، ثم يفهمه بمهارة وصبر، وحل له المعنى والميزة الخاصة للقوة من أهل جنوب الصين والقوة من أهل شمال الصين، وأخبره أن هذين النوعين من القوة والشجاعة لا تصل إلى القوة التي توافق منهاج الوسطية والاعتدال؛ لأن الأولى أفرط فيها والثانية قد فرط فيها، فكلاهما قد تجاوز الحد لمنهاج الوسطية والاعتدال، فما هي القوة الحقيقية لمفهوم منهاج الوسطية والاعتدال عند كونفوشيوس؟

بعد توضيح الأستاذ كونفوشيوس للنوعين من القوة والشجاعة وأنه لم يوافقا طريق الحق، بين تلميذه أن القوة الحقيقية هي قوة توافق منهاج الوسطية والاعتدال، ولا يمكن أن يتصف بها إلا الرجل الفاضل، وهو يظهر في أربع صور:

١٦٠- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو تشي، الصفحة ٦- ٧.

الأولى: أن الرجل الفاضل يعامل الناس جميعاً بـ " الرحمة " والطفة، ولا يتبع العادات
الرديئة الشائعة في المجتمع، ولا يسير مع التيار السخيف.

والثانية: أنه يعتصم بمنهاج الوسطية والاعتدال لا إفراط ولا تفريط في تصرفاته، بل يتخذ
دائماً أوسط الأمور.

والثالثة: أنه لا يغير مبادئه الأخلاقية وقواعده السلوكية التي يسعى وراءها طول حياته
سواء كان في المناصب العالية ع بأن سياسة البلاد في حالة العدل و الاستقرار و السلامة أو
بعكسه.

والرابعة: أنه ثابت ومثابر على الحق، لا تصرفه حوادث الزمان ولا جور الحكام عن
عزمه على إصلاح الحكومة وأهلها.

第十一章

原文:子曰:“素隐行怪,后世有述焉,吾弗为之矣。君子遵道而行,半途而废,吾弗能己矣。君子依乎中庸,遁世不见知而不悔,唯圣者能之。”

今译:孔子说:“现在有一种人,喜欢追求隐僻不正的道理,好做奇异怪诞的事情。由于能欺世盗名,所以后代还有赞许这种言行的人,我是不做这种事的。君子遵照中庸的大道行事,有人却做到半途竟然废止,我是绝不肯在半途停止的。君子依照中庸的道理去做,假使终身不被世人所了解,也绝不懊悔,只有圣人能够这样做。”

الفصل الحادى عشر

التمهيد:

فى هذا الفصل انتقد كونفوشيوس نوعين من الناس: نقد بأسلوب توبيخى على النوع الأول الذين يحبون الاستقصاء فى الأفكار الخفية الغامضة والإتيان بالسلوكيات الغريبة الشاذة، وهم يظنون أنفسهم على رأس عباقرة انكباء، طمعا فى نيل السمعة والشهرة الدنيوية، وهؤلاء قد خالفوا تماما منهاج الوسطية والاعتدال فكريا وعمليا. كما نقد بأسلوب تحذيرى على النوع الثانى الذين يرغبون فى اتباع طريق الحق والتمسك به، ولكنهم بقليل الصبر والعزم، قلم يثابروا عليه دأبا، بل تركوا وتوقفوا عنه فى منتصف الطريق، وهؤلاء قد قصروا وفرطوا فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، فعجزوا عن المداومة على طريق الحق عملا.

وأخيرا، شجع كونفوشيوس الإنسان على اقتدائهم برجل فاضل فى سعيه وراء منهاج الوسطية والاعتدال طول حياته بدون شكوى ولا ندم فى سبيل التمسك به، بل يتأجر ويدوم على تطبيقه، وإن كان فى الظروف المعاكسة التى تواجهه، نزيها عن الرياء وكسب السمعة الحميدة عند الآخرين. وإنما هذه الدرجة الخلقية العليا هى الحالة المثلى التى لا يحققها إلا الحكيم المقتدى للقرون والأجيال.

النص:

قال الأستاذ: " هناك نوع من الناس يحبون أن يتقصروا في الحقائق الغامضة ويتأثروا بالسلوكيات الخريبة، (وقد يحصلون عند الناس على السمعة والشهرة خداعاً)، حتى تكتب لهم عند الأجيال الخلف سيرة حسنة للذكرى؛ ولكني لن أفعل أى شيء من هذا السبيل ولا أسلكه! والرجل الفاضل يتبع بعنـهاج الوسطية والاعتدال سعيه، ولكن بعض الناس يعمل به حيناً ويتركه حيناً آخر فيتوقف عنه فى منتصف الطريق؛ وإني لا أستطيع أن أتخلى عنه ولن أتوقف أبداً! بل الرجل الفاضل يتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال دائماً، وإن كان لم يفل الجاه والسمعة لدى الناس طول حياته، فلا يتأسف ولن يندم أبداً؛ وهذه هى الدرجة الخلقية المثلى التى لا يصل إليها إلا الحكيم (شينغ رين 聖人)^{١٦١} وحده ! "

١٦١- " شينغ رين 聖人 " : هو مصطلح هام عند الكونفوشيوسية، فنذكر مراراً وتكراراً فى جميع الكتب الكونفوشيوسية المتقدمة، والمراد به المثل الأعلى فى الإنسانية الذى يجمع بين كامل الأخلاق وبين تامة الحكيم (معجم اللغة الصينية الحديث، دار الطباعة التجارية، بكين، ١٩٩١م، الصفحة ٦٠٣١).

ومن أجل ترجمة كلمة " شينغ رين 聖人 " بصورة لخص فى اللغة العربية، راجعت أولاً إلى ترجمة الأستاذ الوحيد محمدين (MA JIAN) لكتاب الحرار وإلى ترجمة الدكتور زهر الدين (MA XI(AOPEI) لكتاب المعرفة الكبرى، ومما كتبتان وحيدان من بين الكتب الكونفوشيوسية المتقدمة، قد تمت ترجمتهما من لغتها الصينية الأصلية مباشرة إلى اللغة العربية حتى يومنا هذا، فوجدت أن الأستاذ محمدين قد اتخذ اللفظ " الحكيم " فى اللغة العربية معنى مترجماً للكلمة " شينغ رين 聖人 " فى اللغة الصينية، حيثما اتخذ الدكتور زهر الدين اللفظ " النبى " فى العربية مدلولاً مترجماً لهذه الكلمة الصينية.

ثم راجعت ثانياً إلى ترجمة القسيس جيمس ليفه (١٨١٤-١٨٩٢) لأعصار الخمسة والكتب الأربعة الكونفوشيوسية من اللغة الصينية إلى الإنجليزية، وإلى ترجمة الأستاذ " تشن رونج جيا " (CHEN RONGJIE ١٩٠١-١٩٩٤) فى تليفه بالإنجليزية " جامع المصادر فى الفلسفة الصينية "، وجدت أن كلهم اتخذوا اللفظ " Sage " فى الإنجليزية معنى مترجماً للكلمة " شينغ رين 聖人 " فى الصينية. وإذا راجعنا القاموس الإنجليزية والعربية، وجدنا أن المورد الحديث (الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين- بيروت، ٢٠٠٩م، الصفحة ١٠١٩) ترجم اللفظ " Sage " فى الإنجليزية إلى اللفظ " الحكيم " فى العربية.

وعلى أساس بحثى العلمى فى الترجمات المختلفة لمعنى كلمة " شينغ رين 聖人 " فى اللغة الصينية إلى العربية والإنجليزية، حاولت أن أجمع هذه الترجمات المختلفة بأسلوب مناسب توفيقاً لوجه الخلاف بينها، وخاصة بين ترجمة الأستاذ محمدين وبين ترجمة الدكتور زهر الدين باللغة العربية.

فجاءت اللفظ " النبى " فى العربية حداً أعلى لتعريف معنى الكلمة " شينغ رين 聖人 " فى الصينية، كما اتخذت اللفظ " الحكيم " فى العربية حداً أدنى لتعريف معنى هذه الكلمة فى الصينية، وبخارجة أخرى: جعلت اللفظ " الحكيم " ومعناه فى العربية جنساً عاماً لتعريف الكلمة " شينغ رين 聖人 " فى الصينية، حينما اتخذت اللفظ " النبى " فى العربية نوعاً خاصاً من هذا الجنس العام لتعريف هذه الكلمة فى الصينية.

وأما ميزة هذا التعريف بالحد الأعلى باعتبار، للنوع الخاص والحد الأدنى باعتبار، الجنس العام فى ترجمة الكلمة " شينغ رين 聖人 " فى الصينية، فتبينتها من ناحيتين عقلية ونطقية فيما يلى:

الشرح :

هذا الفصل يتكون من ثلاث جمل، حُثِرَ فيه الأستاذ كونفوشيوس الإنسان عن التقصّي في الغرائب والعمل على السلوك المتطرف لكسب الجاه والشهرة، كما نَبّه الناس عن تركهم للتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال في منتصف الطريق، بل مُجّعهم على السعي لهذا المنهاج وبذل الجهد في اتّباعه بالصبر والمداومة.

وقال العلامة " جُو شِي " في شرح معاني النصّ هذا: " إن قوله ' يتقصّوا في الحقائق الغامضة ويأتوا بالسلوكيات الغريبة '، المراد به أن هذا النوع من الناس يحبّون البحث في أمور عجيبة مبهمّة والإتيان بأعمال شاذّة منطرفة، ممّا يجعلهم حاصلين على الصّمة والشهرة خداعاً، فقد يكون هناك من في القرون المستقبلية يذكرونهم مدحاً. وفي الحقيقة، هذا النوع من الناس أفرطوا في العلم ولم يميّزوا الخير والفضيلة فيه، وبالغوا في العمل ولم يسلكوا مسلكاً وسطاً فيه، فهم الذين يصرون على ما لا يستحقّ لهم من بذل الجهد فيه، وأئني للحكيم (كونفوشيوس) أن يأتي بمثل هذه التصرفات المفرطة! " ١١٢ "

وواصل العلامة " جو شِي " كلامه في شرح النصّ التالي وقال: " إنما الرجل الفاضل يتّبع منهاج الوسطية والاعتدال في سعيه، فهو قادر على تمييز الخير والفضيلة لنفسه. ولكن هناك بعض الناس يكتفون عن التمسك بهذا المنهاج في منتصف الطريق، حيث يفرطون ويتقاصرون عن الجهد والدأب عليه. وهذا النوع من الناس وإن كان علمهم يمكن أن يدرك

ومن الناحية العقلية نقول: إن إثبات عمومية الجنس يعم جميع أنواعه بما فيها النوع الخاص، ولكن نفي خاصية النوع الخاص لا يعني نفي عمومية الجنس لجميع أنواعه بما فيها النوع الخاص، ومن مثال ذلك: إذا نسى أحدنا بأنه طالب ناجح، وهذا يعني أنه قد ينجح بدرجة القبول أو ينجح بدرجة الامتياز، ولكنه عندما ننينا هذا الطالب بأنه ليس طالباً مستتراً، فهذا النفي بالامتياز لا يعني أننا لنفي كونه طالباً ناجحاً بدرجة القبول التي هي أدنى الحد في نجاح الامتحان، فنقول: إن كل طالب ممتاز كان ناجحاً، وليس كل طالب ناجح ممتازاً.

وأما من الناحية العقلية، قلنا: إلى قصة لقمان الحكيم وإراء الطعام للمسلمين في شخصيته: أ كان نبياً أم لا؟ ذهب كثير منهم إلى إثبات نبوته، وحينما قال الآخرون بنفيها، ولكن مهما كان الأمر بينهم جدلاً وتقاشاً، لم يكن أي واحد منهم - سواء كان مثلياً أو معارضاً - يفتكر أن لقمان كان حكيماً.

وعلى أساس الدليل العقلي والتكلي هذا، يمكننا أن نستنبط منه القول بأن كل من كان حكيماً (أي المثل الأعلى في الإنسانية الذي يجمع بين كامل الأخلاق وبين تمام الحكم عند مفهوم الكونفوشيوسية)، ولكن كل حكم ليس نبياً.

١١٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شِي، الصفحة ٤٢.

أهمية منهاج الوسطية والاعتدال ولكن أعمالهم تقتصر عن تحقيق المرام، فهم الذين يعجزون عن ما يستحق لهم من بذل الجهد فيه. وأما الحكيم (كونفوشيوس) فلن يتركه أبدا بل يثابر عليه طوعا، حيث كان إخلاصه الصادق في السعي للحق والخير يندفق ثابتا فيستمر دابه عليه بدون توقف. ١٦٣ "

وتم العلامة "جو شى" شرحه لأخر النص هذا وقال: "إنما الرجل الفاضل إذا تجنب عن النقصى في أمور غريبة والإتيان بأعمال متطرفة فقد تمسك بموجب منهاج الوسطية والاعتدال، وإن يثابر عليه طوعا ولا يتوقف في سعيه دأبا فذلك يزدى بصاحبه إلى عدم التأسف ولو أنه لم ينل الجاه والسمعة لدى الناس طول حياته. وإنما هذه الدرجة هو المثل الأعلى في فضائل منهاج الوسطية والاعتدال، حيث يجمع بين قمة العلم وغاية الرحمة ووسع أوفر من الشجاعة البدنية المجردة، فشأنه شأن أستاذنا كونفوشيوس في أحواله بالضبط، ولكنه لم يدع بذلك لنفسه متعفا، بل قال في النص: " وهذه هي الدرجة الخلقية المثلى التي لا يصل إليها إلا الحكيم وحده! " ١٦٤ " وعلى أساس شرح العلامة "جو شى" القيم لمعاني النص هنا، نقول إن هذا الفصل يحتوى على ثلاث جمل نفيا وإثباتا، وهى: فى الجملة الأولى نقد كونفوشيوس ونفى على موقفه من ينقصى فى الأمور الخفية الغامضة ويسلك مسلكا غريبا شاذًا، وكان هذا النوع من الناس قد أفرطوا فى العلم وبالغوا فى العمل، فما استطاعوا على تمييز الخير والفضيلة فيهما حسب موجب منهاج الوسطية والاعتدال.

وفى الجملة الثانية أنكر وانتقد أيضا على موقف من يكف عن التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال فى منتصف الطريق. وكان هذا النوع من الناس إن يدركوا الهدف المسعى بعلمهم، ولكن فرطوا فى العمل وقصروا فى بذل الجهد، فمجزوا عن الصبر والمثابرة على منهاج الوسطية والاعتدال طول حياتهم.

١٦٣- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال- جو شى، الصفحة ٤٢.

١٦٤- المصدر السابق نفسه.

وفى الجملة الثالثة أثبت كونفوشيوس وشجع الرجل الفاضل على التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال طول حياته بالنأب والصبر، بحيث لا يندم ولا يتأسف على اعتقاده بهذا الطريق المستقيم واتباعه له، وإن لم يعرفه أحد ولم يفهمه غيره فى محافظته عليه.

فالرجل الفاضل إذا أراد أن يكمل أخلاقه المحموده على أساس منهاج الوسطية والاعتدال، عليه أن يدركه حق الإدراك، ويفهمه غاية الفهم، كما عليه أن يصل إلى تحقيق فكرة الرحمة ويتصف بالصفات الحميدة من العزم والصلابة والشجاعة ببذل جهوده القصوى، لى يتحدى بجامع مكارم الأخلاق الثلاثة (الحكمة والرحمة والشجاعة) الصعوبات والمشقات التى تواجهه فى سبيله لطلب طريق الحق.

وهذا كله ما ينشده الأستاذ كونفوشيوس وما يسعى وراءه ويعمل عليه طول حياته، ولكن هنا فى النص لم يفخر بنفسه أنه قد وصل إلى تلك المثل الأعلى، بل اعتبر متعففا بأسلوب إشارى وقال: " وهذه هى الدرجة الخلقية المتلى التى لا يصل إليها إلا الحكيم وحده ! "

第十二章

原文：君子之道， 费而隐。

今译：君子中庸的道理，其效用广大无涯，无穷无尽，其本体却极其微小，无处不有。

الفصل الثاني عشر

التمهيد:

إن الأستاذ كورنوشيوس والمؤلف "تى سي" لم يرا أن منهاج الوسطية والاعتدال مجرد أفكار أو فلسفات غامضة ومغلوبة تبعد عن الحياة الواقعية، بل تظهر نتائجها الشاملة الفعالة في المجتمع البشري، إذا طبق عمليا في حياة الإنسان اليومية، فهذا المنهاج المثالي يعطى ثماره لمن جعله في حيز الاتباع والتطبيق العملي.

فهذا الفصل جاء لتبيين كيفية تطبيق الناس منهاج الوسطية والاعتدال في حياتهم اليومية، ووضح فيه مزا أخرى، وأعاد التأكيد على أن منهاج الوسطية والاعتدال يحتاج إليه الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته، ولا يستغنى عنه في أموره الفردية والاجتماعية، كما بين الفصل هذه الخصائص الكلية الشاملة والجزئية الدقيقة لمنهاج الوسطية والاعتدال وفسرها بأمثلة حية. وكان هذا الفصل يقسم إلى ثلاث قطع، وهي كما يلي :

نص القطعة الأولى :

" إن طريق الرجل الفاضل^{١٦٥} منافعها كبيرة وواسعة لا حد ولا نهاية لها، وإنها في حد ذاتها دقيقة وعميقة، وفي نفس الوقت هي عامة وشاملة تتسع في كل مكان. "

١٦٥- طريق الرجل الفاضل: هذا يرااد بها منهاج الوسطية والاعتدال؛ لأن الرجل الفاضل هو الذي يدرك طريق الحق ويطبقه في حياته اليومية، ويعتصم به طول عمره، فيعتبر المؤلف هنا بسمة الرجل الفاضل أو طريقه نوبة عن منهاج الوسطية والاعتدال. انظر إليه الشرح والتعليق لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جوجينغ، دار الكتب والمعاجم بشتغهاي ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى، الصفحة ٧٠.

الشرح :

قال " جانغ جو جينغ " فى شرح النص: " الكلام فيه بأن ' سنة الرجل الفاضل منافعها كبيرة وواسعة، لا حد ولا نهاية لها '، يراد به أن منافع سنة الرجل الفاضل تتمثل فى حياة الإنسان اليومية فردا واجتماعا، وتظهر فى أمورهم المختلفة كلها، فلا يمكن أن يفصل عنها فى كل وقت من الأوقات. والعبارة التالفة فى النص ' وفى نفس الوقت هى عامة وشاملة تسع كل مكان '، تقصد بأن حقائق هذه السنة تخبأ وتخفى فى الأمور المتنوعة وفى الشؤون المختلفة من حياة الإنسان اليومية، وليس فى إمكان أحد أن يدركها إدراكا حقيقيا إلا بعد إمعان النظر والتأمل فيها تأملا عميقا، فلذلك على الإنسان أن يهتم أولا بهذه الحقائق فى حياته اليومية اهتماما بالغا، ويمعن فيها نظره ويفكر فيها بالقلب والعقل، وبعد ذلك يستطيع أن يعرفها معرفة حقيقية، ويدركها إدراكا عميقا، فذلك يؤدى به إلى أن يطبقه تطبيقا كاملا.^{١٦٦}

فهذا الفصل يؤكد أن منهاج الوسطية والاعتدال، أو سنة الرجل الفاضل منافعها واسعة وعظيمة وذاتها دقيقة وعميقة، تظهر حقائقها أولا فى الأمور اليومية للحياة الإنسانية، كما نلاحظ تلك الحقائق وتواجدها فى السماوات والأرض، وهذا يدل على أنها واسعة لا حد ولا نهاية لها، وأنها دقيقة وعميقة، لا يخلو منها مكان إلا يمتلئ بها مرة أخرى.

وكان العلامة " جو شى " يرى أن هذا الفصل هو من كلام المؤلف " تس سي " نفسه، لأنه لم يبدأ بعبارة " قال الأستاذ... "، ومن سياق النص يبدو أن المؤلف استأنف هذا الفصل وبدأ فيه يتكلم بنفسه من جديد، ولكن فى الحقيقة، أراد أن يبين ويؤكد فيه الغرض المقصود من الفصل الأول، حتى يركز على أهم فكرة فى الفصل الأول بقوله : " وهو أن طريق الحق يحتاج إليه الإنسان فى كل لحظة من لحظات حياته، ولو كان استغناء الإنسان عنه ممكنا لما كان بمسماه حقا. " والجدير بالذكر أن الفصول الثمانية التى تاتى بعد هذا الفصل، أى من الفصل الثالث عشر

١٦٦- الشرح والتعليق لكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جو جينغ، دار الكتب والمعاجم بشانغهاى ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى، الصفحة ٧٠.

إلى الفصل العشرين، ذكر المؤلف "نفس مى" فى هذه الفصول المتتابعة أقوال الأستاذ كورنوشويس، ويتن مرارا وتكرارا هذا المنطلق الفكرى الذى ذكرناه قبيل الآن.^{١٦٧}

原文: 夫妇之愚，可以与知焉，及其至也，虽圣人也有所不知焉；夫妇之不肖，可以能行焉，及其至也，虽圣人也有所不能焉。天地之大也，人犹有所憾。故君子语大，天下莫能载焉；语小，天下莫能破焉（诗）云：“鸢飞戾天，鱼跃于渊”言其上下察也。

今译: 夫妇中即使愚笨的人，一般也可以知道中庸的一些浅近的道理，但推究中庸之道到达精微深奥处，即使圣人也有不知道的地方；夫妇中即使不贤的人，一般也可以实行中庸的一些浅近的道理，但推究中庸之道到达精微深奥处，即使圣人也有不做不到的地方。天是如此的广大，但人们对天地有不满意的地方，所以君子对中庸的道理，说到它的大处，天下不能载得起它；说到它的小处，天下不能看破它（诗经，大雅，旱麓篇）说：“老鹰冲翅飞翔到天的最高处，鱼儿跳跃到水的最深处”这句诗主要说明中庸之道上达于高天，下及于深渊，鲜明昭著，弥漫充塞，无处不在，无所不包。

نص القطعة الثانية :

" (بالنسبة إلى معرفة طريق الرجل الفاضل) وإن كان مرءا جاهلا وامرأة جاهلة فهما يقتدران على أن يعرفا بعض حقائقه البسيطة والسهلة^{١٦٨}، غير أن الوصول إلى غاية عمقه ودقته فهذا لم يتيسر لإدراكه وإن كان عداده فى زمرة الحكماء. (وبالنسبة إلى تطبيق طريق الرجل الفاضل) وإن كان مرءا ضعيف الكفاءة وامرأة ضعيفة الكفاءة فهما يستطيعان على أن يعملوا ببعض مطالبه البسيطة والسهلة، غير أن البلوغ إلى قمة شموله وكماله فهذا لم يتيسر لاستيعابه

١٦٧- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جرسى: الصفحة ٨.
١٦٨- وعلى سبيل المثال: يرى مذهب الكورنوشويسية أن للزوج على زوجته أن تحترمه وتحتبه مع طاعته فى الأمور العائلية كلها، كما كان عليها أن تربي الأولاد وتحتل ترتيب الشؤون العقلية وإدارتها. وأما الزوج فيجب أن يحب زوجته ويحتل الإنفاق على الأسرة. ومثل هذه الحقوق الأساسية والواجبات العامة بين الزوج والزوجة يمكن لرجل وامرأة أن يعرفاها لأنها من الأمور البديهية، وكذلك يمكن لهما أن يذباها عادة، ولو لكهما من الجهلاء أو غير الطيبين لأنها من الحقائق البسيطة والسهلة بالفهم والتطبيق فى منهاج الوسطية والاعتدال.

وإن كان عداده في زمرة الحكماء.

ما أكبر السماوات وما أوسع الأرض (بكثرة عجائبيها الظاهرة والخفية) ! ولكن ما زال الإنسان يشعر بالتأسف وعدم الاقتناع بين حين وآخر^{١٦٩} . ولذلك كان طريق الرجل الفاضل إذا تحدث عنه من ناحية كبره الكلى، فلا يشمل أحد بين السماوات والأرض؛ وإذا تكلم عنه من ناحية صغره الجزئي، فلا يخفى عنه أحد بين السماوات والأرض. وكما قال سفر القصائد في ذلك: ' العقاب يطير إلى قبة السماء عاليا، والحوث يسبح في أعماق البحر خفيا. ' ^{١٧٠} وهذا البيت قد أشار مستعارا إلى أن طريق الرجل الفاضل يتجلى وينكشف سواء على كل كبير ظاهر وصغير خفي بين السماوات والأرض. "

الشرح :

قال الحبر " جينغ شوان " في بيان مقاصد النص من ناحيته الأخلاقية: " ومن عامة الناس وإن كان مرءا جاهلا وامرأة جاهلة، ومع ضعفهما في العلم والعمل، يقدران على أن يعرفا ويطبقا بعض جوانب منهاج الوسطية والاعتدال، وذلك يرجع إلى قمة عموميته المطلقة للجميع بلا حد. وهذه القمة العامة قد لا يبلغها وإن كان حكيما، ألا وكان السماوات بغاية علوها والأرض بغاية وسعها مقرا وحملًا لكل الموجودات بينهما، ومع ذلك ما زال الإنسان يتأسف ولم يرض بين حين وآخر، فكيف للحكيم أن يعلم ويتقن كل شيء بكامله؟! وأما قوله في النص ' كبير ظاهر ' فبن أمثاله مآثر الملوك الحكماء القدامى؛ والمراد بقوله ' صغير خفي ' مثل ما يعرفه ويطبقه مرء جاهل وامرأة جاهلة من منهاج الوسطية والاعتدال في حياتهما اليومية؛ وقد تمتك الحكيم بكل منهما - سواء أ كان كبيرا منه أو صغيرا. ولذلك أصبح الحكيم مثله بسمو فضائله مثل العقاب يطير إلى قبة السماء عاليا، وبسعة مآثره مثل الحوث يسبح في أعماق البحر خفيا. ' ^{١٧١} "

١٦٩- ومن أمثاله: الجفاف والفيضان، شدة البرد في الشتاء وقسوة الحرارة في الصيف، وما إلى ذلك.

١٧٠- قصيدة " عند سفح الجبل البعلی " من جزء التليقة الكبرى في سفر القصائد، الصفحة ٣٢٩.

١٧١- انظر إلى: الشرح القلي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٦.

ويبين العلامة " جو شي " معانى النص من الناحية الفلسفية وهو يقول: " إنما طريق الرجل
الفاضل يبدأ قريبا من العلاقة الزوجية بين المرأ وامرأته، وينتهى بعنا إلى حد أقصى لا يتقنه
الحكيم ولا يسمعه السماوات والأرض، وهو طريق كان كبره واسع لكل الحدود وصغره داخل كل
الحدود، وذلك يرجع إلى شموليته العامة. وأما حقيقته الذاتية فهي دقيقة وخفية عن الأبصار.
وذلك لأنه كان هذا الطريق من ناحيته الجزئية ممكن أن يعرفه ويطبقه وإن كان زوجين من
عامة الناس، وأما الوصول إلى قمة كماله الشامل فلا يستطيع أن يبلغه وإن كان حكيمًا، وتظنرا
لناحيته الكلية المطلقة، لا يمكن للحكيم أن يستوعبه بمآثره. وكان المؤلف ' تس سي ' يورد هنا
هذا البيت من سفر القصائد مستدلا على أنه ما من الحدث والنشوء والتغير فى كل الموجودات
بين السماوات والأرض إلا وهو يتبين وينكشف لتأثير منهاج الوسطية والاعتدال، ولذلك يُسمى
بأنه شامل وكامل. وأما ذاتيته الفعالة فيكون خارجا عن مدى إدراك الأذان والأعيان، ولذلك
يسمى بأنه دقيق وخفى. " ١٧٢ "

واستفدنا من هذه الشروح أن المؤلف " تس سي " كان فى هذه القطعة النصية يتركز على
بيان اتحاد العلم والعمل من ناحية أخلاقية وعلى اتحاد الذات والأعراض من ناحية ميتافيزيقية،
متوكدا على أهمية منهاج الوسطية والاعتدال فى إرشاد حياة الإنسان من حيث أنه طريق كان
كبره يتسع لكل شئ وصغره لا يخلو كل شئ إلا فى حيزه، فلا يستغنى عنه الإنسان فى أى لحظة
من لحظاته طول الحياة.

فطريق الرجل فى تمسكه بمنهاج الوسطية شامل وعام فى مآثره، وهو فى نفس الوقت
خفى ودقيق فى ذاته، ولذلك كان من ناحية شموليته الكلية يمكن لعامة الناس - وإن كان سريعا
جاهلا وامرأة جاهلة أن يعرفوه ويطبقوه فى حياتهم اليومية؛ وأما قمته الخفية الدقيقة فلا يستطيع
الإنسان على استيعابها وإن كان حكيمًا، وذلك ليس عيبا على الحكيم وهو المقل الأعلى فى
الإنسانية، ألا وكان السماوات والأرض بكبرهما وسعتهما لتنوعات عجائبيهما الظاهرة والخفية

١٧٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤٣- ٤٤.

يتأسف منها الإنسان ولم يقتنع بها حيناً وبين حين آخر؟! وإذا كانت هذه الحال هو حال السموات والأرض، وكيف يفرض للحكيم أن يتقن كل علم ويستوعب كل عمل خلافاً لإنسانيته المقدورة؟! وقد تبين هذا النص أيضاً - من الناحية الميتافيزيقية - علاقة الوحدة بين الشمولية الظاهرة والخفية الذاتية في منهاج الوسطية والاعتدال. فكان خفاؤه الذاتي يتحد ويلتصم إلى شموله الظاهر معاً، ولا وجود خفائه الذاتي خارج شموله الظاهر باستقلال. ومثل ذلك مثل شجرة تظهر بأوراقها وأغصانها في الخارج وتصبح مرئية للناظرين، بينما تخفي جذورها في الباطن وتكون غير مرئية للأعين، وكلاهما سواء كان ظاهراً مرئياً أو خفياً غير مرئياً يشتمل على وحدة متحدة باتفاق. وكل ذلك يقين ويتأكد لنا علاقة الوحدة بين ظهور المآثر الشاملة وخفاء الحقيقة الذاتية لمنهاج الوسطية والاعتدال، وهو طريق فلا يستغنى عنه الإنسان في أي لحظة من لحظاته.

原文: 君子之道，造端乎夫妇，及其至也，察乎天地。

今译: 君子中庸之道的道理，是从夫妇之间的浅近道理开始的，但推究到精微深奥之处，就能明察天地上下一切事物了。

نص القطعة الثالثة:

" فإن طريق الرجل الفاضل ينطلق مبتدئاً من العلاقة الزوجية بين المرء وامرأته، ولكنه عندما يبلغ إلى قمة منتهاه ينكشف له كل شيء بين السماوات والأرض. "

الشرح:

قال العلامة " جو شى " في شرح العبارة هذه: " قوله ' ينطلق مبتدئاً من العلاقة الزوجية بين المرء وامرأته '، أى بالنسبة إلى جزئيه الأولى؛ وقوله ' ينكشف له كل شيء بين السماوات والأرض '، أى نظراً لكليته الكاملة. ^{١٧٢} " وبين تلميذه " تشين كونغ شو " هذه العبارة بأسلوب أدق، وقال: " المراد بمطلقه ابتداءً من العلاقة الزوجية بين المرء وامرأته أنه كان طريقه

١٧٢ - الشرح اللفظي لكاتب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٢.

مقربا جدا للحياة الواقعية ومنتشرا في كل جوانبها الجزئية؛ ولكنه عندما يصل إلى قمة منتهاه بشموله وكماله تتجلى حقيقته لمباشر الموجودات بين السماوات والأرض بكل ظهور.^{١٧٤}

وفي آخر القطعة النصية هذه أكد المؤلف "نس سي" مرة أخرى على أن طريق الرجل الفاضل في تمسكه بمنهاج الوسطية والاعتدال كان مبدءا من العلاقة الزوجية بين المرء وامراته، وهي أشد القرابة والمحبة من بين العلاقات الأخلاقية الاجتماعية كلها، وذلك كما قال سفر الآداب في باب الزواج: "إنما الزواج يقرن أسرتين قرابة ومودة من الخارج، ومن الداخل يتبع نسب أباء الزوج لاحقا ويواصل نسل نفسه مستقبلا، فكان الرجل الفاضل يهتم بأداب الزواج اهتماما كبيرا.... وكل ذلك ليظهر حرمة الزواج وكرمه.... فلينتظر العريس خارج الباب وليخفي عروسه تحية محترمة عند دخولها إلى بيته، وفي وليمة العرس فليأكلوا من طبقا واحد ومن كأس واحد مبشرا لاختلاط اللبن بالماء منهما ماديا وروحيا بالمحبة والاحترام، حتى يقرب إليها على أساس حرمة الزواج وكرمه. وكل ذلك من أصول نظام الآداب والطقوس، فرقنا بين ميزة الرجل وميزة المرأة، وتبيننا للحقوق والواجبات بين الزوجين، وعلى أساس اختلاف ميزات الرجل وامراته بعضهما بعضا يترتب عليه اعتدال العلاقة الزوجية لهما في الحقوق والواجبات؛ وعلى أساس اعتدال العلاقة الزوجية للرجل وامراته يترتب عليه اتحاد الرأفة والبر بين الأب وابنه بعضهما بعضا؛ وعلى أساس اتحاد علاقة الرأفة والبر بين الأب وابنه، يترتب عليه اتفاق الأمر والطاعة بين الراعي ورعيته. ولذلك يقال: 'الزواج مبدأ أساسى لنظام الآداب كلها'.^{١٧٥}"

ألا وكانت العلاقة الزوجية بين المرء وامراته أقرب القرابة وأحب المحبة في حياة الإنسان بأكملها؟ فهي مبتدأ أولي مستحق للرجل الفاضل أن يتمسك به في طريق سعيه لمنهاج الوسطية والاعتدال نظرا لأساسيته الدقيقة وعموميته البدائية، فلينطلق الرجل الفاضل منه ويتقدم أبعد ويتطور أعظم حتى يبلغ أخيرا إلى قمة شموله وكماله حيث يتجلى لكل ما بين السماوات والأرض سعة ووعيا بلا حدود.

١٧٤- للشرح التفصلي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٣.

١٧٥- مجموعة مهسرة للكتب الكلاسيكية الصينية، بتحرير يو هاى دى، قسم سفر الآداب، الصفحة ١٣٤.

وتورد هنا الشعر من سفر القصائد يمدح أهمية الزواج في إصلاح حياة الإنسان كمبتدأ

أساسي لسائر جوانبها حيث قال الشاعر :

وازدادت البراعم زينة؛	" ازدهت شجرة الخوخ جمالا،
وعايشت عريسها مودة.	اعرست هذه الفتاة بركة،
وتكاثرت الثمار بسمه؛	نورت شجرة الدراق ضحكة،
وعاملت زوجها محبة.	نكت هذه الفتاة سعادة،
وتكاثفت الأوراق خضرة؛	ازدهرت شجرة الدراق حمرة،
تلائمت مع عائلة زوجها رافة. ^{١٧٩} "	تزوجت هذه الفتاة فرحة،

١٧٩- قصيدة "ازدهار الدراق" من جزء ديوان جنوبي العاصمة لأسرة تقييوي. سفر القصائد، الصفحة ١٤١.

第十三章

原文：子曰：“道不远人，人之为道而远人，不可以为道。（诗）云：“伐柯，伐柯，其则不远，”执柯以伐柯，睨而视之，犹以为远。故君子以人治人，改而止。”

今译：孔子说：“道存在于人们之中，并不远离大家。但有人修道却故作高深，使中庸之道日益与大家远离了。（诗经 邶风 伐柯）云：“有一个人拿着斧头去砍树杆来做斧柄，照那旧斧柄做新斧柄的方法就在眼前。”但是拿着旧斧柄去砍树枝做新斧柄，由于没有用旧斧柄的尺寸，所以斜着眼睛看去，觉得两者相差甚远。这个比喻说明，君子治人的方法，就是用人的良知良能，去启发人的思想，以好人为式样来治理别人，别人改正了就停下来。”

الفصل الثالث عشر

التمهيد:

يأتي هذا الفصل تكملة للمسبق، وقد سرد فيه المؤلف "تس سي" بعض كلام الأستاذ كونفوشيوس، وأكد فيه أن منهاج الوسطية والاعتدال يتصل بالناس اتصالاً وثيقاً، ولا يتفصل عن حياتهم الواقعية. فالرجل الفاضل عليه أن يتبعه ويطبقه في تهذيب نفسه أولاً، ويرشد به غيره ثانياً، كما بين فيها منهاج الوسطية والاعتدال بترسخ من فطرة الإنسان الطبيعية، وهو يتمثل في نفس الإنسان والعلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية، لذلك فإن طريق الحق غير بعيد عن الناس وعن حياتهم الواقعية. والرجل الفاضل كما يتبع منهاج الوسطية والاعتدال، ويهذب الناس بما يقرون عليه، كما نجد هذا المعنى في كتاب المعرفة الكبرى في فصله الأول لبيان مقاصده الأساسية، وهي تجلية الأخلاق المفطورة على طبيعة الإنسان أولاً، ثم إصلاح المجتمع وإرشاد الشعوب، حتى يبتعدوا عن الشر، ويقترّبوا من الخير تربية وتعلماً.^{١٧٧}

^{١٧٧} - انظر: التشرح اللفظي لكتاب منهاج الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٥.

وهذا الفصل ينقسم إلى ثلاث قطعات، والأولى منها تتكلم عن مبدأ البساطة والاعتدال
لمنهاج الوسطية والاعتدال من الحياة الواقعية بدون أى تباعد وتعقيد، وفقاً لطبيعة الإنسان
الفطرية فى طريق تهذيبه وإرشاده. ولنأت إلى نص القطعة الأولى كما يلى :

نص القطعة الأولى :

قال الأستاذ: " إن الطريق^{١٧٨} يبقى مدى الحياة الإنسانية، وهو غير بعيد عن الناس
أجمعهم، ولكن من الناس من يعتقد البسيط ويُبهم الواضح فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال،
فقد جعله مبتعداً عن الناس وحياتهم، وذلك ليس يُسمى بالطريق حقاً. وقال سفر القصائد :

' ذهب بفأسه لقطع مقبض فأمر جديد مطلباً

ألا وكان القديم فى يده مقياساً للجديد قريباً. ' ^{١٧٩}

فالحاطب عندما يأخذ بمقبض فأسه ليقطع مقبضاً جديداً من غصن الشجرة، وإن ينظر إلى القديم
بمائل طرفة مقياساً قريباً للجديد، ولكنه ما زال يرى أن هناك بينهما بعد وقرق. ولذلك كان
الرجل الفاضل إذا قاد الناس يقودهم بطبيعتهم الإنسانية إرشاداً؛ وإن يعودوا إليها ويتركوا
السيئات يتوقف مقتنعاً. "

الشرح :

قال الحبر " كونغ بينغ دا " فى شرح النص: " يتحدث هذا الفصل عن أن منهاج الوسطية
والاعتدال ليس ببعيد عن الناس وحياتهم الواقعية، وإذا استطاع المرء أن يطبقه فى حياته نفسه
معتدلاً فقد أصاب وتوسط؛ وإنما موجب تطبيق المرء لمنهاج الوسطية والاعتدال يكونه يقترب
إلى حياة عامة الناس اتفاقاً، وعندما وافق مطلب سلوك المرء فى حياته الفردية مطالب سلوكيات
الجمهير الاجتماعية فذلك يسمى بالطريق القاصد. وبالعكس، إذا خالف طبيعة الإنسان الفطرية

١٧٨- الطريق فى النص هنا يشير إلى منهاج الوسطية والاعتدال.

١٧٩- قصيدة " قطع المقبض الجديد " من جزءه أغنى بلدة " بين " فى سفر القصائد، الصفحة ٢٨٨.

وابتعد عن حياتهم الواقعية فلا يستطيع أن يعمل به في حياته الفردية خاصة ولا يمكن أن يعمل به الناس علماء، وكيف يسمى ذلك بالطريق القاصد؟^{١٨٠} "

وبين العلامة " جو شي" معاني النص ويقول: " إن الطريق القاصد (أى منهاج الوسطية والاعتدال) يواصل في فطرة الإنسان، يقدر الناس جميعا على معرفته وتطبيقه، وهو غير بعيد عن تناول الناس وعن حياتهم الواقعية، ومن أراد أن يسع للطريق القاصد من وراء البعيد، ويترك القريب الموجود في نفسه، ظنا بأنه لا يستحق عمله لقربه البسيط بل تطرق إلى عمل فوق قدراته، ويسعى إلى أصعب المثل، فقد ابتعد عن الطريق القاصد تماما.^{١٨١} "

وكان العلامة " جو شي" يرى أن الطريق القاصد يتمثل في سلوك الناس وفي أمور حياتهم اليومية ويظهر في معالجة العلاقات الإنسانية بينهم ومعاملاتهم الاجتماعية العامة، فإذا أدى الناس واجبات أنفسهم أداءً بهذيب الذات ورعاية الأسرة وخدمة المجتمع على أساس منهاج الوسطية والاعتدال، فقد أصابوا في تطبيق الطريق القاصد وصلوا قريبا منه.

وفي هذا النص استدل المؤلف " تس سي" بمثال حي من سفر القصائد على الالتزام بالطريق القاصد وتطبيقه في نفس الإنسان وفي ضميره، وهو غير بعيد عن الإنسان، وبين أن مقبض الفأس الذي كان في يد القاطع هو المثل والنموذج للمقبض الجديد الذي يريد أن يصنعه، فلماذا يطلبه من مكان بعيد، وينظر إلى هنا وهناك؟ وفي الحقيقة أن النموذج هو بين يديه غير بعيد عنه. ومن هذا المثل يستنتج أن الرجل الفاضل في عمله للتهذيب الذاتي وإصلاح الناس والمعاملة مع الآخرين بالنسبة إلى الرجل الفاضل لا بد أن كل ذلك على أساس ما يطر عليه الناس من عند السماء (تيان)، ولا يمكن أن يطلب الرجل الفاضل من نفسه أو من غيره بإفراط أن يفعل ما فوق الطاقة له أو العادة، بل يجب أن يطبق ما يثبت في فطرته الإنسانية وفي ضميره المستقيم، ويتبغى أن يبدأ بتزكية نفسه وتحسين الأمور القريبة الأقرب منه والشؤون البسيطة التي بجانبه، ولا يمكن التطلع إلى ما فوق قدرته والسعى إلى ما يصعب الوصول إليه.

١٨٠- الشرح للنظري لكتاب منهاج الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٥.

١٨١- الشرح للكتاب الأربعة، جو شي، قسم كتاب للوسطية والاعتدال، الصفحة ٤٤.

原文: “ 忠恕为道不远 , 施诸己而不愿 , 也勿施于人。”

今译: “ 能够做到忠和恕, 那就离中道不远了。如果加在自己身上是自己所不愿意接受的东西, 由此推想到别人, 也就不能强加在别人身上。”

نص القطعة الثانية :

" إن استطاع الإنسان أن يلتزم بصفة الأمانة وبصفة العفو، فقد اقترب من منهاج الوسطية والاعتدال. وإذا لم يرضَ واحد لنفسه بشيء يستنتج منه أن غيره لا يحب ذلك أيضاً، فلا يُكره غيره على أمر يكرهه نفسه. "

الشرح :

وفي هذه القطعة بيّن المؤلف " تس سي" وأكد قرب الطريق القاصد لتطبيق منهاج الوسطية والاعتدال من منال الناس، وعدم بعده عن حياتهم الواقعية، وقد تحدّث عنه بصورة معينة من ناحية تطبيق الأخلاق الأساسية والأولية، وهما صفة الأمانة وصفة العفو. وكان صاحب المذهب كونفوشيوس يرى أن الإنسان إذا طبقهما في حياتهم اليومية بخدّ واجتهاد، فقد اقتربوا من الطريق القاصد إلى التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال.

إن، ما هي صفة الأمانة وصفة العفو على مفهوم الكونفوشيوسية ؟ وقد فسرها " كونغ بينغ دا " وهو يقول: " المراد بصفة الأمانة أن يكون الإنسان يؤمن ويخلص لضميره الواعي باطناء، ور عليه، المراد بصفة العفو أن يكون الإنسان يعفو ولا يخذع غيره خارجا. وإذا حقّق الإنسان هذين الصفتين في حياته اليومية، فقد اقترب من منهاج الوسطية والاعتدال. وإذا عاملك غيرك بشيء وأنت راغب عنه، فلا تعامله بمثله، لأنه يرغب عنه مثلك أيضاً، فلتصنع مع غيرك ما تحبّ أن يصنع غيرك لك. " ١٨٢

١٨٢- الشرح التفصيلي لكتاب منهاج الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٦.

وقال العلامة " جو شى " فى شرح النص: " إن الطريق القاصد هو ما يقترب إلى الإنسان وحياته الواقعية. وقوله: ' وإذا لم يرض واحد لنفسه بشيء يستنتج منه أن غيره لا يحب ذلك أيضاً، فلا يُكره غيره على أمر يكرهه نفسه. ' وهذا يتكلم عن مبادئ صفى الأمانة والعفو. وفى الحقيقة أنه إذا قاومت قلوب غيرك بمقاييس قلبك فلا تجد بينهما اختلافاً، وهذا دليل على أن الطريق القاصد يقترب إلى كل شخص على سواء. فلا تُكره غيرك على شيء تكره نفسك. " ١٨٣

وفى هذه القطعة كان المؤلف " تس سى " يرشد الناس إلى صفة الأمانة فى مواجهة قلبه باطناً، وإلى صفة العفو فى معاملة غيره خارجاً، حتى يقتربوا من منهاج الوسطية والاعتدال بهذه الأخلاق الأساسية. وكانت صفة الأمانة وصفة كالقيم الأخلاقية الأولية فى الكونفوشيوسية، وقد لخص هذا النص بإيجاز كل ما يعلمه الأستاذ كونفوشيوس وما يذهب إليه، حين قال لتلميذه " تسينغ تس " صاحب كتاب المعرفة الكبرى: " إنما لطريقتى وحدة أولية تنظمها. " وقال التلميذ: " أجل. " ولما خرج الأستاذ سأل التلاميذ قائلين: " ما معنى قول الأستاذ؟ " فأجابهم " ستينغ تس " قائلاً: " ما طريقة أساذنا إلا الأمانة والعفو. " ١٨٤

ومن موجب صفة الأمانة وصفة العفو على كل واحد أن يضع نفسه مكان غيره فى أقواله وأفعاله، ويطبق هذه الأخلاق الحميدة فى معاملة غيره مثلاً بمثل. وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة بأخلاقهم الحسنة، فلم يكن يبعد عن منهاج الوسطية والاعتدال، بل بلغ إلى مطالب الرجل الفاضل فى سعيه لطريق الحق.

原文: " 君子之道四， 丘未能一焉， 所求乎子以事父， 未能也；
所求乎臣以事君， 未能也； 所求乎弟以事兄， 未能也； 所求乎朋友
先施之， 未能也； 庸德之行， 庸言之谨， 有所不足， 不敢不勉， 有
余不敢尽。 言顾行， 行顾言， 君子乎不慥慥尔！ "

١٨٣- الشرح للجامع للكتب الأربعة، جو شى، قسم كتب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٤٥.

١٨٤- كتاب الحوار بترجمة محمد مكي، الفصل الرابع، الصفحة ٦٨.

今译：“君子的道理有四条，我孔丘一条也不能做到，我要求做儿子的要尽孝道，但反求我自己侍奉父母却不能尽孝道；第二，我要求做臣子的应该尽忠心，但反求我自己奉事君主却不能尽忠心；第三，我要求做弟弟的应该恭敬，但反求我自己服侍兄长却没有做到恭敬。第四，我要求做朋友的应该要有信实，但反求我自己却没有能先对朋友做到信实不欺。平常的道德，要着力实行，平常的语言，要谨慎地说，所言所行或有不足之处，不敢不尽力奋勉，所言所行或尚有余力，也不敢说尽做绝，要留有余地。口里讲的话，要顾到身体所行的事；身体所行的事要顾到口里讲的话。如果言行一致，岂不可称是忠厚笃实的君子？”

نص القطعة الثالثة :

قال الأستاذ: " إن الرجل الفاضل يجب عليه أن يلتزم بأربعة أخلاق عامة، ومن الأسف أنني 'كونغ تشيو'^{١٨٥} لم أكمل أى واحدة منها، والأولى: طلبت من الإنسان أن يبرز بالوالدين كالابن، ولكن حين أراجع نفسي أنا في هذا الأمر، أجد أنني لم أقدر على إكمالها، والثانية: سألت الناس أن يخلصوا أولى الأمر لهم كالرعايا، ولكن حين أراجع فيه نفسي، أجد أنني لم أقدر على إتمامها، والثالثة: طلبت من الناس أن يحترموا أخاهم الكبير كأخيه الصغير، ولكن حين أراجع فيه نفسي، أجد أنني لم أقدر على إكمالها. والرابعة: سألت الناس أن يعاملوا الصديق بالأمانة والوفاء كصديقه، وحين أراجع فيه نفسي، أجد أنني لم أقدر على إتمامها.

فإن الأخلاق الأساسية العامة لا بد للإنسان أن يلتزمها ويطبقها بالجد والاجتهاد، والكلمات البسيطة العادية لا بد للإنسان أن ينطقها ويعبرها بالحيطه والحد، وإذا وجد ضعفه وتقصيره في هذه الأخلاق الأساسية العامة فعليه ألا يتأخر عن بذل كل جهوده فيها، وإنا نصيب في كلامه فعليه ألا يبالغ ويفرط فيه بل أحق له أن يقتصد ويعتدل؛ وينبغي له أيضا أنه إذا تكلم وافق قوله عمله، وإن يعمل يترجم عمله قوله، ألا وذلك هي حال الرجل الفاضل بكل أمانيه وجده ؟ ! "

١٨٥- "كونغ تشيو": كان اسم عائلة كونفوشيوس هو "كونغ"، و"تشيو" اسمه، بلدى نفسه هنا باسمه للتعبير والإشارة.

المُشرح:

قال "جينغ شوان" في بيان النص: "إنما تأمّن كونفوشيوس على عدم إكماله في هذه الأخلاق الأربعة، فيه ترغيب وتحجيع لكل الناس على التمسك بها بالصبر والمثابرة. ولا شك أن الأستاذ كونفوشيوس قد طبق هذه الأخلاق الأساسية العامة تطبيقاً عملياً، وقد كان يعلم تلاميذه بالقوة الجيدة ويرشدهم معاً، وقوله: ' وإذا وجد ضعفه وتقصيره في هذه الأخلاق الأساسية العامة فعليه ألا يتأخر عن بذل كل جهوده فيها '، فيه نصيحة مؤثرة وقوة حسنة للناس بعدم انحرار الجهد في تطبيق هذه الأخلاق الأساسية العامة." ١٨٦

بين "تشينغ هار" مقاصد النص وقال: "من إيجاب الولد بيز والده يحتر الرجل الفاضل نفسه من إكمال واجب العز لولد نفسه أولاً، وكذلك من المطالب الأخرى في طاعة الرعية لرأيه واحترام الأخ لأخيه وأمانة الصديق بصديقه، استفاد منها الرجل الفاضل أن يرجع نفسه وإصلاح ذاته أولاً. فإن المداومة على الحسنات العادية والاعتدال في الشؤون اليومية والتمسك بالواجبات الواقعية، ما هي إلا من أسس تهذيب النفس وترقية الذات." ١٨٧

وقال العلامة "جو شى" في شرح النص هذا: "كلمة الطلب والسؤال هنا المراد بها التكليف والإيجاب. وإن الطريق القاصد لم يكن يتعد عن حياة الإنسان اليومية (بل يبدأ من أنفسهم). وعندما كلف الشخص غيره أمراً فين الأحق أن يرجعه إلى نفسه حتى يصلح ذاته أولاً. وكان الرجل الفاضل إذا وجد ضعفه ونقصاته في الأخلاق الحميدة شجع نفسه على إكمالها فسيبذل أقصى جهوده في تطبيقها. والرجل الفاضل إذا تكلم فكلامه قل ودن، وما زاد عليه ذلك إلا خيراً واحتياطاً، ومع لزاد حذرهِ وحيطته يوافق قوله عمله، ومع إزداد البذل والجهد يلازم عمله قوله. وموافقة قوله عمله تمنحه أمانة ووفاء، وملاءمة عمله قوله تكسيه جدّاً وكرماً. وذلك كما أثنى عليه كونفوشيوس: ألا وذلك هي حال الرجل الفاضل بكل أمانته وجده ؟ " ١٨٨

١٨٦- المشرح الفطن لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٧٨.

١٨٧- المرجع السابق نفسه.

١٨٨- المشرح الجافع للكتب الأربعة، جو شى، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٤٥.

كان المؤلف "تس سى" يستدل بكلام كونفشيوس هنا ويؤكد مرة أخرى على أن الطريق القاصد إلى منهاج الوسطية والاعتدال ليس بعيدا عن الإنسان وحياتهم الواقعية، بل هو يتمثل فى الأخلاق الأربعة الأساسية تقترب من حياة الإنسان اليومية وتعم كل العلاقات الاجتماعية، وهى : البر للوالدين، الطاعة للراعى، والمودة للإخوان، الوفاء للأصدقاء. فحث المؤلف "تس سى" الناس على تطبيق هذه الأخلاق الأربعة الأساسية فى تهذيب أنفسهم أولا قبل تكليفها على الآخرين، حيث أنه إذا أراد أحد أن يحصل على بر أولاده وهو لم يقم بذلك تجاه والديه - ونفس الحال فى الأمور الثلاثة الأخرى - فهو يحلم دون الحقيقة ومثله مثل من بنى بناءه على الهواء.

وفى أواخر النص كان المؤلف "تس سى" يحث الإنسان على أن يجتهدوا على أعمالهم، يقصدوا فى أقوالهم، مبتدءا من الأمور الصغيرة والكلمات البسيطة، على أساس اتفاق الكلام مع الفعل بعضهما بعضا. وذلك كما أثنى كونفشيوس على الرجل الفاضل فى كتاب الحوار حيث قال: "الرجل الفاضل لا يطلب الشبع إذا أكل، ولا يطلب الراحة والرفاه إذا سكن، وإنما هو يجتهد فى عمله ويحترس فى قوله ويستشير بإرشاد العلماء الصالحين، ومثل هذا الرجل خليف بأن يسمى بحسن السؤال والطلب فى العلم." ١٨٩

第十四章

原文：“君子素其位而行，不愿乎其外。素富贵，行乎富贵；素贫贱，行乎贫贱；素夷狄，行乎夷狄；素患难，行乎患难。君子无入而不自得焉。”

今译：“君子安心于现在的地位，做本分的事，不存份外之想。向来身处富贵的地位，就行富贵的道理；向来身处贫贱的地位，就行贫贱的道理；向来身处夷狄的地位，就行夷狄的道理；向来身处患难的地位，就行患难的道理。君子没有一处不悠然自得，自乐而安于其位的。”

الفصل الرابع عشر

التمهيد:

لقد فسر المؤلف "تس سي" في هذا الفصل روح منهاج الوسطية والاعتدال من ناحية تزكية النفس وتهذيب الذات، وبين الأخلاق الحميدة للرجل الفاضل في رضائه بما قدر له وقناعته بحالات حياته، مع بيان مواظبته على التمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال في كل حالة من حالات حياته، سواء أكان في السراء والضراء أم كان في الفقر والغنى والعسر واليسر. والفصل منقسم إلى قطعتين رئيسيتين كما يلي:

نص القطعة الأولى:

"إن الرجل الفاضل يكون مرتاح البال ومطمئن القلب، يؤدي الواجب دائماً بجديّة واهتمام، وهو لا يتطلع إلى ما فوق قدرته، ولا يحرص على ما لا يناسبه. فالرجل الفاضل عندما يكون في حالة اليسر والظي، يؤدي واجبه أبداً بناسب غناه ومسعته؛ ولما يكون في حالة الفقر والعسر، يؤدي واجبه بما يلاءم لعسره وفقره؛ وعندما يعيش في الظروف البدائية، يؤدي واجبه بما يناسب تلك الظروف؛ وحينما تصيبه الضراء والشدائد، يؤدي واجبه بما يلائم تلك الحالة.

فالرجل الفاضل أينما يكن يعيش مرتاح البال ومطمئن القلب بلا غم ولا هم، مهما تتغير الظروف والأحوال.

الشرح:

بين "كونغ ييلغ دا" مقاصد النص هذا وهو يقول: "إن الرجل الفاضل - مهما يكن في وضعه الاجتماعي - يؤدي واجبه بما يناسب تلك المكانة، ولا يتطلع إلى ما فوق قدرته، ولا يطمع فيما لا حق له فيه، فالرجل الفاضل في أية حالة مهما في أية مكانة، يتبع طريق الحق ويهتدى إليها.^{١٩٠}"

وعلق "جولغ جو جونغ" على هذه القطعة أيضا بقوله: "أشار هذا المؤلف "تس سي" إلى أنه في أثناء العمل بطريق الحق وتطبيقه، يتعرض الإنسان لظروف متحدة من يسر وعسر ولين وشدة وتعويق وصفاء وتعكير، وهناك ظروف مؤاتية وغير مؤاتية، ولكن لا يتأثر على العمل به ولا يواظب على التمسك به غير الرجل الفاضل، فالرجل الفاضل يهتدى إليها أبدا في أية مكانة وفي أية حالة، فحينما يكون في حالة الوفرة والغنى، يؤدي واجبه بما ينبغي للأغنياء أن يؤثروا به، فهو أن يكون إباحيا وعابثا، وأن يغمس في اللهو والمجون، وعندما يكون في حالة الفقر والغنى، يؤدي واجبه بما يجب على الفقراء أن يفعلوه، فهو أن يفرط في حياته بلا تمييز، وإذا كان في "بي دي"،^{١٩١} يتصرف بما يلائم مكانته تلك، فلن يتغير موقفه الثابت من طريق الحق، وأن ينقص منه العمل به، وحين تصيبه المصيبة والضراء، فهو يؤدي واجبه بما يناسب حالته تلك، ولن يتبدل ما يتمسك به وما يهتدى إليه. فالرجل الفاضل يسير على طريق الحق أينما يكون، ويعتصم بمنهاج الوسطية والاعتدال في أية حالة من حالات تواجبه، وطالما يهتدى إلى طريق الحق، فهو في الرضى والسعادة، وعلى ذلك أنه مرتاح البال ومطمئن القلب، فلذا نقول: إن الرجل الفاضل يرضى بحالته كلها، ويتمشى مع ظروفه جميعها في معيشتة. وهذا النص يدل

١٩٠- للشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال لى ك مونج، الصفحة ١٨٠.

١٩١- "بي دي": اسم لبعض القوميات القديمة في شرق الصين، وقد يشير به إلى بلاد لجنيزا. انظر معجم اللغة الصينية الحديثة، الصفحة ١٣٦٠.

مزيد دلالة على أنه من يهتد إلى منهاج الوسطية والاعتدال يكون مرتاح البال ومطمئن القلب،
ويعيش بلا هم ولا غم. ١٩٢ "

والقطعة التالية تواصل المدح و الثناء على تلك الأخلاق الحسنة للرجل الفاضل وبيانها
على صورة معينة.

原文：在上位，不凌下，在下位，不援上。正己而不求于人，则无怨，
上不怨天，下不尤人。故君子居易以俟命，小人行险以徼幸。子曰：
射有似乎君子，失诸正鹄，反求诸其身。"

今译：君子身处上位的候，不作威作福，欺凌下面的人，身处下位时候，不钻营攀
附，乞求上面人的奥援。只求端正自身而不乞求于人，那么心中泰然而无怨恨，上
不怨恨苍天，下不责怪别人，所以君子安分守己，等待天命的安排，而小人专做冒
险的事，想侥幸得到不得的好处。孔子说："射箭的事情，好像同君子修道一样，
箭没有射到箭靶的中心，应该反责自己用心不专，立身不正，不能怨恨别人。"

نص القطعة الثانية:

" إن الرجل الفاضل عندما يكون في مناصب عالية، فلا يهين من أدنى منه متكبراً،
وحينما يكون في منازل سافلة، فلا يتملق من أعلى منه مستعطفاً. فالرجل الفاضل إنما يريد قبل
كل شيء أن يذهب نفسه ويصلح ذاته بالأخلاق الحسنة، وبذلك يكون في قلبه رصانة وسكينة بلا
بغضاء وحقء، وهو لا يشكو حظ السماء (تيان) المقدر له وإن كان مرء، ولا يخاف لومة الآخرين
وإن كانت ظالمة. فالرجل الفاضل هو الذي يفتن بحالته التي يعيش في وقته الحاضر ويرضى بما
أُدر له، حتى ينتظر مشيئة السماء (تيان) والتوفيق منه في أموره؛ وبالعكس، كان الرجل الطالح
يرغب في التعرض للمخاطر والخوض المغامرات، ويرجو أن يحصل بالصدفة العفوية على
المصلحة غير المستحقة له. وقال الأستاذ كونفوشيوس: ' إن الرجل الفاضل في تركية نفسه

١٩٢- الترح والتعلق لكتاب الوسطية والاعتدال. كتاب المعرفة الكبرى، جلفج جو جلفج، الصفحة ٧٦.

وتهذيب ذاته مثله مثل الرامي في رميته بالسهم، إن لم يصب مركز غرضه يرجع سبب الفشل إلى نفسه، فيأخذ حذره من ترقية النفس وإصلاح الذات.^{١١١}

الشرح :

هذه القطعة تتابع النص السابق، وتواصل بيان الأخلاق الحميدة للرجل الفاضل في قناعاته بحالاته التي يعيش فيها، ويرضى بما قُدر من السماء (تيآن)، ولا يتطلع إلى ما فوق قدرته، ولا يحرص على ما لا ينبغي له أن يناله.

وقال العلامة " جو شي " في ذلك: " يتحدث هذا النص كله عن أن الرجل الفاضل يعتمد على ترقية نفسه وتهذيب ذاته، بدلا من أن يرجو ويشكى ما في الخارج. وكان قوله في النص: 'الرجل الفاضل هو الذي يقع بحالته التي يعيش في وقته الحاضر ويرضى بما قُدر له، حتى ينتظر مشيئة السماء (تيآن) والتوفيق منه في أمره ' المراد به أن الرجل الفضل يتحرك ويعمل حسب مكانته وظروفه، منتظرا لتوفيق السماء (تيآن) له، لا يشكى ما في الخارج وإن يحرص على ما لا ينبغي له الحصول عليه. وقوله: ' كان الرجل الطالح يرغب في التعرض للمخاطر والخوض المغامرات، ويرجو أن يحصل بالصدفة العنوية على المصلحة غير المستحقة له. ' مراده أن الرجل الطالح يريد كسب المنصب والمصالح الذاتية بالتملق والتقرب المُرري، ويسعى إلى أن يكتسب من باب الصدفة ما لا ينبغي له الحصول عليه من الجاه والمال. وإنما أورد المؤلف " تس تسى " هنا كلام الأستاذ كونفوشيوس في تمثيله للرجل الفاضل تلخيص مؤثر لجميع مقاصد النص في هذه القطعة بأكملها.^{١١٢} "

ويمكننا أن نلاحظ أن هذه القطعة قد فسرت ثلاث نقاط كما يلي :

أولا: صوّرت أن الرجل الفاضل يؤدي واجبه أبدا بجدّ واهتمام في كل وقت ومكان، وهو لا يحرص على ما لا ينبغي له الحصول عليه. كما قال الأستاذ كونفوشيوس في كتاب الحوار :

١١٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب الوصية والاعتدال، جو شي، الصفحة ٤٦.

"إنى لأجد راحتى فى طعام خشن أكله، وماء صاف أشربه، وذراع مثنية أقومدها، وأما ما يكتسب بطريقة غير شريفة من المال والجاه فهو صدى كالزبرج"^{١٩٤} ورقيق السحاب.^{١٩٥}

ثانيا: الرجل الفاضل له نفس تلومه وتحاسبه فى أعماله، ولا يطمع فى غيره ولا يحسده، ولا يشكو من ظلم السماء (تيان) ولا من ظلم البشر، فإن قلبه مفعم بالهدوء والرصانة ومملوء بالوقار والسكينة بأن يسير على منهاج الوسطية والاعتدال.

ثالثا: قارن النص بين الرجل الفاضل والرجل الطالح، وكشف موقفهما المختلفين من الحياة، وذلك أن الرجل الفاضل يقطع بحالته التى يعيش فيها، ويرضى بما قدر له السماء - "تيان"، وينتظر مشيئته وتدبيره فى أموره والتوفيق منه فيها، فى حين أن الرجل الطالح يرغب فى التعرض للخطر، ويحب أن يفعل المغامرات؛ لكى يحصل بالصدفة العفوية على المنفعة والمصلحة التى لا يجوز له نيلها.

رابعا: وفى النهاية أورد "تس سي" كلام الأستاذ كونفوشيوس فى رماية السهم على سبيل الخلاصة؛ فالرمية عند الأستاذ كونفوشيوس مثلت التربية الذاتية والتركيبية النفسية وفقا لمنهاج الوسطية والاعتدال لدى الرجل الفاضل، كرامى السهم، إذا لم يصب الهدف فلا يلوم غيره، وذلك يرجع إلى نفسه بقلة التدريب المهني وضعفه. ومن هذا التشبيه قد استدل أن الرجل الفاضل يحاسب نفسه ويعاين أخطاءه فى تطبيقه العملى بمنهاج الوسطية والاعتدال.

١٩٤- الزبرج: سحاب خفيف ينفوخه الريح. ويشير به هنا إلى شيء نالاه لا قيمة له.

١٩٥- الزبرج: سحاب خفيف ينفوخه الريح. كثل الحوار بترجمة محمد مكين الفصل السابع، الصفحة ٩٠.

第十五章

原文：君子之道，譬如远行，必自迩，譬如登高，必自卑。（诗）

曰：“妻子好合，如鼓瑟琴。弟既翕，和乐且耽。宜尔室家，乐尔妻孥。”

子曰：“父母其顺矣乎。”

今译：“君子修道由浅入深，譬如到远方去，一定先从近处启程，譬如登到高处去，一定先从低处起步。（诗经 小雅 棠棣）说：‘妻子儿女感情融洽，好像弹琴鼓瑟一样节奏和美。与兄弟友爱和合，浸沉在快乐之中。全家非常和睦，妻子儿女都非常欢乐。’孔子说：‘一家人如此欢乐，做父母的就自然舒心了。’”

الفصل الخامس عشر

التمهيد:

هذا الفصل يخبرنا بأنه الرجل الفاضل أن يأخذ الطريق إلى منهاج الوسطية والاعتدال بخطوات هادئة متدرجا إلى الأمام شيئا فشيئا من الأدنى إلى الأعلى ومن البسيط إلى المركب، وعلى أساس ذلك يجب عليه أن يطبق طريق الحق أولا مع أسرته، ومن معالجة العلاقة بينه وبين أفرادها، وإدارة شؤون العائلة اليومية بطريقة جيدة، وإزالة التناقضات بين أفراد الأسرة بأسلوب أحسن. ونظرا لأهمية التطبيق التدريجي لمناهج الوسطية والاعتدال والعمل به خطوة خطوة، فقد أورد الأستاذ "تس سي" قصيدة من سفر القصائد تصوّر انسجام الحياة العائلية، وتلائم العلاقات بين أفراد الأسرة.

النص:

" إن تطبيق الرجل الفاضل لطريق الحق والعمل به لا بد أن يتدرج من السهولة إلى الصعوبة، ومن البساطة إلى العمق، ومثله مثل المرء إذا سافر إلى مكان بعيد، يجب عليه أن ينطلق برحلته من مكان أقرب له، وإذا صعد مكانا عاليا، عليه أن يبدأ من مكان منخفض له.

وقال سفر القصائد في ذلك :

' يتفق مع زوجته وأولاده انسجاماً،
ويتلازم مع إخوانه محبة ووداً،
وليعامل كل أسرته سلاماً ووفقاً،
فليتمتع منه زوجته وأولاده سعادة وفرحاً.^{١٩٦}

وقد علق عليه كونفوشيوس وقال: ' (إن يتعايش جميع أفراد الأسرة بالرفقة والمودة) فسيبقى
الأيوان بهجا وارتياحاً. ' "

الشرح:

بين الحبر " كونغ بينغ دا " معاني النص هذا : " القاصد إلى البعيد كان مبتدأ من القريب،
والطامح إلى المرتفع كان منطلقه من المنخفض، فيتدرجان أكثر وأكثر حتى يصلا إلى قمة
البعد والارتفاع. فكان الرجل الفاضل إذا بدأ يبتدأ من نفسه لمداومته على منهاج الوسطية
الاعتدال تهذيباً وتزكية، ثم يضيء ويهدي غيره نفعاً ونوراً، وذلك أيضاً يسمى بالطريق القاصد
إلى البعد والارتفاع.^{١٩٧} "

وقال العلامة " جو شي " في شرح النص: " إذا استطاع الإنسان أن يتألف مع زوجته
وأولاده، ويتوآد مع إخوته، فسيرتاح الوالدان بسعادة البر ونعمة اتفاق الصلة العائلية. وقد أورد
المؤلف " تس سي " هذا البيت من سفر القصائد تبييناً لحقيقة النجاح في وصول الرجل الفاضل
إلى البعيد من المبتدأ القريب وبلوغه إلى القمة المرتفعة من المنطلق البسيط.^{١٩٨} "

وجدنا هنا أن المؤلف " تس سي " أكد مرة أخرى على بساطة منهاج الوسطية والاعتدال
وقربه من حياة الإنسان الواقعية، يبتدأ من انتلاف الزوج بالزوجة والأولاد ويتطور إلى توازن
الإخوة ويتدرج إلى بر الوالدين وينتهي إلى انسجام العلاقات الاجتماعية والبيئية كلها.

١٩٦- شعر تانغ دي، قسم اللباقة الصغير، سفر القصائد، الصفحة ٢١٣.

١٩٧- الشرح المفصل للكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا مونج، الصفحة ١٨٥.

١٩٨- الشرح الجامع للكتاب الأريمة، قسم كتاب لوسطية والاعتدال، جوشي، الصفحة ٤٧.

ونتيجة تألف الرجل الفاضل مع زوجته وأشقائه مع العشيرة، يؤدي به الأمر إلى قصد البرّ لوالديه، فالبرّ للوالدين تهتم به الكونفوشيوسية أعظم اهتمام ويولونه بأكثر عناية، حتى يعتبر من أساس طريق الحق، كما وصف البرّ بأنه أصل الأخلاق الفاضلة، فتحقيق البرّ عند الكونفوشيوسية أصبح رسالة إنسانية عظيمة يحتاج إلى أن يزيدها بطوال حياته، وتدل على ذلك نصوص موثوقة من كتاب الحوار، وقد بين الأستاذ كونفوشيوس فيها معنى البرّ من مختلف النواحي، ولندكر بعضها على سبيل المثال، سأل التلميذ " تس يو " ^{١٩٩} " عن البرّ، فقال الأستاذ : " صار معنى البرّ في هذا العصر يقتصر على عيال الرجل والديه، ولكنّه يعول كذلك كلبه وقرسه، فما الفرق بين العائلتين إن لم يحترم الوالد والوالدة ؟ " ^{٢٠٠} " وسئل عن البرّ أيضاً فأجاب كونفوشيوس : " صعوبة البرّ إنما هي تظاهر الولد بالطلاقة والبشاشة بين والديه، أ يعتبر برا كل المبرة أن يحتمل الولد المشاق في قضاء حاجات والديه ويقدم لهما الطعام والاشربة. " ^{٢٠١} " وعلى هذا الأساس قد جعل النص الخطوة الأولى لتطبيق الرجل الفاضل على طريق الحق تبدأ من الأسرة بمعالجته العلاقة بينه وبين زوجته أولاً، ثم العلاقة بينه وبين أخيه الشقيق؛ لكي يكون والداه مرتاحي البال و منشرحى الصدر، يعيشان في الصفاء و السرور بلا هم ولا قلق عليه. وبعبارة أخرى: أن العمل بمنهاج الوسطية والاعتدال عند الرجل الفاضل يبدأ من برّ الوالدين، وكان البرّ أساس طريق الحق وأصل الأخلاق الفاضلة؛ إذ تقوم عليه سعادة الأسرة وأمن المجتمع عند الكونفوشيوسية.

وهذا الفصل قد تابع أيضاً ما قبله من النص على " أن حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال في نظر الرجل الفاضل يبدأ بالعلاقة بين الزوج والزوجة وبالأمر البسيطة للفهم والسهولة للعمل بها بينهما؛ لأنّ العلاقة بين الزوج والزوجة أقرب العلاقات الإنسانية، ومنها ينتج

١٩٩- " تس يو " : حقل ٥٠٦ ق.م - ٤٤٢ ق.م من أشهر تلاميذ كونفوشيوس، وكان يعرف بعظمه الواسع في الأدب، وقد سمي بكونفوشيوس الجنوبي؛ لأنه من جنوب الصين، ولأنه بلغ أفكار أستاذه في جنوب الصين، ودعا إليها بالقوة لما حصل على المنصب العالي الحكومى في ولده، فكانت أفكار كونفوشيوس مسموعة وسمعة بمببه في جنوب الصين وقتئذ.

٢٠٠- كتاب الحوار بترجمة محمد مكين، الفصل الثاني، الصفحة ٦٤.

٢٠١- المصدر السابق نفسه.

العلاقات الإنسانية الأخرى من العلاقة بين الأب و ابنه والعلاقة بين الإخوة وأخوات، ويمتد منها العلاقة بين الأصدقاء والعلاقة بين الحاكم وأتباعه وغيرها من العلاقات الإنسانية الاجتماعية عند الكونفوشيوسية كما ذكرناه من قبل، فالإنسان إذا أراد التآلف مع شخص من خارج الأسرة بجدا عنه في المجتمع، فلا بد له أولا أن يتآلف مع زوجه و يتلاءم مع أخيه الشقيق القريب منه في أسرته أولا، كما قال كتاب المعرفة الكبرى: "إذا أراد الرجل الفاضل أن يحسن حكم البلاد وإدارة شؤونها، فليصلح شؤون عائلته أولا؛ وإن يرد إصلاح شؤون عائلته فليهدب نفسه أولا؛ وإذا قصد إلى تهذيب نفسه أولا؛ فليسد قلبه أولا..."^{٢٠٢}

٢٠٢- شرح معرفة الكبرى باللغة الصينية الحديثة، والفصل الرابع، والصيغة ١١.

第十六章

原文：子曰：“鬼神之为德，其盛矣乎！视之而弗见，听之而弗闻，体物而不可遗。使天下之人齐明盛服，以承祭祀。洋洋乎！如在其上，如在其左右。（诗）曰：‘神之格思，不可度思！矧可射思。’夫微之显，诚之不可揜如此夫！”

今译：孔子说：“鬼神行德，可说是极盛的了。鬼神的德，看它没有形迹，听它没有声音，但世间万物没有一物不是鬼神所化育，所以体察天下万物是不能遗弃鬼神的。鬼神使天下的人悚然敬畏，他们虔诚斋戒，清洁身体，穿着隆重而华丽的祭服奉承祭祀。祭祀的时候，感觉到鬼神真是无处不在啊，好像就在你的上面，又好像在你的左右。（诗经·大雅·抑篇）说：‘神明之来，难以预测，岂可懈怠不敬？’鬼神既看不见又听不到，十分隐微，而善赐福、恶降祸却很明显。鬼神赐福降祸的诚信不可遮掩，竟是如此啊！”

الفصل السادس عشر

التمهيد:

مع أن قدماء أهل الصين كانوا يعبدون السماء الأعلى (تِيَانْ) باعتباره الإله الأكبر ورب الأرباب للعالم كله، فقد كانوا يعتقدون أن هناك ملائكة متعددين يساعدون السماء (تِيَانْ) في إدارة أمور العالم، فلنجوم والجبال والبحار والغابات والأنهار حتى بيوت الناس ملائكة، لكل واحد شأن يختص بالإشراف عليه، ولهم قدرة خارقة العادة تضرهم وتنفعهم، فكان قدماء الصين يقدسونهم ويقدمون لهم القرابين رجاء النفع وتجنباً عن الضرر. فضلاً عن ذلك، كانوا يؤمنون بوجود الروح وأزليته أيضاً، فيقدسون أرواح الأباء بطقوس القرابين، ويعتقدون أنه إذا توفي الرجل الصالح فسترتفع روحه إلى السماوات وتتمتع هناك بحياة النعيم، وإذا مات الشخص الطالح فستصير روحه شبحاً مشرداً في البالية.^{٢٠٢}

٢٠٢- انظر: موسوعة الفلسفة الصينية الكبرى، بتحرير تشانغ دالي، بكين، الصفحة ٦٩.

وقد انفرد هذا الفصل من بين جميع فصول الكتاب (الوسطية والاعتدال) ببيانه هذه القضية، تناول فيه المؤلف "تسن سى" العقائد الكونفوشيوسية في تقديس الملائكة وأرواح الآباء، فأورد هنا كلام كونفوشيوس في غاية الدقة والغموض يمدح الملائكة والأرواح وصفاتها الخلقية، ولهم أثر كبير فعال في جميع مراحل الحياة الإنسانية.

التص :

" قال الأستاذ كونفوشيوس: ما أعظم صفات الملائكة والأرواح خلقيا وخلقيا ! فإذا أردت أن تنظر إلى حركاتهم، لما قدرت على رؤيتهم، وحاولت أن تسمع أصواتهم، فلن تقدر على سماعها، ولكن كل تأثيرهم الجوهري يعم جميع الموجودات بكل وضوح. فالملائكة والأرواح بصفاتهم العظيمة الخلقية والخلقية تجعل كل الناس يتطهرون ويصومون باحترام الطقوس، ويلبسون ثياب الطقوس المهيبة الفاخرة حتى يقدموا القرابين بكل تواضع حينئذ، وما أقس عظمة الملائكة والأرواح حضورا ونزولا ! كأنهم ينزلون على رؤوس الناس الحاضرين للطقوس، ويطوفون بهم يمينا ويسارا. وذلك كما قال سقر القصائد فيهم: ' إن الملائكة والأرواح مستحيل لنا من تقدير نزولهم أو ظن وقته، فما علينا إلا أن نتقى منهم مقدينا ! ' فإن الملائكة والأرواح مع صفاتهم الخلقية بأشد الخفاء والدقة يُظهرون تأثيرهم الخلقى تماما. وهكذا كان صدق الملائكة والأرواح، ولا يخفى إخلاصهم إلى هذه الدرجة ! "

الشرح :

في هذا الفصل صور لنا المؤلف صفات الملائكة والأرواح حسب اعتقاد الكونفوشيوسية للعالم الغيبي والروحي، مع بيان تأثيرهم الخلقى والخلقى في حياة الإنسان الواقعة. فيتناول بالحديث أولا تعريف الملائكة والأرواح، وأنها كائنات خفية غيبية لا ترى ولا تسمع بحواس الإنسان تأثيرا شاملا في نفعه أو إضراره، وثانيا يتبين أن الملائكة والأرواح مع خفاء ذواتهم تؤثر في حياة الإنسان الواقعة أثرا شاملا في نفعه أو إضراره، كناية عن الصفة الذاتية لمناهج الوسطية والاعتدال بشدة خفائه ودقته وتأثيره الظاهر الكامل للإنسان وعالمه بكل وضوح.

وكان كونفوشيوس يهتم بالطقوس والقرابين ويؤكد ضرورة خلق الإخلاص والصدق فيها. وجاء هذا النص في كتاب الحوار: " كان كونفوشيوس يقدم القرابين بنفسه إلى أرواح آبائه كأنهم حاضرون، ويقدم القرابين إلى الملائكة كأنهم ينزلون. وقال: إذا قدم القرابين أحدٌ غيري نالها عني فكأنه لم يقدم قط." ٢٠٤

وكان كونفوشيوس - مع تأكيد أهمية التعليمات المعنوية في هذه الطقوس الاعتقادية - يحرم تلاميذه عن الاستقصاء في أمور الأرواح الغيبية، بل يحثهم على العناية بشؤون حياتهم الواقعة أولاً، فقال في ذلك: " قدسوا أرواح الآباء، وتجنبوا عن أسرارهم، فأنت حينئذ تصبح عارفاً." ٢٠٥

ومن الجدير بالذكر هنا أن كونفوشيوس مع اعتقاده بتقديس الملائكة والأرواح، لم يخلط بينها وبين عبادته للسماء الأعلى (تيان)، بل يعتبره الإله الأكبر والموجد المدبر وهو رب الأرباب، كما ذكرناه في الفصل الأول. وعلى سبيل المثال، عندما سئل الأستاذ: " ما معنى هذا المثل: ' التملق ملك التنوير في المطبخ أفضل من تملق ملك معبد البيت.' ؟ فأجاب: كلا ! من أجرم عنادا عن رضوان السماء الأعلى (تيان)، فلا محل له من الدعاء والمغفرة." ٢٠٦

وهذا هو موقف كونفوشيوس الاعتقادي من طقوس القرابين للملائكة والأرواح، وأما كشف أسرار المقاصد المعنوية واستخراج الروابط المضمره بينها وبين حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، فلنراجع شرح العلماء الكونفوشيوسيين لهذا الفصل بأسلوبهم الفلسفي فيما يلي:

قال العالم الكونفوشيوسي " كوانغ يينغ ذا " في كشف مغزى هذا الفصل: " وهذا النص يتبين منه عن حقيقة صفات الملائكة والأرواح أن ذواتهم لا ترى ولا تسمع، وهي في شدة الخفاء والغيب، ومع ذلك كانوا صادقى الوجود وظاهري التأثير. وهكذا حقيقة منهاج الوسطية

٢٠٤- كتاب الحوار، الفصل ٣، الصفحة ١٠٩.

٢٠٥- المصدر السابق نفسه، الفصل ٦، الصفحة ٢٥٣.

٢٠٦- المصدر السابق نفسه، الفصل ٣، الصفحة ١١٠.

والاعتدال صفة ونفعاً، فهو خفي مضمّر في ذاته وظاهر واضح في تأثيره، لا جدال في حقيقته هذه، وهو قائم بذاته بكل صدق وإخلاص. " ٢٠٧

وقد شرح العلامة " جُو شِي " حقيقة صفات الملائكة والأرواح على أساس نظرية الوجدانية والثنائية، فقال: " وبالنسبة إلى نظرية الجوهر الثنائية، كانت الأرواح ذوات قوة سلبية، في حين كانت الملائكة ذوات قوة إيجابية، وأما من جانب نظرية الجوهر الوجدانية، فكان الآتي الباسط هو صفة الملائكة، وكان ال ذاهب القابض هو صفة الأرواح، وهما في الحقيقة حالّين لجوهر واحد. فالملائكة والأرواح ليس لهما شكل مرئي وصوت مسموع، ولكن جميع حدوث الموجودات في العالم وحركاتها ونهايتها ما هي إلا تجمع القوتين الإيجابية والسلبية وتفكّكهما. فذلك هو جوهر الذوات لا يُستغنى عنه في أي حال من الأحوال. وأما كلمة الصدق والإخلاص في النص فالمراد بها المتصدق لا باطل فيه، لأن تجمع القوتين الإيجابية والسلبية وتفكّكهما مؤثّر في ظواهر الحوادث، وهو أمر مصدّق بلا جدال، فكان انكشاف حقيقتها لا يخفى إلى هذه الدرجة. " ٢٠٨

ونستفيد من هذه الشروح القيمة للعلماء الكونفوشيوسيين الكبار أن ذوات الملائكة والأرواح خفية وغائبة غير مدركة للعين والأذن، في حين أن تأثيرهم ظاهر وكامل في الحياة الواقعة كلها، فحجب على الإنسان أن يُصدّق بوجود ذواتهم الخفية، ويُخلص في الإيمان بتأثيرهم الظاهر الشامل، وهي حقيقة متعائلة في الصفة الذاتية لمناهج الوسطية والاعتدال بشدة خفائه ودقته مع تأثيره الظاهر الكامل في الإنسان وعالمه بكل وضوح.

٢٠٧ - ارجع إلى الشرح اللفظي لكتاب التوشو لأين كا هونغ، الصفحة ١٨٧

٢٠٨ - لظن المصدر نفسه، الصفحة ١٨٨.

第十七章

原文：子曰：“舜其大孝也与！德为圣人，尊为天子，富有四海之内。宗庙飨之，子孙保之。故大德必得其位，必得其禄，必得其名，必得其寿。故天之生物，必因其材而笃焉。故栽者培之，倾者覆之。诗曰：‘嘉乐君子，宪宪令德！宜民宜人，受禄于天。保佑命之，自天申之！’故大德者必受命。”

今译：孔子说：“舜是做到大孝的人了。德行至于圣人之境，贵于天子之位，富裕到拥有四海之内的一切。有宗庙来祭祀他，有子孙来继承他。因此，德行伟大的人必定得到高位，必定得到厚禄，必定得到声名，必定得到长寿。所以，上天造生万物，必定就一物的材质来增益他。所以，对种植者，就加以培育，对倾斜者，就让他覆亡。《诗·大雅·假乐》说：善良快乐的君子，充分彰显了美德。安顿百姓又领导众人，他承受上天赐予的禄位。上天保佑他又任命他，这是上天一再重复的使命。”

الفصل السابع عشر

التمهيد:

بيّن المؤلف في هذا الفصل أن صاحب الأخلاق الحميدة العظيمة كُتب عليه أن ينال العزة والشرف كالسنة السماوية، مع تقديم شخصية مثالية في هذه الناحية، وهو الملك "شون" ٢٠٩ الذي يتصف بالأخلاق الفاضلة، وخاصة بخلقه العظيم المعتدل في برّ الوالدين، وفقا لمنهاج الوسطية والاعتدال علميا وعمليا، حتى يتلقّى ملكوت بلاد الصين من إرادة الإله الأعلى - السماء (تيان)، فصار ملكا حكيما وقوة حسنة يستتير بها تاريخ الصين الثقافي منذ أكثر من أربعة آلاف سنة. كما كان المؤلف في هذا النص يشجّع القراء على الاقتداء بهذا الملك الحكيم في تعويد النفس على الأخلاق الفاضلة بالصبر، مستدلا بما في مبغى القصائد أن أصحاب مكارم الأخلاق هم من أهل عناية السماء - تيان، يُقدّر لهم بالشرف والعزة تقديرا خاصا من عنده.

٢٠٩- الملك الحكيم "شون"، قد سبق بيان سيرته في الفصل السادس، يمكن ترجع إليه.

النص:

" قال الأستاذ: إن الملك ' شون ' ما أعظم خلقه في البر لغاية كماله ! حتى أصبح فاضلا حكيما في الأخلاق، وملاكا عظيما مسمى بإبن السماء (تيان) ^{٢١٠} في الشرف والعزة، وغنيا مسيطرا على ثروات ما بين البحار الأربعة ^{٢١١} ، وهو بعد وفاته يتمتع بالذكر وطقوس القرابين للملك في معبد الآباء، ويرثه ذريته جاها وشرفا جيلا بعد جيل. فصاحب الأخلاق العظيمة كُتِب عليه أن ينال مكانة عالية ورزقا واسعا وسمعة حميدة وعمرًا مديدا. وذلك من سنة السماء (تيان) بقدر على كل الموجودات في العالم، بأنه يزيدا ويثبتها حسب صفاتها المختلفة الإيجابية والسلبية. فمن يزرع حسنة يزدده السماء الأعلى فضيلة ونعمة، ومن يأتي إلى السيئة يزدده خسارة وملاكا. كما قال مفر القصائد في ذلك :

' يا له من رجل فاضل فرحا وبشرا، ما أظهر أخلاقه حسنة وكريمة !
وقد آمن بفضلها شعوبه سلاما وواقا، كُتِب عليه نعمة وبركة عظمى.
فقدّر له أن ينال العزة والسلطة، سنة السماء الأعلى قدرا مقدورا.'
فهذا دليل على أن صاحب الأخلاق العظيمة كُتِب عليهم عناية السماء الأعلى ونصره."

الشرح :

في هذا الفصل بيان لربط ما ذكر في الفصل السادس من علم اليقين للملك " شون " بحقيقة منهاج الوسطية والاعتدال، فيؤكد المؤلف في هذا الفصل فضائل الملك " شون " الخلقية في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، حتى يكون صاحب مكارم الأخلاق ومكان العزة والشرف، وهو المثل الأعلى في الإنسانية يجمع بين فاضل الأخلاق باطنا وبين حاكم الملوك ظاهرا، كما يدعو ويسعى إليه الكونفوشيوسية قديما وحديثا.

٢١٠- لقب شون بين القاب الإمبراطور أو الملك في بلاد الصين، إذ يرى قدماء الصين أن السلطة والملك هبة من عناية السماء (تيان) الأعلى ونصره لمن يرضيه، فكان الملك حل محل ابن السماء، مجزا لخلقته على الأرض وتعظيما لتداسة ملكوته على الرعية المملوكة.

٢١١- البحار الأربعة : أسلوب مجازي في اللغة الصينية الأصلية، المراد به كل أرجاء البلاد، وقد يشير إلى كل أنحاء العالم. وكان قداماء أهل الصين يعتقدون أن بلاد الصين تحيط بها البحار من أربع جهاتها، ويقع في كل جهة بحر منهم جهة، مثل: بحر الشرق وبحر الجنوب إلخ.

وفي هذا الفصل أكد المؤلف " شون مي " أن صاحب مكارم الأخلاق تظهر عليه معالم العزة والشرف، مستدلًا بمقالية الملك " شون " في هذا المجال، مع بيان تأثير منهاج الوسطية والاعتدال وفوائده في إرشاد حياة الإنسان الواقعة خلقياً وسلوكياً. وسنحلل الموضوع في هذا الفصل من ثلاث النواحي فيما يلي :

الناحية الأولى: كشف لنا المؤلف في بداية الفصل أهم الأسباب لحصول الملك الحكيم " شون " على علامات العزة والشرف، وأن ذلك يرجع إلى أخلاقه الحميدة، وخاصة في برّ الوالدين. وبعبارة أخرى: كانت الكونفوشيوسية يرى أن الخير والرزق والشرف حتى العمر المديد وكلّ نعم الحياة هذه ترجع أسسها إلى تهذيب النفس بالأخلاق الحميدة، وتهذيب النفس بالأخلاق الحميدة منخله برّ الوالدين، وبرّ الوالدين خلق عظيم معتدل يوافق حقيقة منهاج الوسطية والاعتدال في إرشاد حياة الإنسان الواقعية، وهو حجر أساسي يبنى عليه سلامة الأسرة واستقرار المجتمع، فتن لا يبرّ والديه ولا يحب إخوته في أسرته الواحدة كيف يكون رجلاً صالحاً وفرداً مسؤولاً في المجتمع؟

يبين العلامة الكونفوشيوسية " تشيان هان " مقاصد هذا الفصل قائلاً: " إن تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في حياة الإنسان الواقعية يتمثل خاصة في خلق برّ الوالدين وحب الإخوة. فإن الملك " شون " الذي هو المثل الأعلى في هذا الأمر كان يجمع بين مكارم الأخلاق وعلامات العزة والشرف، مع دوام مأثره في أهاليه ورعيته، ويستحقّ بأن يُسمّى بأنه الذي قد أكمل خلق البرّ بكل معنى الكلمة، فكلّ نعم الحياة من الخير والرزق والشرف والعمر المديد مُنِحت له، فلا يحصل عليها إلا صاحب الأخلاق العظيمة المعتدلة. وذلك كما قال في النص بالنسبة إلى منهاج للوسطية والاعتدال كان الزوجان العاتيان يمكن لهما أن يطبقا مبادئه الأساسية في حياتهما الواقعية، وأما المثل الأعلى في تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال بكلّ شموله وكماله فقد يكون للرجل الفاضل الحكيم ما لا يبلغ إليه غيره.^{٢١٢} " ٢١٣

٢١٢- المراد بالنص هو ما ذكر في الفصل التالي عشر، كما سبق بيانه في مكانه، ويمكن الرجوع إليه.

٢١٣- انظر: الفرج للفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لن كا هولغ، الصفحة ١٩٠.

الناحية الثانية : بعد بيان أهمية خلق البرز وتأثيره في الحصول على نعم الحياة، كشف المؤلف فيما يلي عن السئنة السماوية في تمسك الرجل الصالح بخلقها وترك الرجل الطالح خلقه بما نصه: " فمن يزرع حسنة يزرده السماء الأعلى فضيلة ونعمة، ومن يأتي إلى السيئة يزرده خساراً وهلاكاً. " فالقدوة الحسنة الأولى هو الملك الحكيم " شون " وخليفته الملك الحكيم " يو "، وهما من اصحاب الأخلاق العظيمة المعتلة، فأجلسهما السماء الأعلى على عرش ملكوت بلاد الصين، وورقهما نعمة وبركة، فكانت مآثرهما لم تقتصر على نشر السلام والاستقرار في مجتمع الصين القديم فحسب، بل نعم السعادة بين جميع الأبناء في البلاد. وبالعكس، هناك المثل السيئ أيضاً من ملوك الصين السابقين، فمنهم الملك " جي (jie) " الطاغى^{٢١٤} والملك " جيو (zhou) " الفاجر^{٢١٥}، فلم يكونا غارقين بأنفسهما في المجون والفجور فقط، بل عمّ ظلمهما المستبد كل أنحاء بلاد الصين أيضاً. فخلعهما السماء الأعلى (تيان) عن العرش، ودبر مملكتها تعذيباً. وذلك كما شرح العالم "جينغ شوان"^{٢١٦} في هذه السئنة السماوية لنصر الصالح وطرد الطالح قائلاً: " هذا النص يتبين منه أن الصالح يوقفه السماء الأعلى (تيان) بمنح البركة والنعمة له، وأما الفاسد فسفل السماء (تيان) نزول الشرور والهلاك عليه؛ فكل شيء لما خلق له. " ^{٢١٧}

٢١٤- الملك " جي (jie) " الطاغى، الملك الأخير لمملكة " شيا " (١٨١٨ ق.م - ١٧٦٦ ق.م)، وكان ملكاً جافراً وغرقاً في الفسق والطمع، وفضى عليه رئيس القبائل الشرقية بالصين المسمى بـ " ليانغ تانغ " الذي يعتبره المذهب الكونفوشيوسي من الملوك الحكماء كاملوا الأخلاق، فهلك مملكة " شيا " بعد أن امتدت سلطتها لمدة خمسمائة سنة حوالي القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد وهي المملكة الأولى التي عملت بنظام التوريث الملكي في تاريخ الصين المسجل.

٢١٥- الملك " جيا (zhou) " الفاجر (١١٠٥ ق.م - ١٠٤٦ ق.م)، الملك الأخير لمملكة " شينغ " (حول القرن السادس عشر قبل الميلاد إلى حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد)، وهو معروف في تاريخ الصين بالاستبداد و الفجور خلال حكمه لمدة ثلاثين سنة، وفي سنة ١٠٤٦ قبل الميلاد غلب عليه الملك " يو وانغ " أمير الأمراء في غربي الصين وقتله، ودبر مملكته بتأسيس مملكة أسرة " تشو " (١٠٤٤ ق.م - ٢٥٦ ق.م).

٢١٦- جينغ شوان: العلامة الكونفوشيوسية العظيم (١٢٢٧م - ٢٠٠م) عاش في عصر أسرة " فان الشرقية " (٢٥٠ - ٢٢٠م). وكان في عصره جعل شديد في شرح الكتب الكونفوشيوسية بين الشروح القديمة وبين التفسير الحديثة، فلم يشرح معظم مصادر الكونفوشيوسية على أساس الجمع بين شروحيها القديمة وبين تفسيرها الحديثة، وقد بنى مدرسة علمية باسمه، ومع اتساع شهرته بنشر مؤلفاتها اعتمد عليها العلماء الكونفوشيوسيون نظرياً وفكرياً.

٢١٧- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسيطية والإعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٩٠.

الناحية الثالثة : مع بيان السنته السماوية في نصر الصالح وطرده الفاسد في أواخر هذا الفصل أورد المؤلف عدة أبيات شعرية من سيفر القصائد، دلالة على أن صاحب الأخلاق العظيمة المعتدلة مكتوب عليه نصر السماء الأعلى (تيان) بالعزة والشرف.

وهذا كما كشف مونشيوس - المعلم الثاني في الكونفوشيوسية - أسرار العلاقة المتلازمة الثلاثية بين الأخلاق الحميدة ونعم الحياة ونصر السماء الأعلى قائلا: " إن المراتب والمناصب نوعان: المراتب الروحية، والمناصب الدنيوية؛ فأخلاق الرحمة والعدل والأمانة والوفاء والجد في البر والإحسان؛ هي المراتب الروحية العلوية، وأما المناصب الاجتماعية الدنيوية فهي درجة الإشراف كالأمراء والوزراء والقادة. فكان الأسلاف الصالحين يجتهدون أولاً في تهذيب النفس بالأخلاق الحميدة؛ حتى يتدرجوا إلى المراتب الروحية التي يرضى بها السماء الأعلى (تيان)، وفي نفس الوقت سينزل عليهم المناصب والنعيم الدنيوية تبعاً. وأما في عصرنا هذا، فإثما الناس يتظاهرون بتهذيب أنفسهم الروحية ويخطنون كسب المناصب الدنيوية، وإن يحصل أحدهم عليها يترك تهذيبه الروحي. فإيا له من خسران وإغواء كبير! بل سيفقد من الجانب الدنيوي بتهذيبه^{٢١٨} وبالجملة، كان المؤلف " تشي يي " في هذا الفصل يقدم للقراء الملك الحكيم " شون " باعتباره قدوة حسنة بجمع بين الأخلاق العظيمة المعتدلة وبين عزه الملك تحت رعاية السماء الأعلى، مبيّناً أن الرجل الفاضل يجب عليه أن يهذب نفسه على أساس منهاج الوسطية والاعتدال خلقياً وسلوكياً على سواء، فالمثالية الإنسانية لم تقتصر على تهذيب النفس بالأخلاق الحميدة باطنياً فحسب، بل تشمل أيضاً على تطبيقها سلوكياً في معاملة الناس بالبر والإحسان وإدارة شؤون المجتمع بالحكمة والعدالة.

وذلك كما سيبين لنا المؤلف في الفصلين القادمين حيث يتحدث عن مآثر الملوك الثلاثة الحكماء القدماء : الملك " وون وانغ " الأب، والملك " وو وانغ " الابن، وأخيه الصغير الأمير " تيشو فونغ " وفضلاتهم الخلقية والسلوكية في أمن المجتمع واستقرار البلاد.

٢١٨- مجموعة الكتب الأربعة شرح باللغة الصينية المعاصرة، كتاب مونشيوس، الفصل ١١، الصفحة ٣٦٣.

第十八章

原文：子曰：“无忧者，其惟文王乎！以王季为父，以武王为子；父作之，子述之。”

今译：孔子说：“没有烦恼的人，大概是周文王吧！他的父亲是王季，他的儿子是武王。父亲开创了基业，儿子绍述了理想。”

الفصل الثامن عشر

التمهيد:

إن كان للجبال سلسلتها وللمياه منبعها، فإن أصل الحضارة الصينية يرجع إلى الإمبراطور العظيم " هوانغ دي " (٢٧١٧ ق.م - ٢٥٩٩ ق.م) فتتمتع بتاريخها العميق لمدة خمسة آلاف سنة تقريبا، ولقد بلغت هذه الحضارة الأصيلة نضجها في عهد مملكة " تشو " (١٠٦٦ ق.م - ٢٥٦ ق.م)^{٢١٩} ، وفي القرن السادس قبل الميلاد أقام الأستاذ كونفوشيوس - مستقيرا بمصادر الثقافة القديمة لأسرة " تشو " علميا وعمليا - أسس مذهبه الذي تأثرت به بلاد الصين تأثيرا عميقا طوال خمسة وعشرين قرنا حتى يومنا الحاضر.

وفي هذا الفصل يرجع بنا المؤلف إلى بداية مملكة أسرة " تشو " ، وهي فترة مزدهرة بملوكها الحكماء القدماء - الملك الأب " وون وانغ " المؤسس الروحي للمملكة، والملك الابن " وُو وانغ " المؤسس الحقيقي للمملكة، وأخيه الصغير الأمير " تشو قونغ " المصلح المعتمد للمملكة - وبين فيه فضائلهم الأخلاقية والسلوكية في استقرار المجتمع وأمن البلاد، وفقا لمناهج الوسطية والاعتدال نظاميا وسياسيا.

٢١٩ - مملكة " تشو "، يقسم تاريخها إلى فترتين: فترة " تشو الغربية " (١٠٦٦ ق.م - ٧٧١ ق.م)، وهي عصر ازدهارها متبوية مع قتل الملك الظالم " يو وانغ "؛ فقل ابنه " ييلغ وانغ " عاصمته إلى شرقي الصين وبدأ فترة " تشو الشرقية " (٧٧٠ ق.م - ٢٥٦ ق.م)، وهي عصر انحطاط نفوذ ملكوتها وانكسارها، فتقسم إلى عهدين: عهد الربيع والخريف (٧٧٠ ق.م - ٤٧٦ ق.م) وعهد الممالك المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م). وكان كونفوشيوس عاش في أواخر عهد الربيع والخريف.

وهذا الفصل ينقسم إلى ثلاث قطع متتالية، فقد أثنى المؤلف في القطعتين الأولىين ممدوح الملكين الأب والابن في استكمال مآثر الأجداد في إدارة البلاد بالأخلاق الحميدة والسياسة الحكيمة؛ كما بين المؤلف في القطعة الثالثة فضائل الأمير " تيشو قونغ " بعد وفاة أخيه الكبير الملك " وون وانغ " في تثبيت أسس المملكة والأنظمة الاجتماعية وإصلاح عروة حكمها السياسية بتحديد نظام الآداب والطقوس على أسس الوسطية والاعتدال.

ومن الجدير بالذكر أن خلق بز الوالدين ما زال - كما بينه المؤلف في الفصل السابق - محورا رئيسيا تدور حوله مآثر هؤلاء الملوك الحكماء الثلاثة؛ ففي نظر الكونفوشيوسية أن خلق بز الوالدين وحب الإخوة بالنسبة إلى الرجل الفاضل ليس مفتاحا لتوفيق علاقة أفراد الأسرة ومدخلا إلى كل الأخلاق الحميدة فحسب، بل هو قطب أساسي في تصحيح الروابط الاجتماعية وضبط الشؤون السياسية فكريا وسلوكيا.

نص القطعة الأولى:

" قال الأستاذ: لعل أمثل ملك حكم عاش بلا هم ولا غم هو الملك " وون وانغ " ^{٢٠}، إذ كان أبوه " وانغ جي " ^{٢١} أميرا ممهّداً وكان ابنه " وون وانغ " ^{٢٢} ملكا محققا فمهّد أبوه الأسس العظيمة التي قامت عليها الإمارة " تشو " ازدهارا، وحقق ابنه الملك " وون وانغ " أمنيته في تأمين البلاد واستقرار المجتمع بتأسيس مملكة " تشو " استكمالاً.

٢٢٠- الملك " وون وانغ " (١١٥٢ ق.م - ١٠٥٦ ق.م)، وكان حاكم إمارة " تشو " وهو رئيس الأمراء في غربي الصين، اشتهر بأخلاقه الحميدة وإكرام الصالحين والاكفاء في إدارة إمارة " تشو "، حتى خاف من شهرته الفاضلة الملك " جيرو (zhou) " الفاجر - حاكم للمملكة " شياونغ " المركزية وانتدبه وسجنه عدة سنوات فصنر على هذه المحنة صبرا جميلا، وبعد إطلاق سراحه ارتفعت شهرته أوسع فقابل عليه الأمراء والشعوب طامعين من قريب وبعيد، فبلغ في عهده الإمارة أشدّ قوتها حتى امتدت نفوذها إلى ثلثي بلاد الصين، فهو أكثر المؤسسين الروحي للمملكة " تشو " التي أمسها ابنه الملك " وون وانغ " بعد وفاته بمئذون قليلة.

٢٢١- الأمير " وانغ جي " (١٢١٠ ق.م - ١١٠٢ ق.م)، أبو الملك " وون وانغ "، أمير صانع اشتهر بالأخلاق الفاضلة والسياسة الرحمة لمصلح الشعوب، فلتضم إليه الإمارات والقبائل حوله ويقيمون له ولاتهم، وأصبح رئيس الأمراء في غربي الصين، كما لبه الحكومة المركزية للمملكة " شياونغ " وقتئذ. وفي عهده دخلت الإمارة " تشو " في عصر ازدهارها، فهو سمهدا ناجعا لمقروعات ابنه الملك " وون وانغ " في السياسة ملقبا ومضويا.

٢٢٢- الملك " وون وانغ " (حول ١٠٩٧ ق.م - ١٠٤٣ ق.م)، ابن رشدة ثاني للملك " وون وانغ "، ووارثه الخكمي والخفي وممّ أمنيته الباقية في إعادة الأمن والهدوء لبلاد الصين مرة أخرى ضدّ ظلمات الملك الأخير " جيرو (zhou) " الفاجر للمملكة " شياونغ " وقتئذ، وبعد وفاة أبيه بسنوات قليلة، شنّ الحرب التاليدوية بالجيوش المتحدة من الإمارات والقبائل العديدة ضدّ الملك " جيرو " الفاجر، دعوة لإرادة السماء الأظلى فيلن ورغبات الشعوب فيها، ويعزّون وزيارته الصالحين الاكفاء لتمرير على الملك " جيرو " الفاجر والغى ظلماته الطاغية على الشعوب بالسكوت ملكوته فحلّ محطّة سلطنة وحقق أمنية لبه المفقودة في امن البلاد واستقرار المجتمع بتأسيس مملكة " تشو " التي امتدت حيطرتها لثمانية قرون في تاريخ الصين.

الشرح:

كان الملك "وون وانغ" وارثا أمثل لإمارة أبيه "وانغ جي" خلقيا وسلوكيا، وانتشرت شهرته في الفضائل والمكارم قريبا وبعيدا، فبلغت في عهده إمارة "تشو" عصره المزدهر الذهبي ماديا ومعنويا، وأصبح أمير الأمراء في غربي الصين؛ حتى أعترفت المملكة "شيانغ" بمكانته العالية هذه بين الأمراء الآخرين وهي باعتبارها الحكومة المركزية للصين وقتئذ. كما كان ابنه الملك "وو وانغ" وارثا مكملًا لأمنية أبيه في تأمين البلاد واستقرار المجتمع، بعد انتصاره على الملك "جيو (zhou)" الفاجر حاكم مملكة "شيانغ"، وحل محله سلطة وملكًا، فاعاد الأمن والسلام إلى بلاد الصين بأسرها بتأسيس مملكة جديدة لأسرة "تشو" التي امتدت سيطرتها لثمانية قرون في التاريخ الصيني.

فهذه الأجيال الثلاثة المثالية من الأمير "وانغ جي" الجد، والملك "وون وانغ" الأب، والملك "وو وانغ" الابن، في نظر الكونفوشيوسية كان فهم قدوة حسنة لا نظير لها، إذ ورث بعضهم بعضا خلقا كريما وسياسة حكيمة، فمهد الأب لاستقرار البلاد وازدهار المجتمع، وحقق الابن طموح أبيه بجد واجتهاد، حتى يقول كونفوشيوس منحا للملك "وون وانغ" الذي يتوسط بين الأب الممهد وبين الابن المحقق: "إنه ملك حكيم أمثل عاش بلا هم ولا غم".

وقال العالم "تشيونغ هاو" في شرح النص: "هذا الفصل يكشف أن السلوك المعتدل ينبثق من بر الوالدين، فكل من الملك الأب 'وون وانغ' والملك الابن 'وو وانغ' وأخيه الأمير 'نيشو' قونغ 'باري بوالديه، وكل منهم ممهد ومحقق جيلا بعد جيل، فعاش الملك "وو وانغ" بلا هم ولا غم". ١٢٢

وبين العلامة "جو شي" مقاصد هذا النص قائلا: "فالمملك 'وو وانغ' كان هو واسلافه منذ جد جده 'قونغ ليو' وجدّه 'تاي وانغ'، يتوارثون جيلا بعد جيل خلقا كريما وسلوكا رحيمًا،

١٢٢- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ١٩٢.

فلذا عندما جاء عصر السلطة للملك "وون وانغ"، حان حظُّه للسعيد تحت عناية السماء الأعلى،
فقال له ثناء ومدحا: "إنه ملك حكيم فريد عاش بلا هم ولا غم." ٢٢٤

الـمـنـصـب : "武王纘大王，王季，文王之緒。壹戎衣而有天下，身不失天下之显名；尊为天子，富有四海之内；宗庙飨之，子孙保之。"

الـمـنـصـب : "武王承纘了大王，王季，文王的事业，他一穿上甲冑讨伐商纣，就取得了天下，并且自身还保有天下的显赫名声。他尊贵至于天子之位，富裕拥有四海之内的一切。有宗庙来祭祀他，有子孙来继承他。"

نص القطعة الثانية :

" قال الأستاذ : إن الملك "وون وانغ" ورث أمانة عظيمة في تأمين البلاد وتوطيد المجتمع من جدّه الأعلى "تاي وانغ" وجده "وانغ جي" وأبيه "وون وانغ"، فما إن لبس درعه ورفع سلاحه مقاومة لطغيان الملك الأخير "جيو" الفاجر من مملكة "شيانغ"، حتى انتصر عليه، وحلّ محله سلطة وملكا، بل نال من كل أنحاء بلاد الصين مدحا وسمعة، ففي قيد حياته وهو عزيز بمكانة السلطة والملكو، وخصي بآزى ما بين البحار الأربعة الواسعة، كما أنه بقي بعد وفاته شريفا بتمتع القربان في المعبد ومحفوظا ملكه السامي بذريته الصالحة."

الشرح:

مدح المؤلف في هذه القطعة مآثر الملك "وون وانغ"، من حيث إنه ورث أمانة آبائه من ثلاثة الأجيال - الجد الأعلى والجد والأب - في تأمين البلاد وتوطيد المجتمع، فشن الحرب التأييديّة على طغيان الملك "جيو" الفاجر من مملكة "شيانغ"، وحلّ محله سلطة وملكا، فأعاد الأمن والسلام في أنحاء بلاد الصين مرة أخرى، وهو ملك مؤسس لمملكة أيرة "تشو" التي امتدت سيطرتها لمدة ثمانية قرون في تاريخ الصين. ومن ثمّ كان في نظر الكونفوشيوسية أن مآثر الملك "وون وانغ" المذكورة كلها توافق مطالب منهاج الوسطية والاعتدال أخلاقيا وسلوكيا،

٢٢٤- انظر إلى الشرح اللفظي لكتف الوسطية والاعتدال، أن كا هولغ، الصفحة ١٩٣.

مستحقاً للذكر والمدح على الدوام.

قال الحبر " كُونْغ يِنْغ دَا " لكشف سِرِّ أسلوب التعبير بـ " ما إن ليس...حتى..." في النص قائلا: " كانت الجملة ' فما إن ليس درعه ورفع سلاحه مقاومةً لطغيان الملك "جيو" الفاجر من مملكة " شِيَانْغ " حتى غلب عليه وحل محله سلطة وملكا ' مشيرةً إلى أن الملك " وُو وَانْغ " كان وارثاً لمآثر آبائه ومحققاً لأمنيته في أمن المجتمع واستقرار البلاد، وكل هذه الجهود مادياً ومعنوياً ورثها من آبائه لثلاثة الأجيال، ساعدته على مقاومة طغيان الملك "جيو" الفاجر والانتصار على هذا الحكم الاستبدادي؛ إذ كانت كل الجهود من آبائه لثلاثة الأجيال متحدة في أمنية مشتركة هي استقرار بلاد الصين وإزدهار مجتمعهما، حتى حققها الملك " وُو وَانْغ " من نريته في عصره دفعة واحدة بتصره العادل".^{٢٢٥}

وكان المؤلف في هذه القطعة تركّز على بيان مزايا وإنجازات الملك " وُو وَانْغ "، وخاصة في انتصاره على الملك الملك "جيو" الفاجر من مملكة "شِيَانْغ"، وحل محله سلطة وملكا لإعادة الأمن والسلام في بلاد الصين من جديد، مع ذكر مآثر آباء الملك " وُو وَانْغ " الصالحين وجهودهم الأصلية المثمرة؛ لأن جذه الأعلى منذ انتقاله بقبيلته إلى واد جبل "شِيَانْ شَان" ^{٢٢٦} وتأسيس إمارة " تشو " في هذا الموطن الخصب، قد رعى رعيته بالأخلاق الحميدة والمياسة الحكيمة، حتى يشير إليه الناس قريباً وبعيداً بالرشد والفضل، ومع انتشار شهرته أوسع فأوسع انضم إلى إمارته شعوباً و قبائل من مملكة أسرة " شِيَانْغ " طوعاً وتلقائياً، فصارَت إمارته عظمة ضخمة.

وهذه المآثر والفضائل قد توارثها الأجيال الثلاثة من الجد الأعلى والجد الأب حتى وصلت إلى الابن الملك " وُو وَانْغ "؛ وفي عصره بلغ طغيان مملكة " شِيَانْغ " المركزية بيد ملكها الآخر " جيو (zhou) " الفاجر أشد ظلماتها على كل أبناء المجتمع في بلاد الصين، وحينئذ قام الملك الحكيم " وُو وَانْغ " بحملة تأديبية على الملك " جيو (zhou) "، وحل محله سلطة وملكا لإعادة الأمن والسلام في بلاد الصين مرة أخرى.

٢٢٥- انظر: الترح اللغوي لكتاب الوسيط والاعتدال، لي كا مونغ، الصفحة ١٩٤.

٢٢٦- وادي جبل " شِيَانْ شَان "، يقع حالياً في مقاطعة " شَان شِي " بـغربي الصين.

وكان المؤلف يرى أن كل مآثر الملك "وَو وَائغ" وأبائه توافق روح منهاج الوسطية والاعتدال خلقيا وعمليا، فكان انتصاره على الملك "جيو" الفاجر نصرا للعدل والحق، وهو عمل فرضي يتفق عليه إرادة السماء (تيان) والرغبات الإنسانية معا، مستحقا للذكر والمدح كعبارة حسنة في التاريخ الإنساني. ومن ثم يلحق المؤلف في القطعة القادمة فضائل الأمير "تشو قونغ" بمآثر أخيه الملك "وَو وَائغ"، كما سيذكر فيما يلي.

原文：

“武王末受命，周公成文王之德，追王大王、王季，上祀先公以天子之礼。斯礼也，达乎诸侯、大夫及士、庶人。父为大夫，子为士，葬以大夫，祭以士。父为士，子为大夫，葬以士，祭以大夫。期之丧，达乎大夫。三年之丧，达乎天子。父母之丧，无贵贱一也。”

今译：武王晚年受命成为天子，周公完成文王与武王的德业，追加大王，王季的王号。以天子之礼往上奉祀大王以上的祖先。他所制订的礼仪推广应用到诸侯大夫、士与平民身上。若父亲为大夫，儿子为士，则父亲去世时举行大夫的葬礼，并采用士的祭礼。若父亲为士，儿子为大夫，则父亲去世时举行士的葬礼，并采用大夫的祭礼。为旁系亲属的一年之丧，应用范围到大夫为止。为父母的三年之丧，则一直应用到天子。为父母守丧的期限，不分贵贱身份，天下人都一样。”

نص القطعة الثالثة :

"ولما تولى الملك "وَو وَائغ" ملك الصين، وصار ابن السماء الأعلى، وهو قد بلغ سن شيخوخته، كان أخوه الأمير "تشو قونغ" ^{٢٢٧} استكمل مآثر أبيه "وَو وَائغ" وأخيه الكبير

٢٢٧- أمير "تشو قونغ"، وهو الابن الرابع لأبيه الملك "وَو وَائغ"، وكان الذي تولى لأخيه الكبير الملك "وَو وَائغ" في تأسيس مملكة "تشو"، وأصبح الوصي على العرش لابته أخيه الملك "تشو يانغ وَائغ" الصغير المن وقته وساعده في إدارة البلاد بالامن والاستقرار. والأمير "تشو قونغ" قد حدد نظام الآداب والطقوس في توفيق الروابط الاجتماعية خلقا وسلوكا، وكان نظام الآداب والطقوس هذا لم يقتصر تأثيره في عهد مملكة "تشو" فقط، بل امتد نفوذه في تاريخ الصين منذ ثلاثة آلاف سنة حتى يومنا الحاضر. وكان الأستاذ كونفوشيوس منذ شبابه يعتبر الأمير "تشو قونغ" قدوة حسنة له، ويراه دائما في رؤياه.

الملك " وُو وَائِغ " التي لم يتناها في حياتهما، فلقب جدّه الأعلى " تَائِي وَائِغ " ^{٢٢٨} وجدّه " وَائِغ " جى " لقب الملك شرفاً ومدحاً لفضائلهم العظيمة، وأقام لهما الرسوم الملكية في تقديم القرابين للأسلاف القدامى من أجداده للذكرى والحميدة. وكان نظام الآداب والطقوس الذى وضعه الأمير " تشو قونغ " يعم نفوذه كل طبقات المجتمع من الأمراء والوزراء والمتقنين إلى عامة الناس، وبين أمثاله: إذا كان الأب وزيراً وابنه متقفاً وعالماً وتوفى الأب فسوف يدفن بطقوس جنازة الوزير ويقدم له القرابين بآداب المتقن في معبد آبائه. وبالعكس: إذا كان الأب متقفاً وعالماً وابنه وزيراً وتوفى الأب فسوف يدفن بطقوس جنازة المتقن العالم ويقدم له القرابين بآداب الوزير. ومن أمثال نظام الآداب والطقوس أيضاً: إذا توفى أحد من قرابة الحوائى كانت مدة الحزن عليه سنة كاملة يعم حدادها طبقات الوزراء والمتقنين وعامة الناس بدون الملك والأمراء. ولما إذا توفى أحد من قرابة النسب المباشرة فتصبح مدة الحزن عليه ثلاث سنوات يعم حدادها جميع الطبقات حتى الملك بلا استثناء؛ إذ كان جنازة والدين سواء، فلذا على الملك والرعية في حداده ذكر مناقبه والدعاء له.

الشرح:

يتحدث المؤلف في هذه القطعة عن فضائل الأمير " تشو قونغ " في استكمال مآثر أخيه الملك " وُو وَائِغ " وأبيه الملك " وُون وَائِغ " المفقودين، بتحديد نظام الآداب والطقوس وبفشر خلق البر وفقاً لمتهاج الوسطية والاعتدال، في سبيل توثيق الروابط الاجتماعية خلقياً وسلوكياً. قال العلامة " جُو شى " في شرح مقاصد هذه القطعة: " يتحدث هذا النص عن مآثر الأمير " تشو قونغ " خاصة، ومن أهمها أمران: الأول هو تلقيب الجد الأعلى والجد بلقب الملك تشريفًا، إدراكاً لأمنية أبيه وأخيه المفقودين في برّ الآباء، وذكرًا لخدمات جدّه الأعلى وجدّه في تمهيد أسس مملكة " تشو ". وقول النص: " الأسلاف القدامى من أجداده " المراد به من جد الجد

٢٢٨ - " تَائِي وَائِغ " : اسمه " تَان "، ولقبه " فَر قونغ "، وكنيته " فُو "، وهو مؤسس لإمارة " تشو " بعد انتقاله بقبيلته إلى وادي جبل " تشى تان " (يقع حالياً في مقاطعة " شان شى " بغربي الصين)، أصبح أول أمير لإمارة " تشو " بتعيين الحكومة المركزية للمملكة " تشى " وقتئذ، وكان صالح الأخلاق ومجيد الأعمال، شوقاً لشخصيته الفاضلة انضم إليه القبائل الأخرى حوله، فصارت إمارة " تشو " قوية متينة للفترة يوماً بعد يوم. توفي الأمير " فَر قونغ تان " فُو " حوالي سنة ١١٤٦ ق.م.

حتى الجد الأول. والأمر الثاني هو تحديد نظام الأدب والطقوس مع تصميمه على كل أبناء طبقات المجتمع في أنحاء بلاد الصين، فتقام الجنازة حسب منصب المتوفي، وتقدم طقوس القرايين حسب منصب ابنه المرزوق. كما كانت مدة الحداد لسنة كاملة وما أقلّ منها طبقة الأمراء وتخفف منها عن طبقة الوزراء. وأما حداد الوالدين فمئته ثلاث سنوات، وهو سواء على الملك والمملوك، بما فيه فرضية على الخاص والعام بلا تفریق ولا تمييز.^{٢٢٩}

وقد أخبرنا سجل تاريخ الصين أنّه لما صعد الملك "وَو وانغ" على عرشه، كان قد بلغ سناً كبيرة، وتوفي بعد ثلاث سنوات، ومع وفاته كُلف أخوه الأمير "تشو قونغ" بالوصية على عرشه لعون ابن أخيه الملك "تشينغ وانغ"^{٢٣٠} للصغير حينئذ. فأدى الأمير "تشو قونغ" واجبه بكل جد وإخلاص، وخاصةً أنه قام بأمورين مهمين من أجل تأمين أمن مملكة "تشو" الجديدة: الأول: تثبيت شرعية مملكة "تشو" بتلقيب الأباء بلقب الملك تشريفًا؛ والأمر الثاني: هو إقرار كل أبناء طبقات المجتمع المختلفة على دورهم بتحديد نظام الأدب والطقوس.

ولقد حدّد الأمير "تشو قونغ" نظام الأدب والطقوس في سبيل توفيق الروابط والعلاقات الاجتماعية خلقياً وسلوكياً، مشتملاً على كل جوانب حياة الإنسان الواقعية كبيرة كانت أو صغيرة. وعلى سبيل المثال: فمن جانب الطقوس الاعتقادية وقد بينّ نظام الأدب في عبادة السماء الأعلى (تيان)، وفي تقديم القرابين إلى ملائكة الجبال والأنهار وفي تقديس أرواح الأباء وإلخ؛ ومن جانب المبادئ الأخلاقية بينّ فضائل الرحمة والعدل والأمانة والعفة وغيرها تبيناً وتوضيحاً؛ ومن جانب إدارة شؤون الدولة، فصلّ نظام الإقطاعية وأداب الدبلوماسية وتخطيط المدن وإلخ؛ ومن جانب القواعد السلوكية في الحياة الواقعية، فصلّ آداب الزواج وبلوغ سن الرشد وآداب الضيافة

٢٢٩- انظر: الشرح للفظن لكتاب الوسطية والاعتكاف، لي كا هونغ، الصفحة ١٩٧-١٩٦.

٢٣٠- الملك "تشينغ وانغ" (١٠٥٥ ق.م - ١٠٢١ ق.م)، اسمه "جى شون" وهو الملك الثاني لمملكة "تشو". وعندما ورث السلطة الملكية كان عمره اثني عشر سنة، فكان الأمير "تشو قونغ" كلف بالوصية على عرشه، فسار الملك "تشينغ وانغ" في حكمه بصورة رمزية عندما بلغ عشرين من عمره. وفي عصره وعصر ابنه الملك "كائغ وانغ" دخلت المملكة بعون الأمير "تشو قونغ" والوزراء الصالحين الأكفاء. في أشد قوتها وأكثر ازدهارها، لذلك معروف في تاريخ الصين به "فترة الأوج لعهد" تشينغ - كائغ.

ومراسم التآبين وإلخ.^{٢٣١} فلم يقتصر تأثير نظام الأدب والطقوس الذي حدده الأمير "تشو قونغ"، على عهد مملكة "تشو" وقتئذ فقط، بل امتد نفوذه في تاريخ الصين منذ ثلاثة آلاف سنة، حتى يبقى كثير منها في يومنا للحاضر، ونراه في التقاليد والعادات اليومية عند أهل الصين.

وبالجملة، يبتدئ القطع الثلاث المذكورة في هذا الفصل مآثر الملك "وون وانغ" الأب والملك "وو وانغ" الابن والأمير "تشو قونغ" الأخ، فكلّ منهم ورث عن سلفه خلقاً كريماً وسياسة حكيمة في تأمين البلاد وتوطيد أركان المجتمع، وفقاً لروح منهاج الوسطية والاعتدال مع تكيف ظروفهم المختلفة. وهم لقومهم قدوة حسنة تتمثل في شخصية الرجل الفاضل المثالي عند الكونفوشيوسية، ممتحفاً لأن يقتدى به واحد من الخلف- سواء أ كان ملكاً أو مملوكاً- في حياتهم الواقعة مهما تتغير العصور.

ولقد أشار المؤلف في القطعة الثالثة أثناء بيان مآثر الأمير "تشو قونغ" إلى أن برّ الآباء ليس بالإحسان إليهم في الحياة فحسب، بل هو خلق وفضيلة يستمر تأثيره بعد وفاتهم أيضاً. فمهد المؤلف بهذه الإشارة إلى أهمية البرّ المعروف ومقاصده الاجتماعية والاعتقادية كما سيبيتها في الفصل القادم.

٢٣١- تفاصيل نظام الأدب والطقوس محفوظة في مجموعة الكتب الثلاثة لنظام الأدب عند الكونفوشيوسية. يمكن الرجوع إليه للبحث والمراعاة.

第十九章

原文：子曰：“武王、周公其达孝矣乎！”

今译：孔子说：“武王与周公，大概是最孝顺的啊。”

الفصل التاسع عشر

التمهيد:

الحق المؤلف هذا الفصل بالفصل السابق ويبين مقاصده بأسلوب بليغ ومعنى أوسع، وذكر فيه أنه لم يرث الملك "ووانغ" وأخيه الأمير "تشو قونغ" متأثر آبائهم من الأخلاق الحميدة و السياسة الحكيمة فقط، بل قد بلغا أيضا أوج خلق البر المعروف وأصبحا فيه قوة حسنة لأبناء المجتمع الصيني فيما بعد. وخاصة أنه كان الأمير "تشو قونغ" يتخذ خلق البر فكرة مرشدة في تحديد نظام الآداب والطقوس وفقا لمطالب منهاج الوسطية والاعتدال، من أجل توثيق العلاقات الاجتماعية المتنوعة خلقيا وسلوكيا.

فخلق برّ الوالدين وإحسان متأثرهما خلق معتدل في نظر الكونفوشيوسية، وهذا الخلق المعتدل متواجدة عملا منذ أكثر ثلاثة آلاف سنة في تاريخ الصين يرشد ويثبت الروابط الأخلاقية في تنظيم شؤون المجتمع وإدارة أمور الدولة. وهو ليس خلقا عنصريا يعدل العلاقة التسمية بين الآباء والأبناء في الأسرة فقط، بل يؤسس نظرية مستقلة في فكرة المحيا والسمات، ويقوى روح الاتحادية الاجتماعية في بلاد الصين أيضا. ومع هذه الترابط المعنوية بين خلق البر وبين النظرية الاعتقادية لفكرة المحيا والسمات، أصبح معبد الآباء وطقوس القرابين عند الكونفوشيوسية ليس فيه فوائد معنوية وتعليمات تربية فسيب، بل صار أساسا ثابتا يعرّز الاتفاقية بين العلاقات الاجتماعية المختلفة، وأصبح جسرا معنويا ينظم الاعتدالية في إدارة شؤون الدولة عندهم أيضا. وعلى أساس أهمية خلق البر وضرورته في استكمال متأثر الآباء السابقين خلقيا وسلوكيا، كان كل واحد في مجتمع الصين التقليدي- سواء أكان ملكا أو مملوكا- يهتم بطقوس القرابين وآدابها غاية الاهتمام. كما يذكرها المؤلف في أربعة قطع خلال الفصل، والقطعة الأولى هي:

نص القطعة الأولى:

" قال الأستاذ: لعل الملك 'وَو وانغ' وأخوه الأمير 'تشو فونغ' قد بلغا إلى البرّ المعروف بكامله."

الشرح:

لقد بيّن المؤلف مجملا في بداية الفصل السابق أن البرّ المعروف الذي أذاه الملك "وَو وانغ" وأخوه الأمير "تشو فونغ" هو البرّ الكامل الذي يشير إليه جميع أبناء المجتمع في بلاد الصين حمدا ووفاقا، وهو قدوة حسنة في برّ الآباء واستكمال مآثرهم الخلقية والسلوكية.

قال العلامة "جُو شِي" في بيان معاني النص وكشف مناسبة الفصلين السابق باللاحق بقوله: " كلمة المعروف هنا المراد بها معنى الكامل. وكان هذا النصّ يلحق بما فُكر في الفصل السابق من مآثر الملك "وَو وانغ" وأخيه الأمير "تشو فونغ"، متركزا على الخلق العظيم في البرّ المعروف، وهو البرّ الكامل الذي يشير إليه جميع أبناء المجتمع في أنحاء بلاد الصين حمدا ووفاقا. وكان للفصل السابق يذكر المؤلف فيه أن الملك "وَو وانغ" قد ورث الأخلاق الحميدة والسياسة الحكيمة من آباءه منذ ثلاثة أجيال، حتى جلس على عرش ملكوت بلاد الصين وأعاد الأمن والسلام فيها. وكان الأمير "تشو فونغ" بعد وفاة أخيه الكبير الملك، استكمل مآثر أبيه وأخيه الفقيد بتلقيب الأجداد السلف بلقب الملك ذكرا ومجدا، وذلك هو أهم شيء في حسن متابعة أميّنات السلف. وأما إيراد فضائل الأمير "تشو فونغ" بتحديد نظام الآداب والطقوس في هذا الفصل، فذلك من أجل التوفيق بين ما ذُكر في الفصل السابق وبين ما سيذكر هنا من طقوس القربان ومقاصدها المعنوية." ٢٢٢

وكان خلق برّ الآباء خلقا عظيما وقاعدة مرشدة في حضارة الصين قديما وحديثا، فاتّخذة الكونفوشيوسية معيارا عنصريا في توفيق العلاقات الاجتماعية المختلفة خلقيا وسلوكيا، حتى يصرح مؤسس مذهب الكونفوشيوسية على الوجوب والالتزام بخلق برّ الوالدين حسب نظام الآداب، حيث مثل الأستاذ مرّة عن معنى البرّ، قال: لا منافاة. قيل: فما المراد بها؟ فأجاب:

٢٢٢- انظر: الشرح للفظي لكتاب الوصية والاعتدال، لن: ١٥، هونغ، الصفحة ١٩٦-١٩٧.

عندما كان الوالدان في قيد الحياة اخدمهما حسب نظام الآداب، ولما توفيا أقم الجنائزة حسب نظام الآداب وقدم إليهما القرابين وطقوس الذكر حسب نظام الآداب. " ٢٢٢

فلندرس مقاصد خلق البرز الاجتماعية والاعتقادية عند الكونفوشيوسية فما يلي من القطع

الثلاثة التالية، وهي:

原文：子曰：“夫孝者，善继人之志，善述人之事者也。春秋，修其祖庙，陈其宗器，设其裳衣，荐其时食。宗庙之礼，所以序昭穆也；序爵，所以辨贵贱也；序事，所以辨贤也；旅酬下为上，所以逮贱也；燕毛，所以序齿也。”

今译：孔子说：“所谓孝顺，是说好好继承先人的志向，好好延续先人的事业。每逢春秋二季祭祀之时，要修缮祖先的宗庙，陈列祖先的器物，安设祖先的衣裳，供奉应时的食物。宗庙的礼仪，是为了要安排昭与穆的顺序。排列爵位的等级，是为了要分辨贵与贱的顺序。派任祭祀时的职事，是为了要辨别贤能的人。众人聚会让晚辈为长辈斟酒之礼，是为了让身份低卑的人也可以表达敬意。祭祀结束的宴会则依毛发颜色入座，是为了分辨年龄的长幼。”

نص القطعة الثانية :

" إن البر هو حسن المتابعة لأمنيات الآباء العلف وحسن الاستكمال لمآثرهم الباقية. فلما جاء موسم تقديم القرابين في أربعة فصول لكل سنة، يجب على الأبناء أن يزيتوا معبد الآباء احتراماً، ويعرضوا آنية الآباء الهامة رمزا لمآثرهم، ويأثثوا ملابسهم المستعملة في قيد حياتهم، ويقدموا لهم طعاماً طازجاً في الموسم قرباناً. كما في مناسبة إقامة الطقوس ينبغي على الأبناء والذريات أن يصفّقوا صفوفهم حسب نظام صف اليسار المتبرع وصف اليمين التابع، حتى يتبين الكبار من الصغار والقريب من البعيد في النسب؛ وعليهم أن يرتبوا مواقعهم في داخل الصف

حسب مكانتهم الاجتماعية حتى يتفرق رفع المنزلة من رذيلها؛ وأن يعيتوا وظائف الطقوس حسب الكفاءة والأهلية حتى يتميز قوى القدرة من ضعيفها؛ وأن يقدموا الصغار من أفراد الأسرة كأسا في خاتمة الطقوس إلى الكبار حتى تتيح الفرصة لتشريف الصغار على احترام الكبار؛ وأن ينظموا مجالس الحفلة العائلية بعد إتمام الطقوس حسب بياض الشعر وسواده حتى يتفوق الشيوخ على الشباب إكراما وإحسانا.

الشرح:

لقد ذكر المؤلف في هذه القطعة مفاهيم البر المعروف باعتباره القوة الحسنة في الملك "وَوَإِنِّعْ" وأخيه الأمير "تَشُو قُونِغْ"، في حسن متابعتها لأمنيات الآباء وحسن الاستكمال لمآثرهم، مع بيان كيفية طقوس القربان في معبد الآباء و تعاليمها الاجتماعية بالنسبة إلى الكونفوشيوسية. فكانت مقاصد خلق البر المعروف هنا تدور على ثلاث أفكار مهتمة، وهي:

الأولى: تحديد معنى البر المعروف، وخاصة عن مضمونه المعنوي بعد وفاة الآباء. وذلك كما أخبرنا النص: حسن المتابعة لأمنيات الآباء السابقين، وحسن الاستكمال لمآثرهم الباقية إدراكا. فكان الملك "وَوَإِنِّعْ" قد تابع لأمنية أبيه العظيمة بعد وفاته بإعادة السلام والأمن في بلاد الصين عن طريق إزالة طغيان الملك "جيو" الفاجر وحل محله ملكا وسلطة. ولما ثوى الملك "وَوَإِنِّعْ" وترك المملكة مستحدث تأسيسها، قام الأمير "تَشُو قُونِغْ" باستكمال مآثر أبيه وأخيه الكبير الفقيد، عن طريق تحديد نظام الآداب والطقوس من أجل تأمين أسس المجتمع وتثبيت قواعد الدولة خلقيا وسلوكيا.

الثانية: تبين كيفية طقوس القربان في معبد الآباء ومقاصد آدابها المعنوية. وذلك يتمثل في أربعة أمور، أولا- أن يجند ويزين الخلف معبد الأجداد في كل موسم لأربعة الفصول السنوية، عبارة عن ورع الخلف واحترامهم للسلف باطنا وظاهرا. وثانيا- أن يعرض الأواني الهامة التي استعملها الأجداد في قيد حياتهم، إشارة إلى ذكر الخلف وحفاظهم على مآثر الآباء السلوكية. وثالثا- أن يعرض ملابس السلف الموروثة في المعبد، عبارة عن مراقبة الآباء الروحية

وعنايتهم على الأبناء. ورابعا - أن يقدم الخلف لسلفهم الفقيد طعاما طازج الموسم قربانا متواضعا، إشارة إلى شوق الأبناء وتكرهم.

الثالثة : تفصيل تعاليم الطقوس الروحية ومنافعها الاجتماعية المرشدة، وذلك بالتركيز على خمس قواعد أخلاقية هامة، القاعدة الأولى- تعزيز درجات القرابة، متمثلا في تنظيم صفوف حسب نظام أولية اليسار وثقوية اليمين، لبيان السلف من الخلف والقريب من البعيد في النسب؛ والقاعدة الثانية- تعظيم أولى الأمر والمناصب، منعكسا في ترتيب صفوف الحاضرين في الطقوس حسب رفيع المنزلة الاجتماعية ورنيلها. والقاعدة الثالثة- تقديم الصالحين والأكفاء، متمثلا في تعيين وظائف الطقوس حسب الأهلية والقدرة. والقاعدة الرابعة- تراحم الصغار والضعفاء، منعكسا في تلبية الصغير كاسا تحية إلى الكبير. والقاعدة الخامسة- إكرام الشيوخ وكبار الأسنان، متمثلا في تنظيم مجالس الحفلة حسب بياض الشعر وسواده لتفويق الشيوخ على الشباب.^{٢٢٤}

وكانت هذه القواعد الخمس الأخلاقية على أساس منهاج الوسطية والاعتدال، تصبح رابطة وثيقة لا تنقسم عروتها في استقرار المجتمع وتأمين البلاد خلقيا وسياسيا مع مرور الزمان ومواجهة عجالات تاريخ الصين منذ ثلاثة آلاف سنة.

وقد انتهينا من دراسة نص القطعة الثانية وفوائدها، ووصلنا إلى نص القطعة الثالثة، وهي:

原文：子曰：“践其位，行其礼，奏其乐，敬其所尊，爱其所亲。事死如事生，事亡如事存，孝之至也。”

今译：孔子说：“在祭礼中，登上昔日祖先行祭时的位置，行祖先之礼，奏祖先之乐，敬重祖先所尊敬的人，爱护祖先所亲爱的人。事奉死者有如在事奉生者一般，事奉亡故的先人有如在事奉尚存的长辈一般，这就是达到孝顺的最高标准了。”

٢٢٤- انظر: الشرح اللطيف لكتاب الوسطية والاعتدال، ابن كا هونغ، الصفحة ٢٠٢.

نص القطعة الثالثة:

" قال الأستاذ: كان الملك الوارث^{٢٣٥} يرفع في معبد الآباء اللوحة المنقوشة التي عليها أسماء الملوك السلف تذكيراً، ويقوم بالطقوس التي أقام بها الآباء الفقيدون في قيد حياته ورعا، ويعزف على آلات الموسيقى الطقوسية وقارا التي عزف عليها الآباء السلف، ويحترم من أحترموه، ويرحم من رحموه، ويخدم آباء السلف كما خدمهم في معيائهم، ويعاملهم في فقدانهم كما يعامل الكبار الأحياء، حينئذ لقد بلغ إلى البر المعروف حقاً. "

الشرح:

لخص المؤلف " تس سي " في هذه القطعة مقاصد البر بعد وفاة الآباء في حسن متابعة أمليات السلف الخلقية واستكمال مآثرهم السلوكية، مع بيان أنه إذا كان الابن يخدم أباه المتوفى كما خدمه في حياته، ويعامله في فقدانهم كما يعامل الكبار الأحياء، فذلك هو البر المعروف عند الكونفوشيوسية.

قال العالم " تشينغ مائو " في كشف مناسبة القطعة هذه بقوله: " يعتبر النص بآداب الملك في بر والده الفقيد كأسوة حسنة عامة في رحم الرعية المملوكة، وفي استكمال مآثر الآباء السلف خصوصاً، وذلك هو البر المعروف بكل معنى الكلمة. " ^{٢٣٦}

وهذه القطعة تصور لنا صورة حياة من أسوة حسنة في خلق البر المعروف من الملك الابن " وو وانغ " وأخيه الأمير " تشو فونغ "، ويكشف المؤلف من خلالها جوانب الطقوس الاعتقادية والتعليمات الاجتماعية في خلق البر المعروف عند الكونفوشيوسية.

ومن جانب الطقوس الاعتقادية يتمثل في رفع اللوحة باسم الملك السالف الفقيد ذكراً له، وإقامة طقوس القرбан له ورعا، وعزف الموسيقى الطقوسية وقارا. وأما من جانب التعليمات الاجتماعية فذلك ينعكس في احترام من الذي أحترمه الملك السلف، وهم أهليته وذريته، وفي رحم

^{٢٣٥}- يشير به إلى الملك " وو وانغ " وأخيه الأمير " تشو فونغ " كخوة حسنة في هذا المجال.

^{٢٣٦}- انظر: الشرح الفظني لكتاب الوسطية والأعتدال، لي كا مونغ، الصفحة ٢٠٣.

من الذى رحمه الملك السالف، وهم رعائاه وشعبه. وبذلك يحقق معنى العبارة فى النص بقوله:
" ويخدم أباءه السلف كما خدمهم فى محياهم، ويعاملهم فى فقدانهم كما يعامل الكبار الأحياء."
فهذا هو المثل الأعلى لخلق البر المعروف فى حسن متابعة أمميات السلف وحسن استكمال
مآثرهم خلقيا وسلوكيا.

وعلى أساس النظرية المستقلة هذه فى فكرة المحيا والممات، يعتبر الكونفوشيوسية أن خلق
البر ليس رابطة أخلاقية تنظم العلاقات الاجتماعية المختلفة فى حياة الإنسان الواقعة فقط، بل هو
أيضا جسر معنوى يتواصل بين الماضى (الأسلاف المفقودين) والحاضر (الأبناء الوارثين)
والمستقبل (الذريات القادمة).

ونظرا لهذه الأسباب الأخلاقية والاجتماعية والاعتقادية، كانت الكونفوشيوسية تهتم بخلق
البر اهتماما كبيرا، كما يؤكد المؤلف " تس سي" فى كتابه هذا من خلال فصوله الثلاثة المتتالية
مع الشرح والتفصيل المفسر. والآن وصلنا إلى خاتمة الفصل هذا، وهى قضية أهمية طقوس
القربان للسماء (تيان) باعتباره الإله الأعلى ومهمة تقديس أرواح الأباء، مبيثا لفوائدها المؤثرة
فى إقرار أسس المجتمع وإرشاد شؤون البلاد، وهى:

原文: 子曰: "郊社之礼, 所以事上帝也。 宗庙之礼, 所以祀乎其
先也。 明乎郊社礼, 禘尝之义, 治国其如示诸掌乎!"

今译: "举行郊社之礼祭拜天地, 是为了事奉上帝。举行宗庙之礼, 是为了祭祀祖先。
只要明白郊社之礼仪节与禘尝之礼的意义, 治理国家就好像看着自己手掌那么简单。"

نص القطعة الرابعة:

" قل الأستاذ: إنما طقوس القربان التى قام بها الملك فى ضاحية عاصمة البلاد لعبادة
(شيانغ دى)^{٢٣٧} وطقوس القربان التى قام بها الملك فى معبد الأباء بالفصول الأربعة بمثابة

^{٢٣٧} - شيانغ دى: وهو اسم آخر للسماء " تيان " بمعنى الملك الأعلى، قال سجل التاريخ: " شيانغ دى اسم آخر للسماء (تيان)
لا يوجد له آخر غيره. " انظر: الملف الثامن والبحرين، سجل التاريخ، ل " سى ما تشان ".

ذكرى الأجداد السابقين. وإذا فقه الملك مقاصد إقامة الطقوس في عبادة (شياڠغ دي)، وإذا يفهم معاني تقديم القرбан في تذكير الأجداد السابقين، ليعلم حقيقة إدارة شؤون البلاد بكل سهولة، كما يسهل له أن ينظر إلى بصمات كفيه لنفسه. "

الشرح:

كان المؤلف يذكر في هذه القطعة أهمية طقوس القرбан في عبادة (شياڠغ دي) وفي تذكير الأجداد السابقين ومؤثرهم ، بينما لمقاصدها الاجتماعية والاقتصادية في تنظيم أسس المجتمع وإرشاد شؤون الدولة عند الكونفوشيوسية.

كشف " جينغ شوان " أسرار المناسبة بين هذه الطقوس الاعتقادية وبين حقيقة إدارة شؤون البلاد وقال: " وكانت مقاصد الطقوس هذه لبيان القواعد الاجتماعية خلقيا وسلوكيا في تنظيم أصحاب المناصب واحترام الصالحين وإكرام ذوى القربى، وإذا فهم الحاكم حقيقتها يسهل له إدارة شؤون بلاده وهذا مثلما يدور كرة صغيرة في يده بكل سهولة. " ٢٣٨

وفي مجتمع الصين التقليدي كان القدماء يعتبرون أن إقامة طقوس القرбан وإعداد الجيش لدفاع الوطن أمرين كبيرين لا يستغنى عنهما الحكومة في إدارة شؤون الدولة ٢٣٩. فطقوس القرбан ما كان دورها يتمثل في تنظيم المجتمع من جانب الاعتقاد فقط، بل أيضا تلعب دورا رئيسيا في توفيق العلاقات الاجتماعية حسب نظام الأداب. ومن أهمها تقديم القرбан في طقوس عبادة (شياڠغ دي)، وطقوس القرбан لذكرى الأجداد السابقين. ولقد بين لنا المؤلف النوع الثانى فى القطعات السابقة بالتفصيل، وهو نظام يعم تأكيده على كل طبقات أبناء المجتمع من الملك إلى الرعية على سواء.

وأما النوع الأول فهو طقوس القرбан فى ضاحية العاصمة لعبادة (شياڠغ دي)، وهى طقوس نخصن الملك وحده بإقامته على صورة رسمية فخمة. فكان الملك يستحم ويصوم قبلها لمدة

٢٣٨- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، أن كا هونغ، الصفحة ٢٠٤.
٢٣٩- ارجع إلى سفر الربيع والخريف برواية السيد زو، دار الطباعة لمكتبة للصين، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م الجزء ٢٧، الصفحة ٩٣١.

ثلاثة خلوة، ويأمر وزير الكهنوت بكتابة كلمات الدعاء والحمد، ويقرأها الملك - يستمع إليها جميع وزراؤه والحاضرين - في معبد (شيانغ دي) بكل احترام وتقوى، ثم يبدأ بتقديم القرابين العظيمة وغيرها من الأمور المتعلقة بهذه المراسيم المقدسة.^{٢٢٦}

ففي نظر الكونفوشيوسية أن المقاصد الاعتقادية والاجتماعية في طقوس القربان لعبادة (شيانغ دي) وفي تذكير الأباء السابقين ومآثرهم الخلقية والسلوكية، لم تقتصر على توفيق العلاقات الاجتماعية فحسب، بل يلهم الإنسان أيضا إلى التفكير في أصل وجوده ومسؤوليته لآخرين في العالم. فكانت هذه المقاصد الروحية في تلك الطقوس المقدسة تتفق مع مبادئ تأمين البلاد وتثبيت أسس المجتمع، وذلك كما ينص في خاتمة القطعة هذه بقول: " وإذا يفهم معاني تقديم القربان في تذكير الأجداد السابقين، ليعلم حقيقة إدارة شؤون البلاد بكل سهولة، كما يسهل له أن ينظر إلى بصمات كفته لنفسه."

ولقد اتخذ المؤلف هذه الجملة الخاتمة تمهيدا لطيفا للفصل القادم - سؤال الأمير " أي قونغ " عن السياسة وإدارة الدولة، وهو الفصل القيم لبيان مفاهيم الكونفوشيوسية للسياسة المثالية والمجتمع المرشد، كما هو أطول الفصول حجما وأكثرها شرحا في هذا الكتاب، فلنأت إلى دراسته فيما يلي :

٢٢٦- يمكن الإرجاع إلى كتاب الأدباء: دار الطباعة لمكتبة الصين، للطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م، الفصل ٢١، الصفحة ٧٧٦.

第二十章

原文：哀公问政，子曰：“文武之政，布在方策。其人存，则其政举；其人亡，则其政息。人道敏政，地道敏树。夫政也者，蒲卢也。”

今译：鲁哀公向孔子问政治。孔子回答说：“文王武王所推行的政治，都记录陈列在木版和竹简上，现在仍明明白白可以稽考。圣君贤臣存在着，那么政治就顺利推行；圣君贤臣没有了，那么政治就会停息。用君臣协德的人道推行政治就会立即见效，正像树木种在地上就会迅速成长一样。文王武王时的政治，由于圣君贤臣相配合，就会立即产生治国平天下的效果，好像蒲苇生长一样迅速。”

الفصل العشرون

التمهيد:

وهذا الفصل يحتوى على موضوعات كثيرة، ويقسم نصه إلى أربع عشرة قطعة، وهو أطول الفصول في هذا الكتاب. صنفه المؤلف "نفس سي" على أسلوب الحوار، وفيه سؤال الأمير "أى قونغ" ^(٢٤١) للأستاذ كونفوشيوس عن سياسة الدولة الرشيدة ومناهج إدارتها، وأجابه كونفوشيوس أن السياسة الرشيدة والقويمة بالنسبة إلى الدولة، تعتمد على وجود الحكام الصالحين فيها، فالحاكم لا بد منه أن يهذب نفسه بالأخلاق الفاضلة ويقع طريق الحق في حياته السياسية، ويختار موظفى الحكومة ذوي الخلق والكفاءة، ولا بدّ منه أن يعطى من نفسه مثلاً في التطبيق العملى بالمبادئ الأخلاقية الخمسة الأساسية وبالأخلاق الثلاثة الكبيرة، ويبدأ في تطبيقه العملى الخلقى بنفسه أولاً، ثم يطلب الآخرين من الوزراء و موظفى الحكومة ورعيته الجماهير. كما بين فيه الأستاذ كونفوشيوس للأمير "أى قونغ" القواعد التسعة الرئيسية في إدارة الدولة وسياساتها الرشيدة مع بيان طريق تنفيذ هذه القواعد التسعة ومنافع ممارستها. وفي آخر هذا الفصل أشار

(٢٤١) - "أى قونغ"، هو أمير إمارة "لو" التى ولد فيها الأستاذ كونفوشيوس، وكان حكمه للإمارة من بين ٤٦٤ ق. م إلى ٤٦٨ ق. م. لقد اتخذ الأمير "أى قونغ" الأستاذ كونفوشيوس مستشاراً له، بعد ما عاد إلى ميسقط رأسه بدعوته فى عام أربع مئة وأربعة ومائتين قبل الميلاد من جولته لمدة طويلة في الإمارات الأخرى داعياً إلى أفكار مذهبه الإصلاحية السياسية.

الأستاذ كونفوشيوس إلى مفتاح التهذيب النفسى والإصلاح الذاتى بالأخلاق الحميدة، وهو "الإخلاص والصدق" فى قلب الإنسان الباطن، ويرى تطبيق العمل بهذه القواعد التسعة السياسية بدون "الإخلاص والصدق" فهى تجعل الأنظمة والمناهج السياسية كلها فارغة معناها وقيمتها، كما أشار فى الفصل أيضا إلى كيفية الوصول إلى الإخلاص والصدق وأسلوب ممارسة تلك القواعد السياسية.

وإذا نقرأ نصوص هذا الفصل لأوّل مرّة، ربما نجدها متراخ المضمون ومتباعد بعضها عن الآخر، ولكن فى الواقع أنه دقيق محكم فى الترتيب وعميق المعرفة والتحليل يشمل الجوانب المختلفة، ويتصل بعضه ببعض آخر فى تقاسق النصوص. فضلا عن ذلك كان "الإخلاص والصدق" هو محور الفصل كله. وهذا هو الفكر الأساسى وسنعه المؤلف فى طريق مناهج الوسطية والاعتدال. فلذا قد إحتوى هذا الفصل على الأمور الكثيرة يتناولها من أمر التهذيب النفسى وبر الوالدين وتنظيم علاقات أفراد الأسرة إلى تأسيس العلاقات الإجتماعية الإنسانية كلها حتى إلى أمور إدارة الدولة وسياساتها الداخلية وبناء العلاقات الدولية الخارجية. تأتى الآن إلى نصوصها بما يلى:

نص القطعة الأولى:

"مال الأمير ' آئى فوئغ ' الأستاذ كونفوشيوس عن سياسة البلد، فأجابه وقال: " منهج السياسة والإدارة للملك " وُونْ وَئُغ" والملك " وُو وَئُغ" ما زال محفوظا ومسجلا فى ألواح بامبو، فممكن لنا للمراجعة إليها بالدراسة والاسترشاد. وإذا يوجد الحاكم الصالح والوزراء الطيبون المتمثلون بهؤلاء الملوك السلف الصالحين، فسوف تحقّق السياسة الرشيدة فى البلاد، وسوف يصير المجتمع ثابتا ومستقرا، ولو غاب الحاكم الفاضل والوزراء المخلصون المقنون بهؤلاء الحكام الصالحين، لزلت السياسة الرشيدة القويمة، وحدثت الاضطرابات والقلق فى المجتمع. ومن أجل تحقيق السياسة الرشيدة، لو تعاون الحاكم مع وزرائه تعاونا وثيقا، واتحد معهم اتحادا قويا، لكانت الأمور السياسية كلها سريعة مفعولها وتنفيذها، وهذا مثل النبات إذا

ثُرعت في الأرض الخصبة، فهي تنمي بسرعة وحيوية. فلذا، إنمثل رعاية الحاكم الصالح لرعيته
بالسياسة الرشيدة وإثبات المجتمع بمحاسن أخلاقه، كمثل صلاحية الأرض الخصبة لتعز نبات
التيفا والقصب وخروجها منها بسرعة ونشاطاً."

الشرح:

وفي هذه القطعة تحدث المؤلف عن أهم الاتجاهات السياسية في الكونفوشيوسية، وهي أن
السياسة الرشيدة القوية في البلاد لا تبقى إلا مع بقاء الحكام الصالحين، ولا تذهب إلا مع
ذهابهم، وقد أكد أهمية الدور العظيم للحكام الصالحين في قوة الدولة واستقرار المجتمع،
والنص هنا يبين وجهة السياسة الكونفوشيوسية هذه على أسلوب إجابة الأستاذ كونفوشيوس عن
سؤال "آي قونغ"، ويخبره: إذا يريد أن يحقق السياسة الرشيدة في بلده، فيكفي له أن يتمثل
بالمملوك الحكيم القدامى في مناهجهم الإدارية في بلاد الصين القديمة، مثل الملك "وون وانغ"
و الملك "وو وانغ"، وهما المملكان الحكيمان في الزمن القديم قبل الأستاذ كونفوشيوس لخمس
قرون، ولكنهما أعطيا مثلاً من أنفسهما، وقد جمعا بين الحكمة العظيمة وبين الكفاءة الفائقة، مع
جمعهما بين العلم الواسع وبين الأخلاق الفاضلة، كما كان عندهما وزراء أفاضل مثل الأمير
تشو قونغ^{٢٤٢} والأمير "تشاو قونغ"^{٢٤٣}، وحيث كان آنذاك من بين الملك والوزير اتحاداً قوياً
وتعاوناً وثيقاً، فلذلك لقد حققوا السياسة الرشيدة في بلاد الصين، وكان حكمهم الإداري ومنهجهم
السياسي قد سُجِّل في الكتب الكلاسيكية، ونحن الآن يمكن أن نرجع إليها بالدراسة استقراً منها،
ولكن اليوم لا نجد مثل هؤلاء الملوك الصالحين والوزراء المخلصين في بلادنا، فزالت السياسة
الرشيدة مع ذهاب هؤلاء الحكام الحكماء القدامى.

وهذه النظرية السياسية عند الكونفوشيوسية معروفة بـ "السياسة الرحمة"، تؤكد أهمية
صلاحية رجال الدولة خلقياً وسلوكياً في إدارة شؤون أبناء المجتمع، وهي تقوم على أساس فكرة

٢٤٢- الأمير "تشو قونغ": ارجع إلى الصفحة ١٤٤ من هامشة الفصل الثامن عشرة.

٢٤٣- الأمير "تشاو قونغ" ارجع إلى الصفحة ٣٦، الهامش للفصل الأول.

الرحمة والعدل ونظام الآداب القديم، وفي سياسة أمور المجتمع، هذه النظرية السياسية تبرز أهمية أخلاق الخُكَّام وتأثير سيرتهم في تنفيذ السياسة، وجدير بالذكر أنها لا تشجع الحكَّام على استخدامهم أسلوب العقوبة الشديدة، كما قال الأستاذ كونفوشيوس: "إذا حكم الحاكم رعاياه بالشدة والقسوة القانونية وفرض عليهم العقوبات العنيفة، فربما يجنب الناس عن الجريمة خوفاً من الحدود القانونية، ولا حياة لهم من قبائح الجريمة وفواحشها؛ ولكنه إذا بهتّب الحاكم رعيته على الفضائل وبعدّلهم بنظام الآداب، فسوف يمنع الشعب أنفسهم تلقائياً من ارتكاب الجريمة حياة وعفة، يرضون بإدارته الرشيدة وحكمه الرحيم سمعاً وطاعة." ٢٤٤

وكلام الأستاذ كونفوشيوس هذا يطلب الحاكم من أن يكون واسع الرحمة لرعيته وطيب الأخلاق ومستقيم السلوك، أى يطلب منه أن يكون قوة حسنة بالأخلاق الحميدة لكي يقتدى بها رعيته، ويحكمهم بالطريق التهديبي على الأخلاق والفضائل بدلاً عن العقوبات الشديدة القاسية. وعلى هذا الأساس، الكلمة "السياسة" هي الاعتدال والإصلاح، كما بينها الأستاذ كونفوشيوس عندما لسؤال "جى كائغ تش" ٢٤٥ عن معنى كلمة السياسة، وقال: "السياسة بمعنى الاعتدال والإصلاح، فإن تجعل اعتدال نفسك وإصلاحها كأسوة حسنة لرعيته، فمن الذى يجترء على الظلم ويأتى بالفساد؟" ٢٤٦.

فإن الحاكم هو ولى الأمر للشعب جميعاً، فلا بد أن يصلح نفسه أولاً، وبهتّب ذاته بالأخلاق الحميدة قبل أن يطلب ذلك من غيره. وإذا هتّب نفسه وصار هو نفسه مستقيماً للإقتدى به الناس جميعاً فى بلاده. كما قال الأستاذ كونفوشيوس فى كتاب الحوار: "مثل الذى يحكم البلاد بالفضائل كمثل نجمة القطب تثبت فى محلها والنجوم تحوم حولها متوجهة إليها." ٢٤٧ وهذا يعنى أن الحاكم إذا بهتّب نفسه ويقوم ذاته بالفضائل، ويختار موظفى الحكومة الصالحين وطيبى

٢٤٤- كتاب الحوار بشرح جوشى، الفصل الثانى، الصفحة ٩٢.

٢٤٥- "جى كائغ تش"، المكونى ٤٩٨ ق.م. رئيس الوزراء الجنرال فى إمارة "لو" وقتئذ.

٢٤٦- كتاب الحوار بشرح جوشى، الفصل الثانى عشر، الصفحة ٢٣٦.

٢٤٧- كتاب الحوار بشرح جوشى، الفصل الثانى، الصفحة ١٢.

الأخلاق، فلا يحتاج الحاكم إلى أن يحضر كل شيء بنفسه ويكفى له بأن يجلس على عرشه مستقيماً ومخلصاً، لأن كل واحد تحته يقتدى به و يؤدى ما ينبغي عليه بجد وإهتمام.

原文：子曰：“故为政在人，取人以身，修身以道，修道以仁。仁者，人也，亲亲为大，义者宜也，尊贤为大。亲亲之杀，尊贤之等，礼所生也。”

今译：孔子说：“所以说治理国家在于贤人，在于君主先要修养自身，修养自身要遵循中庸之道，遵循中庸之道要以仁爱之心为本，仁的本义就是爱人，亲爱自己的亲人是仁中最重要的事情。义的本义就是处事合于道理，其中尊敬贤人最为重要。亲爱自己的亲人要分远近，尊敬贤人要分等级，这些都是由礼产生的。”

نص القطعة الثانية:

" قال الأستاذ: لذلك إن حكم البلاد بالسياسة الرشيدة يتوقف علينا الحاكم يختار موظفى الحكومة قوى الخلق الحسن والكفاءة الفائقة، وإن اختيار الأشخاص قوى الخلق الحسن والكفاءة الفائقة يتوقف على تهذيب الحاكم نفسه وإصلاح ذاته أولاً بالأخلاق الفاضلة، وإن تهذيب النفس وكمال الذات بالفضائل لا مفر له إلا أن يهتدى بمنهاج الوسطية والاعتدال ويتمسك به دائماً، والاهتداء بمنهاج الوسطية والاعتدال والتمسك به لا مناص منه إلا أن يطبقه على أساس فكرة الرحمة (رين)،^{٢٤٨} وما هو أصل فكرة الرحمة إلا وهو محبة الناس عامة، وأهم محبة الناس وأولها حبّ الوالدين والأهل وإحسان الأقارب؛ وأما فكرة العدالة (بي)^{٢٤٩}، فمعناها الأصلية هو

٢٤٨- الرحمة "رين": إرجع إلى ٥٠ صفحة وبعده من الفصل الأول.

٢٤٩- العدالة: وهي في اللغة الصينية "بي"، أى عدالة ومعروف ويز ومأثرة حميدة، وهو من أهم المفاهيم الأخلاقية في المذهب الكونفوشيوسى، وقد ضمه الرحمة (رين) عند الأستاذ كونفوشيوس، وهنا فى هذا النص يشير إلى معناه الأصلي، وهو العدالة، يعنى حاسب وملائم وصحيح، أى جعل السلوك لائقاً مع المعيار المعين مقتضداً ومناسباً فى محله لا أكثر ولا أقل، وهذا يوافق معنى منهاج الوسطية والاعتدال. ولما جاء الأستاذ القالى ميشيوس طوّر فكرة استاذة "الرحمة - رين"، وكتم الحقائق الأربع الأخلاقية الأهم على أساس الرحمة - رين، وهى قلب الشفق وقلب الحياء وقلب التواضع وقلب التمييز الحق من الباطل، ومنها أن قلب الحياء مستتب العدالة، ويذكر دائماً "الرحمة - رين" و "العدالة - بي" معاً، ويتصل بهما إتصالاً وثيقاً. إذا فريد الشرح المفصل للحقائفة الأربعة الأخلاقية الأهم عند ميشيوس، ففضل بالرجوع إلى الفصل الأول للرسالة.

أن توافق الأمور حقيقتها. وأهم الأمور في العدالة هو احترام الصالحين وتقديرهم. فلا بد من التفريق في محبة الأهل وإحسان الأقارب؛ وهناك تمييز بين القريب والبعيد بالنسبة إلى النسب، فلذا كان حبّ الوالدين وإحسانهما وحبّ أفراد الأسرة هو أولى الأمر وأهم شيء في تطبيق فكرة الرحمة؛ وأما احترام الصالحين وتقديرهم ففنه أيضا تمييز وتفرقة، فاحترام الصالحين لابد من أن يقوم على أساس اختلاف الرتبة والدرجة بينهم. وما كان هذه الأمور التي ذكرناها الآن إلا تصغر عن نظام الآداب^{٢٥٠}.

الشرح:

وقد تحدث المؤلف في القطعة الأولى من الفصل عن الوجهات السياسية الكونفوشيوسية، وقد بين أن السياسة الرشيدة القوية لا تبقى إلا مع بقاء الحكام الصالحين، ولا تزال إلا مع ذهابهم، وقد أكد النص أهمية تهذيب الحاكم نفسه وإصلاحه الذاتي بالفضائل؛ لأنه كأولى الأمر يلزمه أن يكون قدوة حسنة لرعيته جميعها. وأما هذه القطعة فهي تتابع القطعة السابقة بمواصلة التحدث عن السياسة الرشيدة وشروطها، فأخبرنا هنا طريق التهذيب للحاكم وأسلوبه، وتحدث عن هذا الطريق على صورة واضحة ومعينة، وهي تشتمل على النقاط المهمة التالية:

أولا: إن الحاكم إذا أراد أن يحقق سياسته الرشيدة القوية في بلاده، فهو لا بد أن يختار الوزراء والموظفين ذوي الخلق الطيب والكفاءة الممتازة لكي يستخدمهم في سبيل خدمة البلاد والمجتمع، وإذا اقتنع بحكمه هؤلاء الأشخاص ذوي الخلق الطيب والكفاءة الممتازة، فعليه أولا أن يهذب الحاكم نفسه بالفضائل، ويصلح ذاته بالأخلاق الحميدة.

وهنا مرة أخرى رجع النص إلى موضوع تهذيب النفس وإصلاح الذات وذكر أهميته بالنسبة إلى أولى الأمر جميعا وخاصة إلى الملك الحاكم للبلاد، لأن هذا الموضوع هو لب الموضوع وأساس الأساس في تحقيق القيم الأخلاقية عند مذهب الكونفوشيوسية. فقد أكد المؤلف هذا الموضوع مرارا وتكرارا؛ لأنه إذا استقام الحاكم نفسه وصلح ذاته فصار له فكرا ومعيارا للوقوف

٢٥٠- نظام الآداب: ارجع إلى الصفحة ١٤-١٦ من الفصل الأول.

الصحيح على اختيار الأشخاص ذوي الخلق الطيب والكفاءة الممتازة وفي استخدامهم من أجل تحقيق السيادة الرشيدة في البلاد، وكذلك إذا صار الحاكم نفسه رحيما ورشيدا، أحبه الصالحون جميعا يرغبون في الخدمة للبلاد بكل الإخلاص والجهود. كما قال تشنغ كونغ شى: "والحاكم مع أنه قد حصل على الأشخاص ذوي الخلق والكفاءة، ولاكنه إذا لم يكن نفسه يتصف بصفات الرحمة والأخلاق الحميدة، ولم يكن له موقفاً سديداً ومعياراً ثابتاً لاختيار موظفى الحكومة، فسوف يقع فى الغلط بالأخذ والرفض لهم".^{٢٥١}

ثانياً: قد أشار المؤلف فى النص إلى أهمية العمل بـ "الرحمة - رين" وجعلها أساساً فى تهذيب النفس، كما نعرف أن فكرة الرحمة بمعناها الأصلية هى محبة الناس عامة. كما قال الأستاذ متشيووس: "والمُتَّصِف بِصِفَةِ الرحمة هو الإنسان بكل معنى الكلمة".^{٢٥٢} ولكن الكونفوشيوسية يرى أن حب الناس لا يمكن أن يقوم على درجة واحدة، بل فيه نظام الترتيب للمفاضلة على أساس تفريق القريب من البعيد نسبياً، فالوالدان والإخوة أولى بالاحسان والمحبة، وقال كتاب الحوار: "بِرَّ الوالدين واحسانهما وحبَّ الإخوة أساس فكرة الرحمة".^{٢٥٣} فالحاكم إذا أراد أن يكون رحيماً، عليه أن يحب والديه حباً جماً ويحسنهما إحساناً كثيراً، ثم يحب الإخوة ويصلح العلاقة بينه وبينهم، ثم يأتى إلى محبة الأقرب فالأقرب بحسب القربة، وهذه خطوة أساسية من تهذيب النفس للحاكم ولجميع الناس.

ثالثاً: أشار إلى أن العدالة هو أن توافق الأمور حقيقتها، وبعبارة أخرى أن يعطى الحق لمن يستحق به. وأهم شيء فى تحقيق العدالة عند الأستاذ كونفوشيوس هو احترام الصالحين وتقديرهم على أساس الرتبة والدرجة خلفاً وعلماء، فالأصلح يستحق بالحصول على أكثر تقدير وأعظم احترام. وإذا كان برَّ الوالدين واحسانهما وحبَّ الإخوة صدرت من العواطف الإنسانية راسخاً فى كيان

٢٥١- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والأعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ٢٠٩.

٢٥٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شى، كتاب متشيووس، الصفحة ٢١٦.

٢٥٣- كتاب الحوار بترجمة محمد مكي، الفصل الأول، الصفحة ٢.

الإنسان، فاحترام الصالحين وتقديرهم وإعطاء الحق إليهم، وهذا استنباط للعقل الإنساني الصحيح يقبله الناس جميعاً.^{٢٥١}

رابعاً: وفي آخر النص قد بين المؤلف النقطة المهمة، وهي أن برّ الوالدين واحسانهما وحب الأهل وكيفية هذه المحبة، وكذلك إحترام الصالحين وتقديرهم وإعطاء الحق إليهم وكيفية ذلك الاحترام والتقدير، وكل هذه الأمور الأصولية عند الكونفوشيوسية ليست إلا صابرة عن نظام الآداب. ومن هذه النقطة المهمة نلاحظ أن المؤلف وضّح لنا في هذا النص أهمية معرفة الحاكم لنظام الآداب وضرورية التطبيق العملي بهذا النظام؛ لأن نظام الآداب هو ما جاء به الملوك الحكماء القدامى إمتثالاً بإرادة السماء (تيان) وإحكاماً للشؤون الإنسانية^{٢٥٢}، فالحاكم هو ولي الأمر، وعليه أن يعطى من نفسه مثلاً للشعب في اتباعه لنظام الآداب، فلا يمكن أن يخالفه.

وكذلك نلاحظ أن المؤلف بين في هذا النص أهمية تهذيب الحاكم النفس على أساس منهاج الوسطية والاعتدال؛ وما كان منهاج الوسطية والاعتدال في نظرة المؤلف نطاقاً مثالياً للقيم الأخلاقية فحسب، بل هو منهج صحيح في مجال التطبيق العملي للأخلاق، والإنسان إذا لم يتخذ في الأخلاق والفضائل الوسط بين الجانبين ولم يقتصد فيها، فقد يكون إما مفرطاً وإما مفرطاً فيها، وكلاهما لا يوافق المطلوب منهاج الوسطية والاعتدال عند الكونفوشيوسية.

原文: “在下位，不获乎上，民不可得而治矣！故君子不可以不修身。思修身，不可以不事亲；思事亲，不可以不知人；思知人，不可以不知天。”

今译: “在下位的人，如果不先得到君主的信任，就不可得民心，就不能治理人民，所以，君子不可以不修养自身，要想修养自身，就不能不事事亲人，要想事奉父母亲人，就不能不了解人，要想了解人，就不能不了解天。”

٢٥٤- الشرح النقطي لكتاب الوسطية والاعتدال لى ك خونغ، الصفحة ٢١٠.
٢٥٥- بيان نظام الآداب التفصيلي في الصفحة ١٦-١٧ لهذه الرسالة، يمكن أن ترجع إليه.

نص القطعة الثالثة:

" وإنَّ الموظف الحكومي إذا لم يحصل على ثقة الحاكم أولاً، فهو لا يقدر على أن ينال ثقة الشعب ولا يستطيع أن يقوم بإدارة أمورهم وسياساتها، فالرجل الصالح إذا أراد أن يحصل على ثقة الحاكم، فلا يسعه إلا أن يهذب نفسه ويصلح ذاته بالفضائل، وإذا يريد أن يهذب نفسه ويصلح ذاته بالفضائل، فلا يسعه إلا أن يخدم الوالدين وأهله، وإذا يريد أن يخدم الوالدين وأهله، فلا يسعه إلا أن يعرف الإنسان، وإذا يريد أن يعرف الإنسان، فلا يسعه إلا يدرك إرادة السماء (تيان) في بداية أمره."

الشرح:

وهذه القطعة تواصل بالتحدّث عن طريق التهذيب النفسى عند الحاكم والإصلاح الذاتى على أساس معرفة الإنسان للسماء (تيان)، وقد سبق لنا أن الحاكم إذا يجيد إدارة البلاد ويحقّق سياستها الرشيدة القويمة فى البلاد، فهو لا يسعه إلا أن يهذب نفسه أولاً، ويكمل ذاته بالفضائل على منهاج الوسطية والاعتدال؛ لأنّ فى نظرة الكونفوشيوسية تهذيب النفس وإصلاح الذات للحاكم هو أساس الأساس للضمن من سلامة البلاد وأمن المجتمع.

إذن، كيف يبدأ الحاكم تهذيبه النفسى وإصلاحه الذاتى، وما هو طريقه فى هذا التهذيب على الصورة المعينة ؟ والجواب: عليه أن يشرعه من حب الوالدين وإحسان الأهل؛ لأنه هو أساس فكرة الرحمة (رين) فى نظرة الكونفوشيوسية، أى لا يسعه الحاكم فى تهذيبه النفسى إلا أن يبر والديه ويحسنهما أولاً، ويحب الإخوة ويحسن أفراد أسرته جميعاً. ومن يبرّ الوالدين ومحبة الاخوة جاءت العلاقات النسيبة بين الأقرباء، ومن علاقات القرابة هذه أن يعرف الإنسان معنى العدالة، وأهم شيء فى العدالة هو احترام الصالحين ومصاحبة الطيبين استرشاداً بهم على طريق الحق، فلذا على الإنسان أن يعرف أخيه الإنسانى، أى عليه أن يتميّر منهم الصالح والطالح، ويعلم الطيب والسيء، ومن أجل معرفة الناس والتمييز بينهم، لا بد أن يعرف الإنسان السماء (تيان) وإرادته، ويفهم الحقائق التى قد خلقها على الإنسان. وهذا تفسير المؤلف " تن سى"

الاستنباطي عكسي للجملة الأولى من نص الفصل الأول بكتاب الوسطية والاعتدال، وهي: " ما يهبه السماء (تيآن) للإنسان يسمى بـ " الطبيعة الفطرية (شينغ)"، والتابع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمى بـ " طريق الحق (دأو)"، وتهذيب الإنسان لنفسه وتركيبته لذاته على طريق الحق يسمى بـ " التعلم والقريبة (جأو)". وإذا شريد إعادة النظرة مرة أخرى إلى هذه الجملة الأولى من نص الفصل الأول، فسوف تدرك معنى القطعة هذا و سرَ علاقتها الوثيقة بتلك الجملة الفاتحة إدراكا عميقا.^{٢٥٦}

وجدنا هنا أن أساس الموضوع هو تهذيب النفس وتركيبه الذات بالأخلاق الفاضلة على أساس منهاج الوسطية والاعتدال، وهذا التهذيب النفسي يصدر عن معرفة الإنسان لإرادة إله السماء، ومن هذه المعرفة للإله الموجد الخالق، عرف الإنسان طبيعة نفسه الخيرة الصالحة وحقائق الأمور، ومنها عرف حقيقة يرّ الوالدين وحبّ الأهل واحترام الصالحين والاقتراب منهم سدادا ورشادا، ومن هنا نلاحظ أن الفضائل ومكارم الأخلاق في الكونفوشيوسية لها مصدر راسخ ولها أساس ثابت يقوم على أساس معرفة الإنسان للسماء (تيآن) وإرادته باعتباره الإله الأكبر الموجد للكون والإنسان جميعا.

إذن، ماذا يرى العلماء الكونفوشيوسيين في موضوع معرفة الإنسان للسماء (تيآن) -

الإله الأكبر، نأتى إلى آراءهم فيها ما يلي:

وقال العالم الكونفوشيوسي " جينغ شوان " إنما يعرف الناس هنا أى يميز الإنسان الصالح من الطالح بين الناس، ومن تمييز الإنسان الصالح من الطالح يمكن أن يدرك ما يحافظ عليه بأمر السماء- تيآن إدراكا جيدا.^{٢٥٧} ونلاحظ أن العالم " تشنغ شوان " هنا يشير بكلامه هذا إلى أن الصالح من الناس هو الذى يحفظه السماء- تيآن بمكارم أخلاقه من تجلية فطرته الخيرة وإظهار هذه الفطرة بفضائله، وأما الطالح فهو بالعكس على ذلك. فلذا قصد معرفة الناس هو أى التمييز

٢٥٦- يرجع إلى النص من الفصل الأول وشروحه.

٢٥٧- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال: لى كه خونغ ، الصفحة ٢١٠ - ٢١١.

الصالح من الطالح بين الناس، وتقدير الصالحين والإقتراب منهم والصحبة بهم، لكي يفهم من عندهم ما يحافظ عليه بأمر السماء (تيآن).

وأشار بعض العلماء إلى أن " معرفة السماء (تيآن) " في النص يراد به معرفة حقائق الأمور التي ينبع عن السماء- تيآن، يعنى إذا عرف الإنسان هذه الحقائق، فهو قد عرف العلاقات الإنسانية، وفهم حقائق الأمور في المجتمع الإنساني. فقال " تشنغ كونغ شوى " في شرح هذه القطعة: " لو كان التهذيب النفسى والاصلاح الذاتى بالفضائل لا يقوم على أساس برّ الوالدين وحب الأهل، لفقد حبّ الناس ترتيبه ونظامه، وصارت الرحمة - رين لا أساس لها، وإذا قد أكمل برّ الوالدين وحبّ الأهل لقد حقق أساس الرحمة - رين، ولكن لو لم يفهم أحد معنى العدالة في احترام الصالحين وتقديرهم، لما قدر على تمييز الحق من الباطل، ولا يستطيع تفريق الخير من الشر، فلذا لا يعرف كيف عطاء الحق لمن يستحق به، ولا يفهم كيف ممارسة الأمور توافقاً لحقيقتها. إذن من يهذب نفسه ويصلح ذاته بالفضائل ولم يكن على أساس برّ الوالدين وحبّ الأهل، ومن يعرف الناس ولم يتميّز الصالح من الباطل بينهم، فهو الذى لم يعرف بعد حقائق الأمور التي ينبع عن السماء (تيآن)."^{٢٥٨}

原文: “ 天下之达道五，所以行之者三。曰：君臣也，父子也，夫妇也，昆弟也，朋友之交也。五者，天下之达道也。知， 仁， 勇 三者天下之达德也。所以行之者一也。”

今译: “ 自古及今天下通行的道理有五，用来实行这理的方法有三。君臣，父子，夫妇，兄弟，朋友之间的交往，这五件，是天下通行的道理。知， 仁， 勇这三件，是天下通行不变的美德。要实行它就靠一个诚字。”

٢٥٨- الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ٢١١.

نص القطعة الرابعة:

" هناك خمس مبادئ أخلاقية أساسية في العلاقات الإنسانية معمولاً علماً بها منذ زمن قديم إلى يومنا الراهن، والطريق الذي يطبق به هذه المبادئ هو ثلاثة. أمانة المحكوم للحاكم، وبر الابن للأب، والصبر والتحمل بين الزوجين، والمودة والشفقة بين الإخوة، والوفاء بالعهد بين الأصدقاء، وهذه الخمسة هي المبادئ الأخلاقية الأساسية. وإن المعرفة والرحمة والشجاعة هذه الأخلاق الثلاثة هي الأخلاق الثابتة العظيمة. وهذه الأخلاق الثلاثة وتلك المبادئ الخمسة لا يحقق تطبيقها العملي تحقيقاً كاملاً، إلا أن يعتمد تطبيقه على شيء واحد. "

الشرح:

يبين هذا النص العلامة " جو شي " وقال: " إن ' المبادئ الأخلاقية الأساسية ' في هذا النص يراد بها القواعد السلوكية العامة والمقررة بالناس جميعاً في الدنيا كلها. وتحدث الأستاذ الثنائي " منشويوس " عن هذه العلاقات الخمسة الإنسانية بقوله: (إن علاقة الابن بالأب علاقة أصلية وفرعية من ناحية الولادة، فالأب يرحم الابن والابن يبر الأب. وعلاقة الحاكم بالمحكوم تقوم على العدالة ونظام الأدب، وعلى الحاكم يعتنى بالمحكوم ويهتم بأمورهم، وعلى المحكوم أن يكون أميناً للحاكم. وعلاقة الزوج بزوجته تقوم على المحبة والمودة، وعلى الزوج أن ينفق على الزوجة، والزوجة عليها أن تطيعه. وعلاقة الأخ بأخيه تقوم على النسب، فالأخ الكبير عليه أن يحب أخيه الصغير، وعلى الأخ الصغير أن يحترم أخيه الكبير. وأما العلاقة بين الأصدقاء فهي تقوم على الوفاء بالعهد والمحافظة على الوعد). " ويستمر " جو شي " في شرحه وقال : الكلام في النص: " وإن المعرفة والرحمة والشجاعة هذه الأخلاق الثلاثة هي الأخلاق الثابتة العظيمة. " والكلمة " المعرفة " في هذا القول يعنى إدراك هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية ومعرفة مرادها معرفة حقيقية، و " الرحمة " فيه يعنى تحقيق هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية وإظهارها كاملاً في حياة الإنسان الواقعية، وأما " الشجاعة " في هذه الجملة يراد بها التطبيق العملي بهذه المبادئ الأخلاقية الأساسية بالقوة وبالجهد الأقصى. ولما " الأخلاق الثابتة العظيمة " في النص

يراد بها الأخلاق المشتركة في الثناء عند الناس جميعاً في الدنيا بأسرها. وفي النص الأخير " إلا أن يعتمد تطبيقه على شيء واحد " واللفظ فيه " شيء واحد " إنما يراد به الإخلاص والصدق. فالمبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة مع أنها هي القواعد السلوكية العامة والمقررة بالناس جميعاً في الدنيا كلها، ولكن لو لم تَخْلُط الأخلاق الحميدة الثلاثة في تطبيق هذه المبادئ، ولم تجمع في التطبيق العملي بين هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة وبين تلك الأخلاق الحميدة الثلاثة، لما حَقَّقت تحقيقاً كاملاً، فصار المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة شكلياً بلا معنى لها. وكذلك الأمر في تطبيق هذه الأخلاق الحميدة الثلاثة، لو نُقِصَ من تطبيقها شيء واحد وهو " إخلاص والصدق "، لكان النفس والهواء يخلط بهذه الأخلاق العظيمة خلال تطبيقها، فأصبحت هذه الأخلاق الحميدة أخلاقاً باطلة وكأنية. " ٢٥٩

إن المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة في العلاقات الإنسانية التي ذكرت في هذا النص هي أهم القيم الأخلاقية عند مذهب الكونفوشيوسية، كما هي طريق مهم لا يستغنى عنها أي واحد يريد التهذيب النفسي والإصلاح الذاتي على الأخلاق الفاضلة، فلذا تأخذ هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة مكانة عظيمة جداً في كتاب الوسطية والاعتدال؛ لأن من خصوصيات مذهب الكونفوشيوسية أنه يهتم اهتماماً كبيراً بتأسيس العلاقات الإنسانية الاجتماعية ويعتني بإصلاح هذه العلاقات الاجتماعية على أساس الطبيعة الإنسانية الخيرة، فربطت هذه المبادئ الأخلاقية الأساسية الخمسة هي أهم شيء يجب لكل واحد أن يدرس حقائقها وأن يفهمها جيداً.

والجدير بالذكر أن " المعرفة والرحمة والشجاعة " هذه الأخلاق الثلاثة الحميدة هي أهم الأخلاق وأعظمها عند المذهب الكونفوشيوسي، وقد أثنى الأستاذ كونفوشيوس على من عنده خلق المعرفة وخلق الرحمة وخلق الشجاعة في كتاب الحوار وقال: " من الذي يملك الرحمة فهو لا يحزن، ومن الذي يملك المعرفة فهو لا يضل، ومن الذي يملك الشجاعة فهو لا يخاف. " ٢٦٠

٢٥٩- الفرج الجامع للكتب الأربعة، جوشي الصفحة ١٧.
٢٦٠- كتاب الحوار الفصل الرابع عشر، ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة ص: ٢٦٨.

وقد سبق بياننا أن تهذيب الإنسان النفس وتزكيته الذاتي على الفضائل هو القاعدة الأساسية لتطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، وهو أهم الموضوع الأخلاقي في مذهب الكونفوشيوسية، وكيف الإنسان يهتدى بطريق الحق ويتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال ؟ وخاصة كيف يطبق الإنسان تطبيقاً عملياً لهذه الأخلاق العظيمة الثلاثة وتلك المبادئ الخمسة الأخلاقية على أساس منهاج الوسطية والاعتدال بدون الإفراط ولا التفريط فيه ؟ يرى الكونفوشيوسية أن التعلم والدراسة هو الطريق الموصل الذي يؤدي به الإنسان إلى معرفة هذه الأخلاق الحميدة العظيمة والمبادئ الأخلاقية المفطورة من السماء - تيان، فمن أجل تهذيب نفسه وتزكية ذاته على هذه الأخلاق العظيمة وتلك المبادئ الخمسة الأخلاقية الأساسية، يحتاج الإنسان إلى التعلم والدراسة فيها على الدوام والاستمرار، فالتعلم والدراسة هو الطريق الذي يؤدي به الإنسان إلى طريق الحق - طريق السماء - تيان، أي إلى طريق طبيعة الإنسان الخيرة و فطرته السليمة، والإنسان يجلب أخلاقه الفاضلة ويظهر فطرته الملية التي قد عطاها النفس والهواء من حب الشهوات، فمن هنا قد أكد المذهب الكونفوشيوسي أهمية كسب الإنسان للأخلاق الحميدة عن طريق التعلم والتربية، وهو ضروري في تكميل طبيعته الإنسانية وتأمين حياة الإنسان الاجتماعية على الأمن والسلام. والقطعة التالية سوف نتحدث عن البحث والدراسة في هذه الأخلاق العظيمة وتلك المبادئ الخمسة الأخلاقية الأساسية، وعن أساليبها المختلفة حسب مواهب الإنسان الطبيعية، وهي:

原文: “或生而知之，或学而知之，或困而知之，及其知之一也。或安而行之，或利而行之，或勉强而行之，及其成功一也。”

今译: “有人天生聪明不待学习而知此天下的道理，有经过学习之后而知的，有经过困惑发愤之后而知的，但最后达到有知则是一样的。有安适而去实行这达道的，由贪求利益而去实行的，有勉强用力而去实行的，但最后达到有知则是一样的。

نص القطعة الخامسة:

" من الناس من يعرف بطبيعته الحقائق العامة المقررة ^{٢٦١} وهو لم يدرسها و لم يبحث فيها بالجهود، ومنهم من يعلمها بعد الدراسة و البحث فيها بجد واجتهاد، ومنهم من يشعر بالحيرة و مشوش ذهنه في هذه الحقائق، فبدأ بالبحث والدراسة فيها، ثم عرفها بعد دراسته الصعبة والمجدة، وهذه الأنواع الثلاثة من الناس يختلفون باختلافهم في الدراسة والحصول على العلم صعبا أو سهلا في سبيل معرفة الحقائق، ولكن في الأخيرة يصل كل واحد منهم إلى معرفة الحق وإدراكه، وهم على السواء من هذه الناحية. وأما التطبيق العملي لهذه الحقائق، فبعض الناس يطبقها من أجل كسب المعيشة والرخاء، والبعض يطبقها لكي يطمع به في المنفعة لنفسه، والبعض الآخر لم يطبقها إلا بالجهود والصعوبات، وهذه الأنواع الثلاثة من الناس يختلفون في تطبيقها أيضا وتعالى فيه العسر والسهر في سبيل العمل بهذه الحقائق، ولكن في الأخيرة يمكنهم أن يصلوا جميعا إلى التطبيق العملي للحق، وهم على السواء من هذه الناحية. "

المشرح:

هذه القطعة تبين لنا اختلاف الإنسان في مواهبه الطبيعية وبذلك يؤدي إلى اختلافهم في درجات طلب العلم ومعرفة طريق الحق، وكذلك يؤدي إلى اختلاف تطبيقهم العملي لمتهاج الوسطية والاعتدال، مع هذه الأحوال المختلفة بين الناس في مواهبهم الطبيعية ودرجات معرفة طريق الحق وطلبهم فيه، كان الهدف الذي يسعى الإنسان وراءه في طلبه العلمي و تطبيقه العملي واحد موحد، وهو يهتدى بمتهاج الوسطية والاعتدال و يكمل إنسانيته بالأخلاق والفضائل.

وقال العلامة " جوشي " في شرح هذا النص: " الحقائق " في النص التي يطلبها الإنسان بالبحث والدراسة ويطبقها بالقوة والجهد هو طريق الحق، فلذا، الذي حصل له العلم عنه فهو عالم، والذي طبق هذا العلم فهو رحيم، والذي وصل إلى قمة هذا العلم و نجح في تطبيقه العملي

^{٢٦١} - هنا يشير إلى معرفة المبادئ الخمسة الأخلاقية الأساسية وتطبيقها مع تطبيق الأخلاق الثلاثة العظيمة من المعرفة والرحمة والشجاعة.

فهو شجاع. وأما من درجة العلم به ورتبة التطبيق العملي لطريق الحق، فمن أدركه بموهبته الطبيعية، ثم طبقه وهو مطمئن القلب، فهو عارف وعالم، ومن عرفه بالبحث والدراسة، ثم استفاد من علمه هذا سلوكيا وتطبيقيا، فهو رحيم صالح، ومن عرفه بالصعوبة والمشقة، ثم طبقه بالجهد والقوة، فهو شجاع. وإن الإنسان جميعهم مفطور على طبيعته الخيرة وقطرته السليمة، ولكنهم في مواهبه الطبيعية يختلف بعضهم عن بعض آخر، إذن كانت معرفة الإنسان عن طريق الحق مختلف بعضهم عن البعض، عرفه البعض مبكرا والبعض الآخر علمه متأخرا، وكذلك تطبيق الإنسان لطريق الحق مختلف بعضهم عن البعض، وهذا الإنسان يطبقه سهلا وذلك يحققه صعبا. ولكن أي واحد ما دام يحاول أن يبذل الجهود في طلب العلم عن طريق الحق، ثم يتمسك به بالقوة والدوام، ولا يقف عن تطبيقه العملي في طول حياته، فهو في الأخير يستطيع أن يصل إلى طريق الحق، ولذا كان الهدف الذي يصل إليه واحد ومتحد. " ٢٦٢

وقد لاحظنا في هذا النص أن الأستاذ كونفوشيوس قسم مواهب الإنسان للطبيعة إلى ثلاثة أصناف، الأول عرف طريق الحق بالفطرة دون التعلم والدراسة فيه، والثاني عرفه بطريق البحث والدراسة، والثالث عرفه بطريق التعلم أيضا، ولكن تعلمه وبحث فيه بالجهد والمشقة وبذل الجهود الكثيرة في سبيل الحصول عليه. كما رأى أن الناس مع أنهم على هذه الأصناف بمواهب الطبيعة، ولكن ما دام يصبر على أن يطلب العلم في سبيل طريق الحق ويثبت به ويثابر على أن يتبع طريق الحق سلوكيا وعمليا، فهو على السواء مع الآخرين؛ لأن العلم الذي حصل عليه وطريق الحق الذي وصل إليه واحد ومتحد.

原文：子曰：“好学近乎知，力行近乎仁，知耻近乎勇。”

今译：孔子说：“喜欢学习就接近于知了，用力去实行就接近于仁了，知道羞耻就接近于勇了。”

نص القطعة السادسة:

" قال الأستاذ كونفوشيوس: من أحب العلم، وواظب على الدراسة، وهو لا يشعر بالتعب في سبيل دراسته، فقد تقرب من المعرفة، ومن طبق ما تعلمه بالقوة وعمل الخير، فقد تقرب من الرحمة (رين)، من استحيى وعرف الحياء، فقد تقرب من الشجاعة."

الشرح:

هذه القطعة من النص قد تابعت القطعة السابقة وأخبرت أن حب العلم والتعلم وتطبيق العلم وعمل الخير ومعرفة الحياء، هذه الصفات الثلاثة هو المدخل للأخلاق الفاضلة كلها، ومن انصف بهذه الصفات الثلاثة فقد اقترب من الأخلاق الحميدة الكبيرة، وهي " المعرفة والرحمة والشجاعة". وهذه الثلاثة من أهم الأخلاق الفاضلة وأكبرها عند مذهب الكونفوشيوسية كما ذكرناها سابقاً، فالرجل الصالح لا بد منه أن يتصف بهذه الثلاثة، وهي ركن أساسي لا يستغنى عنه في تهذيبه النفسي وإصلاحه الذاتي على طريق الحق.

والعالم الكونفوشيوسى " كونغ بينغ دا " قال فى شرح هذه القطعة من النص: " الإنسان مادام يحب العلم ويرغب فى التعلم فهو يصير عارفاً بكل شيء، ولا تخفى عليه الأمور، فقال للنص " فقد تقرب من المعرفة ". وإذا طبق ما تعلمه تطبيقاً عملياً فى حياته الواقعة قولاً وفعلًا، ويحث نفسه على الخير والمعروف، فقد تقرب من الرحمة - رين، وبما علم ودرس يستحيى و يعرف ما هو الحياء والعار، ويبذل أقصى الجهود فى سبيل عمل الصالح والمعروف، فقد تقرب من الشجاعة." ٢١٣

وبالنسبة إلى الأخلاق الثلاثة الكبيرة من المعرفة والرحمة والشجاعة، يقول النص: إن حب العلم والاستمرار فى التعلم يجعل صاحبه قريباً من الحكمة، وتطبيق العلم وعمل الخير يجعل صاحبه قريباً من الرحمة - رين، والاستحياء وعرف الخجل يجعل صاحبه قريباً من الشجاعة، لما إذا يستعمل الأستاذ كونفوشيوس هنا كلمة " التقرب "؟ نجد العلامة الكونفوشيوسى " تشنغ هاو "

٢١٣- الشرح اللفظى لكتاب الوسيطية والاعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ٢١٢.

شرحها على أحسن وجه، فقال: " إن الذي يحب العلم ويرغب في التعلم مع أنه لا يصل إلى المعرفة تماما، ولكن يكفه أن يرفع عن الجهل بعيدا عنه، وإن الذي طبق ما تعلمه بالقوة وعمل الخير مع أنه لا يصل إلى الرحمة رين تماما، ولاكن يكفه أن يتغلب على الأنانية المذمومة، وإن الذي يستحي ويعرف ما هو الخجل، مع أنه ليس بشجاع تماما، ولاكن يكفه أن يرفع عن الضعف والجبن." ٢٦٤

ويرى الأستاذ كونفوشيوس هنا أن الإنسان إذا هذب نفسه وأصلح ذاته على طريق الحق، فلا مفر منه أن يحب العلم والتعلم، ويطبق ما علمه عمليا، ويعمل الخير والمعروف بقوة، وكذلك لا بد منه أن يتصف بصفة الحياء، وحب العلم وتطبيقه العملي بما علمه والاستحياء من الأخلاق المذمومة، هذه الصفات الثلاثة هي اجتياز العتبة للأخلاق الفاضلة ومفتاح الطريق الذي يؤدي إلى طريق الحق، لأن الإنسان إذا أحب العلم ثم تعلمه بالقوة فهو يمكن أن يفهم الحقائق ويميز الحق من الباطل ويفرق الخير من الشر، وإذا طبق ما علمه تطبيقا صليبا، فسوف يتقدم في طريق الحق يوما فيوم، ولأن معرفة الحياء والخجل يجعل صاحبه قوى الإرادة وعقد العزم على تهذيب نفسه وإصلاح ذاته بالأخلاق الحميدة، وإذا كان الإنسان مجتهدا ومواظبا في هذه الصفات الثلاثة، فهو ممكن على وجه التقريب أن يصل إلى مقام المعرفة، والرحمة (رين)، والشجاعة هذه الأخلاق العظيمة.

原文：“知斯三者，则知所以修身，知所以修身，则知所以治人。知所以治人，则知所以治天下国家矣。”

今译：“知道好学，力行，知耻这三件事，就知道用来修养自身的方法了，既知道用来修养自身的方法，就知道用以治理他人的方法了，既知道用以治理他人的方法，就知道用来治理天下国家的方法了。”

٢٦٤. الشرح اللفظي لكتاب الوسمية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢١٦.

نص القطعة السابقة:

" إذا عرف الإنسان أهمية هذه الأمور الثلاثة، فقد وقف على أسلوب يهذب به نفسه وقد عرف طريقاً يصلح به ذاته على منهاج الوسطية والإعتدال، وإذا عرف أسلوب التهذيب النفسى والإصلاح الذاتى، فقد عرف السبيل الذى يمكنه أن يعرف به كيفية إدارة شؤون الناس ومساستها، وإذا عرف كيفية إدارة شؤون الناس ومساستها، فقد عرف أسلوب سياسة شؤون أمور المجتمع والدولة كلها. "

الشرح:

قال العلامة " جوشى " فى شرح هذه القطعة: " إن الكلام فى النص ' إذا عرف الإنسان أهمية هذه الأمور الثلاثة. ' وهى الأمور الثلاثة التى ذكرها نص القطعة السابقة، والأول منها: حب العلم والمثابرة على الدراسة دائماً بدون تعب ولا ملل منها. والثانى: التطبيق بالقوة ما تعلمه وعمل الخير والمعروف. الثالث: عرف الحياء والعار. ثم كلمة ' الإنسان ' فى النص هى نعم كل واحد من الناس، سواء أكان إدارة أمور البلاد أو إدارة شؤون المجتمع، والإنسان يلعب أهم الدور فيها، فلذلك إن إدارة أمور البلاد أو إدارة شؤون المجتمع لا مفرا منها أن يهذب الإنسان نفسه ويصلح ذاته أولاً، ومن هذه النقطة اتصل هذا النص بالنص السابق يتحدث حول لب الموضوع فى هذا الفصل، وهو تهذيب الحاكم نفسه وإصلاحه الذاتى على طريق الحق، كما فتح الحديث هنا عن الأصول التسعة فى القطعة القادمة فى مجال إدارة الحاكم لأمر البلاد ومساستها. " ٢٦٥

وهذه القطعة قد لخص ما أراد النص السابق بأن حب العلم وتطبيقه على طريق عمل الخير والاستحياء، وهذه الأمور الثلاثة هى الباب الذى يدخل به كل واحد فى الأخلاق الفاضلة، وهى أساس الأسس الذى يقوم عليها تهذيب الإنسان النفسى والإصلاح الذاتى له، لأن تهذيب الإنسان النفسى لا يكمل ولا يحقق إلا بالأخلاق الحميدة الأساسية وهى المعرفة والرحمة رين

والشجاعة، وإذا أنصف الإنسان بهذه الثلاثة من الأخلاق الفاضلة وأكملها بصورة كاملة، فهو يفتقر على أن يدير أمور البلاد ويقود أهل البلاد إلى الأمن والسلام؛ لذا أن تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الحميدة هو أول واجب على جميع الإنسان عامة وعلى الحاكم خاصة عند مذهب الكونفوشيوسية، لأن الحاكم إذا يهذب نفسه ويصلح ذاته أولاً على طريق الحق، فسوف تكون أسرته متنسقة ومنتظمة بسبب قدوته الحسنة، وإذا تنسق كل أسرة في البلاد وتحسن مثل أسرة الحاكم، فالبلاد كلها تصير متنسقة ومنتظمة فننتشر الأمن والسلام في البلاد بأسرها، وبالتالي العالم كله يتمتع بالأمن والسلام، وهذا هو اعتقاد الكونفوشيوسية الأساسي في القيم الأخلاقية وفوائد تهذيب النفس الحاسمة على سعادة الإنسان الفرد ومستقر المجتمع وأمن الدولة وسلامها.

原文: “凡为天下国家有九经，曰：修身也，尊贤也，亲亲也，敬大臣也，体群臣也，子庶民也，来百工也，柔远人也，怀诸侯也。”

今译: “凡是治理国家有九条准则，就是修养自身，尊敬贤人，亲爱亲族，礼敬大臣，体谅群臣，慈爱老百姓，招集百工技艺，优待边远的外族来客，安抚四方的诸侯。”

نص القطعة الثامنة:

“ وكل حاكم من الحكام عليه أن يتبع تسعة قواعد أساسية ثابتة في إدارته البلاد وسياسته لها، والأولى من هذه القواعد التسعة: تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الحميدة؛ والثانية: احترام الصالحين وأصحاب الخلق الكفاءة؛ والثالثة: التقرب من الأقرباء جميعاً وإحسانهم؛ والرابعة: تكريم الوزراء وتشريفهم؛ والخامسة: تفاهم الموظفين عنده والتعاطف معهم؛ والسادسة: حنان عامة الشعب والشفقة عليهم؛ والسابعة: اجتذاب أصحاب الفن والمهارة واستجلاب العمال الحرفيين؛ والثامنة: تنفيذ سياسة التقريب والتسامح بالأجانب من أنحاء العالم ومنح الأفضلية في المعاملة لهم؛ التاسعة: إقناع الأمراء في البلاد وإرضائهم بالسياسة العادلة.”

الشرح :

قال العالم الكونفوشيوسى " كونغ بينغ ذا " فى بيان معانى النص: " فى هذه القطعة من النص قد بين الأستاذ كونفوشيوس للأمير ' أي فونغ ' الخطوط الكبرى لسياسة البلاد وإدارة أمور الدولة، فهناك تسعة خطوط هامة يجب على الحاكم أن يأتىها دائما بالتنفيذ والتحقيق، وقد قسم هذه الخطوط الكبرى إلى تسعة نقاط على صورة الفهرست. " ^{٢٦٦}

وفى النص ذكر هذه الخطوط التسعة بترتيب أهميتها الكبرى، فأهمها بالنسبة إلى الحاكم هو تهذيب النفس وإصلاح الذات على طريق الحق، كما قال العالم " ليو زو تشان " فى ذلك: " أساس إدارة البلاد وسياستها هو تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الحميدة، فلذا بالنسبة إلى الحاكم إنram الخطوط التسعة الكبرى فى سياسة البلاد هو تهذيب نفسه قبل كل شيء وإصلاح ذاته بالأخلاق الفاضلة، والحاكم لا يتقدم فى طريق تهذيب النفس وإصلاح الذات إلا أن يتعلم من الصالحين وأصحاب الخلق والكفاءة، ويصاحبهم دائما ويشاروهم فى شؤون البلاد؛ فلذا جاء إحترام الصالحين وأصحاب الخلق والكفاءة فى الرتبة الثانية من الخطوط التسعة. وبالنسبة إلى الحكومة إن حنان عامة الشعب والشفقة عليهم شيء مهم فذكره قبل اجتذاب أصحاب الفن والمهارة وإستجلاب العقال العرفيين، وبالنسبة إلى البلاد ومكائنها فى العالم كلها، سياسة التقريب والتسامح بالأجانب من أنحاء العالم ومنح الأفضلية فى المعاملة لهم هو شيء مهم جدا، فلذا جاء هذا قبل إقناع الأمراء وإرضائهم بسياسته العادل، وهكذا ذكرت الخطوط التسعة الكبرى على ذلك الترتيب من وجهة أهمية الأمور فيها. ومعاملة الوزراء بالتعاطف والتفاهم كأنهم يدا الحاكم وساقاه، ومعاملة عامة الشعب بالحنان والشفقة عليهم كأنهم أبناءه وبناته، وهذا هو الفرق بين معاملة الحاكم به الوزراء له ومعاملته به عامة الشعب. " ^{٢٦٧}

وهنا عرض الأستاذ كونفوشيوس للأمير " أي فونغ " الخطوط الكبرى على صورة الترتيب والتمسيق، وهذه الخطوط التسعة قد نأت على الحكم القائم على الأخلاق الفاضلة فى

٢٦٦- الشرح التفصيلى لكتاب الوصية والاعتدال، لى كا فونغ، الصفحة ٢١٩.

٢٦٧- المصدر السابق نفسه، الصفحة ٢١٩-٢١٠.

الكونفوشيوسية، وكل شيء فيه يقوم على أساس الأخلاق، فليس البلاد وكل شيء منها إلا تحت رعايته بالأخلاق الحميدة وتربيته بالفضائل، وعلى أساس تهذيب النفس وإصلاح الذات بالأخلاق الفاضلة، وقد صوّر لنا المؤلف " تشي سي" الطبعة الزرقاء للحكم القائم على القيم الأخلاقية عند الكونفوشيوسية، أي " يقوم الحاكم رعيته بالفضائل ويصلحها بالأداب"، كما وجدنا نفس الفكر في النظرية المشهورة بكتاب المعرفة الكبرى، وهي " تهذيب النفس وإصلاح الذات أولاً، وتنسيق الأسرة وتنظيمها ثانياً، وإدارة البلاد وسياستها على الأمن والسلامة ثالثاً، ونشر الأمن والسلام في العالم أخيراً".^{٢٦٨} وعلى أساس هذه النظرية كان علماء الكونفوشيوسيون يضعون تهذيب النفس وإصلاح الذات على الباب الأول، ويرجون نيل الوظيفة من الحكومة لكي يحملوا واجبتهم في إدارة البلاد ونشر الأمن والسلامة فيها. وهذه صارت أمنيته العظيمة على طول تاريخ الصين القديم.

原文: "修身则道立，尊贤则不惑，亲亲则诸父昆弟不怨，敬大臣则不眩，谅群臣则士之报礼重，子庶民则百姓劝，来百工则财用足，柔远人则四方归之，怀诸侯则天下畏之。"

今译: "君主修养自身就能确立中庸之道，尊敬贤人，做事就不至于迷惑，亲爱亲族，伯叔兄弟就不会怨恨，礼敬大臣，遇事就不会慌乱，体恤百官士人竭尽全力报恩，像儿子一样爱护老百姓，百姓就会服从、并努力生产，若招来百工技艺，就会货物充足，财源茂盛。优待边远的外族来客，安抚四方的诸侯慈爱老百姓，、招集百工技艺，优待边远的外族来人则四方就会归顺。若安抚四方的诸侯贵天下之人都会畏服。"

نص القطعة التاسعة:

"إذا هذب الحاكم نفسه ويصلح ذاته بالأخلاق الفاضلة، فقد أرسى قواعد طريق الحق وأقام نفسه على منهاج الوسطية والاعتدال، وأعطى المثل فيه، وإذا احترمت الصالحين وأصحاب الخلق

٢٦٨- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوشي، كتاب المعرفة الكبرى، الفصل ٢، الصفحة ٥.

والكفاءة، فهو لا يتحيز ولا يرتكب في أموره. وإذا حبّ الأقارب جميعاً، فكأن من الوالدين والأعمام والإخوان لا يتنمر ولا يشكوى عليه، وإذا كرم الوزراء وشرّفهم، فهو لا يكون مضطرباً ومشوش الذهن عندما يواجهه المشاكل، كما لا يضلّ بالطالحين ولا يُسم بالفاستدين. وإذا تفاهم الموظّفين ويتعاطف معهم، فإنهم يقدّمون الخدمة العظيمة عرفاناً بالإحسان والجميل منه. وإذا حبّ عامة الشعب مثل ما يحبّ أبنائه، فإنّ الشعب يُطيعونه ويعملوا له بجدّ واجتهاد ولا يقاومونه أبداً؛ لأنهم قد استفادوا منه نعمة. وإذا اجتذب أصحاب الفن والمهارة، فسوف تكون السلع والبضائع متوفرة ولا تنفد أبداً. وإذا تعامل الأجانب بسياسة التسامح والتقريب، فسوف يأتي وفود التجار والضيوف إلى بلاده من مكان بعيد. وإذا ألق الأُمراء وأرضاهم فسوف يتحدّ أنحاء البلاد، والأُمراء من الإمارات المختلفة يأتون إليه ويقدمون له ولاءهم سمعاً وطاعة".

الشرح:

وهذه القطعة تتبع القطعة السابقة وقد بيّن لنا فيها المؤلف "تس سي" فعالية تنفيذ الخطوط التسعة الكبرى وفائدة تحقيقها في سياسة الدولة وإدارتها.

وقال العلامة "جو شي" في شرح النص: " هذه القطعة تتحدث عن نتيجة تطبيق الخطوط التسعة الكبرى والعمل بها. والقول في النص: ' وإذا هدّب الحاكم نفسه ويصلح ذاته بالأخلاق الفاضلة فقد أرسى قواعد طريق الحق وأقام منهاج الوسطية والاعتدال وأعطى المثل فيه،' يراد به أنه إذا اتّبع الحاكم بنفسه طريق الحق وأقامه بالتطبيق العملي والتمسك به بجدّ في القول والفعل، لصار قدوة حسنة لعامة الشعب بأخلاقه الفاضلة؛ وهو الخلق المثالي الذي يستحق أن يقتدى به رعيته جميعاً. والقول " وإذا احترم الصالحين وأصحاب الخلق والكفاءة، فهو لا يتحيز ولا يرتكب في أموره." يراد بهذا الكلام أنه إذا صاحب الصالحين والطيبين وأصحاب الخلق والكفاءة، فهو لا يتحيز في حقائق الأمور ومعرفة بها أبداً. والقول في النص " وإذا يكرم الوزراء وشرّفهم، فهو لا يكون مضطرباً ولا مشوش الذهن"، يعني أن الحاكم إذا يثق بالوزراء، ويوزع الوظائف لهم على أساس هذه الثقة والصدق، فالرجل الطالح من الموظّفين لا

يستطيع أن يزرع الخلاف بينه وبين وزراءه، فالحاكم لما يواجهه المشاكل، فهو لا يضل فيها، بل يكون مثرباً في حلها من مناقشته مع الوزراء. والكلام "إذا تعامل الأجانب بسياسة التقريب" أي بتسامح الحاكم ويمنح الأفضلية في المعاملة لهم، حتى يعجب سياسته السديدة التجار والوفود من مكان بعيد، يأتون إلى بلاده ويقدمون الولاء له. والقول "وإذا يقنع الأمراء فسوف يوخذ البحار الأربعة، ويأتى إليه الأمراء من الإمارات المختلفة يقدمون له ولاءهم سمعاً وطاعة." وهذا يعنى أن الحاكم إذا ارتضى الأمراء بخلقه الطيب وسلوكه الحسنة فسوف يسمعون له رضاء بأخلاقه الفاضلة ويطيعونه قناعاً بالسلطة والجاه له،^{٢٦٩}

وإن الخطوط التسعة الكبرى قد بيّنها المؤلف في هذا النص، وفوائد تنفيذها هي مجموعة شاملة مثالية في سياسة الدولة وإدارتها عند الكونفوشيوسية، وقد بدأت هذه الخطوط بتعذيب الحاكم نفسه بالأخلاق الحميدة وهو لب الموضوع في الفلسفة الكونفوشيوسية، ثم تناولت المناهج السياسية الداخلية والخارجية كما بيّناها الآن، وقد كان العلماء الكونفوشيوسيون يهتمون بهذه الخطوط التسعة الكبرى اهتماماً كبيراً، ويرون أنها لن يمكن أن يتركها الملوك إلى الاعتماد على غيرها إذا يريدون أن يحسن سياسة الدولة وإدارتها، وقد رأوا إن هذه الخطوط التسعة الكبرى هي الحقيقة الراسخة والقاعدة الثابتة في إدارة الدولة وسياستها، وهي لا تتغير مع مرور الزمن.

原文: "齐明盛服，非礼不动，所以修身也。去饕远色，贱货而贵德，所以劝贤也。尊其位，重其禄，同其好恶，所以劝亲亲也。官盛任使，所以劝大臣也。忠信重禄，所以劝士也。时使薄敛，所以劝百姓也。日省月试，既稟称事，所以劝百工也。送往迎来，嘉善而矜不能，所以柔远人也。继绝世，举废国，治乱持危，朝聘以时，厚往而薄来，所以怀诸侯也。凡为天下国家有九经，所以行之者一也。"

今译：“斋戒净化心志，衣着庄重以示诚敬，不合于礼的事，不敢妄动，这样用来修身。驱逐馋邪的小人，疏远昳丽的女色，轻贱财货，珍贵道德，用来劝勉贤人。尊崇他们的地位，增厚他们的俸禄，用同一好恶标准以示大公，用来劝勉亲族。多置小官供大臣指挥，使大臣不亲细务，集中尽力考虑国家大事，用来抚慰大臣。待他们有忠信，养他们有重禄，用来慰勉士人。征役有定时，税收有定制，轻徭薄赋，用来关怀老百姓。每日考其勤惰，每月查其成就，结合做事的勤惰，颁发肉米的多少，用来鼓励和惩罚百工。护送他们去，欢迎他们来，奖励有才能的人，同情和容纳才能不足的人，用来安抚远方蕃客和商旅宾客。有绝代的诸侯，取旁支的人继续宗嗣，有灭亡的国家，帮助他们复兴起来，整饬腐败乱政，尽力支持弱小，诸侯按时朝聘天子，对其厚赠薄纳，是用来安抚诸侯的。总之，治理天下国家有上面所讲的九条定理，但实行的方法归结起来只有一个“诚”字。”

نص القطعة العاشرة:

"إن الصيام بالقلب الوقور، والارتداء بالثياب المهيبة يدل على الإخلاص والاحترام، فلا يجرى الحاكم على تخطي حدود نظام الآداب، وهكذا يهذب نفسه ويصلح ذاته على الفضائل. وهو يبعد نفسه عن افتراء الأرذال والأثمة، ويتنافر عن جمال النساء، ويحقر الكنوز والأموال، ويحرص على الأخلاق الحميدة ويفضل الأخلاق على الجواهر، وهكذا يشجع الحاكم الصالحين من رعيته على هذه الفضائل. وهو يحترم عشائره ويُعطيهم مكانة كريمة ويزيد لهم رواتباً رسمية، ويعاملهم بالمعيار الواحد حتى يُظهر عدله بين عشائره، وهكذا يشجع الحاكم أقربائه ويسلّمهم تسليّة. وهو يرتّب الوظائف المختلفة للوزراء بأن يستخدم الوزراء أصحاب هذه الوظائف في الأمور البسيطة اليومية لكي تُفرغهم إلى تركيز الجهود على شؤون البلاد العظيمة وإلى التفكير فيها والعمل عليها، وهكذا يشجع بها الحاكم وزرائه. وهو يعامل العلماء بالأمانة والإخلاص ويكلفهم بالمهمة الكبيرة ويعطيهم الدرجة العالية، وهكذا يشجع الحاكم طبقة العلماء في بلاده. وهو يجنّد الشعب في الوقت المناسب لهم، ويفرض الضريبة عليهم بالنظام المحدّد والمعقول، ويخفّف الضرائب عنهم، ويقلّل التجنيد منهم، وهكذا يعتنى بعامة الشعب. ولا بد أن يُسجّل الحضور والغياب لأصحاب الحرف في عملهم كلّ يوم، وفحص أعمالهم كلّ شهر،

وَيُوزَعُ الْأَرْزُ وَاللَّحْمُ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ إجتِهَادِهِمْ وَ تَكَاسُلِهِمْ فِي الْعَمَلِ، وَهَكَذَا يُشَجَّعُ بِهَا أَصْحَابُ
الْخُرُفِ الْمُخْتَلَفَةِ مَكْفَأَةً أَوْ عَقُوبَةً لَهُمْ. وَبِالنَّسَبَةِ إِلَى الضُّيُوفِ يَأْتُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ
هُنَاكَ نِظَامًا رَسْمِيًّا لِمَوَاكِبَةِ الضُّيُوفِ وَاسْتِقْبَالِهِمْ تَرْحِيْبِيًّا بِهِمْ مَعَ مَكْفَأَةِ أَصْحَابِ الْخُلُقِ وَالْكَفَاءَةِ
مَتَهُمْ، وَالشَّفَقُ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ تَسَامُحًا وَرَحْمَةً لَهُمْ، وَهَكَذَا يُشَجَّعُ الْحَاكِمُ بِهَا الضُّيُوفُ التَّجَارُ
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ. وَإِذَا يَوْجَدُ أَمِيرٌ فِي بِلَادِهِ لَيْسَ لَهُ وَارِثًا يَرِثُهُ سُلْطَةً، فَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ
وَارِثَ الْحُكْمِ مِنْ فَرْعٍ غَيْرِ قَرِيبٍ مِنْ أَسْرَتِهِ لِكَيْ يَرِثَ الْأَمِيرُ نَسَبًا وَسُلْطَةً. وَإِذَا هُنَاكَ دَوْلَةٌ
تَتَلَاشَى وَتَضْمَحَلُّ، فَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَ أَهْلَهَا عَلَى النُّهْضَةِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْاضْطِرَابِ وَيُسَاعِدَهُمْ
عَلَى تَقْوِيَةِ سِيَاسَتِيَّاهُمْ وَيُنْصِرَ الْمَظْلُومَ بِكُلِّ جُوهْدِهِ عَلَى الظَّالِمِ مِنَ الْأُمَرَاءِ فِي بِلَادِهِ. وَأَمَّا الْأُمَرَاءُ
عَلَيْهِمْ أَنْ يَزُورُوا الْحَاكِمَ وَيَقْبَلُوهُ لِكَيْ يَظْهَرُوا الْوَلَاءَ لَهُ، وَ الْحَاكِمُ عَلَيْهِ أَنْ يَهْدِيَهُمْ هَدِيَّةً قِيَمَةً
خِلَالَ زِيَارَتِهِمْ لَهُ وَيُعْطِيَهُمْ كَثِيرًا وَ يَأْخُذُ مِنْهُمْ قَلِيلًا، وَهَكَذَا يُشَجَّعُ بِهَا الْحَاكِمُ الْأُمَرَاءُ فِي بِلَادِهِ
إِرْضَاءً وَإِطَاعَةً لَهُمْ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ سِيَاسَةُ الدَّوْلَةِ وَإِدَارَتُهَا لَا يَدُ مِنْ تَنْفِذِ هَذِهِ الْخُطُوطِ
التَّسْعَةِ الْكُبْرَى وَتَنْفِذُهَا الْوَاقِعِيُّ، وَلَٰكِنْ طَرِيقُ تَطْبِيقِهَا وَتَحْقِيقِهَا بِالْإِخْتِصَارِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ،
وَهِيَ كَلِمَةُ " الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ. "

الشرح:

وَفِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ قَدْ بَيَّنَّ الْمَوْلُفُ " تَس سِي " وَسِيلَةَ تَطْبِيقِ الْحَاكِمِ لِلْخُطُوطِ التَّسْعَةِ الْكُبْرَى
وَتَنْفِذُهَا فِي الْأُمُورِ الْمُخْتَلَفَةِ شَخْصِيًّا وَسِيَاسِيًّا، دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا، وَنَشْرَحُهَا عَلَى تَرْتِيبِهَا كَمَا
جَاءَتْ هَذِهِ الْخُطُوطُ فِيمَا يَلِي:

أَوَّلًا: لَيْسَ الْحَاكِمُ يَهْدُبُ نَفْسَهُ وَيُصْلِحُ ذَاتَهُ فَقَطْ بَلْ يَكُونُ تَهْذِيبُهُ النَّفْسَ وَفَقًّا لِنِظَامِ الْأَدَابِ وَقَدْ
يُنْكَشِفُ هَذَا النَّصُّ النُّقْطَتَيْنِ الْمُهْمَتَيْنِ، الْأَوَّلَى: وَهِيَ خُطْوَةٌ تَهْذِيبُ الْحَاكِمِ نَفْسَهُ بَاطِنًا، عَنْ طَرِيقِ
الصِّيَامِ، وَالصُّوْمِ بِزُجْجِ النَّفْسِ وَيُطَهِّرُ الْقَلْبَ وَيَحَافِظُ عَلَى حَالَةِ الصِّدْقِ بِلَا شَاتِبَةٍ؛ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ
فَهِيَ خُطْوَةٌ إِظْهَارٍ وَقَارِ الْحَاكِمِ وَعِزَّتِهِ خَارِجًا عَنْ طَرِيقِ لِبْسِ الْمَلَابِيسِ الطَّقُوسِيَّةِ الْفَاخِرَةِ بِهَيْئَةٍ
جَادَّةٍ كَرِيمَةٍ.

والجدير بالذكر أن الصيام كان من طقوس تقليدية في مجتمع الصين القديمة، وقدماء الصين كانوا يصومون قبل إقامة طقوس القران لكي يعتبروا عن الإخلاص والتقوى فيها، وكان صيامهم يشمل الاستحمام قبل الصوم وعدم تضاجع الزوجة أثناءه والإمتناع عن الخمر والأشياء مكروه طعمها مثل الثوم والسك وكذلك الممنوع من اللحم.^{٢٧٠} وكان الأستاذ كونفوشيوس يهتم بالصوم كثيرا وقال عنه: " إذا استحمت أحد فليلبس ثوبا قطنا بعد غسله، وإذا نوى الصوم، فليغير طعامه الذي يأكله يوميا و يغير الغرفة أيضا." ^{٢٧١} وهنا تغيير الطعام يعنى امتناع عن الأشياء مكروه طعمها والخمر وغيره، وتغيير الغرفة يراد بها إلى غرفة أخرى غير متضاجع الزوجة. وقد تحدث المعلم الثانى منشيوس عن الصيام وقال: " والإنسان ولو كان مخطئا ليمكنه أن يخدم " شيانغ دى " ^{٢٧٢} بعد أخذ الاستحمام والصيام." ^{٢٧٣} كما كان الأستاذ كونفوشيوس يؤكد معنى الصوم فى تزكية القلب وتطهيره أكثر من الصوم نفسه كما قال فى هذا النص إن الصوم يزكى النفس ويطهر القلب ويحافظ على الحالة النفسية بلا شائبة.

وأما خطوة إظهار وقار الحاكم وعزته خارجا فهي بأن يلبس الحاكم الثياب الجليلة والمهيبية يدل على الإخلاص والاحترام، أى: والحاكم الملك لابد من لبس بزّة التشريفات ليكون جليلا بمظهره، وزكيا فى القلب ومتقيا فى باطنه، ويوافق سلوكه لنظام الآداب ويهذب النفس به حسب مطلوب نظام الآداب، لكي يكون قدرة حسنة لجميع الشعب، وهذه هى المهمة الأولى وأساس الأسس بالنسبة إلى الملك الحاكم.

ثانيا: الحاكم يشجع الصالحين على الفضائل بأنه يتعد عن اقتراء الأرذال والأثمة، ويتناهى عن أخس النساء، ويحقر الكنوز والأموال، ويحرص على الأخلاق ويفضلها على الجواهر. وقال العالم الكونفوشيوسى " تشينغ هاو" فى ذلك: " إن الافتراء وقتنة النساء وجمع الكنوز كلها يؤذي الأخلاق الفاضلة، لو يترك الحاكم هذه الثلاثة ويعتز بالفضائل ويفضلها على هذه الثلاثة كلها

٢٧٠- انظر: كتاب الآداب، الفصل الرابع وعشرون والفصل الخامس وعشرون، الصفحة ٢٣١-٢٣٦.

٢٧١- ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، كتاب الحوار، الفصل العاشر، الصفحة ٢٠٤.

٢٧٢- " شيانغ دى": الإله الأكبر وهو السماء - تيان، ولقد مرّ تعريفه فى الفصل السابق لهذه الرسالة.

٢٧٣- انظر: الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوشى، كتاب منشيوس، الصفحة ١٧٠.

ويبذل أقصى جهده في سبيل نيل الفضائل لصار حاكما صالحا.^{٢٢٤} فالحاكم عليه أن يبعد عن إقتراء الطالحين والفاستين وعن فتنة الأحاسن وعن جمع الجواهر والكنوز، وعلمه أن يقدّر الصالحين بتعيينهم على الوظيفة المهمة ويشجّعهم بالرواتب الرسمية العالية.

ثالثا: الحاكم يحترم عائلته ويرفعهم مكانة كريمة ويزيد لهم رواتبا رسمية، ويعامل جميعهم بالمعيار الواحد العادل حتى يظهر عدله بينهم. وقه قد تبيّنت أهمية تحسين الأسرة وإحسان الأهل في الفلسفة الكونفوشيوسية، وإنّ الإنسان من طبيعته أن يحب الأهل ويريد لأهله كلّ الحسّنات، وهذا يوافق طبيعة الإنسان الخلقية، كما يقول المعلم الثالى منوشيومس: "غالبا أن الإنسان يحب أهل بيته برابطة الدم، ويريد لهم بالعزة والتشريف قبل أن يريده للأخر، كما يحب لهم بالثروة والجاه أكثر ما يحبه بها للغير".^{٢٢٥} فلذلك، إن الكونفوشيوسية تؤكّد فكرة الرحمة وتطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في الأسرة أولاً، وقد ذكرها مرارا في هذا الكتاب، فيحب الإنسان أولا والديه وأخيه الشقيق وأفراد أسرته، ثمّ يوسّع محبته هذه إلى محبة الآخرين خارج الأسرة في المجتمع، وإلى محبة الوطن حتى محبة الإنسان كلهم، فالملك الحاكم عليه أن يعتنى قبل كل شيء بعشيرته، ويرفعهم مكانة ويزيدهم الرخاء ويعاملهم بالعدل ومعيار واحد ويّحدّ القلوب والقوى بين الأقرباء حتى يحصل على الدعم والتأييد من أسرته.

رابعا: عناية الحاكم بوزرائه بأن ينظّم لهم الوظائف المختلفة حتى يشغّل أصحاب هذه الوظائف في الأمور البسيطة اليومية الحكومية لكي تفرّغهم إلى تركيز الجهود على شؤون البلاد العظيمة وإلى التفكير في هذه الشؤون المهمة والعمل عليها خاصة، وهكذا يشجّع بها الحاكم وزراءه لأنّ الوزراء هم عماد الدولة وركيزتها، يمثلون دورا مهما في إزدهار البلاد ومستقرها. ونظرا لأهمية مكانة الوزراء للدولة قال العلامة "جوشى" في شرح هذا النص بقوله: "ومن حق الوزير أن يزود له بكثرة الموظفين لكي يسمعوا أرساله وتوجيهه؛ لأن الوزير عليه أن لا يسرف

٢٢٤- الشرح التفصلي لكتاب الوسطية والاعتدال، ليكا هونغ، الصفحة ٢٢٤.

٢٢٥- انظر: كتاب منوشيومس من ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، الصفحة ٥٣٠.

نشاطه في ممارسة الشؤون الرسمية الدقيقة البسيطة، بل علنه أن يركز كل القوات والنشاطات على صياغة السياسة والتفكير في معلومة الشؤون الرسمية العظيمة للبلاد.^{٢٧٦}

خامساً : والحاكم يعامل العلماء بالأمانة والإخلاص ويكلفهم بالمهمة الكبيرة ويعطيهم الرتبة العالية، وهكذا يشجع بها طبقة العلماء في بلاده؛ لأن العلماء هم الموظفون الكبار في الحكومة عند الكونفوشيوسية، فالحاكم علنه أن يعاملهم بالأمانة والإخلاص ويكلفهم بالمهمة العظيمة ويعطيهم الرواتب العالية.

وكان العالم " جانغ جو جينغ " يقول في شرح هذا النص: " وعلى الحاكم أن يعامل كل الموظفين بالإخلاص والأمانة؛ لأنه لو لم يعاملهم بالإخلاص لحدث التخوف والارتباب في قلوبهم، فهم لن يعملوا من كل قلبهم ولن يجتهدوا في عملهم. وإذا لم يحصلوا على الراتب الرسمي الذي يكفي لهم بالإتفاق على الولدين والأهل، فسوف لا يعملون للحاكم بجد وإهتمام؛ لأنه لم يستطيعوا أن يرتبوا أمور المعيشة لأهلهم، بل هم على القلق وتشتيت الإنتباه من أهلهم. فلذا، يعامل الحاكم الموظفين بالإخلاص، وهذا يجعلهم فاتحي الصدور أمام الحاكم ومجتهدين في تادية الواجبات والعاملين عليها بالإخلاص والصدق. ويعطى الحاكم الرتبة العالية لموظفيه فهذا يؤدي بهم إلى اطمئنان القلوب لأهلهم ويفرغ أنفسهم منها إلى خدمة البلاط الملكي والدولة. وهذا هو الطريق الذي يشجع به الحاكم الموظفين.^{٢٧٧}

سادساً : الحاكم علنه أن يعتني برعيته ويهتم بمنفعة الشعب، ترى الكونفوشيوسية أن الشعب بالنسبة إلى البلاد هو أهم ركن أساسى يتكون منه الدولة، والدولة لا يمكن أن تنشأ من دون وجود الشعب، وكذلك الحاكم لا يطمئن في عرشه إذا لم يؤيده الشعب ولا يطيعه. فقال الأستاذ المعلم منشيوس: " ومن أهم أركان الدولة التي تتكون منها هو الشعب، ثم يأتي بعده الدولة في الرتبة الثانية بأهميتها، والحاكم يلقي بعدهما في الرتبة الأخيرة بأهميته." ^{٢٧٨} وهذا النص قد أشار إلى

٢٧٦- الشرح الجامع للكتب الأربعة قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جوشى، الصفحة ١٨.

٢٧٧- الشرح والتعليق لكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جو جينغ، دار الكتب والمعاجم بشفهوى، السنة ٢٠٠٧م الطبعة الأولى، الصفحة ١٠٢-١٠١.

٢٧٨- كتاب منشيوس من ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، الصفحة: ٦٢٧.

النقطتين المهمتين في عناية الحاكم برعيته، والأولى منها الحاكم لا بد منه أن يجد ويستخدم الشعب في الوقت غير موسم الزرع والحصاد، لكي يشتغلوا بالفلاحة مطمئنين. والثانية الحاكم عليه أن يقلل الضرائب للشعب ويلغى الرسوم المرفقة والإتاوات المتوقعة لكي يخفف عنهم عبء المعيشة ويشجعهم على نشاط العمل.

سابعاً : تشجيع الحاكم أصحاب الحرف والعمال في البلاد، وكيف يشجع أصحاب الحرف؟ والطريق هو بمراقبة أعمالهم يومياً، وبفحص نتائجها شهرياً، فالمجتهد والعمائر منهم في العمل عليه أن يكافئ، ويصوب أعمالهم يوزع الأرز واللحم، من عمل كثيراً أخذ كثيراً، وليس بالعكس. وهنا نقير إلى نقطة مهمة وهي في عصر مملكة " تشو " في زمن الصين القديم كان أصحاب الحرف والعمال كلهم يعملون تحت أمر الحكومة وسيطرة الدولة، فالدولة يوزع الحبوب الغذائية عليهم، فلذا توزيعها وفقاً لنتيجة العمل هو من وسائل تشجيع أصحاب الحرف والمهنة.^{٢٧٩}

ثامناً : والحاكم يعامل الناس الذين أتوا من مكان بعيد بسياسة التسامح والتؤدة، وكما ذكر في النص " الناس الذين أتوا من مكان بعيد. " وله معان، الأول: وفي الزمن القديم أن بعض القوم هجروا من بلادهم إلى بلاد أخرى بسبب الحرب أو الكارثة، وهنا يطلب الحاكم من التسامح مع هؤلاء المهاجرين، ومن هذه السياسة المتسامحة يظهر الحاكم رحمته وعمله أولاً، ويقوى بلاده بوجود هؤلاء الناس ثانياً؛ لأنه في العصر القديم كان عدد السكان الكثير دليلاً على قوة الدولة وإزدهارها. والمفهوم الآخر لـ " الناس الذين أتوا من مكان بعيد. " هو في الزمن القديم كان للقافلة التجارية تأتي من مختلف الأماكن، إذا أخرج الحاكم سياسة التسامح تيسيراً لهم، يحبون أن يتجروا في بلاده، فتستفيد الحكومة من القافلة التجارية اقتصادياً. وكذلك هو معنى الرسل من الدول الأخرى يجب للحاكم أن يستقبلهم ويكرمهم ترحيباً حاراً بهم.^{٢٨٠}

تاسعاً : يتقرب الحاكم الأمراء في بلاده ويتوحدهم، وهذه النقطة بيتها هذا الفصل بدقة ووضوح على حد ما، وتحدث فيها عن أمرين مهمين؛ الأول: الحاكم عليه أن يراقب أحوال الإمارات

٢٧٩- انظر: الشرح اللطيف لكتاب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٢٥.

٢٨٠- الوصول إلى البر الكامل - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة: ٢٦٠.

باهتمام ويتابع الوضع السياسى فيها بعناية، لو كان هناك أمير لا يوجد له ولد يرثه حكما وسلطة فالحاكم عليه أن يتوسط بينهم ويبحث الوارث من فرع غير قريب من أسرته، لئلا تكون أوضاع الإمارة مضطربة سياسية بسبب غياب الأمير الوارث، كما عليه أن يساعد الإمارة التي تلاشت أو فقدت أراضيها بسبب ما، والحرب مثلا، فساعدتها على استرجاع الأراضي المفقودة وتعزيز سلطتها ونهضة الإمارة من الضعف والاضطراب. والأمر المهم الثانى تحدثت النص عن مقابلة الملك الحاكم الأمراء فى قصره واستدعاهم للمشاورة معهم فى شؤون البلاد الخطيرة، وغالبا إن الأمراء يقابلون ملك الصين مرة واحدة بعد كل خمس سنوات، فالأمراء يأتون إلى العاصمة لهذه المقابلة ومعهم الجزية، فهنا يطلب النص الحاكم من إهتمام الأديب عند هذه المقابلة ويطلبه من أن لا يأخذ الجزية من الأمراء كثيرا ولا يتجاوز الحد فيه، لئلا يأتى قوة إماراتهم من أخذ الجزية الثقيلة، والحاكم الملك عليه أن يمنح الأمراء خلال هذه المقابلة ويهدى الهدايا إليهم، لئلا يرضى جميع الأمراء بالحاكم وبطبع حكمه ويظهر له ولاءهم.^{٢٨١}

وكان الكونفوشيوسيون فى العصور اللاحقة فى تاريخ الصين يهتمون اهتماما كبيرا بهذه الخطوط التسعة السياسية، ويرون أنها حقيقة ثابتة وقاعدة مثالية فى إدارة الدولة وسياساتها، مع مرور الزمن وتغير المجتمع الصينى، بعض الخطوط التسعة هذه قد مضت وفقدت قيمتها العمل، ولاكن من الخطوط التسعة هذه فهمنا الفكر السياسى الكونفوشيوسى فى حكم بلاد الصين العظيمة وإدارة شؤونها تحقيقا لشعبها الطمأنينة والسلام فى تاريخ الصين القديم.

والجدير بالاهتمام فى آخر هذا النص ذكر أنه لا يمكن تنفيذ هذه الخطوط التسعة العظيمة وتطبيقها العمل إلا بكلمة واحدة، وشرح العلامة "جو شى" فيه وقال: " بكلمة واحدة " المراد بها صفة " الصدق والإخلاص "؛ لأنه لو ينقص الحاكم عن الإخلاص والصدق فى تطبيقه لهذه الخطوط التسعة الكبرى وعمله بها، فسوف تصير الأنظمة نصية بالية تفقد معناها الحقيقية.^{٢٨٢} وكان صفة " الإخلاص والصدق " نظرية هامة وموضوع أساسى فى كتاب الوسطية والاعتدال،

٢٨١- المرجع السابق، والصفحة: ٢٦١.

٢٨٢- انظر: التلخيص الجامع للكتب الأربعة، جوشى، والصفحة ١٨.

سوف يتحدث المؤلف "تس سي" عن هذا الموضوع في الفصول بعد الفصل العشرين بصورة خاصة، وقد ذكرها هنا في نهاية هذا الفصل لكي يكون تمهيدا لبيان الموضوع في الفصول التالية.

وعلى كل حال، إذا كان الحاكم يطبق هذه الخطوط التسعة كلها بالإخلاص والصدق، لحقق منهاج الوسطية والاعتدال، والأصارت هذه الخطوط أنظمة بالية ومماتة لا تلعب دور القدرة في سبيل تحقيق الأمن والسلام للدولة وتحقيق السعادة والطمأنينة للشعب، وإن الإخلاص والصدق أثناء تطبيقه العمل لهذه الخطوط التسعة السياسية له مكانة عظيمة في قلب الحاكم لا يستغنى الحكام عنها جميعا.

原文：“凡事豫则立，不豫则废。言前定则不跲；事前定则不困，行前定则不疚，道前定则不穷。”

今译：“凡事预先作好准备就能成功，不预先作准备，就会失败，譬如发言，事先想定，就不会说不下去；譬如做事，事先计划好，就不会发生困惑；譬如行动，事先筹措好，就不会做不下去而抱愧；譬如要实行中庸之道，必须事先用功愤勉，然后实行，道就无穷无尽了。

نص القطعة الحادي عشر:

"إن الاستعداد في كل أمر يضمن نجاحه، وإن الارتجال فيه يؤدي إلى فشله. والكلام مثلا، لو فكرت في التكلم بعناية وهيأت له قبل القول، لما كلمته بعدم السلاسة، وكذلك معالجة الأمر مثلا لو خططت قبل أن تبدأ بها، لما كنت حائرا ومشوشا الذهن، وتنفيذ العمل مثلا، لو أعددت ونبرت قبل الأوان لما أكملت ممارسته وشعرت بتأنيب الضمير. وكذلك تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال، فلا بد من عقد العزم الثابت قبل كل شيء، ثم تحقيقه بالتطبيق العملي والمواظبة عليه بقوة، فهكذا يكون منهاج الوسطية والاعتدال لا حد ولا نهاية له."

الشرح:

وهذه القطعة تبين أن النجاح في كل الأمور لا بد من الاستعداد والتحضير قبل أوانه، كما أشار النص إلى أن الإخلاص والصدق هو مفتاح النجاح في كل أمر، لأن كل شيء لم يعدد ولم يحضر قبل أوانه إلا أن يكون فاعله ينوي فيه بالإخلاص والصدق، وإذا لميس له إخلاصا وصدقا، فهو يعمل ما حلا له أن يعمل، وهو مهمل بلا تفكير ولا تحضير، فلا يمكن أن ينجح فيه؛ لذلك أن الإخلاص والصدق هو السبب الرئيسي من أسباب النجاح لكل أمر، وبالإخلاص والصدق يستعد الإنسان لكل أمر ويحضر فيها.

شرح العالم الكونفوشيوسي " جيانغ جو جينغ " هذا النص وقال: " إن القول فيه ' الاستعداد في كل أمر ' يشير به إلى الأخلاق الثلاثة العظيمة من الحكمة والرحمة والشجاعة والعلاقات الخمسة الأساسية والخطوط التسعة الكبيرة التي ذكرناها سابقا، وكذلك يشير به إلى شؤون الحياة اليومية كلها. وهذه القطعة تابعت الكلام الأخير في نهاية القطعة السابقة وهو ' ولكن طريق تطبيق الخطوط التسعة وتحقيقها بالإختصار على كلمة واحدة، وهي كلمة الصدق والإخلاص '، يعني أنه ليس تطبيق الخطوط التسعة وتحقيقها يتوقف على الإخلاص والصدق فقط، بل في جميع الأمور إذا نقص عنها الإخلاص والصدق، فلا يمكن أن يحقق النجاح فيه، كيف ؟ مثلا تكلم الإنسان، لو ثبتت نفسه على الإخلاص والصدق قبل الكلام، فهو لا يمكنه أن ينطق عن باطل، بل يتكلم صادقا، ولذا يكون كلامه بالسلاسة والمنطق فكلامه لا يقبل الجدل والشك، ولو ثبت الإنسان نفسه على الإخلاص والصدق قبل معالجة أمره، فهو لا يمكن أن يتصرف بغير الحق، بل يفكر مليا في تصرفه قبل أوانه، ولذا يمارسه مقتصدا بلا إفراط ولا تفريط فيه، ولو ثبتت نفسه على الإخلاص والصدق قبل كل سلوكه، لكان يسلك سليما لا غبار له، ولو ثبتت نفسه على الإخلاص والصدق قبل تطبيقه العملي بطريق الحق أي منهاج الوسطية والاعتدال، لكان يجده لا حد ولا نهاية في هذا الطريق. " ٢٨٢

原文：“在下位，不获于上，民不可得而治矣。获乎上有道，不信乎朋友，不获乎上矣。信乎朋友有道，不顺乎亲，不信乎朋友矣。顺乎亲有道，反诸身不诚，不顺乎亲矣。诚身有道，不明乎善，不诚乎身矣。”

今译：“在下位的人臣，如果得不到君王的信任，就不能得民心，也就不能治理人民。要想得到君王的信任是有方法的，应预先得到朋友的信任。如果不能得到朋友的信任，就声誉不立，就不能得到君王的信任了。要想得到朋友的信任也是有方法的，应预先得到父母的欢心，如果不能得到父母的欢心，就不能得到朋友的信任了，要想得到父母的欢心也是有方法的，应反求自身的诚实，如果不能诚身，外有事父母之表，内无爱父母之实，就不能得到父母的欢心。要想诚实自身也是有方法的，应预先明白至善。如果不能明善，善恶不分，就不能诚身了。”

نص القطعة الثانية عشر:

" وإذا لم يحصل موظف الحكومة في السلطة الأدنى على ثقة الموظف في السلطة العليا، فهو يمكن أن لا يحصل على ثقة الشعب، فإن لا يستطيع أن يدير شؤون الشعب وسياساتها على أحسن وجه. والحصول على ثقة السلطة العليا فيه طريق ووسيلة، وذلك لا بد من أن يحصل أولاً ثقة صديقه. وإذا لم يستطع أن يحصل على ثقة الصديق، فلا يقدر على أن يُقيم حسن السمعة لنفسه، وإذا لم يُقيم طيب السمعة لنفسه، فهو لا يستطيع الحصول على ثقة موظف السلطة العليا. وإذا أراد الحصول على ثقة الصديق، فيه طريق ووسيلة، وذلك لا بد منه أن يحصل أولاً على رضى والديه وبنات حبهما، ونيل حب الوالدين والرضى لهما فيه طريق ووسيلة، وذلك لا بد منه أن يحاسب نفسه بكل الإخلاص والصديق، وإذا لم يكن صادقاً ومخلصاً في قلبه، فلا يمكن له أن يحصل على رضى الوالدين والمسرّة من قلوبهما؛ لأنه يخدم لهما ويعول محاشيها في ظاهره فقط، ولم يحبهما في باطنه. وإذا أراد الإخلاص والصديق في باطن قلبه، فيه طريق ووسيلة أيضاً، وذلك لا بد منه أن يفهم ما هو البرّ المعروف فهما حقيقتاً، وإذا لم يقدر على تفهم البرّ المعروف ولم يميّز الخير من الشر، فهو لا يستطيع أن يكون صادقاً ومخلصاً في باطن قلبه."

الشرح:

وهذه القطعة تواصل بيان أهمية الإخلاص والصدق وتأثيرها في نفس الإنسان، وفهم البرّ وتمييز الخير من الشر كان أساساً أولياً يعتمد عليه موظفي الحكومة كلهم، ويتوقف على هذا الأساس الخلقى نجاح إدارة الشؤون الشعبية وسياسة أمور الدولة. كما شرح المفسر "جينغ شوان" عن علاقة الإخلاص والصدق مع فهم البرّ الإحسان بقوله: "إذا انتع الإنسان البرّ بعد أن عرف ماهيته وحقيقته وتفهمه فهما حقيقة ثم يطبقه تطبيقاً عملياً، ففي هذه الحال أن الإخلاص والصدق يترسخ ثابتاً ومستقراً في نفسه باطناً وفي تصرفاته ظاهراً".^{٢٨٤} وعلى هذا الأساس أن الإنسان هل هو مخلص وصادق في تصرفه؟ وهذا يتوقف على معرفته للبرّ وتمييزه الخير من الشر، لو لم يفهم ما هو البرّ ولم يقدر على التمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل، فهو لا يمكن أن يكون مخلصاً وصادقاً في تطبيق البرّ العملي وتحقيقه كاملاً.

وهذه القطعة حلّل المؤلف "تس سي" صفة الإخلاص والصدق في باطن النفس وتفهم البرّ المعروف والتميز الخير من الشر تحليلاً عميقاً وعلّلت بالتنسيق الواضح أن الإخلاص والصدق أساس الأمن لإدارة الشؤون الشعبية وسياسة أمور الدولة. وقال الحبر "كولغ بينغ ذا" في شرح هذا النص: "وهذه القطعة من النص بيّن لنا أن الإنسان سواء كان موظف الحكومة أو إنساناً عادياً لا بد من أول أمره أن يكون صادقاً ومخلصاً في باطن نفسه، وبعد ذلك يحصل على الوظيفة ويشغل بها. وإذا كان الموظف لا ينال ثقة السلطة العليا منه، ولا يفهم ما يريد من الإدارة وبرنامج السياسة، فهو لا يستطيع إدارة الشؤون الشعبية. وإذا أراد الحصول على ثقة السلطة العليا وفهم قصده في الإدارة وبرنامجها، فأول شيء هو أن يكون له السمعة الحسنة والثقة العالية من صديقه أو من رفيقه في العمل. وإذا ليس له السمعة الطيبة عند الناس وخاصة عند أصدقائه، فلا يحصل على ثقة السلطة العليا منه. وإذا أراد السمعة الطيبة عند أصدقائه، فلا بدّ منه أن يبرّ والديه أولاً؛ لأنه لو لم يبرّ الوالدين بالإخلاص، لما صاحب الأصدقاء بالصدق.

٢٨٤- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والاعتدال، لي. كا. هونغ، الصفحة ٢٢٩.

فالبر للوالدين لا بد من البار أن يحثهما باطنا ويخدمهما ظاهراً، وهذا يحتاج إلى أن يعرف ما هو طريق الحق وما هو المعروف؛ لأنه لو لم يعرف ما هو طريق الحق وما هو المعروف، لما كان مخلصاً وصادقاً في باطن نفسه. " ٢٨٥

ومن هنا ترى الكونفوشيوسية أنه لا بد من الثقة والأمانة بين الموظف التابع و الموظف المتبوع، وهذه الثقة والأمانة يأتي من الإخلاص والصدق بين الأصدقاء، والإخلاص والصدق بين الأصدقاء ينبع من بره للوالدين، والإحسان بالوالدين يصدر من الإخلاص والصدق من الجبلة الإنسانية؛ لأن الإنسان خلق على الفطرة السليمة وهو مفتور على الخير، وكان هذا اعتقاداً أساسياً للكونفوشيوسية، فالإنسان يستطيع أن يصل إلى مقام مرتفع ودرجة عالية؛ لأن له الطبيعة الخلقية الخيرة التي ولد عليها.

بعد بيان الأفكار من الأخلاق الثلاثة الكبيرة والعلاقات الخمس الإنسانية الأساسية و الخطوط التسعة السياسية، أشار هذا الفصل هنا إلى نظرية أساسية وقاعدة أصلية لا يستغنى عنها في تطبيق تلك الأخلاق الثلاثة الكبيرة والعلاقات الخمس الإنسانية الأساسية والخطوط التسعة السياسية و هي نظرية " الإخلاص والصدق " في كتاب الوسطية والاعتدال، وقد بدأ المؤلف " تس سي " بحديثه عنها من هذا الفصل، وقام بتبيين هذه النظرية المهمة بصورة واضحة في القطعة التالية، نأتي إليها الآن:

原文: " 诚者，天之道也；诚之者，人之道也。诚者，不勉而中，不思而得，从容中道，圣人也。诚之者，择善而固执之者也。 "

今译: " 诚，是上天本然的道理；诚之，是用功择善，明善的人的道理。诚的人是不用勉力下功夫而符合于中，不用思虑而有所得，从容达到中道，这样的人就是圣人。求诚的人，择众理而明善，固执坚守，用力追求，以达到诚的目的。 "

نص القطعة الثالثة عشر:

"الإخلاص والصدق هو من حقائق سنة السماء (تيان)؛ والبحث عن الصدق والإخلاص والسعي وراءه هو واجب على الإنسان، وهو الطريق المستقيم له." والمخلص الصادق يحسن ويعتدل في أفعاله بدون كسب وكلفة، وينال الحق واليقين بدون جهد ولا تفكير، ويوافق في أخلاقه وسلوكه مع منهاج الوسطية والاعتدال بهدوء وأناة، ألا وهو الحكيم! "وأما الذين من دونه فيكتسبون صفة الصدق والإخلاص بطريق البحث والدراسة في الحقائق لمعرفة الخير والفضيلة، فيثابرون على تطبيقها بكل سعي وجهد، حتى يصلوا أخيرا إلى قصده الأعلى في تحقيق صفة الصدق والإخلاص."

الشرح:

قال العلامة "جُر شِي" في بيان النص: "إن هذه القطعة تتصل بما سبقها من بيان في قضية تهذيب النفس. والكلمة 'الصدق والإخلاص' هنا يراد بها معنى الحقيقة والأصالة ضد الزيف والكذب. فكان صفة الصدق والإخلاص من الصفات الأصلية الحقيقية للسماء (تيان)، وعلى هذا الأساس كان طلب الإنسان لصفة الصدق والإخلاص والسعي لها لإزالة ما في نفسه من الصفات المذمومة الزائفة اكتسابيا وتهذيبا لكي يحاول أن يجعل نفسه مخلصا وصادقا، وهذا الطلب والكسب هو واجب الإنسان جميعا. وكان الحكيم الكامل الأخلاق بكل صدقه وإخلاصه متكفلا مع سنة السماء (تيان) كتلة واحدة، وهو مخلص صادق بكل معنى الكلمة، لا زائف ولا كاذب في فضائله، فستطيع أن يطبق منهاج الوسطية والاعتدال بوعي فطرنه، ويحققه بدون جهد ولا مشقة. وأما الناس غيره، فلا يخلو في أنفسهم من الشهوات والأهواء الرذيلة، وأخلاقهم متدنسة من الزيف والكذب، مما يمنعهم عن الوصول إلى صفة الصدق والإخلاص بدون التفكير والتأمل بل يحتاجون إلى بذل الجهد فيها. فلذا على الإنسان أن يختار طريق الخير والمعروف، ويحاول أن يقف على حقيقتيهما، ثم يطبق ما وقف عليه. وإنه لا يمكن أن يصل إلى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال وتحقيقه إلا بعد أن يبذل أقصى جهوده، فلا بد منه أن يثابر على هذا التطبيق

العملى، وبعد بذله أقصى الجهود فى معرفة طريق الحق وتطبيقه العملى يستطيع أن يصل إلى الإخلاص والصدق فى باطن نفسه، وهذا يسمى بطريق الإنسان المكتسب".^{٢٨٦}

ومن شرح العلامة "جوشى" نفهم أن السماء (تيآن) يملك صفة الإخلاص والصدق وهذه الصفة من صفاته الأصلية الحقيقية، ولأن هذه الصفة السماوية تظهر بسنة السماء (تيآن) فى السماوات والأرض، نجدها تسير دائما ولا تتوقف عن سيرتها ولا نجد فى سنته شيئا من الزائفة والباطلة، بل تسير سيرة حقيقة بكل الحق ومنصفة بكل الإنصاف، فذلك نقول أن الإخلاص والصدق هى سنة السماء (تيآن). فيرى "جوشى" أن الواجب المفروض على الإنسان هو طاب صفة الصدق والإخلاص، وأن يحاول جعل نفسه مخلصا وصادقا والسعى وراءه بدون توقف، وهذا يسمى بطريق الإنسان، أى الطريق الذى على الإنسان أن يسلكه؛ لأن الإنسان مخلوق من السماء (تيآن)، فهو لا يستطيع مخالفة السنة السماوية، إذن فلا يمكنه أن يعيش بغير الإخلاص والصدق؛ فلذا لا بد من الطلب والبحث عن الإخلاص والصدق ومحاولة الوصول إليه. كما يرى "جوشى" أن الإنسان فى وصوله إلى هذا النطاق الأعلى الخلقى هناك اختلاف كبير بين الحكيم الكامل الأخلاق وبين الإنسان العادى، فالحكيم الكامل الأخلاق يصل إلى الإخلاص والصدق بطبيعته الفطرية، وهو لا يتعب فى سبيل البحث والدراسة فيه؛ والإنسان لا بدّ يجاهد نفسه فى سبيل البحث والدراسة، ويبذل الجهود العظيمة فى الحصول عليه.

ولاحظنا هنا أن الفصل الأول لكتاب الوسطية والاعتدال قد أوضح ماهية النص "إن ما خلقه" السماء (تيآن) "للإنسان يسمى" الطبيعة الفطرية (شيينغ) "، واتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية والاهتداء إليها يسمى "طريق الحق (دأو)"، وتهذيب الإنسان وتركيزه نفسه على طريق الحق يسمى "التعليم والتربية (جآو)". يعنى أن هذا النص قد أوضح العلاقات بين الطبيعة الفطرية (شيينغ) وطريق الحق (دأو) والتعليم والتربية (جآو)، وبحسب الشروح لهذا النص أن الطبيعة الفطرية هى الخلقة الأصلية وقد خلق السماء (تيآن) الإنسان على هذه الطبيعة. وعندما

٢٨٦- الشرح الجليل للكتب الأربعة. قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جوشى، الصفحة ١٩.

نعيد النظر إلى القول التالي: "الإخلاص والصدق هو من حقائق السماء(هَيَّان)، والبحث عن الإخلاص والصدق والسعى وراءه هو واجب الإنسان، وهذا طريق مستقيم للناس جميعا " يمكننا أن نفهم علاقة الطبيعة الفطرية بالإخلاص والصدق هكذا: أى الإخلاص والصدق هو من صفات الطبيعة الفطرية وظواهرها التى يظهره الإنسان فى حياته الواقعة، وهو أساس التعايش الإنسانى مع الكون كله والقاعدة الأساسية يتعامل به الإنسان مع الآخرين، وبعبارة أخرى ان الإخلاص والصدق هو من أعلى الأخلاق الحميدة الطبيعية لا يصل إليه إلا بطريق الإكتساب الإنسانى والدراسة المجدة بعد أن يبذل الجهود الأقصى، ألا وهو بطريق التربية والتعليم كما قال النص الأول: تهذيب الإنسان وتزكي نفسه على طريق الحق يسمى " التعلم والتربية (جأؤ). " وفى القطعة التالية قد أشار المؤلف " تم سي " إلى طريق الوصول إلى الإخلاص والصدق وأسلوبه فيه، وما هو الطريق ؟ نأتى الآن إليها:

原文: "博学之，审问之，慎思之，明辨之，笃行之。有弗学，学之弗能弗措也；有弗问，问之弗知弗措也；有弗思，思之弗得弗措也；有辨弗，辨之弗明弗措也；有行弗，行之弗笃弗措也；人一能之，己百之；人十能之，己千之。果能此道矣，虽愚必明，虽柔必强。"

今译: " 求诚的功夫，须经过五个层次。广博地学习，审慎地询问，慎重地思索，明晰地辨析，笃实地履行。有一种学问，没有学过，就尽力去学，不到融会贯通，不肯停止学习。有一件事情，没有去问过，就虚心询问，不到疑虑尽释，不肯停止询问。有一件事情，没有去思考过，就凝神静思，不到彻底明白，不肯停止思索。有一件事情，没有去辨析过，就悉心辨析，不到毫厘不爽，不肯停止辨析。有一件事，没有去实行过，不到践履笃实，不肯停止实践。有人用一倍工夫就能掌握，我用百倍的功夫同样可以掌握；有人用十倍工夫就能掌握，我用千倍的功夫同样可以掌握。如果有这样的毅力追求中庸之道，那么即使愚昧的人，必能变成聪明的人；即使柔弱的人，必能变成刚强的人。"

نص القطعة الرابعة عشر:

" الإنسان لا يمكن أن يصل إلى الإخلاص والصدق في قلبه كاملاً إلا بخمسة طرق، يتعلم تعلمًا واسعًا ويسأل فطنًا وشديد الاهتمام، ويتفكر حذرًا وشديد الانتباه، ويحلل واضحًا وجليًا، ويحقق العلم راسخًا وصادقًا. وإذا هناك علم لم يعرفه بعد، فله أن يتعلمه بالجهود كلها، ولا يتوقف عن هذا التعلم إلا وقد استوعب موضوعًا ما عبر دراسة شاملة، وإذا كان هناك أمر لم يسأل عنه بعد، فله أن يستفسر عنه متواضعًا ورحب الصدر، وهو لا يتوقف عن هذا الاستفسار إلا وقد تخلص من شكوكه وهو تقصى فيه وأزال الشك تمامًا. وإذا كان هناك أمر لم يفكر فيه بعد، فله أن يتأمل فيه بانتباه شديد ويناقش بينه وبين نفسه بالتفكير العميق، وهو لا يتوقف عن تفكيره هذا، مهما يصعب عليه معرفة هذا الأمر. وإذا هناك شيء لم يحلله بعد، فله أن يحلله وهو مركز كل انتباهه وإهتمامه عليه، ولا يتوقف عن هذه التحليل إلا وقد وصل إلى كماله بلا عيب فيه. وإذا هناك شأن لم يحققه بعد، فله أن ينقذه ويحققه، ولا يتوقف عن تحقيقه هذا إلا وقد نقذه بكل الإخلاص والصدق. إذا كان هناك واحد يبذل جهوده بضعف لكى يستوعب ما يتعلم، فبلى سوف أبذل مائة ضعف لكى أستوعبه بكامل، لو كان يبذل جهوده بعشرة أضعاف فيه، فبلى سوف أبذل ألف ضعف حتى أستوعبه بتمام، وإذا يبحث الإنسان عن حقيقة متهاج الوسطية والاعتدال ويسعى وراءه وقد وصل إلى هذه الدرجة من عزمه وقوة إرادته، لسوف يصبح عارفاً نكياً ولو كان جاهلاً من قبل، ويصير عزيزاً قوياً ولو كان ضعيفاً من قبل. "

الشرح:

وهذه القطعة تتصل بما سبقها وبيّنت أهمية اختيار الإنسان الأفضل والخيرة واتباعه لها، وخالصة أشارت إلى الأساليب والطرق التي يصل بها الإنسان إلى مقام النفس الأعلى عند الكونفوشيوسية، وهو الإخلاص والصدق في قلبه للباطن. وقال " كونغ بينغ دا " فى شرح النص: " وهذا النص يتحدث عن تجلية الإنسان صفة الإخلاص والصدق فى نفسه، وعن اختياره طريق الحق وإتباعه له بالعزم والقوة. وإذا كان الإنسان بصمم فى بذل جهده بمئة ضعف ويثابر عليه

بالدوام، لسوف يصل إلى إدراك الحقيقة ومعرفة كمالها مع أنه ضعيف الفهم وقليل العلم. وهذا ينصح الإنسان بتهذيب النفس وبذل الجهد حتى يصل إلى منزلة نفسية سامية من الإخلاص والصدق. " ٢٨٧

وشرح العلامة "جو شي" معاني النص قائلا: " وهذه مواد تفصيلية لوصول الإنسان إلى الإخلاص والصدق وتحقيقه في الواقعة. والإنسان يبحث ويدرس، ويستسل ويتفكر، ثم يحل ما حصل عليه، ويناقشه حتى يصل إلى معرفة الحقائق. وحينما يختار الخيرة من الحقائق فصار عارفا، وحينما تعلم فيها فصار عاقلا؛ ثم يطبق تطبيقا عمليا لما حصل عليه من العلم والمعرفة؛ ويصنم على هذا التطبيق العملي في سبيل تحقيق الرحمة (رين)، وإنه لا يتسلك ولا يتصرف إلا وسلوكه وتصرفاته تكون نفعاً للناس جميعا. والرجل الفاضل لا يبحث إلا أن يصل إلى حقيقة المعرفة؛ ولا يقف في بحثه إلا إلى أن ينجح فيه، فلذا أن الرجل الفاضل يبدل دائما في دراسته أضعاف الجهود. ولذا من يصل إلى المعرفة الحقيقية بعد بذله الجهود العظيمة، فهو يعتبر شجاعا. ومن يختار الخيرة والمعروف فهو العارف المتفهم؛ ومن يكون القوى وصميم الإرادة فهو المثابر على طريق الحق. " ٢٨٨

وفي هذا النص وجدنا أن المؤلف قد أشار إلى أهم الخطوات للبحث عن العلم وعن طريق الحق واختيار الأفضل، وهذه الخطوات البحثية لها قيمة عظيمة بالنسبة إلى كل باحث وطالب، ولو في عصرنا هذا يمكنه أن يستفيد من هذه الطرق الدراسية.

الخطوة الأولى: هي التعلم الواسع، وهذا يجنب الباحث من آفاق معرفته محدودة، والعلم هنا في نظرة الكونفوشيوسية لا يشمل فقط المعلومات الحساسة، بل يشير إلى كثيرة من الحجج والعلل في الحياة الإنسانية الاجتماعية مثلا العدالة والفضيلة والبر والمعروف والأمانة والتسامح وغيرها.

٢٨٧- الشرح اللفظي لكتاب الوسيطية والاعتدال، لي كا هونغ، الصفحة ٢٣٣.

٢٨٨- الشرح الجليح للكتب الأربعة، جو شي، الصفحة ١٩.

والخطوة الثانية: هي الاستفسار والتساؤل، وفي استكشاف العلم ومعرفة الحجج والعلل يكون هناك أسئلة كثيرة يحتاج إلى جوابها، وهنا الاستفسار والتساؤل يراد به يفكر فيه ملياً مرات قبل أن يسأله، فالباحث الممتاز هو الذى يسأل الجوهر واللباب.

والخطوة الثالثة: هي التفكير والتأمل، وهذا يعنى أن الباحث قد فهم ما يشكك به الاستفسار، ولكن من اللازم أن يتفكر ويتأمل فيه بمدة حتى تترسخ تلك الحجج والعلل في أعماق قلبه.

والخطوة الرابعة: هي التحليل والمناقشة، بعد الاستفسار والتساؤل عن الشك والارتياح وبعد التفكير والتأمل فيما فهم من الحجج والعلل، ولكنها مجرد الفرضيات فيحتاج الباحث في حياته الواقعية إلى تمييز الحق من الباطل وتفريق الخير من الشر، لكي يتنقذ بنفسه معاني هذه العلل ويتنقذ بغيرها.

والخطوة الخامسة: وبعد هذه الجهود الأربعة الكبيرة في البحث عن طريق الحق التي لا بد أن يبذلها الإنسان، وهناك خطوة أخيرة، وهي أهم الخطوات لا يستغنى عنها الباحث في سبيل طلب العلم والسعي وراء طريق الحق، ألا وهي الخطوة التطبيقية العملية لهذه الحجج والعلل؟ وهذه ما تركز عليها الكونفوشيوسية وتؤكد دائماً، فتزى أن العلم لا بد منه أن يتم تطبيقه العملي في حياة الإنسان الواقعية، والعلم بلا تطبيق اعتبار تجريدي لا معنى ولا قيمة له، ولا يشجع الإنسان على تطبيق العلم فقط بل يشجعه عليه بالإخلاص والصدق خالصاً من الزيوف والكذب في تطبيقه العملي لهذه الحجج والعلل. فقال "جوشى" بإيراد كلام العالم "تشنغ تس" بقوله: ومن هذه الخطوات الخمسة لو ينقص منها واحدة لما اعتبرناه علماً حقيقياً. "أى العلم الحقيقي عند تشنغ تس لا بد من الجمع بينه وبين التطبيق العملي".^{٢٨٩}

وإلى هنا قد انتهينا من نصوص الفصل العشرين وهو أطول فصل في الكتاب، وفي هذا الفصل قد بين المؤلف "تس سى" النقاط المهمة لإدارة البلاد للحكام والمبطل الصالحة لسياساتها الداخلية والخارجية، والحاكم هو السبب الرئيسى لأمن البلاد واستقرار المجتمع، وهو قدوة حسنة

لرعيته جميعا. فلذا، أكد المؤلف أهمية تهذيب الحاكم النفسى وإصلاحه الذاتى، تتناول الأخلاق الثلاثة الكبرى فى مجال تهذيب النفس، والمبادئ الخمسة العامة فى مجال توفيق العلاقات الاجتماعية، والقواعد التسع الشرعية فى سياسة البلاد وإدارة شؤون المجتمع، وكل هذه - سواء أكان التهذيب النفسى باطنا أو إدارة البلاد وسياستها خارجا - لا يستغنى عن حجرة الأساس فيها، وهى صفة الإخلاص والصدق، التى يحصل الإنسان عليها عن طريق التعلم الواسع، والاستفسار والتساؤل، والتفكير والتأمل، والتحليل والمناقشة، والتطبيق العملى بالإخلاص والصدق، كل هذه النقاط الخمسة هى الوسائل التى يصل الإنسان إلى صفة الإخلاص والصدق. كما فصل المؤلف حيث إن صفة الإخلاص والصدق هى القاعدة الأولى فى الحكم والسياسة كلها.^{٢٩٠}

٢٩٠ - انظر: الوصول إلى البهر الكامل - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال ، الصفحة: ٢٦٠.

第二十一章

原文：自诚明，谓之性。自明诚，谓之教。诚则明矣，明则诚矣。

今译：有至诚而后有明德，是圣人的自然天性，所以叫做性。有明德而后有至诚，是贤人经过学习而达到至诚，所以叫做教。有了诚就无不明，有了明就可以算作诚了。

الفصل الواحد والعشرون

التمهيد :

ومن خلال تبين المؤلف في الفصل السابق، عرفنا عن العلاقة المتلازمة بين السياسة الرشيدة وبين تهذيب الحاكم الصالح نفسه على أساس المبادئ الخمسة الاجتماعية العامة والأخلاق الثلاثة الكبرى والنظم التسع الإدارية الجامعة. كما قدّم لنا المؤلف في أواخر الفصل العشرين قضية عظيمة في صفة الصدق والإخلاص وكيفية تحقيقها عند الحكيم الكامل الأخلاق بطورته السماوية خاصة وعند العلماء الصالحين عن طريق التعليم والتربية عامة.

فهذه الأخلاق الكبرى والمبادئ العامة والنظم الهامة مع كمالها في إصلاح مجتمع الإنسان أخلاقيا وسياسيا، كان كلّ بناءها يرجع إلى حجر أساسي مشترك لنجاح تنفيذها علميا وعمليا، وهو معروف بقضية " صفة الصدق والإخلاص " عند الكونفوشيوسية.

وبناء على هذه الأهمية كان المؤلف " تس مي " يتخذ قضية صفة الصدق والإخلاص محورا مركزيا في كتابه هذا، وأصبح الفصل الواحد والعشرون- الذي نحن بصدد بيانه مفتاحا ذهبيا لتطبيق منهاج الوسطية والاعتدال في حياة الإنسان الواقعة، وكانت الفصول التالية من بعد هذا الفصل تدور أحاديث كلّها حول قضية صفة الصدق والإخلاص توضيحا واستنباطا من جوانبها الأخلاقية والمبنافيزية حتى إلى نهاية الكتاب.^{٢٩١}

٢٩١- انظر: كتاب الوسطية والاعتدال بشرح جونغزي، الفصل ٢٢، الصفحة ٢٠.

النص :

" وبصفة الصدق والإخلاص يحصل صاحبها على فضيلة الحكمة والعلم، ذلك يسمى بفطرة الإنسان السماوية؛

وبفضيلة الحكمة والعلم يصل أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص، ذلك يرجع إلى طريق التعليم والتربية الكسبي.

مع وجود صفة الصدق والإخلاص يحصل صاحبها على فضيلة الحكمة والعلم فطرياً؛ ومع وجود فضيلة الحكمة والعلم يصل أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص اكتساباً. "

الشرح:

بعد تقديم قضية الصدق والإخلاص مع بيان كيفية تحقيقها في أواخر الفصل السابق، كان المؤلف " ثس مي " يركز حديثه في هذا الفصل على جاتين : الجانب الأول: العلاقة الوثيقة المتلازمة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم باطنة وظاهرة، والجانب الثاني: الترابط الوثيق في إشراق الإنسانية وإرشاد المجتمع بين موهبة الفطرة السماوية للحكيم وبين طريق التعليم والتربية المكتسب للعلماء الصالحين.

وهذا الفصل يتكون من أربع عبارات، واتخذ المؤلف العبارتين الأولىين كمقدمة منطقية في القضية، وهي موضوع الدراسة في الجانب الأول؛ كما خصص على النتيجة النهائية للقضية، وهي مضمون البحث في الجانب الثاني. فلنأت إلى تفاصيلها كما يلي:

الجانب الأول: بيان العلاقة الوثيقة للمتلازمة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم ظاهراً وباطناً.

قال العلامة " جو شي " في شرحه: " إن الذي يقصّف بصفة الصدق والإخلاص في كل خلق من أخلاقه، كان بحكمته المشرقة يظن جميع حقائق الأشياء، فذلك من شمائل الحكيم، تصير له فطرية في طبيعته، ويمكن أن نسميها بالسنة السماوية. وأما الذين يعرفون الحق والخير، ثم

يطبقونهما عمليا بكل صدق وإخلاص، فذلك من مآثر جهود العلماء الأفاضل، حاصلة عن طريق التربية والتعليم، ونسميها بالأسلوب الإنمائية المكتسبة. " ٢٩١

وقال المفسر " جيلغ شوان " في شرح مقاصد الفصل هذا قائلا : " الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة يحصل على فضيلة الحكمة والعلم، هذا يصدر من فطرة الحكيم (رسول) موهوبة؛ وأما الذين يحصلون على فضيلة الحكمة والعلم ومن ثمة يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص التامة، ذلك يرجع إلى اكتساب العلماء الأفاضل عن طريق التعليم والتربية. فإن صفة الصدق والإخلاص التامة تمنح صاحبها فضيلة الحكمة والعلم طبعيا؛ حينما كانت فضيلة الحكمة والعلم يرشد أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص اكتسابا. " ٢٩٢

وكانت هذه الحالة الأولى في الفصل السابق وصفت بشمائل الحكيم بأنه يعتدل في أعماله بدون كلفة، ويحصل على معرفة الحق والحكمة بلا مشقة، ويسير بمقتضى منهج الوسطية والاعتدال بكل سلام وكمال، فكان جميع شمائل الحكيم تصدر من فطرته الموهوبة وفقا للسنة السماوية المقدرة.

وأما الحالة الثانية فهي موصوفة في الفصل السابق بمآثر العلماء الأفاضل بأنهم يجتهدون في معرفة الحق والخير في سبيل تهذيب أنفسهم بصفة الصدق والإخلاص. فكان كل مآثر العلماء الأفاضل يرجع إلى طريق الكسب في المواقف الخمس الرياضية (الواسع في طلب علمه، والفطن في حسن سؤاله، والمجد في تفكير حقائقه، والبصير في تمييز دقائقه، والراسخ في تطبيق مطالبه).

الجانب الثاني: الاتفاق المترابط في إشراق الإنسانية وإرشاد المجتمع بين موهبة الفطرة السماوية للحكيم الكامل الأخلاق وبين طريق التعليم والتربية المكتسب للعلماء الأفاضل.

قال " تشيانغ داي " في شرح هذا الاتفاق بالتمثيل التالي: " إنها قضية مختلفة المنهج ومحددة المطلب، إذ كان صاحب الحالة الأولى متصفا بصفة الصدق والإخلاص يحصل على فضيلة

٢٩٢- كتاب الوسطية والاعتدال بشرح " جوشي "، الفصل ٢١، الصفحة ٥٩.
٢٩٣- مجامع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة حشر الكونفرشيوسية، كونغ بينغ ذاك الجزء ٢ الصفحة ٣٤٦.

الحكمة والعلم، مثله كمثل الذي أشعل نارا بحجر الزناد في يده، إذا اقتدح به حصل على مطلبه شرارا ونارا. وبينما كان أهل الحالة الثانية من فضيلة الحكمة والعلم يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص، مثله كمثل الذي قد اقتبس النار من موقد ومشعل الآخرين وهو في نفس الوقت يبحث عن حجر القداح، وإن حصل على القداح فلا حاجة إلى الاقتباس من الآخرين. فسواء على هاتين الحالتين في نارهما المحصورة باختلاف المنهج والأسلوب. وعلى أساس التشبيه المثالي هذا وصلنا إلى نتيجة قضيتنا هنا فنقول: حصول الحكيم من صفة الصدق والإخلاص على فضيلة الحكمة والطم فطرة، هذا لا ينال ضرورة إقامة طريق التثليم والتربية المكتسب. كما كان وصول العلماء الأفاضل من فضيلة الحكمة والعلم إلى صفة الصدق والإخلاص كسبيا، ذلك لا يعارض وجوب اتباع فطرة الإنسان الموهوبة. " ٢٩٤

ومن خلال دراستنا في آراء العلماء الكونفوشيوسيين القيمة في شرح وتوضيح الفصل الواحد والعشرين، عرفنا العلاقة السببية المتفقة بين صفة الصدق والإخلاص وبين معرفة الحق والخير، ممثلة بين الموهبة الفطرية للحكيم وبين الطالب الكسبي للعلماء الأفاضل.

وكان الحكيم بصفة الصدق والإخلاص في نفسه يحصل على معرفة الحق والخير فطريا ويعمل على مطالبهما مطمئنا، فأصبح مثل حالته كمثل صدور الماء من أصله المتبوع إلى فرعه التابع طبيعيا. وبينما كان العلماء الأفاضل بفضل معرفة الحق والخير عن طريق التثليم والتربية يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص اكتسابيا ويعملون على مقاصدها مجتهدين، فأصبح مثل حالتهم كمثل وصول الفرع التابع إلى أصله المتبوع رُجعا.

فكلتا الحالتين الأولى والثانية - مع اختلافهما درجة وأسلوبا - أصبحت مماثلة في منافعهما رُشدا وهديا بإشراق الإنسانية وإصلاح المجتمع. فقَدّم لنا المؤلف نتيجة القضية هنا قائلا: " مع وجود صفة الصدق والإخلاص يحصل صاحبها على فضيلة الحكمة والعلم فطرة؛ ومع وجود فضيلة الحكمة والعلم يصل أهلها إلى صفة الصدق والإخلاص اكتسابيا."

٢٩٤- انظر: الشرح اللفظي لمكتب الوسيطية والاعتدال، لي خا هونغ، الصفحة ٢٢٦.

第二十二章

原文：唯天下至诚，为能尽其性。能尽其性，则能尽人之性。能尽人之性，则能尽物之性。能尽物之性，则可以赞天地之化育，可以赞天地之化育，则可以与天地参矣。

今译：只有天下至诚的圣人，能够极尽天赋的本性。既然能够极尽天赋的本性，就能够兴养立教极尽众人的本性。既然能够极尽众人的本性，就能够兴樽节爱养极尽万物的本性。既然能够极尽万物的本性，就可以赞助天地生成万物。既然可以赞助天地生成万物，那么至诚的功用同天地并列成三了。

الفصل الثانی والعشرون

التمهيد:

بعد أن ذكرنا العلاقة الوثيقة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم فطرة واكتساباً مع بيان اتفائيهما الغائية في إرشاد الإنسانية وإصلاح المجتمع في الفصل السابق، كان المؤلف "تس سي" يعرض في هذا الفصل - على وجه الخصوص - المثل الأعلى في صفة الصدق والإخلاص التامة، يتمثل بشخصية الحكيم الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص فطرة فيحصل على فضيلة الحكمة والعلم موهوباً، ويبين شمانله المثل في تهذيب نفسه إكمالاً وإصلاح المجتمع تربية وإحسان سائر الخليقة عناية، حتى يتعالش جنس البشر مع كل الموجودات في العالم بسلام ووفقاً ويحقق القيم المعنوية الإنسانية العليا بين السموات والأرض شرفاً وعظماً.

النص:

"ما من أحد في العالم إلا الحكيم الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة، هو يستطيع على أن يحقق ويكمل فطرته السماوية الخالصة. وإذا استطاع على إكمال فطرته لنفسه، يمكن له أن يرشد الناس في تحقيق فطرتهم الخالصة تربية وتعليماً. وإن استطع تحقيق الفطرة لجميع

النفس إرشادا وتهذيبا، يقدر على إكمال سائر الخليفة في إظهار طبيعتها الخالصة عنياً ومراعاة. ومع إكماله لسائر الخليفة في إظهار طبيعتها الموهوبة، يمكن له أن يشارك السموات والأرض في تنمية جميع المخلوقات بينهما تربيةً وازدهارا. ومع مشاركته معهما في تنميتها يمكن له أن يتعايش معهما ويكون ثالث الثلاثة الكبرى - السموات والأرض والإنسان - عظمةً وجلالةً. "

الشرح:

بعد بيان ما في الفصل السابق من العلاقة المتينة بين صفة الصدق والإخلاص وبين فضيلة الحكمة والعلم خلقيةً وخلقيةً، يفصل المؤلف خاصا في هذا الفصل مآثر صفة الصدق والإخلاص التامة، ممثلةً بمسائل الحكيم الكامل الأخلاق التي تنبثق من فطرته الخالصة الموهوبة، ومشاركة في تنمية كل الخليفة بين السموات والأرض توفيقا وإكمالا.

قال الحبر " جينغ شوان " في شرح معاني الفصل هذا: " العبارة في النص ' يقدر على أن يحقق ويكمل فطرته السماوية الخالصة. ' المراد بها أن الحكيم يتبع فطرته ويوافق مطالبها حتى لا يضل نفسه عن حقيقتها الموهوبة. والكلمة ' يشارك ' معناها يساعد. وأما الكلمة ' التنمية ' فالمراد بها معنى التربية، أي يشارك ويساعد السموات والأرض في تربية كل الخليفة بينهما تطورا وازدهارا. فأشار المؤلف بهذا النص إلى حقانية مفروضة للحكيم وأهليته على السلطة والملوك حتى يتحقق المثل الأعلى الاجتماعي بنشر السلام والسعادة في كل أنحاء العالم على سواء. " ٢١٥

وقال العلامة " جو شي " في تبيين المقاصد الأخلاقية والميتافيزية التي يكشفها المؤلف في هذا الفصل: " إن العبارة في النص ' ما من أحد في العالم إلا الحكيم الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة '، والمراد بها أنه كان كل أخلاقه صادقة ومخلصة للغاية فلا مثيل له تحت السموات إلا وحده. وقوله في النص ' هو يستطيع على أن يحقق ويكمل فطرته السماوية الخالصة '، فالمراد بها أنه كان جميع مكارم أخلاقه صادقة بكل معنى الكلمة وهي خالصة من كل

الشهوات والأهواء الرذيلة، بل هي من فطرة الإنسان الموهوبة من عند السماء (天 - تيآن -)،
مكتشفة على حقيقتها بكل دقة وعمق، ومطابقة على جميع مطالبها باطنة وظاهرة. ولذلك نقول
إن فطرتي أنا كفرد متحدة مع كل أفراد جنس البشر ومشاركة مع طبيعة سائر أجناس الخليقة من
الحيوانات والنباتات والجمادات، إلا أن هناك اختلاف موهوب ومقدر بيني أنا وبين هؤلاء
وأولئك في الخاصية والشكلية. وأما قوله ' يستطيع على تحقيق فطرة جميع الناس ' ويقدر
على إكمال طبيعة سائر الخليقة ' فالمراد بأنه يستوعب علمه كل حقائق هؤلاء وأولئك ويعاملهم
معاملة معتدلة بدون إفراط ولا تفريط. والكلمة في النص ' يشارك السموات والأرض ' تعني
يساعدهما. والعبارة في النص ' يتعايش مع السموات والأرض '، المراد بها أنه يساهمهما عظمة
وجلالة ويحل محل ثالث الثلاثة الكبرى. وكل الأحوال في النص يتحدث عن قضية الحكيم الذي
يتصف بصفة الصدق والإخلاص وكيفية تحصيله على فضيلة الحكمة والعلم. " ٢٩٦

إن الكونفوشيوسية لم تقف على التهذيب النفسى والإصلاح الذاتى فحسب، بل كان المثل
الأعلى بالنسبة إلى الحكيم والعلماء الأفاضل هو تهذيب النفس أولا، ورعاية الأسرة ثانيا، ونشر
الأمن والسلام تحت السموات ثالثا، وهذه المثل الأعلى في الإنسانية قد كررها في الكتب الأربعة
وخاصة في كتاب المعرفة الكبرى بكل وضوح.

وعلى هذا الأساس، كانت صفة الصدق والإخلاص هو المثل الأعلى في مكارم الأخلاق
الإنسانية عند الكونفوشيوسية. فالصاحب الذى يكشف ويحقق فطرته السماوية الخالصة كان كل
خلق من أخلاقه صادقا ومخلصا عن شئ باطل ومختلق، فهو بعيد عن كل الشهوات النفسانية
القبیحة. وكانت هذه الفطرة السماوية الخالصة هي حقيقة ذاتية قائمة في كل نفس الإنسان مثل أنا،
وإذا أمكن لى أن أكشف فطرتي السماوية الخالصة كما كان الحكيم حققها طبيعيا، فذلك يمكننى
أولا - بصفتي أنا كفرد من أفراد الإنسان- من معرفة حقيقة فطرة الناس الآخرين كلهم كنوع
مشترك بيني وبينهم، ويمكننى ثانيا من إدراك ماهية طبيعة الحيوانات والجمادات جميعها كجنس

٢٩٦- كتاب الوسطية والاعتدال بشرح " جو شى "، الفصل ٢١، الصفحة ٥٩.

قريب وجنس بعيد بين الإنسانيّة الروحية وبين الحيوانيّة والماديّة، على اختلاف الخاصيّة وانفراق الشكليّة بينى وبين هؤلاء، ممّا يجعلنى أعمل جميع الكائنات فى العالم معاملة معتدلة بدون إفراط ولا تفريط، حتى أساعد وأشارك السماوات والأرض فى دور تنمية كل الموجودات بينهما تطورا وتوفيقا، فأصبح أخيرا بإنسانيتى أنا الكاملة ثالث الثلاثة الكبرى فى العالم والسماوات، والأرض، والإنسان- جلاله وعظمته.

وكان المؤلف " ثيس سبي " يتحدث فى هذا الفصل عن غائيّة الصديق والإخلاص الثامّة التى يتمثل بها الحكيم فى فطرته السماوية، فذلك هو السبب الدافع إلى احتلال الإنسان بمكانة ثالث الثلاثة الكبرى بين السماوات والأرض، لمشاركته معهما فى مجال تنمية جميع الكائنات بينهما تطورا وازدهارا.

第二十三章

原文： 其次致曲，曲能有成，诚则行，行则著，著则明，明则动，动则变，变则化。唯天下至诚为能化。

今译：次于至诚的人，就尽力推致一个方面的功夫而达到诚。果能一件件推致，没有遗漏，就能得到全体的诚。有了诚，就能积中发外，形于四体。形于四体，就能日新月异，容止显著。容止显著，就能光辉四照，灿烂光明。灿烂光明，就能动好善之心。动好善之心，就能改过自新，改变气质。改变气质，就能日积月累，相化于善。要做到化，很不容易，只有天下至诚的圣人，才能够达到这个化的境界。

الفصل الثالث والعشرون

التمهيد:

بعد بيان غائية صفة الصدق والإخلاص التامة التي تتشخص للحكيم، ووصوله إلى المثل الأعلى بالإنسانية الكاملة التي تحمله يشارك السماوات والأرض في تنمية جميع الكائنات بينهما توفيقا واتسجاما، كان المؤلف " ثن سى " في هذا الفصل يتحدث عن أحوال جهود العلماء الأفاضل في تحصيلهم على صفة الصدق والإخلاص عن طريق الكسب والتهديب، وهم يتدرجون من مبدأ من مبادئ مكارم الأخلاق جزئيا إلى استيعاب حقيقتها كلياً، فيكملون شخصية نفوسهم الأخلاقية أولاً ويرشدون عامة الناس إلى الخير والإحسان ثانياً، وأصبحوا أيضاً قدوة حسنة تلعب دوراً متمثلاً بفضل الحكيم في خدمة المجتمع وإصلاحه رشداً وهدياً.

فلنبداً - أيها القراء الكرام معا - إلى الدراسة في مضمون الفصل هذا ونحاول على كشف

أسرار تفاصيله العلمية فيما يلي:

النص :

" وأما الذين من دونه ^{٢٩٧} ، فيمكن لهم أن يجتهدوا بأنفسهم في جانب من جوانب مكارم الأخلاق إتقاناً، حتى يتدرجوا إلى كلِّ جوانبها إكمالاً، فيستطيعون أن يحصلوا على صفة الصدق والإخلاص باطناً. ومن تحصيلها باطناً تظهر فاعليتها في سلوكهم خارجاً؛ ومن إظهارها خارجاً يثبتون مآثرها في كلِّ جوانب حياتهم راسخاً، ومن تثبيتها راسخاً يُضيئون بها مَنْ حولهم رشداً؛ ومن إضاءتها رشداً يألِّون في نفوس الناس خلقياً؛ ومن تأثيرهم للجمهور خلقياً يغيِّرون تصرفاتهم إلى الخير والمعروف سلوكياً؛ ومن تغييرهم لعامة الناس خلقياً وسلوكياً يحولون المجتمع إلى حالة البرِّ والإحسان تربية وتهذيباً. فما من أحد إلا مَنْ يثصف بصفة الصدق والإخلاص التامة، هو الذي يقدر على تحويل المجتمع إلى حالة البرِّ والإحسان تربية وتهذيباً. "

الشرح:

إن الحكيم بصفته التامة في الصدق والإخلاص، يحقق فطرته السماوية أولاً ويرشد جميع الناس في تحقيق فطرتهم الخالصة ثانياً ويكشف حقيقة طبيعة سائر الخليفة حتى يكون ثالث الثلاثة الكبرى بين السماوات والأرض شرفاً وعظماً، فهو كالمثل الأعلى في الإنسانية مستحق لكل واحد من جنس البشر بأن يقدِّ ويهتد به خلقياً وسلوكياً للأبد.

وهذه هي حالة أفضلية الحكيم خالصة في فطرته وصادقة في علمه وعمله كما بيَّته المؤلف سابقاً، وذلك يسمى عند الكونفوشيوسية بالسنة السماوية المفروضة. وأما جمهور الناس - وعلى رأسهم العلماء الأفاضل - من دون الحكيم درجة وشرفاً، فكيف يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص وبأي أسلوب ويحققون به فطرتهم السماوية كما حققها الحكيم بوعيه الذاتي، فهذه هي القضية التي يقدمها أمانا المؤلف في فصلنا هذا، وهي معروفة عند الكونفوشيوسية بالطريق الإنسانية المكتسبة، التي يوصف بها العلماء الأفاضل لدى كسبهم بصفة الصدق والإخلاص

٢٩٧- والضمير فيه هو الحكيم المذكور في الفصل السابق. أي الذين من دون الحكيم درجة وشرفاً هم العلماء الصالحون على وجه الخصوص، كما يتخل في دلالة لفظه جمهور الناس عامة.

تهذيباً وترقية. فلنأت أولاً إلى آراء كبار العلماء الكونفوشيوسيين وشيوخهم المعتمدة في هذا المجال وهي :

قال الحبر " جينغ شوان " في شرح معاني ألفاظ الفصل هذا: " الكلمة في النص " وأما الذين من دونه '، أي الأصحاب الذين يصلون إلى صفة الصدق والإخلاص من الحصول على فضيلة الحكمة والعلم؛ والكلمة ' يجتهدون '، يعنى السعى فى إتقانه؛ والكلمة ' جانب من جوانبه ' أى شىء صغير منه. فهؤلاء إن لم يمكن لهم أن يكشفوا فطرتهم الخالصة موهوباً، فلقد حصلوا صفة الصدق والإخلاص اكتساباً، وهم أيضاً ناجحون فى تحصيل حقيقتها وتأدية مطالبتها. والكلمة فى النص ' إظهارها خارجاً '، أى تنكشف قوائدها فى الخارج مرتبة بعد ما كانت صفة الصدق والإخلاص مضمرة فى باطن النفس لا يراها أحد. والكلمة ' تثبيتها راسخاً ' تعنى أنها تبلغ إلى أشد الإظهار والعلانية فى إقامتها. والكلمة ' إضامتها رشداً ' المراد بها تزداد فوراً وهدياً فى إثباتها. والكلمة ' تأثيرها لنفوس الناس خلقياً ' أى تقاثر بها قلوبهم باطناً معنوياً. وأما الكلمة ' تغييرها لعامة الناس سلوكياً ' فيعنى تقودهم فى ترك السيئات وتحثهم بالسعى إلى الحسنات. وإذا تغيروا خلقياً وسلوكياً بصفة الدوام أكملوا تهذيب أنفسهم على الخير والإحسان طبعاً وعادة. ٢٩٨

وقال العلامة " جو شى " فى كشف مقاصد الفصل هذا: " إن العبارة فى النص ' وأما الذين من دونه '، والمراد بها العلماء الأفاضل وعامة الناس الذين لم يصلوا إلى صفة الصدق والإخلاص التامة. من حيث أن فطرة الإنسان كانت واحدة لا تختلف فى الجنس البشرى، إلا أن الخاصية الخلقية لكل فرد من أفرادها متفاوت فيها بعضهم عن بعض. فما من أحد منهم إلا الحكيم وحده يستطيع أن يكشف ويتقن حقيقة فطرته الخالصة ذاتياً فى إقامة مطالبتها كلياً. وأما الذين من دونه كالعلماء الأفاضل وعامة الناس فلا سبيل لأى واحد منهم فى استيعابها إلا أن يبتدأ بمبدأ

أساسى من مبدئ الخير والإحسان^{٢٩٩}، فيتدرج إلى إكمالها شيئا فشيئا حتى يتقن حقيقتها، ويستوعب مطالبها أخيرا. وإذا أنقته استيعابا فيصبح ما من خلق من أخلاقه إلا صادقا ومخلصا، وبالتالي سوف يسرى مفعول صفة الصدق والإخلاص فى باطنه، وتتجلى مآثرها الفعالة تلقائيا فى إظهارها خارجا وإثباتها متينا وإضاءتها مرشدا وتأثيرها فى نفوس الناس حسنة وتغييرها فى سلوكهم حميدة، حتى يهذب بها كل أبناء المجتمع فيقتربون إلى الخير والإحسان سمعا وطاعة. وحينئذ كانت مساهمات العلماء الأفاضل الذين يحصلون على صفة الصدق والإخلاص التامة عن طريق التدرج والترقى المكتسب، سوف تصبح متماثلة ومشاركة مع مآثر الحكيم الكامل الأخلاق فى إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع نورا وهديا. " ٢٠٠

وكان المؤلف " نس سى " يرى أن العلماء الأفاضل وعامة الناس الذين كانوا من دون الحكيم الكامل الأخلاق درجة وشرفا فى تحقيق فطرة الإنسان الخالصة، من حيث أنهم لم يقدروا على تهذيب أنفسهم عن غرور الشهوات والأهواء فى حياتهم الواقعة، إلا أن ضمير الإنسان ما زال متحركا وتسير على فطرته الخالصة، فلا بد أن يكون هناك نقطة الابتداء من مجال الخير والإحسان فى قلبه للكشف والإظهار، وذلك يُسمى بـ " جانب من جوانبه "؛ وإذا تدرج الإنسان فى تهذيب نفسه على هذا المبدأ الخلقى الحسن وترقى شيئا فشيئا فسيصل أخيرا إلى إتقان حقيقته وإكمال مطالبه كليا. وذلك يُسمى بـ " الإتقان التدرجى ".

وعلى سبيل المثال، إذا انبثق من قلبه نية واحدة فى الحنان والرحمة فليوسعها ويطبقها فى كل جانب من جوانب حياته الواقعة حتى يصبح رحيمًا بكل معنى الكلمة؛ وإذا انفجر من قلبه نية واحدة فى حب الخير وكراهة الشر فليتنبها ويعمل بها فى كل جانب من جوانب حياته الواقعة حتى يصير عادلا بكل معنى الكلمة؛ وهكذا يتدرج فى تهذيب نفسه على فضيلة الأدب والحكمة

٢٩٩- يرجع هذا الرأى أصله إلى نظرية المبادئ الأربعة الخلقية التى يجمع فيها أمهات مكارم الأخلاق وأسسها، وهى صفة الرحمة والعدل والأدب والحكمة عند الكونفوشيوسية، وكان المعلم الثانى الكونفوشيوسى "منشيوس" يقدم نظرية خاصة لإثبات قضية حسن طبيعة الإنسان الفطرية والاستدلال على صحة هذه القضية، وهى تعرف بنظرية " المبادئ الأربعة الخلقية ". ولقد مرّت تفاصيلها فى بداية الفصل الأول برسالتنا هذه، ويمكن للقراء الكرام الرجوع إليه.

٢٠٠- كتاب الوسطية والاعتدال بشرح " جُو ثى "، الفصل ٢٣، الصفحة ٦٠.

إلى إتقان حقيقتيهما استيعابا. إذ كانت هذه الأربعة - الرحمة والعدل والأدب والحكمة - هي أمهات جميع مكارم الأخلاق ومبادئها، فإذا تيقن مطالبها بالتدرج والترقية فسوف يحصل على حقيقة جميع مكارم الأخلاق بكل صدق وإخلاص. وذلك يسمى بـ " الحصول على صفة الصدق والإخلاص عن طريق الإتقان التدرجى ".

وإذا توقّر فى قلبه صفة الصدق والإخلاص فسيظهر آثارها خارجا، فينبئها علانيا، فضيئها رشدا، فيأثّر بها غيره خلقيا فى حب الخير وكراهة الشر، فيغيّروهم بها سلوكيا فى ترك السيئات والإقبال على الحسنات، فيهدّوهم بها على مكارم الأخلاق تربية وتعلّما، فيصبح بمساهماته المتكرّرة وجهوده المكتسبة فى صفة الصدق والإخلاص التامة، متشاركاً ومتماثلاً مع الحكيم الكامل الأخلاق - الذى يتّصف بصفة الصدق والإخلاص التامة قطريا - فى إرشاد الإنسان وإصلاح المجتمع نورا وهديا.

وبالجملة، من خلال بيان دور المبادرة الذاتية للعلماء الأفاضل فى تهذيب أنفسهم صادقا ومخلصا وإرشاد غيرهم قواما وهدايا، يكشف لنا المؤلف مهمة جماعة العلماء الأفاضل فى اكتساب صفة الصدق والإخلاص التامة عن طريق التدرج الخلقي والترقية السلوكية، حتى يشاركوا مع الحكيم الكامل الأخلاق فى رسالة إصلاح المجتمع وإشراق الإنسانية الفطرية بين السماوات والأرض.

第二十四章

原文：至诚之道，可以前知。国家将兴，必有祲祥；国家将亡，必有妖孽。见乎蓍龟，动乎四体。祸福将至，善，必先知之；不善，必先知之。故至诚如神。

今译：只有至诚的道，可以用来知道未来的事。当国家将要兴盛的时候，一定有吉祥的预兆；当国家将要灭亡的时候，一定有妖孽出现。远取诸物，吉凶发现在蓍龟占卜之中，近取诸身，得失在四体上发生。祸福将要降临的时候，善，必定能够事先知道；不善，也必定能够事先知道。所以至诚的人能预先见到祸福的征兆，灵验如神。

الفصل الرابع والعشرون

التمهيد:

بعد بيان أهمية صفة الصدق والإخلاص التامة في تهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع في الفصل السابق، جاء المؤلف "تس سى" في هذا الفصل يتحدث عن مآثرها العجيبة في التنبأ بالآل والشوم للأمور المستقبلية وفي التوقع بالحوادث العظيمة من خلال كشف دلائلها الخفية والدقيقة. ففي نظر المؤلف أن صفة الصدق والإخلاص التامة ليست قيما أخلاقية ترشد الإنسان إلى الخير والإحسان فحسب، بل هي أيضا تعطى صاحبها قدرة حقائقية يكشف بها حظ الدولة ودورة المجتمع في الازدهار والانحطاط بشيرا ونذيرا، يتمثل خاصة على الحاكم وملاء في سياسة رعاياهم عدلا أو ظلما، ويظهر عامة على كل أبناء المجتمع في العناية بسلوكهم الشخصية وتصرفاتهم اليومية صالحة أو طالحة. وكل ذلك كما بيّنه المؤلف "تس سى" في النص التالي:

النص:

إنما مآثر صفة الصدق والإخلاص التامة مؤدية إلى معرفة الأمور المستقبلية عن طريق التنبأ والتوقع. وإذا كانت الدولة تقوم في الاستقرار وتتجه إلى الازدهار فلا بد من ظهور بشارة

الخير والفأل الحسن لها ^{٢٠١} ، وإن صارت تقع في الاضطراب وتقترب من الفساد فلا مفر من بروز علامة الشر ونذير الشامة عليها ^{٢٠٢} ، فهذه البشارات والنذر كانت تظهر فالاً أو شاماً على الذئب والأخيليا الألبينية من خلال الكهانة والتنجيم بهما كالدلالة الرمزية ^{٢٠٣} ، كما كانت تبرر من بين سلوك الإنسان وتصرفات جوارحه الأريغ مصودة أو مضمومة كالدلالة الاجتماعية. ولما أقبل الخير وأُزيل الشر قبل حدوثهما، كان صاحب صفة الصدق والإخلاص التامة يتنبأ فآله إن كان خيراً، كما يتوقع شؤمه إن كان شراً. حقاً أن مآثر صفة الصدق والإخلاص التامة متماثلة ومستكرمة بفضائل الملائكة المقدسة في علم الغيب والإحاطة بالمستقبل.

الشرح :

قال المفسر " جيئغ شوان " في شرح معنى اللفظ ' التنبأ ' في تسمية الفصل هذا: " المراد بالتنبأ في الأمور المستقبلية " هنا أن السماء (تيان) لا يخيب صاحب صفة الصدق والإخلاص التامة في توقعه لها خيراً أو شراً. ^{٢٠٤}

وعلى " كُونغ يينغ دا " على كلامه هذا وقال: " الذي يتصف بصفة الصدق والإخلاص التامة يمكن له أن يعرف الأمور الغيبية قبل حدوثها واقعياً. " ^{٢٠٥}

وقال " تشينغ هأو " في بيان العلاقة المتلازمة بين صفة الصدق والإخلاص التامة وبين إثباتها للحق وعلم اليقين في قضية تنبأ الحكيم (كج) وكشفه للمستقبل قائلًا: " إنه كان الحكيم صادقاً ومخلصاً للحق وعلم اليقين ولم يبق في قلبه أى شك ولا ريب بثقة، فكان جميع الموجودات

٢٠١- ومن أمثلها: وحيد القرن الصيني والطفاء المغرب والنجم المحفوظ والحصب الميمون والخ. وفي اعتقاد قدماء أهل الصين كانت هذه الحيوانات العجيبة والمظاهر الطبيعية المباركة نادرة ظهورها في الدنيا، وإن ظهر بعضها في البلاد فذلك سعد الطالع وفأل الحسن يدل على استقرار المجتمع وإزدهار الدولة.

٢٠٢- ومن أمثلها: هبوط الشهاب وزلازل الأرض وانهيار الجبل ونضوب النهر والخ. وفي اعتقاد قدماء الصين كانت هذه الحوادث الهائلة إن ظهر بعضها في البلاد فتلك سوء الطالع وتغير القوم يدل على انحطاط المجتمع وقسوة الدولة.

٢٠٣- قيل ألفين سنة وأكثر كان قدماء الصين يتخذون الذئب والأخيليا الألبينية واسطة الكهانة والتنجيم في التنبأ بالأمور الغيبية متقائلين أو متشاكسين. وكان رجال الكهانة عندما أقاموا بالمراقبة جازوا بذئب كبير وحفروا عليه بضعة أثقاب ثم شقوها حتى تتشقق فتأخذ في أشكال تصاميم للشقوق وتنبأوا بآلهها أو شؤمها. ولما التنجيم بالأخيليا الألبينية فجاءوا بخمسين فرداً منها وصنعوها حسب نظام الرموز الثمانية التي منجّلت في ميفر التبدلات، فاستقطبوا من تغير أرقامها ونوغمها بخيرها وشرها.

٢٠٤- مجامع التدرج والتعليق للأسفار والكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كُونغ يينغ دا، الجزء ٢، الصفحة ٣٥٥.

٢٠٥- المصدر السابق لنفسه ونفس الصفحة.

بين السماوات والأرض وكلّ الحوادث في الماضي والحاضر والمستقبل مثبتة حقائقها ومكتشفة أسرارها في نظره وعلمه كشيء واحد مترابط أجزائه ومتواصلة تفاصيله. فما من حظوظ الدولة والمجتمع بين الازدهار والانحطاط إلا أنه يتنبأ قائله من شومه بظهور البشارات والتذير الخفية الدقيقة قبل حدوثه واقعيًا.^{٢٠٦}

وفي نظر الكونفوشيوسية أن الحكيم - كالمثل الأعلى في الإنسانية - قد أتم ذاتيته في صفة الصدق والإخلاص علميا وعمليا، فأدرك بحالته الأخلاقية المثالية هذه واتحد مع إرادة السماء (تيان - 天) الأعلى اتحادا روحيا، حتى أشرق علم اليقين في قلبه على حقائق الكائنات اطلاعا كليًا، فيعرف خيرها وشرها ويتنبأ حظوظ الفأل والشوم فيها متوقعا على علاماتها الخفية الدقيقة قبل حدوث الأمور المستقبلية، وهو بفضل إمكاناته في التنبأ للغيبيات مقمائل ومستترك بفضائل الملائكة المقدسة في علم الغيب والإحاطة بالمستقبل.

وإن حظوظ الدولة بين الازدهار والانحطاط ودور المجتمع بين الصلاح والفساد كل ذلك يرجع إلى العلاقة السببية المؤثرة في بواطنها العميقة، ففي إقبال الخير وإنزال الشر علامة متفائل أو دليل متشائم للكشف والإدراك. ولكن للأسف، كانت عامة الناس تغشى الأهواء والشهوات على أبصارهم وقلوبهم كذبا ومكرا، فيقعون أنفسهم في هذه الغرور الباطلة ولا يفقهون الأحوال المكشوفة أمامهم عبرة وعظة. وأما الحكيم الكامل الأخلاق بصفة صدقة وإخلاصه التامة ولا يغتر قلبه بشهوة ولا هوى، بل يستقر عقله في علم اليقين كالقمر المضيئ يشرف على كل الكائنات في الأرض كبارها وصغارها، فكشف أسرار الفأل والشوم ويتوقع الحوادث المستقبلية خيرها وشرها كما هو ينظر إلى البصمات في يديه بكل دقة ووضوح.

وذلك كما أكدّه العلامة " جُو شِي " في هذا المجال حيث قال: " وما من أحد (إلا المثل الأعلى) (الحكيم) في صفة الصدق والإخلاص التامة، الذي لم يبق في قلبه شيء من الباطل

٢٠٦- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسطية والإعتدال، لنجّار هوتونغ، الصفحة ٢٤٤.

والكذب سوى الحق واليقين، يستطيع أن يدرك ويكشف بشارته القال من نذير الشؤم قبل حدوث الخير والشر واقعيًا.^{٢٠٧}

وجدير بالذكر هنا أن العلماء الكونفوشيوسيين كانوا لم يقتصرُوا على بشارة الخير وعلامة الشر في ازدهار الدولة وانحطاطها من ناحية حدوث بعض الظواهر الطبيعية العجيبة فحسب، بل يتناولون أيضا من المظاهر الاجتماعية المختلفة عبرة وعظة. وإذا كان الحصاد الوفير في السنة الخصبة فال حسن لمساعدة الدولة ماديا، فمن الناحية المعنوية اعتبروا وجود الغرف الحسنة المستقيم في إرشاد الجماهير العامة وتعيين رجال الصالحين والعدول بالمناصب في الحكومة بشارة وخيرا للاستقرار الدولة وسلام المجتمع. وكما إذا كانت أضرار الطوفان والقحط في السنة النكبة علامة الشر لمحنة الدولة طبيعيا، فمن الناحية الأخلاقية اعتبروا حدوث البدعة الشاذة المتطرفة في تغرير الاتجاه العوام واحتلال الوزراء الجشاع ورجال البلاط الظلمة بالمناصب في الحكومة شؤما ونذيرا على اضطراب الدولة وفساد المجتمع.^{٢٠٨}

٢٠٧- كتاب الوسيطية والاعتدال بشرح جو ثيي، الصفحة ٦١.
٢٠٨- ومن أمثاله قال "وانغ فو ثييس" (١٦١٩م - ١٦٩٢م) وأكد بقوله : " إنما نذير الشؤم ليس المراد به بعض الخراب والشواذ الطبيعية في الحيوانات والنباتات فحسب، بل كان الوزراء النجوان ورجال السياسة الظلمة الذين يفسدون بنيان الدولة وصلاحية المجتمع هم أحق بهذه التسمية العينة أيضا. " انظر: القصر اللفظي لكتاب الوسيطية والاعتدال، لي كا مونغ، الصفحة ٢٤٥.

第二十五章

原文：诚者，自成也；而道，自道也。诚者，物之终始，不诚无物。是故君子诚之为贵。诚者，非自诚己而已也，所以成物也。诚己，仁也；成物，知也。性之德也，合外内之道也，故时措之宜也。

今译：诚，就是天命的性，是实心自成的；而道，就是率性的理，是应当自己去实行的。诚，天赋的本然之理，贯穿在万物的始终，没有诚，就没有万物了。所以君子把诚奉为最宝贵的东西。至诚的人，并非自己取得成就就算完事，还要及于万物，行于他人。成己的人，毫无私意，这是仁；成物的人，随物施教，这是知。天性的仁德，体用一致，符合外内一致的规律，所以随时实行，没有不适宜的了。

الفصل الخامس والعشرون

التمهيد:

بعد بيان مآثر صفة الصدق والإخلاص التامة وأهميتها في حياة الإنسان الواقعة من خلال الفصول السابقة، كان المؤلف " تس مبي " في هذا الفصل يتركز في حديثه على كشف فوائد الذاتية في فاعليتها، دالة على شمول صفة الصدق والإخلاص وعمومها وأثرها في توطيد العلاقة بين الفرد والمجتمع والبيئة العامة. وسندرس هذه القضايا المهمة في أثناء القطع الثلاث لهذا الفصل فيما يلي، وهو:

النص:

" إن صفة الصدق والإخلاص صفة ذاتية يهذب بها الإنسان نفسه حسب قطره السماوية. وطريق الحق فهو منهاج مستقيم يهتدى به الإنسان في تهذيبه الذاتي وفقا لفطرته السماوية. وإن صفة الصدق والإخلاص صفة جوهرية تتأصل في طبيعة كل الكائنات في العالم بداية ونهاية، فلا مقام لوجود الكائنات طبعاً ومعنى بدونها. ولذلك كان الرجل الفاضل يتخذ صفة الصدق والإخلاص عروة وثقى لطول حياته تطبيقاً ومستكاً. "

" وإن صاحب صفة الصدق والإخلاص لم يقتصر على تهذيب نفسه وإكمال ذاتيته وحده فقط، بل يسعى لهداية غيره^{٣٠٩} إلى إكمال شخصيتهم وتحقيق قطرتهم السماوية أيضا. فتهذيب نفسه في إكمال شخصيته أولا، وذلك يسمى بخلق الرحمة، وهداية غيره بها في إكمال شخصياتهم ثانيا، وذلك يسمى بخلق الحكمة. وكان كلاهما يصدر من الأخلاق الأصيلة في فطرة الإنسان السماوية، كصراط جامع بين إصلاح النفس وبين إحسان الغير ظاهرا وباطنا، وهو متفق مع تغيير الظروف وتبادل الأحوال."

الشرح:

قال المفسر " جينغ شوان " في شرح معاني الفصل هذا: " هذا النص يتحدث بأن الإنسان إذا حصل على صفة الصدق والإخلاص التامة اكتسابا، فقد نجح في تهذيب نفسه وإكمال ذاتيته. وأن طريق الحق صراط ونهج يهتدى به الإنسان نفسه في التهذيب الذاتي. فإن كبار الناس كحاکم الدولة ورجالها إن لم يتصف بصفة الصدق والإخلاص اضطرب المجتمع وفسدت البلاد، وأما عامة الناس فإذا ينقص عن صفة الصدق والإخلاص فإن ينال الفجاء والفوز في حياتهم الواقعة. وكان الإنسان إن هدب نفسه في إكمال شخصيته بصفة الصدق والإخلاص فلقد تمسك بخلق الرحمة عروة وثقى، وإذا أرشد غيره إلى إكمال شخصياتهم بصفة الصدق والإخلاص فقد أظهر خلق الحكمة رمدا ونورا. وكل من خلق الرحمة وخلق الحكمة أساس ثابت للفضائل الخمسة الإنسانية العامة (الرحمة- العدل- الأدب- الحكمة- الأمانة)، متفقا بين الموجبات الأخلاقية الباطنة وبين المطالب السلوكية الظاهرة، ومناسبا مع اختلاف الأحوال وتبادل الظروف^{٣١٠}."

وبين العلامة " جو شى " مقاصد الفصل هذا على موقف النظرية الذاتية الميتافيزيقية وقال: " إن صفة الصدق والإخلاص صفة ذاتية تقوم عليها كل الموجودات في العالم كيانا ومضى، وأما طريق الحق فهو صراط ومنهج يهتدى به الإنسان نفسه خلقيا وسلوكيا، وكانت

٣٠٩- اللفظ " غيره " هنا المراد به الناس الآخرون على وجه الخصوص، قد يدخل في دلالة لفظه غير الجنس للبشرى من الحيوانات والنباتات والجمادات على وجه العموم.

٣١٠- مجاميع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، جونغ بينغ دا، الجزء ٢ الصفحة ٤٥٦.

صفة الصدق والإخلاص أصلاً جوهرياً بالنسبة إلى قلب الإنسان وذاته، حينما كان طريق الحق منها تطبيقياً بالنسبة إلى عقل الإنسان وإدراكه. وكان كل الكائنات تحت السماوات يصدر من حقيقته الذاتية، فلا وجود لأي شيء موضوعياً قبل وجود حقيقته الذاتية. وإذا نفضت حقيقته الذاتية زال وجود كيانه موضوعياً بالطبع. وبالتالي، إذا لم يكن قلب الإنسان يصدق ولا يخلص في أعماله الواقعة فتصبح باطلة لا معنى لها في حقيقتها الذاتية. ولذلك كان الرجل الفاضل يتخذ صفة الصدق والإخلاص مثلاً أعلى في أخلاقه وسلوكه سعياً وتطبيقاً. وإذا كان قلب الإنسان صادقاً ومخلصاً فسينجح في تهذيب نفسه وإكمال شخصيته، وبالتالي سيجرى طريق الحق في نفس الإنسان ويهتدى به سبيلاً ونهجاً. وكان صاحب صفة الصدق والإخلاص لم يقتصر على إكمال شخصيته وحده فحسب، بل ينعدي بها إلى غيره على حد سواء في إكمال شخصياتهم وهديتهم إلى طريق الحق أيضاً. وإن خلق الرحمة يدل على قيمة الوجود الذاتي، وخلق الحكمة يدل على حدوث التطبيق الموضوعي، وكلاهما من فطرة الإنسان طبيعياً، لا خلاف بين ذاتية وجوده وبين موضوعية تطبيقه. وإذا حصل الإنسان علوه في قلبه ذاتياً فسيظهره في خارجه موضوعياً، مناسبة مع تغير الأحوال وتبادل الظروف.^{٣١١}

وبعد أن استفدنا من شروح كبار العلماء الكونفوشيوسيين وآراءهم في هذا المجال، نقول إن هذا الفصل من خلال قطعاتها الثلاث يتحدث عن أهمية صفة الصدق والإخلاص في قضية تهذيب الإنسان في إكمال ذاته أولاً وهدى غيره في إكمال شخصيتهم ثانياً، وإقامة العلاقة المنسجمة بين الإنسان وبين المجتمع والبيئة أخيراً.

من أجل تأكيد دور الفعالية الذاتية في صفة الصدق والإخلاص، بين المؤلف في القطعة الأولى أن صفة الصدق والإخلاص ليست بصفة جبرية خارجية، بل هي صفة فعالة واعية ترشد الإنسان في تهذيب نفسه وإكمال شخصيته، وأن طريق الحق صراط ومنهاج يهتدى به الإنسان في تهذيبه الخلقى وإكماله الذاتى. وذلك كما قل العلامة "جوشى" في شرحه: "وكانت

٣١١- كتاب للتوسطية والاعتدال يشرح "جوشى"، الفصل ٢٤، الصفحة ٦٢.

صفة الصدق والإخلاص أصلا جوهريا بالنسبة إلى قلب الإنسان وذاته، حينما كان طريق الحق متوجها تطبيقيا بالنسبة إلى عقل الإنسان وإدراكه.^{٣١٢}

ومن أجل بيان دور العمومية الخالدة لصفة الصدق والإخلاص، كان المؤلف يؤكد في القطعة الثانية أنه ما من أحد من كل الكائنات في العالم إلا وهو صادق في حقيقته ومخلص في طبيعته بدايةً ونهايةً، وإن لم يكن صادقا ومخلصا فلا مقام لوجوده كيانا ومعنى. وعلى سبيل المثال نقول: إن الماء صادق في حقيقته المائية المكونة من ذرتين هيدروجينيتين وذرة أكسجينية (H_2O)، وهو مخلص في طبيعته بالسيلان والرطوبة. وكل هذه صادق ومخلص في مبدأ الماء وتصره، وإن كان قطرة صغيرة، وفي منتهى الماء وإن يكن بحرا محيطا. وإذا لم يكن الماء صادقا بحقيقته ومخلصا بطبيعته فسيفوت منه وجوده كيانا ومعنى.

وعلى هذه العمومية الخالدة، كان الرجل الفاضل يتخذ صفة الصدق والإخلاص عروة وثقى لطول حياته تمسكا وتطبيقا. وعلى سبيل المثال: إذا كان ابنا فيكون صادقا ومخلصا في بر والديه حتى يكمل بنوته بكل معنى الكلمة؛ كما إذا كان وزيرا فيكون صادقا ومخلصا في الوفاء لخدمة ملكه ووطنه حتى يكمل مسؤولية الوزارة المعتمدة بكل معنى الكلمة.

وفي القطعة الثالثة كان المؤلف "نفس مبي" يثبت فيها ضرورة صفة الصدق والإخلاص في إكمال الإنسان نفسه وهدي غيره إلى إكمال شخصيتهم، في سبيل تحقيق العلاقة المتحدة بين الإنسان وبين المجتمع والطبيعة البيئية.

فكانت صفة الصدق والإخلاص بذاتيتها الفعالة تمكّن الإنسان إلى تهذيب نفسه في إكمال شخصيته أولا، حينما كانت عموميتها الشاملة تدفع الإنسان إلى هدى غيره في إكمال شخصيتهم ثانيا. وبالأول يحقق الإنسان قيمة وجوده الأخلاقية الذاتية، ويسمى ذلك بخلق الرحمة؛ كما أن الإنسان يحقق بالثاني قدرة إدراكه القابلية الموضوعية، وذلك يسمى بخلق الحكمة. وكل من خلق

٣١٢- كتاب الوسطية والاعتدال بفرح " جريشي"، الفصل ٢٣، والصفحة ٦٢.

الرحمة وخلق الحكمة متأصل في فطرة الإنسان السماوية، يساعد الإنسان في تحقيق العلاقة المتحدة المنسجمة بينه وبين المجتمع والطبيعة البيئية.

وعلى سبيل المثال نقول: إن الرجل الفاضل الذي يتخذ صفة الصدق والإخلاص عروة وثقى لطول حياته تمسكا وتطبيقا، لم يقتصر على إكمال ذاتيته وحده فحسب، بل يتعدى إلى هدى غيره إلى إكمال شخصيتهم الإنسانية أيضا. فكان الرجل الفاضل كآبٍ بارٍّ لم يكف بالبر لوالديه في إكمال بنوته فقط، بل يمتد إلى هدى غيره لإكمال بنوتهم في بر آباءهم أيضا. بينما كان الرجل الفاضل لم يكن أمينا في وظيفته الاجتماعية فحسب، بل يرشد غيره إلى أن يكونوا أمناء في وظائفهم أيضا.

وذلك كما قال كتاب المعرفة الكبرى في مبتدأ نصوصه: "إنما تعليمات المعرفة الكبرى تعلم الإنسان في إظهار مكارم الأخلاق إشراقا وإصلاح جميع الناس إكمالا وإعادة نفوسهم إلى الخير والإحسان إيواها".^{٢١٢}

٢١٢- كتاب المعرفة الكبرى بشرح "جوفي"، الفصل ١، الصفحة ١.

第二十六章

原文：故至诚无息。不息则久，久则征，征则悠远，悠远则博厚，博厚则高明。博厚，所以载物也；高明，所以覆物也；悠久，所以成物也。博厚配地，高明配天，悠久无疆。如此者，不见而章，不动而变，无为而成。

今译：所以，追求至诚的盛德，永远没有止息！追求不息，就历时久长；历时久长，就有效验，就能悠远无穷。悠远无穷，它的积德，就能广博而深厚；广博而深厚，发为事业，就能广大而高明。博大而深厚，就可以用来承载万物；高大而光明，就可以用来覆盖万物；悠长而久远，就可以用来使万物各按本性茁壮成长。博大而深厚，可以与承载万物的地相匹配；悠长而久远，可以与生成万物的天地一样无边无际了。如此说来，至诚功业，这样高大，从配地来说，它的彰著不是自己有意表露，而是自然昭明的。从配天来说，它的变化也不是自己有意鼓动，而是自然变化的。从无疆来说，它的无为并不是自己劳心去做，而是自然成功的。

الفصل السادس وعشرون

التمهيد:

بعد بيان ميزات التمولية والموضوعية لصفة الصدق والإخلاص في الفصل السابق، كان المؤلف يؤكد في هذا الفصل أهمية خلود صفة الصدق والإخلاص التامة ومآثرها المستمرة في الأنفس والأفانق، تشجيعا للإنسان على سعيه وراءها والتمسك بها كالمثل الأعلى في حياتهم الواقعة بالمثابرة والمداومة. وهي دعوة خالدة عند الكونفوشيوسية في مجال القيم الروحية والأخلاق الإنسانية لتَهْدِيب النفس وإصلاح المجتمع وإحسان الخليقة، حتى تعود بالإنسان والعالم إلى السلامة والسعادة وفقا لعناية السماء الصمد (تيان).

ومن أجل توضيح هذا الهدف في هذا الفصل، كان النص ينقسم إلى ثلاث قطع، والقطعة الأولى تبين لنا أن فضائل صفة الصدق والإخلاص التامة تستمر في سيرتها بلا توقف، حتى

تترقّ إلى قمة السعة العميقة والسموّ المنير، مساهمة لبساطة الأرض الراسخ وعلاوة السماوات الساكنة مجداً وشرفاً، مع امتداد مآثرها في الأنفس والأفاق إلى حد لا نهاية له.

نص القطعة الأولى:

" ما أعظم صفة الصدق والإخلاص خلوداً وبواماً ! ومن يسمع وراءها بلا توقّف، فقد داوم على التمسك بالعروة الوثقى؛ وإذا داوم عليها متمسكاً فستبين مآثرها ظاهراً، وإن تظهر مآثرها مبيناً فستستمر بقاءها مديداً؛ وإذا يمتدّ بقاءها مستمراً فستزداد فضائلها سعة وعمقا؛ ومع زيادتها سعة وعمقا تترقى مآثرها إلى السموّ والضياء في الأنفس والأفاق. وبفضل سعتها وعمقها تقدر على حمل الخليفة ثقلاً ومسؤولية، وبفضل سمّوها وضيائها تعمّم جميع الكائنات حفظاً وسعياً، وبفضل خلودها الأزلي تقيد سائر الموجودات نمواً وازدهاراً. فكان العمق الواسع في مآثر صفة صدق والإخلاص التامة يماثل الأرض في رسوخه لحمل الخليفة ثقلاً، وكان السموّ المنير في فضائلها يشارك السماوات في منوره لحفظ الكائنات حماية، وكان بقاءها الخالد تساهم السماوات والأرض في صمودهما الدائم. وهكذا صفة صدق والإخلاص ومآثرها في الأنفس والأفاق: تتبين فيهم واضحة، وهي في ثبوتها لم تقصد من إظهارها، يتغيرون بها طوعاً وهي في سكوتها لم تغيّر في حركاتها، ويستكملون بها خضوعاً وهي في صمودها لم تجهد في إكمالها. "

الشرح:

قال الحبر " جينغ شوان " في شرح معاني النص هذا: " إن الكلمة 'فستبين مآثرها ظاهراً' المراد بها معنى تتأثر في الأنفس والأفاق بكل وضوح. وهذه القطعة تتحدث عن أن صفة الصدق والإخلاص التامة إذا ظهرت في كل أنحاء العالم بسطاً ونشراً، فستزداد يوماً بعد يوم في فضائلها سعة وعمقا وتتكاثر في مآثرها سمواً وضياءاً. وإن تبلغ صفة الصدق والإخلاص التامة إلى قمتهما في العمق الواسع والسموّ المنير، تصبح شريكة للسماوات والأرض شرفاً ومجداً، تشجيعاً للإنسان على أن يتمسك بصفة الصدق والإخلاص ويثابر عليها دائماً. " ^{٢١٤}

٢١٤- مجامع الشروح والتعليقات: للكاتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كوانغ بينغ فاء، الجزء ٢ للصفحة ٣٥٧.

ولقد قال " كولغ بينغ دا " في شرح كلام " جينغ شوان " تعليقاً: " هذا النص يبين أن صفة الصدق والإخلاص التامة كانت متأثرة تجري في الأنفس والأفاق انسجاماً مع أحوالهم المختلفة، وتستمر في سيرتها بلا توقف، حتى تصل إلى بقائها الخالدة، وتزداد في سعتها وعمقها، وتترق إلى علوها وضيائها، وهي تصبح بفضائلها شريكة للسموات والأرض شرفاً ومجداً. " ٣١٥

وكشف العلامة " جوشى " في مقاصد النص الأخلاقية هنا وقال: " إن صفة الصدق والإخلاص التامة صفة حقّة لا بطلان ولا كذب فيها، فلا تتوقف ولا تنقطع في جريانها واستمرارها طبعاً. وقد أشار المؤلف فيه إلى أن متأثر الحكيم الذي يحصل على صفة الصدق والإخلاص التامة كانت مشاركة مع فضائل السموات والأرض شرفاً ومجداً أزلياً في رعاية الأنفس والأفاق. " ٣١٦

ومن شروح كبار العلماء الكونفوشيوسيين هؤلاء وآرائهم القيمة استفدنا أن مقاصد في نص هذه القطعة تتحدث عن خلود صفة الصدق والإخلاص التامة وتتؤكد متأثرها الفعالة المستمرة في الأنفس والأفاق، من حيث أنها بعمقها الواسع تكون مهذا - كاللأرض الراسخ- للخلقة حملاً ومسؤولية، وتصبح بسموها المنير ستوراً - كالسموات الصامتة- للكائنات حماية وحفاظاً، وتصير بخلودها الدائم مبعداً باقياً للموجودات في تنميتها وازدهارها. فلا شك أن صفة الصدق والإخلاص التامة في نظر المؤلف " تشى مى " قد تكون المثل الأعلى في القيم الروحية والأخلاق الإنسانية، مشاركة للسموات والأرض في متأثرهما الخالدة في الأنفس والأفاق.

وجدير بالذكر هنا أن الكلمات في النص- العمق الواسع والسمو المنير والخلود المتديد، لقد استعار المؤلف " تشى مى " هذه الكلمات الوصفية لمدائح السموات والأرض العظيمة، واستعملها- بأسلوب الحقيقة - في بيان ذاتية صفة الصدق والإخلاص التامة وفي الثناء على متأثرها الفعالة المستمرة، كما في نفس الوقت استعملها المؤلف - بأسلوب المجاز- في بيان

٣١٥- أراجع إلى المصدر السابق نفسه.

٣١٦- كتاب منهاج الوسطية والاعتدال بشرح " جوشى "، الفصل ٣٦، الصفحة ٦٣.

الشخصية المثالية للحكيم الذي حصل على صفة الصدق والإخلاص التامة ملحا لفضائلها المؤثرة
المديدة في الأنفس والأفاق.

إنما صفة الصدق والإخلاص التامة متحركة في دوامها، موافقة لكل الأحوال والظروف
المختلفة، ومناسبة لجميع العصور والأجيال المتعديّة. وسيرتها المستمرة مثلها كمثل تبادل
الفصول الأربعة واختلاف النهار والليل وتدارك الشمس والقمر في طلوعها وغروبها بلا توقّف
ولا انقطاع، وهي - صفة الصدق والإخلاص التامة - زكية وصافية من أي باطل وزائف،
فتستمر في سيرتها من دون توقّف ولا انقطاع.

وإذا نقيس بهذا المقياس الأخلاقي الإنسان وطبيعته فسنجد أن الإنسان مع ميله إلى الأخلاق
الحسنة فطريا وشوقه إلى الخير والإحسان معنويا، وأيضا ينضم في طبيعته غرائز الشهوات
والأهواء المادية، فيحتز بها في حياته الواقعة بين حين وآخر، وتحتجزه عن تهذيبه الأخلاقي
وتقطعه عن طلبه في الخير والإحسان. ومن أجل تشجيع الإنسان لمداومته على تهذيب نفسه
وإكمال شخصيته دائما بدون توقف، كان المؤلف "تس سي" في القطعة الأولى لهذا الفصل قدّم
لنا قضية خلود صفة الصدق والإخلاص التامة مع ماقرها الفخالة الخالدة، لينصب أمامنا مثلا
أعلى في القيم الروحية والأخلاق الإنسانية، متمثلا بالحكيم الذي حصل على صفة الصدق
والإخلاص التامة مع فضائلها المؤثرة المستمرة في الأنفس والأفاق.

原文：天地之道，可一言而尽也。其为物不貳，则其生物不测。天地
之道，博也，厚也，高也，明也，悠也，久也。今夫天，斯昭昭之多；
及其无穷也，日月星辰系焉，万物覆焉。今夫地，一撮土之多；及其
广厚，载华岳而不重，振河海而不泄，万物载焉。今夫山，一卷石
之多；及其广大，草木生之，禽兽居之，宝藏兴焉。今夫水，一勺之
多；及其不测，黿，鼃，蛟，龙，鱼，鳖生焉，货财殖焉。

今译：天地的道理，可以用一句话说尽，那就是一个诚字罢了。天和地的物体纯于一而不变，就是因为诚的缘故。能够诚，当然不息，并且能够生存万物，不可测度。天地的道，正由于纯一不变，所以能够各极其盛，达到广博，深厚，高大，光明，悠远，久长。现在拿天来说，就偏僻一隅讲，不过是明明白白的点点光明之多罢了；从全体而言，它是无穷无尽的，那太阳，月亮，星星都在它上面悬挂着，世界上的万物都被它覆盖着。现在拿地看，就局部讲，不过是一撮土之多罢了；从全体而言，它是极其深广而博厚的，载着西岳华山也不感到沉重，河海在它上面奔腾流荡也不见渗漏，世界上的万物它都能承载得起。现在拿山来，就一处看，不过是一拳石的多罢了；从全体而言，推想到它的广大，所有草木都生在山上，珍禽异兽都住在山上，还蕴藏着宝贵的矿藏，开发出来，造福于人民。现在拿水来说，就一处讲，不过是一勺水之多罢了；从全体而言，推想到它的不可测度，鼋鼉，蛟龙，鱼鳖，都生长在这片浩瀚而汪洋的水里，为人们增殖财富。

نص القطعة الثانية:

" إن السَّنة المفروضة في سيرة السموات والأرض يمكن أن تعبر بكلمة واحدة، وهي: لا ثنائية في حركاتها إلا وحدانية بصفة الصدق والإخلاص التامة، مما تجعل حدوث الكائنات وتغير الموجودات بين السموات والأرض متعددة ومتنوعة إلى حد لا يحصى فيه. وهذه السنة المفطورة في سيرة السموات والأرض تتمثل في الأعراض التالية: الواسع العميق، العالي المنير، والخالد المديد. ألم تنظر إلى السموات فوقك، ما كان أصلها إلا قطعة صغيرة من الضياء في الفضاء، فتجتمع قطعة قطعة حتى تبلغ إلى كليتها في السمو والضياء إلى حد لا نهاية له، حتى تصبح فيها الشمس والقمر والنجوم، وهي سقور لكل الكائنات تحتها. وانظر إلى الأرض تحت أقدامنا، ما كان أساسها إلا قبضة من التراب الدقيق، فتتراكم قبضة قبضة حتى تصل إلى كليتها العميقة والواسعة، فتحمل عليها الجبال والأطواد بلا ضغط، وتجرى فيها الأنهار والبحار بلا رشح، وهي مهد لجميع الموجودات عليها. ثم انظر إلى الجبال أمامنا، ما كان أصلها إلا حجرة صغيرة من المعدن الصلب، فتتكاثر حجرة حجرة حتى تبلغ إلى كليتها الضخمة العظيمة، فتنبث عليها الأشجار والأعشاب، وتسكن فيه الطيور والوحوش المختلفة، وهي مخزن للكنوز المتنوعة.

ثم انظر إلى البحار بجوارنا، ما كان عَصْرُها إلا حَفنة من الماء السائل، فزِدَاد حَفنة حَفنة حتى تصل إلى كَلْبَتِها في البعد والعمق للغاية، فتعيش فيها الثنين والحوت والرفوق والأسماك بأنواعها المتعددة، وهي منبع الثروة وميدان الصيد والتجارة.

الشرح:

من خلال التمثيل بالسموات العليا الفحاء وبالأرض الباسطة العميقة وبالجبال الضخمة العظيمة، وبالبحار واسعة الامتداد، فصل المؤلف " تس سي " في القطعة الثنائية هذه الفوائد المؤثرة الشاملة لكمال صفة الصدق والإخلاص وأزليتها في الأنفس والأفاق، تأكيداً أن صفة الصدق والإخلاص الكامل هي السنة الحَقائِية الجارية بين السموات والأرض لتطوّر الكائنات واستمرار حياتها في الكون.

وقد أعلن المؤلف نظريته هذه في بداية القطعة الثانية وقال: " إن السنة الخالدة في جريان السموات والأرض يمكن أن تختصر بكلمة واحدة ". إشارة إلى أن صفة الصدق والإخلاص الكامل هي السنة الحَقائِية الجارية بين السموات والأرض. ثم أكد المؤلف نظريته هذه من ناحيتين: ناحية البرهان العلمي وناحية التمثيل المحسوس. وقال من الناحية الأولى: " لا ثنائية في حركاتها إلا وحدانية من الصفة الصدق والإخلاص الكامل، فتجعل حدوث الكائنات وتغيرها في السموات والأرض متعددة ومتنوعة إلى حد لا نهاية فيه. " لا ثنائية أي وحدانية خالصة لا باطل ولا كاذب فيها، وهي صفة الصدق والإخلاص الكامل؛ لأن تطورات الكائنات متعددة بين السموات والأرض وتغيراتها مستمرة إلى حد غير مقيد، ترجع سببها إلى دوام صفة الصدق والإخلاص الكامل ومآثرها الأزلية. وذلك كما بيّنه العلامة " جوشي " وقال: " العبارات التالية في النص يبين بها المؤلف مآثر دوام صفة الصدق والإخلاص الكامل بين السموات والأرض. فالسنة الحَقائِية الجارية فيهما يمكن أن يلخص بكلمة واحدة، وما هي إلا صفة الصدق والإخلاص. من حيث أنه لا ثنائية فيها وهي صادقة مصدوقة، متحركة لا تتوقف في استمرارها،

فمن مآثرها المستمرة تتغير الكائنات بين السماوات والأرض، وتتطور متعددة ومتنوعة إلى حد لا نهاية فيه.^{٣٢٧}

وأما الناحية الثانية أى من ناحية التمثيل المحسوس فكان المؤلف "تس سي" فصل فى هذا المجال مآثر خلود صفة الصدق والإخلاص التامة وأزليتها فى الأنفس والآفاق تمثيلا من السماوات العالية المنيرة التى لم تترك قطعة صغيرة من الفضاء كجزءها الأساسى فى إكمال كليتها السامية، ومن الأرض الباسطة العميقة التى لم تهمل قبضة واحدة من التراب كجزءها الأساسى فى إتمام كليتها الراسخة، ومن الجبال الضخمة العظيمة التى تتجمع حجرة من المعن كجزءها الأساسى فى زيادة كليتها الكبيرة، ومن البحار للواسعة ممتد البعد التى تتوفر حفنة واحدة من الماء كجزءها الأساسى فى سعة كليتها الممتدة. وكل هذه الأمثلة فى الآفاق بين السماوات والأرض يتخذها المؤلف تشجيعا للإنسان على سعيه إلى مكارم الأخلاق كالكل والكمال ابتداء من تطبيق حسنة صغيرة كجزءها الأساسى حتى يتم شخصيته الفاضلة خلقيا وسلوكيا بكمال صفة الصدق والإخلاص. وذلك كما أشار المفسر "جينغ شوان" إلى قصد التمثيل هذا فى هذا النص وقال: " وكل هذه الأربعة العظيمة من السماوات والأرض والجبال والبحار تدل على أن حجر فوق حجر يبني عمارة، أليس مثل ذلك مثل صاحب صفة الصدق والإخلاص فى كسب الفضائل لنفسه ونشر الهدى لغيره ؟ " ^{٣٢٨}

诗云：“维天之命，於穆不已。” 盖曰：天之所以为天也。“於乎不显，文王之德之纯。” 盖曰：文王之所以为文也，纯亦不已。

今译： 《诗经·周颂·维天之命篇》说：“只有苍天之理深远悠久， 历经万古不会停息。” 这就是苍天之所以成苍天的道理呀！该篇中又说：“呜呼，岂不显著吗？

^{٣٢٧} - كتاب منهاج الوسطية والاعتدال بشرح "جُرْمَي" ، الفصل ٢٦ ، الصفحة ٦٢ .
^{٣٢٨} - مجملع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة: عشر الكونفوشيوسية، كُوَيْغ يينغ ذاء الجزء ٢ الصفحة ٣٥٨ .

文王的盛德多么纯粹啊！”这就是文王之所以成文王的道理呀！纯粹不二的至诚功夫，同天命一样，是不会停息的。

نص القطعة الثالثة:

" قَالَ الشاعِر في سَفَرِ القَصائِد حَمداً: " ما أَعْظَم عِناية السَماء (تِيان) سَمَوا ووقارا تَسْتَمِر في سَيرِها بلا تَوَقُّف. " ولذلك يَقال ويُسمَى: ها هو السَماء (تِيان) الخالِد الصَدَق. ثُمَّ قال الشاعِر فيهِ وهو يمدَح أيضاً: " ويا المَلِك 'وُونْ وَانْغ' شَرفاً ومَجداً، وما أَزكى مَكارِم أَخلاقه صَدَقاً وإِخلاصاً! " ولذلك يَقال ويُسمَى: وها هو المَلِك "وُونْ وَانْغ" الحَكيم الفاضِل، وكان صَدَقه وإِخلاصه يَسير في مَكارِم أَخلاقه مَداومةً بلا انقِطاع، وهى مِماثلة لِعِناية السَماء (تِيان) في خَلودها الصَمد.

الشرح:

وفى هذه القطعة أورد المؤلف من سفر القصائد شعراً طقوسياً يحمد فيه الشاعر السماء (تيان) وعنايته الخالدة، كما يمدح فيه أيضاً الملك الحكيم "وون وانغ" ومكارم أخلاقه الخالصة. مبيّناً لخلود صفة الصدق والإخلاص ومآثرها الكاملة في الأنفس والأفاق هدى ونورا.

قال الحبر "جینگ شوان" فى شرح معانى القصيدة هذه: "إنما السماء (تيان) يُسمى بالسماء (تيان) الخالد الصمد، لأنه يسير فى سموه ووقاره من دون توقّف ولا انقطاع. فسمى بالسماء (تيان) الخالد الصمد، كما كان الملك "وون وانغ" يُسمى بالملك الحكيم الفاضل، من حيث يسلك فى مكارم أخلاقه على صدقه وإخلاصه بالمتابعة والمداومة. وكانت مآثرها المستمرة فى الأنفس والأفاق مثلها كمثل السموات فى مجدها العالى وكالأرض فى عمقه الراسخ وكالجبال فى عظمها الثابت وكالبهار فى سعتها المديدة. وذلك كما قال سِفر التبدلات: 'لم يكن للرجل الفاضل إلا وهو يترقى فى أخلاقه الحميدة متابرةً، ومن الحسنات الصغيرة يتركب إلى مكارم أخلاقه علواً ومجداً.' اليس هو كذلك؟" ٣١٩

٣١٩- مجامع الشروح والتعليقات للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، غونغ بونغ داه، الجزء ٢ الصفحة ٣٥٩.

ويبين العلامة " جُو شِي " مقاصد الشعر هذا وقال: " لفظ السموّ والوقار في عناية السماء (تيان) حمدا لمعتها وعمقها؛ وكلمة 'أزكى' في مكارم أخلاق الملك الحكيم " وُون وَانغ " ثناء لإخلاصها من دون أي باطل وزائف فيها. ولقد أورد المؤلف هذا البيت لبيان خلود صفة الصدق والإخلاص التامة ومداومتها. وكان شيخنا 'تشيونغ زي' يقول فيه: ' إنما سُنّة السماء (تيان) تسير في حركاتها خالدة بلا توقّف، وكذلك كان الملك الحكيم " وُون وَانغ " يسلك خالصا في مكارم أخلاقه تبعا لسُنّة السماء (تيان) دائما بلا انقطاع. ومع إخلاصه فيها تتخلص من أي باطل وزائف، ومع مداومته عليها بلا انقطاع تستمرّ مآثرها أبدا وأزلا من دون توقّف. " ٣٢٠

وكانت ممدوح عناية السماء (تيان) العالي هي أن تستمر في سيرتها بلا توقّف، وبفضلها تتبادل الفصول الأربعة ميعادا وتتدارك ليلا ونهارا ميققا وتتعايش المخلوقات بعضها ببعض نمواً وازدهارا. كما كانت مآثر الملك الحكيم " وُون وَانغ " هي أن يداوم على مكارم أخلاقه بلا انقطاع فبلغ إلى قمة إخلاصه الأزكى، مماثلة لممدوح عناية السماء (تيان) في خلوده الأزلي، متلّفة في الأنفس والأفاق هدى ونورا مع مرور الزمان بلا توقّف. وبفضل صفة الصدق والإخلاص التامة في أخلاقه الزكية، يستحق للملك " وُون وَانغ " بتسميته ملكا حكيما فاضلا، وهو المثل الأعلى في الإنسانية يقتدى به جنس البشر جيلا بعد جيل.

ونعرف أنه من السهل لأي واحد من الإنسان أن يفعل خيرا في وقت ما، وقد يأتي به في حين ويتركه حيناً آخر؛ ولكن من الصعب أن نطلبه من مثابرتة عليه لطول حياته ويستمر فيه سواء أكلن في السراء أو الضراء. فذلك مهمة عظيمة لا يقدر عليها إلا أولو العزم وأصحاب الإرادة الذين يتمثلون بمآثر الملك الحكيم " وُون وَانغ " الحكيم الفاضل في إخلاصه الدائم على مكارم الأخلاق من دون توقّف ولا انقطاع. وذلك كما بين الشيخ " تسانغ تشي " - وهو أستاذ مؤلفنا " زي سي " - وقال: " ألا من الواجب أن يكون العالم الفاضل واسع الصدر وصاحب العزم ؟ فإن عبثه ثقيل وطريقه بعيد إذا كانت الرحمة - رين هي العبء الذي يتحمّله ليس بثقيل

عنه؟ وإذا كان طريقه (أي طريق نشر الرحمة - رين) لا ينتهي إلا بقضاء حبه ألنيس بعيد
طريقه؟ " ٢٦

第二十七章

原文：大哉圣人之道，洋洋乎！发育万物，峻极于天。优优大哉！礼仪三百，威仪三千，待其人而后行。

今译：伟大啊，圣人的道理！像汪洋大海一样浩浩荡荡地流动着充满宇内，它产生和养育万物，高峻广大而通达于天。充足而有余啊！礼的大纲有三百条，礼的细目有三千条，等待圣人、贤人来行这样的大道。

الفصل السابع والعشرون

التمهيد :

وقد ذكرنا أن صفة الصدق والإخلاص التامة هو المثل الأخلاقي الأعلى عند الكونفوشيوسية، فأخذت مكانة رفيعة في كتاب الوسطية والاعتدال، وقد ثنى المؤلف " تشي سي" على هذه الصفة المثالية ثناء عالية في ستة فصول سابقة بيانا وشرحا. وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف عن سنة الحكيم الفاضل على وجه الخصوص، تبييناً لشمولها على كل جوانب حياة الإنسان الواقعية خلقياً وسلوكياً، حيث بلغت هذه السنة المثالية بسموها العالی وسعتها العميقة إلى حدٍّ أقصى في الكمال والخلوص، ونصبت أسوة حسنة تشجع الرجال الأفاضل الخلف على سعيهم وراء صفة الصدق والإخلاص التامة في سبيل تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال وتهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع.

نص القطعة الأولى:

ما أعظم سنة ! وكل مخلوق مغمور بضياءها تنمية، وسموها يرتفع إلى السماوات كبرا. ويا لها من الكمال سعة ! تشتمل آدابها على ثلاثمائة فصل كلي وتنفرد أنظمتها إلى ثلاثة آلاف شرط جزئي، منتظرا لأهلها^{٣٢٢} تطبيقاً ورشداً.

٣٢٢- كلمة ' منتظرا لأهلها ' المراد بها الحكيم، ومن تبعه من الفضلاء والصالحين وعلى رأسهم الأستاذ كونفوشيوس الذي جاء

الشرح:

لقد كشف الحبر "جينغ شوان" مقاصد النصّ هذا قائلا: "إنما صلاحية السياسة تتوقف على صلاحية أهلها، والسياسة الصالحة تقاسم على نظام الآداب هديا." وأما العلامة "جوشى" فقال فى بيان كلمات النص: "إن العبارة 'سموها يرتفع إلى السماوات كبرا'، تؤكد عظمة سيرة الحكيم وعلوها، إشارة إلى كبرها الجامع فلا يستثنى منه شيء. وقوله 'وبالها من الكمال سعة'، إشارة إلى شمولها للوافر تعجبا. وقوله 'تشمّل آدابها على ثلاثمائة فصل كلي' وتنتزع أنظمتها إلى ثلاثة آلاف شرط جزئي؛ فكانت الأولى المراد بها قواعد الآداب الطقوسية المجملّة وأما الثانية فالمراد بها أنظمة الآداب اليومية المفصلة. وهذه العبارة تدلّ على شمول نظام الآداب وكماله الأنظمة يعمّ كل الأمور مهما كانت بصغرها." ٢٢٣

وقد سبق ذكرنا مرارا أن الروعة الفلسفة للكونفوشيوسية هي حبّ الإنسان على تهذيب النفس وإصلاحه على الأخلاق الفاضلة، فى سبيل تحقيق كمال إنسانيته الخلقية المثالية، وهى مقام الحكيم. وفى نظر الكونفوشيوسية أن الحكيم هو الذى يجمع بين الخلق العظيم والحكمة الجامعة، وهو أمثل الشخصية العليا عندهم كما ذكرناه سابقا. وإنّ الإنسان نادرا ما يصل إلى هذا المقام المثالى والدرجة العليا. وكان الأستاذ كونفوشيوس يرى أن هناك بعض من الملوك الحكماء القدامى فى تاريخ الصين قد بلغوا هذا المقام المثالى، وكان على رأسهم الملوك الثلاث القدماء فى المجتمع البدائي- "يائو" و"شون" و"يوجو"، وكذلك الملك "وون وانغ" المؤسس الروحي

من بعد الحكماء الكاملوا الأخلاق، وهم الملك الحكيم "وون وانغ" المؤسس لمملكة أسرة "يوشو" وابنه الأمير "يوشو غونغ" المكمل لنظام الآداب بفضولها الكلية وشروطها الجزئية التى ورثها ونصب رايته الأخلاقية عليها نهضا وتجييدا بعد أكثر من خمسة قرون بينه وبين سلفه السابقين. وقد يدلّ الأستاذ كونفوشيوس جهوده طول حياته داعيا لحكام البلاد خاصة والعلماء عامة إلى نهض نظام الآداب فى إصلاح المجتمع وميلسة الدولة، وبعد وفاته ورت أمنيته كثير من تلاميذه وعلى رأسهم الاثنان وسبعون عالما فضلا قلموا ينشر المذهب الفلمني لأسلافهم والدعوة إلى تفكره الأخلاقية والسياسية، ويجهد العلماء الكونفوشيوسيين جيلا بعد جيل- مثل "تسنگ تشى" و"تشى مي" و"متشيوس" ومن تبعهم، انتهى الأمر فى عهد الأسباطور "هان وو دي" بعد وفاة الأستاذ كونفوشيوس بثلاثة قرون ونصف إلى أن تعان حكومة الصين المركزية بالتحديد والتعيين للكونفوشيوسية كمذهب رسمى وحيد فى الأيديولوجية فرقد وتنظم ككل جوانب أمرى الدولة وشؤون المجتمع خلقيا وسلوكيا، وقد امتدت هذه المكانة المسيطرة للكونفوشيوسية من خلال القرن سنة فى تاريخ الصين التقليدية حتى إلى بداية القرن العشرين للماضى، وما زالت تناظر فى حياة شعوب الصين ف أثرا كبيرا إلى يومنا هذا.

٢٢٣- الشرح الجليل للكتاب الأربعة، جوشى، الفصل ٢٢، الصفحة ٢٤.

٢٢٤- وقد من تعريف الملوك الثلاثة القدماء هؤلاء فى الفصل الأول لهذه الرسالة، فممكن الرجوع إليه.

لمملكة أسرة " تيشو" وابناء الملك " زو وانغ " والأمير " تيشو قونغ ". وقد دعا الأستاذ كرونفوشيوس بنفسه أنه لم يصل إلى ذلك المقام المثالي بعد، وقال في كتاب الحوار: " إنما الحكيم (君子) ليس من حظي أن أراه ويكفني أن أرى رجلاً فاضلاً".^{٣٢٥}

وفي هذا الفصل ذكر المؤلف " تس سي" لأول مرة كلمة سنة الحكيم ، وأثنى عليها ثناءً فائقاً. من حيث أن الحكيم لم يكف بتحقيق لنفسه صفة الصدق والإخلاص وإكمال شخصيته فحسب، بل يحمل ثقل المسؤولية الهامة في سبيل تجلية الفطرة السماوية لجميع الناس ودعوتهم إلى إعادتها عن طريق التعليم والتربية، وخاصة في مجال إظهار صفة الصدق والإخلاص هدي ونورا، حيث أنها قاعدة أساسية ترشد كل تصرفات الإنسان الفردية في بصره وسمعه وفكره وأعماله، كما أنها مبدأ أصولي لمجتمع البشر ضامنا على سيره إلى السلامة والأمن العام. وعلى هذا الأساس كان الكرونفوشيوسية يعتبر أن سنة الحكيم هي سنة الإنسان المثالية التي يتحقق فيها السلامة والرخاء والأمن لسائر جنس البشر تحت السماوات كلها.

كما أخبرنا المؤلف هنا عن صورة مثبتة عن سنة الحكيم، وأشار إلى أن هذه السنة الكاملة تتمثل في آدابها بثلاثئة فصل كلي وأنظمتها بثلاثة آلاف شرط جزئي. وقد عرفنا أن الآداب الكلية عند الكرونفوشيوسية هي المبادئ والقواعد الأصولية تشمل على كل جوانب الحياة الإنسان الواقعية، مثلاً: طقوس التضحية والقربان، وطقوس القابين، ومراسم بلوغ سن الرشد، ومراسم الزواج وإلخ. وأما الآداب الجزئية فتحتوي على المسالك والمطالب الفرعية تتناول جميع تفاصيل المعيشة اليومية، مثلاً: مسالك الضيافة في الاستقبال والجلوس، ومطالب معاملة التلميذ بأستاذه في طلب العلم وإلخ. فالتنوع الأول من الآداب الكلية يوثب علاقة الإنسان بما حوله تنمية ووفقاً، بينما كان النوع الثاني من الأنظمة الجزئية يحدد مسالك تصرفات كل فرد حسب دوره الاجتماعي شمولاً وعموماً.

٣٢٥- كتاب الحوار، بيرجمة محمد مكين، الفصل السابع، الصفحة ٩٤.

原文：故曰：苟不至德，至道不凝焉。故君子尊德性而道问学，致广大而尽精微，极高明而道中庸，温故而知新，敦厚以崇礼。

今译：所以说：假使没有大德的圣人，至诚的道就不会凝聚在他心中。所以君子敬谨尊奉天赋的德性，勤学好问不敢懈怠。排除私意的蒙蔽，追求广大的德性；审查道体的细微，尽力问学而掌握精微的理。达到极高的境界而实行中庸之道。温习已学过的东西而追求未知的新道理。敦笃已能之事，积累未谨的礼。

نص القطعة الثانية:

"ولذلك يقال" إذا لم يكن بوجود الفضائل المثالية عند الحكيم لما كان طريق الحق متجسداً في قلبه." فالرجل الفاضل يهتدى بمكارم الأخلاق فطرةً مع اجتهاده في طلب العلم اكتساباً، ويوسع بصيرته في معرفة الحق سعياً مع استقصاءه في دقائقها استيعاباً، ويبلغ حكمته قمة صلاحيتها خلقياً مع تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال سلوكياً، ويراجع دائماً ما تعلمه إتقاناً مع اطلاعه على المعارف الجديدة طلباً، وهو يعزز نفسه بالأمانة والإخلاص في سبيل اتباعه بنظام الآداب رشداً.

الشرح:

وهذه القطعة تتبع القطعة السابقة يبين أن الرجل الفاضل إذا أراد أن يسير على سنة الحكيم اقتداءً، فلا بد منه أن يبدأ من أساسين، والأول: عليه أن يجل مكارم الأخلاق التي فطر له عليها السماء (ثيان) في طبيعة الإنسان. والثاني: وعليه أن يطلب العلم بجذ واجتهاد، ويحاول على الاستقصاء في الحقيقة ودقائقها استيعاباً. وهذين الأساسين أهم شيء يصل به الرجل الفاضل إلى طريق الحق ويعود به إلى صفة الصدق والإخلاص التامة. وقال العلامة "جوشى" في بيان ذلك: "وبفضل إجلال مكارم الأخلاق وإتباعها يهذب الإنسان نفسه حتى يدرك عظمة طريق

الحق وسموها، وبفضل طلب العلم واستقصائه يصل الإنسان إلى الحكمة المنقطة حتى يبصر
شمول طريق الحق وعمقه، وهما أصلا ن هاتان فى تهذيب النفس وتطبيق طريق الحق.^{٣٢٦}

ثم يواصل قوله قائلا: " لا يخدع قلبه بشيء من الدوافع النفسانية، ولا يغش ذاته من
الريجات لأنانية، ويستقصى بما تعلم به إحاطة، ويحقق ما قدر عليه إخلاصا، وكل هذه من ناحية
تهذيب النفس وتصفية القلب. وأما لا يكف عن تحليل الحقيقة إلا وقد أتقنه كاملا لا عيب فيه، ولا
يمارس أمرا إلا أن يفعله بدون إفراط ولا تقريط ويطلب العلم والمعارف وهو يجدد ما لم يطلع
عليه يوميا، ويمارس الآداب وطقوسها الأخلاقية وهو يكمل ما لم يحط به يوميا، فكل ذلك من
ناحية تحصيل علم اليقين. فلا يمكن الحصول على علم اليقين عن طريق تهذيب النفس وتصفية
القلب، كما كان تهذيب النفس وتصفية القلب لا يمتنعى عن تحصيل علم اليقين. فلذا، كانت هذه
الجمال الخمس فى النص تتكشف بعضها بعضا وتتكامل إحداها أخرى، وهى ما تركه سلفنا
الأفاضل من برنامج ممد للوصول إلى مكارم الأخلاق، وبفضل شموليتها الجامع، فليتأمل بها
وليدبر فيها العلماء والدارسون".^{٣٢٧}

وقد لاحظنا أن النص بعدما تحدث عن العلاقة الوثيقة بين إجلال مكارم الأخلاق المفطورة
وتعظيمها وبين طلب العلم واستقصائه اكتسابيا، يذكر بقوله: " ويبلغ حكمته قمة صلاحيتها أخليا
مع تطبيقه لمنهاج الوسطية والاعتدال سلوكيا"، فعلى أن ننقبه إلى هذه النقطة هنا خاصة، من
حيث أنه أكد المؤلف فيه إشاريا إلى أن أعلى الحكمة العملية هى تطبيق منهاج الوسطية
والاعتدال فى حياة الإنسان اليومية، وبعبارة أخرى أنه إذا كانت حكمة الإنسان تبلغ إلى قمة
كمالها، فستظهر فاعليتها المثالية تلقائيا فى تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال فى حياة الإنسان
الواقعية تماما. وهو الهدف النهائى الذى يسعى الرجل الفاضل فى طلب العلم واستقصائه.

ومن الجدير بالذكر أن المؤلف بين لنا فى هذا النص أسلوبا مهما فى طلب العلم وحسن
السؤال فيه، وهو قوله " ويراجع دائما ما تعلمه إتقانا مع اطلاعه على المعارف الجديدة طلبا "

٣٢٦- الشروح الجامع للكتب الأربعة، ج ١، ش ١، الصفحة ٢٤.

٣٢٧- المصدر السابق نفسه.

فأسلوب المراجعة والاستنباط في العلم لهما أهمية عظيمة في إثبات المعرفة وتقوية قدرة التفكير حتى يجنب صاحبه عن مجرد حفظ على ظهر وضيق التفكير. وقد أشار الأستاذ كونفوشيوس أيضا إلى هذه الأهمية في كتاب الحوار، وقال: "من يستطع أن يستنبط المعلومات الجديدة من المعلومات القديمة، فهو يستحق بأن يتول مهمة التدريس".^{٣٢٨} وقال أيضا: "من تعلم من غير تفكير، فهو يقع في حيرة، ومن فكر من غير تعلم، فهو يقع في خطر".^{٣٢٩}

原文：是故居上不骄，为下不倍。国有道，其言足以兴；国无道，其默足以容。诗曰：“既明且哲，以保其身。”其此之谓与。

今译：所以君子身居上位而不骄傲，身居下位而不违礼背道。国家处于政治清明的治世，就宣扬德言，足以使国家兴盛；国家处于政治昏暗的乱世，就缄默不语，足以免祸而保全自身。《诗经·大雅·烝民篇》说：“既明达而熟谙事机，又智慧而洞察哲理，可以用来保全自身。”就是这个意思啊！

نص القطعة الثالثة:

فكان الرجل الفاضل إذا حصل على منصب عال، فلا يفتخر ولا يتكبر على من أسفل منه مكانة، وإن يقيم بمكانة بسيطة فلا يخون ولا يخالف ما يطلبه من نظام الآداب. وعندما كانت الدولة في حالة العدل والاستقرار، فالرجل الفاضل يعلن دعوته مرشدا لنهض أمته ازدهارا، ولما كانت الدولة في الظلم والاضطراب، فهو يحتاط لنفسه على السكوت متعففا لحفظ نفسه وعرضه. وقال سفر القصائد: " ذو الحكمة والفضيلة يحسن تقديره للظروف والأحوال، وقاية لنفسه وعفته من الفتن والبلايا".^{٣٣٠} أليس هذا بمسماه؟

الشرح:

قال الحبر " كُونغ يَنْغ دَا " في شرح معاني النص هذا: " لقد كشفت هذه القطعة عن كيفية اهتداء العلماء الأفاضل بصفة الصدق والإخلاص سالكين على منهاج الوسطية والاعتدال، من

٣٢٨- كتاب الحوار، بترجمة محمد مكي، الفصل الثاني، الصفحة ١٣.

٣٢٩- المصدر السابق نفسه، الصفحة ١٤.

٣٣٠- كتاب القصائد، قسم اللياقة الكبرى، الشعر " الشعوب الجماهير"، الصفحة ٢١٣.

حيث أنه عندما كانت البلاد تحتل بالسياسة الرشيدة يبذل كل ما في وسعه داعيا وخائما في سبيل نهض أمته ازدهارا؛ وحينما كانت تقع في السياسة الظالمة، يخفى مناهه لإبرار ذكائه ويحنى رأسه متعففا لحفظ نفسه وعرضه عن الفتنة والبلايا المتلاشة. ٣٣١

وأخبرنا المؤلف في هذه القطعة أن الرجل الفاضل بتطبيقه العملي بصفة الصدق والإخلاص وباهتدائه الخلقى إلى منهاج الوسطية والاعتدال، قد اقترب من مقام الحكيم الكامل الأخلاق تدريجيا. من حيث إنه إذا كان يحتل بالمناصب العالية، ما زال يعمل بجد وأمانة، ولا ينجس في الثروة والجاه محتوما، وهو لن يكون ظالما صلفا ومغرورا بنفسه. وإذا يكون في منزلة بسيطة، فهو قانع بواقعه، لا يخالف مطالب الآداب ونظمها، ولا يخرج على أوامر حاكمه عتوا. وإذا كانت بلاده في السلام والعدل، وحاكمها صالحا متمسكا بطريق الحق، فكان الرجل الفاضل يجلي كفاءته ووسعه ويشغل في خدمة الدولة وإفادة الناس بها رشدا. وعندما أفلت شمس البلاد وأصبح حاكمها بالطغيان والظلم، فالرجل الفاضل يستر الكفاءة والقدرة له، بل يسكت ويتحذر متعففا لحفظ نفسه وعرضه عن الفتنة والمصيبة.

وفي ختام هذه القطعة أورد المؤلف "نص سبي" بيتا من سفر القصائد وهو: " ذو الحكمة والفضيلة يحسن تقديره للظروف والأحوال، وقاية لنفسه وعفته من الفتن والبلايا." مبيّنا أن الرجل الفاضل ليس يتصف بالعلم والحكمة ويقنر أموره حق قدره فقط، بل يستطيع أن يحم نفسه متعففا من البلايا والفتنة، وأخبرنا المؤلف أن هذه الحكمة المثالية للرجل الفاضل هي مقاصلة على منهاج الوسطية والاعتدال وميزته، فإن الرجل الفاضل صار بها ماهرا في استعمال فطنته لممارسة كل شؤونه معتدلا، وراضيا في كل أحواله وقانع بما قدر له مقدورا.

第二十八章

原文：子曰：“愚而好自用；贱而好自专；生乎今之世，反古之道；如此者，裁及其身者也。”

今译：孔子说：“愚蠢而没有德性的人，喜欢自作聪明，自以为是；卑贱的人，喜欢僭越、专断；生在现在的世界上，反而推行古代的道理；这样的人，灾祸一定会降临到他的身上。”

الفصل الثامن والعشرون

التمهيد:

وهذا الفصل نصّه مأخوذ من أحاديث الأستاذ كونفوشيوس، يورده المؤلف "تس سي" هنا لكي يتابع الفصل السابق ويخبر ما يعارض سنة الحكيم كامل الأخلاق وما يخالف منهاج الوسطية والاعتدال من تصرفات ضالة معوجة. ومن أجل توضيح هذه المقاصد السابقة ذكرها، ينقسم هذا الفصل إلى ثلاث نقاط أساسية. وكانت النقطة الأولى تتبين لنا أمثلة متضادة من الرجال المتطرفين وملوكهم الضالة عن سنة الحكيم، مخالفة لمنهاج الوسطية والاعتدال، تتمثل في ثلاثة جوانب: الأول: جاهل في العلم وهو متكبر بنفسه، والثاني: وضع في المنزلة وهو عنيد براه، والثالث: ملخ في اتباع نظم العصر العتيق الماضي وهو يعيش في العصر الحالي المتغير. ومن يقع في هذه الثلاثة فهو ليس بعرف لمنهاج الوسطية والاعتدال، بل اغترى بنفسه وضلّ عن الصراط السوي، حتى يرى الأستاذ كونفوشيوس أنه من وقع في هذه الثلاثة، فقد دعا على نفسه ضررا وبلوى.

نص القطعة الأولى :

"قال الأستاذ كونفوشيوس: جاهل في العلم مع صلب رأي؛ ووضع في المنزلة مع التكبر بنفسه؛ وعاش في العصر الراهن مع التعمد على النظم البالية في العصور القديمة؛ فمن يقع في هذه الأحوال فقد دعا على نفسه ضررا وبلوى."

الشرح:

قال " تشينغ هاو" فى بيان معانى النص هذا قائلا: " إن الذى لا فضيلة له هو أبله بليد، والذى لا منصب له هو وضع المنزل. ومن كان له منصب ولا فضيلة له، لكن قام بشرع نظام الآداب والموسيقى، فسمي بأنه جاهل فى العلم مع صلب رأيه؛ ومن له فضيلة ولا منصب له، لكن قام بشرع نظام الآداب والموسيقى، فسمي بأنه وضع فى المنزل مع التكبر بنفسه. وأما الذى كان يعيش فى عصر المملكة " تشو" وقتئذ، ولكن تعبد فى ممارسة نظم الآداب القديمة لمملكتي " شيا " و" شائغ " الماضيتين، فسمي بأنه عاش فى العصر الجارى مع التعبد على النظم البالية فى العصور القديم. ومن كان على أى حال من هذه الأحوال الثلاثة، فهو يمشى على الطريق إلى الفتنة والهلاك".^{٣٣٢}

وكانت الكونفوشيوسية تدعو إلى التنظيم الاجتماعى بين الطبقات المختلفة والتمييز الفارق بين الخاص والعام فى المنزل والمنصب. وهذا يعنى: كان كل فرد من أفراد المجتمع له حقوقه وواجباته، فينبغى أن يؤدّ واجب نفسه حسب منزلته الاجتماعية، ولا يستحق له أن يتدخل فى شؤون غير منصبه. وعلى هذا الأساس، أورد المؤلف " تس سى " هنا كلام كونفوشيوس بالنقد على ثلاثة أصناف من الناس مبيّنا لأخطائهم الأخلاقية كما يلي:

الصنف الأول: هو من كان فى المنصب العالى، لا يتصف بالأخلاق الفاضلة والكفاءة المميزة، ولكنه يتكبر بنفسه ولا يستمع إلى نصيحة غيره، فهو ضال ومضلل.

الصنف الثانى: هو من كان فى المنزلة البسيطة، لا يتعلّق بالمنصب العالى من شيء، ولكنه يصلب برأيه ويتدخل فى شؤون سياسة الدولة عتوا، فهو عنيد معتد.

الصنف الثالث: هو من عاش فى عهده الحاضر، ويعرض عن إتباع نظام الآداب الجارى فى عصره، بل يلجّ فى ممارسة النظم والآداب القديمة من العصور العتيقة، وهو سخيّف لا يعرف مقاصدها الأصولية ولا حقائقها الرئيسية.

٣٣٢ - انظر: الشرح اللفظى لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا خونغ، الصفحة ٢٦١

وهذه الأصناف الثلاثة من الناس كلهم لم يفهموا معنى منهاج الوسطية والاعتدال ولم يحققوا حكمته المثالية. فعاد المؤلف "تس سي" هنا إلى بيان أهمية منهاج الوسطية والاعتدال في إرشاد حياة الإنسان الواقعية، حيث يرى أنه إذا لا يعرف الإنسان قيمة ذاته ولا يقوم بواجب نفسه أخذاً وعطاءً، فهو لا يمكن أن يعرف منهاج الوسطية والاعتدال علماً، كما لا يوافق سلوكه للقواعد الأخلاقية عملاً، حتى تؤدّ هذه التصرفات المتطرفة بصاحبه إلى الضرر والهلاك.

وهنا تسؤل مهمّ يجدر بنا أن ننتبه إليه، وهو لماذا انتقد كونفوشيوس على المرء في الصنف الثالث الذي عاش في العصر الحالي مع تعنّده على ممارسة النظم والأداب القديمة من العصور الماضية؟ ألم يكن كونفوشيوس نفسه قد ورث من ثقافة الصين القديمة وأقام أفكاره الفلسفية على أسس تلك الثقافة السابقة؟

ونقول: في الحقيقة أنه كان كونفوشيوس يحب حضارة الصين للتراثية ويدعو إليها كثيراً، إنما انتقاده هنا على الصنف الثالث يتجه إلى من يكس في رأسه معارف قديمة وهو عاجز عن هضمها، أي نقداً على من هو سخي لا يعرف مقاصدها الأصولية ولا حقائقها الرئيسية، وهو بعيد عن روح منهاج الوسطية والاعتدال في التكيف مع تغير الظروف والأحوال، وذلك كما بيّنه المؤلف "تس سي" لمعنى الروح القيم هذا في القطعات الثلاث التالية بكتابه مراراً.^{٢٢٢}

原文：“非天子，不议礼，不制度，不考文。今天下，车同轨，书同文，行同伦。虽有其位，苟无其德，不敢做礼乐焉；虽有其德，苟无其位，亦不敢做礼乐焉。”

今译：“不是有德位的天子，不敢议论亲疏贵贱相接的礼制，不敢制订宫室、车骑、服饰等制度，不敢考订文字的笔划形体。现在天下统一，车行的轨迹相同，文字也

٢٢٢- انظر: كتاب حكمة الإنسان العليا - منهاج الوسطية والاعتدال، بتأليف جينغ زون، واد من كوريا الجنوبي، بترجمة جينغ شينغ، دار الطباعة بالمقاطعة هاني ناز، ١٧، ٣٠، ص ٢١٧-٢١٩.
وانظر أيضاً: كتاب الوصول إلى العز الكامل - دراسة في كتاب المعرفة الكبرى والوسطية والاعتدال، الصفحة ٣٠٤.

توحيد، سلوك متوافق مع المعايير. على الرغم من أن منصبه، حتى لو لم يكن لدى الشخص من صفات، فإنه لا ينبغي أن يسهل على صنع الموسيقى. على الرغم من صفات الشخص، حتى لو لم يكن منصبه، فإنه لا ينبغي أن يسهل على صنع الموسيقى.

نص القطعة الثانية :

" ما من أحد إلا ابن السماء (تيان) (أي الملك أو الإمبراطور) مستحق لتحديد نظام الآداب، ولتعيين القوانين الشرعية، وتنظيم القواعد اللغوية. فاليوم قد تحقق فيه الاتحاد في معيار دوايب العربية^{٣٣٤}، والاتحاد في الكتابة وألفاظها، والاتحاد في القواعد السلوكية الاجتماعية. ولذلك، كان من الذي يصعد على كرس الملك ولم يكن له فضيلة عظيمة (كمثل الحكيم)، فليس له حق لتحديد نظام الآداب والموسيقى؛ وأما الذي يتمتع بالأمثلة في مكارم الأخلاق ولم يحصل على عزة السلطة، فليس له حق من تحديد نظام الآداب والموسيقى أيضا. "

الشرح :

قال العلامة " جو شي " في شرح معاني العبارات هنا قائلا: " إن النص في هذه القطعة هو مصدر من " تس سي " نفسه بيانا وشرحا. والكلمة في النص ' نظم الآداب ' المراد بها قواعد الاتصال في علاقات القرابة النسبية قريبا وبعدا، ومبادئ التعامل بين الكبار والصغار حسب منازلهم الاجتماعية علوا وسفلا. وقوله ' القوانين العملية '، يعنى النظم القانونية الدولية. وقوله: ' القواعد اللغوية '، مراد به أسلوب الكتابة وتعبيراتها. وكلمة ' اليوم ' في النص تشير إلى العصر الذي عاش فيه المؤلف " تس سي ". وقوله ' الاتحاد في معيار دوايب العربية، والاتحاد في الكتابة وألفاظها، والاتحاد في القواعد السلوكية '، والمراد بهذه الاتحادات الثلاث إلى الوحدة العامة للسلطة والملك في بلاد الصين كلها. " ^{٣٣٥}

وفي هذه القطعة عرض المؤلف ثلاثة أمور هامة بالنسبة إلى استقرار البلاد وازدهارها، وبين أنه لا يمكن لأحد أن يحددها غير الملك المثالي الجامع بين الأخلاق الحميدة والسلطان

^{٣٣٤}- إشارة إلى الاتحاد بالمواصفات في طرقها والآداب معيارا ومقياسا يعد ما تفرقت وتوعدت بعيدة بين أنحاء بلاد الصين.

^{٣٣٥}- الشرح التفصيلي لكتاب الوسيط والاعتدال، لي كيا هونغ، الصفحة ٣٦٣.

العالية، وقد دل ذلك على أن هذه الأمور الثلاثة حرمة ومقدسة بأن تحديد نظام الآداب في القرابة والكرامة تشمل الجوانب الثلثي من النظم والحدود الأخلاقية، وهو مادة ثابتة ترتبط بحكومة مستقرة وسلطة وطيدة. وتعين القوانين العملية هنا يشير النظم الاجتماعية وخاصة بما فيه من تعيين الموازين والمكاييل والمقاييس الجارية، وهذا الأمر المهم يتصل بالأمن والسلامة للمجتمع وبصفاء العيش وطمأنينة الشعوب في الحياة. وتنظيم القواعد اللغوية هنا يشير إلى أسلوب الكتابة وتشكيلها، وأيضاً يشير إلى تحقيق التواريخ السابقة والنقد على شخصيتها تقريراً وتقديراً، وهذا الأمر يؤدي به إلى توحيد اتجاه الأفكار والثقافة في البلاد كلها، حتى ويفضل هذا التوحيد الثقافي يتحقق استقرار البلاد ورسوخها المعنوي.

وأما القول في النص " اليوم قد حقق فيه الاتحاد في معيار دوليب العربية، والاتحاد في الكتابة وألفاظها، والاتحاد في القواعد السلوكية." فيرى العلامة " جوشي " أن ظرف الزمان يشير إلى نهاية عصر الربيع والخريف الذي عاش فيها المؤلف " تشو سي "، وحينئذ مع أن الحكومة المملكة " تيشو " الشرقية مالت إلى التدهور والوهن، ولكن مكانتها السلطانية المركزية مازالت تبقى، والأمراء والحكام في أنحاء بلاد الصين ما زالوا يحترمونها ظاهرياً، وإن كانوا يتنافسوا من أجل الهيمنة وتنازعوا منها سرياً. فذلك كان نظام الآداب للمملكة " تيشو " لا تزال تعمل وتطبق جارية في ذلك العصر على وجه العموم.^{٢٣٦}

وفي نهاية النص أكد المؤلف مرة أخرى أن تحديد نظام الآداب وتنظيم القوانين والحكم وتنظيم قواعد اللغة، وكل هذه الأعمال الهامة لا يستطيع أن يحملها إلا ابن السماء (تيان)، أي الملك المثالي، الذي يبلغ بفضائله الكريمة مقام الحكيم، مبيّناً أن من الذي يصعد على كرسي الملك ولم يكن له فضيلة عظيمة فلا مستحق له من تحديد نظام الآداب والموسيقى، وأما الذي يتمتع بالأمثلية في مكارم الأخلاق، ولكن لم يحصل على عزة السلطة، فهو أيضاً ليس له حق من تحديد نظام الآداب والموسيقى.

٢٣٦- انظر: المشرح للنفثي لكتاب الوسطية والاعتدال، لجي كا فونغ، الصفحة ٢٦٢.

وقد أشار بعض علماء الكونفوشيوسية أن تؤكد المؤلف " تس سي" في حرمة تحديد الآداب والموسيقى وعظمة تعيين الحكم والقوانين وتنظيم القواعد اللغوية، ومشارا بهذه الأمور الثلاثة إلى رسالة جسيمة، وهي إبراز " تس سي" للخدمات الجليلة لجده الأستاذ كونفوشيوس في إبقاء ثقافة الصين التقليدية ووراثه حضارتها العظيمة وحفاظها. وكان الأستاذ كونفوشيوس مع أنه لم يزل عزة السلطة، ولكنه قد تمتع بالأمثلية في مكارم الأخلاق، وأنه هو الشخصية المثالية الذي أكمل ثقافة المملكة " تيشو" ووزت ثقافة الآداب والموسيقى للخلف.^{٢٣٧}

原文：子曰：“吾说夏礼，杞不足征也；吾学殷礼，有宋存焉；吾学周礼，今用之，吾从周。”

今译：孔子说：“我喜欢夏朝的礼制，其后代杞国的文献不足征考；我学习殷朝的礼制，还有殷朝的后代宋国存在，有文献可以征考。我学习周礼，现在天下人民都用周礼，我也遵从周礼。”

نص القطعة الثالثة:

" قال الأستاذ كونفوشيوس: " حبيت الدراسة في نظام الآداب لمملكة الأسرة " شيا " السالفة، ولكن بقاياها في إمارة " تشي " لم تكف وثائقها تدليلاً وتحقيقاً، وبحثت في نظام الآداب لمملكة الأسرة " شالغ " السابقة، وكانت بقاياها مروية في الوثائق عند إمارة " سولغ "؛ وتعلمت من نظام الآداب لمملكة الأسرة " تيشو " الحاضرة، وهو نظام عام سائر يقتدى به اليوم جميع الناس، فأنا مقتدى بها أيضاً. "

الشرح :

قال العلامة " جو شي" في بيان معاني النص قائلا: " إن الأستاذ كونفوشيوس درس في نظم الآداب للأسر الثلاث الملوكية الكبرى وثقافتها بين الماضي والحاضر، بحثاً علمياً مما يمكنه

^{٢٣٧}- انظر: كتاب حكمة الإنسان العليا - منهاج الوسطية والاعتدال، جونغ زون زان، الصفحة ٢١٨.
^{٢٣٨}- إمارة " تشي "؛ وهم من ذرية مملكة أسرة " شيا " السالفة، لقد أقطعهم مملكة " تيشو " المركزية إمارة تقع حالياً في شرقي مقاطعة " خا نان " بالصين.
^{٢٣٩}- إمارة " سولغ "؛ وهم من ذرية مملكة أسرة " شالغ " السابقة، لقد أقطعهم مملكة " تيشو " المركزية إمارة تقع حالياً في أقصى شرقي مقاطعة " خا نان " بالصين.

من تقدير الخصائص والميزات لكل واحدة منها. ولكن آداب مملكة أسرة " شيا " قد ضاع منها معظم الوثائق فلا تكفى بها تدليلاً وتحقيقاً، وأما آداب مملكة أسرة " شانغ " فإن كانت بقاياها محفوظة فى الوثائق عند إمارة " سونغ "، ولكنها قد مضى عصرها وفى نفوذها فى العهد الجارى (عهد كونفوشيوس). وإنما نظام آداب مملكة أسرة " تشو " الحاضرة مازالت تمارس فى عصرها، وهى الآداب الجارية فى أنحاء بلاد الصين وقتئذ. فكان الأستاذ كونفوشيوس يتبع آداب مملكة أسرة " تشو " اقتداءً، ولم يقم بشرعها شرعاً جديداً، من حيث إنه لم ينل عزّة السلطة فى حفظه (وإن كان فى منزلة الحكيم).^{٢٤٠}

وكان إتباع الأستاذ كونفوشيوس نظام الآداب لمملكة أسرة " تشو " يدل على أنه يساير الظروف والأحوال الجارية وفقاً للحاجة الحاضرة والوضع الواقع، فسدّ الحاجات الواقعية هو مسعى منهاج الوسطية والاعتدال. لذلك انتهى المعلم التالى منشيوس على الأستاذ كونفوشيوس بأنه الحكيم الكامل الأخلاق الذى يستند ويكتف مع حاجات عصره الواقعية.^{٢٤١}

والجدير بالذكر هنا أن إتباع كونفوشيوس نظام الآداب لمملكة أسرة " تشو " لا يعنى بأنه نقل تلك الآداب من الألف إلى الياء، بل كان يرثها ويطورها زيادة ونقصاً حسب الحاجة والظروف الجارية، أى قام بعمل الجرح والتعديل حفاظاً على المعانى الجوهرية لأصولها العامة، وفقاً لروح منهاج الوسطية والاعتدال فى مياسرة مطالب الظروف والأوضاع عند مذهب الكونفوشيوسية.

وفضلاً عن ذلك نجد أيضاً فى هذه القطعة أن الرجل الفاضل ليس يقف فى تهذيب النفس وإصلاح الذات فقط، بل يتأكد منه أن يشترك فى النشاط الاجتماعى بجدّ واجتهاد ويحمل مسؤولية الأمة فى ازدهارها وانحطاطها على كتفيه، ويؤدّ واجباته لخدمة وطنه بكل صدق وإخلاص، فذلك قد تعلق المؤلف النشاط الاجتماعى هذا بالأخلاق الفاضلة تعلقاً وثيقاً، وبين هذه الرسالة المهمة مرة أخرى، وهى محور الفكر الأساسى فى كتاب وسطية والاعتدال كلها.

٢٤٠- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوين، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، للصفحة ٢٥.
٢٤١- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جوين، قسم كتاب منشيوس، الفصل الخامس القسم الثانى، للصفحة ١٤٢.

第二十九章

原文：王天下有三重焉，其寡过矣乎！上焉者，虽善无征，无征不信，不信民弗从。下焉者，虽善不尊，不尊不信，不信民弗从。故君子之道，本诸身，征诸庶民，考诸三王而不缪，建诸天地而不悖，质诸鬼神而无疑，百世以俟圣人而不惑。质诸鬼神而无疑，知天也；百世以俟圣人而不惑，知人也。

今译：称王于天下，有议礼仪，订制度，考文字三件重要的事情摆在前面。用这三件事情去教育人民，人们就很少有过失了。过去夏商的礼仪制度虽然好，但年代久远，得不到验证，得不到验证就不能取信于民，不能取信于人，人民就不遵从。身为圣人而处在下位的人，他所主张的礼仪制度虽然好，但没有天子的尊贵地位，不尊贵就不能使人民相信，人民不相信，也就不愿遵从。所以君主统治天下的道理，先从自己本身修德凝道做起，以此为根本，在老百姓身上加以验证和取得信任。往上考查禹，汤文武的因革损益而没有谬误，放到天地之间都符合天地自然的理而不相违背，问于鬼神幽深的理而没有疑惑。等到百代以后的圣人出来也不会有什么怀疑。问幽深的鬼神而没有疑惑，这是晓得天理的缘故。百代以后的圣人也没有疑惑，这是晓得人道的缘故。

الفصل التاسع والعشرون

التمهيد:

هذه الفصل يتبع الفصل السابق بحديثه عن الحكم والتسلط، ويتبين عن الأمور الثلاثة الكبرى التي ذكرت في الفصل السابق عند الحاكم المثالي، كما يؤكد فيه المؤلف "نفس مبي" أن الرجل الفاضل عليه أن يتمسك بمنهاج الوسطية والاعتدال، ويهذب نفسه بالفضائل الحميدة من أجل نصب قدوة حسنة للجماهير تعليماً وهدياً لهم. وأورد المؤلف في آخر الفصل قصيدة من سفر القصائد وأعطى منها مثالا من الحاكم الفاضل في مكارم أخلاقه. وفي سبيل بيان هذه المقاصد المنصوصة، قسم المؤلف هذا الفصل إلى ثلاث قطع، والقطعة الأولى هي:

نص القطعة الأولى:

" إن حكم البلاد والتملك على الشعوب يتأسس على الأمور الثلاثة الكبرى ^{٢٤٧} ، لكن ترشد الملك إلى تقليل خطاه وزلته في رعاية شعوبه. فنظم الآداب من عهود المتقدمين ^{٢٤٨} إن كانت بحسنها ولكن مع مرور الدهر وفقدان وثائقها فقد ضاعت من الشعوب ثقة بها فلا يتبعونها عملاً. وأما نظم الآداب من المتأخرين ^{٢٤٩} فمع دعوته إلى الآداب المتجددة بصلاحها، ولكنه مفتقر إلى قوة الحكم والسلطة مندء، فما حصل على ثقة الجمهور بنفوذه ولا يتقانون لتعليماته طاعة. وعلى الحاكم الفاضل أنه إذا أراد أن يقيم بالسياسة الرشيدة، فليبدأ أولاً من تهذيب نفسه بمكارم الأخلاق عملاً، فيختبر مبادئه لدى رعاياه وينال منهم سمعاً، وإن يستدلها على تعليمات الملوك الحكماء الثلاثة القدامى ^{٢٥٠} حصلت على موافقة منهم، وإذا قدمها للقوانين الطبيعية بين السموات والأرض وجد منها مناسبة، وإن تعرض أمام الملائكة والأرواح الغيبية تحصل على الرضاء منهم، وإذا مر عليها العصور حتى يظهر الحكيم من بعد مائة نال منه قبولاً. وإنه إذا قدم الملك الفاضل مبادئه الرشيدة أمام الملائكة والأرواح الغيبية يحصل على الرضاء منهم، فذلك يدل على أنه عازف بإرادة السماء (تيان) وسطته؛ وإذا مر على سياسته الرشيدة العصور حتى يظهر الحكيم من بعد مائة نال منه قبولاً، فذلك يدل على أنه عازف بطبيعة الإنسان وحاجاته الفطرية. "

الشرح:

وكانت الكلمة " الأمور الثلاثة الكبرى " في هذا النص لها عدة أقوال عند العلماء الكونفوشيوسيين، ومنها: يرى المفسر " جينغ شوان " أنه كان المراد به هو نظم الآداب الثلاثة من الملوك الحكماء القدامى، أى نظام الآداب لمملكة الأسرة " شيا " و لمملكة الأسرة " شينج " و لمملكة الأسرة " تشو ". وإذا اهتم الحاكم الفاضل بهذه نظم الآداب الثلاثة السابقة استرشاداً بها

٢٤٧- المراد بها: تحديد نظم الآداب وتعيين القوانين الشرعية، وتنظيم قراءات اللغوية، كما سبق ذكرها في الفصل ٢٨.

٢٤٨- المراد بها: نظم الآداب لمملكة أسرة " شيا "، ونظام الآداب لمملكة أسرة " شينج " السابقين الماضيين.

٢٤٩- المراد به هنا الأستاذ كونفوشيوس نفسه.

٢٤٥- المراد بهم الملك " يو " (حوالي ٢٢٠٠ ق.م - ٢١٠١ ق.م) " مؤسس روحي لمملكة " شيا "، والملك " تانغ " (١٦٧٥ ق.م - ١٥٨٨ ق.م) " مؤسس لمملكة " شينج "، والملك " وون وانغ " (١١٥٢ ق.م - ١٠٥٦ ق.م) " مؤسس روحي لمملكة " تشو ".

واتخاذها منها عبرة، فذلك يمكنه أن يجتنب نفسه عن كثير من الأخطاء في الحكم والسياسة^{٢٤٦}.
وأما العلامة "جوشى" فقال في ذلك: "إن الكلمة المذكورة في النص تعنى بالأمور الثلاثة
المختصة بالحكم الفاضل بتحديد ما التى ذكرت في الفصل السابق، وهى: تحديد الآداب في
القرباة والكرامة، وتعيين القوانين الشرعية، وتنظيم القواعد اللغوية"^{٢٤٧}. وبالإضافة إلى هذين
الرأيين لقد ذهب "كانغ يوى"^{٢٤٨} إلى أن العبارة تقصد بالفقرات الثلاثة التى يمر عليها حظ
الدولة متداورا، وهى: فترة إعادة النظم والحدود فى المجتمع بعد الظلم والفسوس، وفترة
الإصلاح والتطوير، وفترة الاستقرار والأزدهار^{٢٤٩}.

ومن هذه الأقوال الثلاثة المذكورة نجد أن القول الثانى من العلامة "جوشى" أرجح
وأنسب لسياق النصوص هنا. من حيث إن الحاكم الفاضل إذا أراد أن يطبق سياسته الرشيدة فى
بلاده، فلا بد منه أن يحسن ويتقن هذه الأمور الثلاثة الكبرى، والأولى: تحديد الآداب فى القرباة
والكرامة حتى يهتد بها الناس إلى الفضائل الأخلاقية والقيم السلوكية. والثانية: تعيين القوانين
والنظم الشرعية لى يمشى المجتمع على تلك القوانين والنظم المشروعة. والثالثة: تنظيم القواعد
اللغوية حتى تكون البلاد يتمتع باللغة الواحدة. فكل من هذه الأمور الثلاثة كان ضروريا لا
يستغنى عنها سلامة المجتمع، وهى أركان أساسية لتوحيد البلاد واستقرارها.

وأما المولى بالكلمة "المتقدمين" و"المتأخرين" فى العبارة بالنص "فظم الآداب من
عهود المتقدمين إن كانت بحسبها ولا ينقادون لتعليماته طاعة." فهناك آراء مختلفة فيها عند

٢٤٦- انظر: الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ بينغ دا، الجزء الثانى، للصفحة ٢٨٧.

٢٤٧- انظر: الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جوشى، الصفحة ٢٦.

٢٤٨- "كانغ يوى": حاش بين ١٨٥٨م- ١٩٢٧م، عالم ومفكر وشخصية سياسية فى العصر الحديث، وإنكب على الدراسة
الكونفوشيوسية والتقى بعلوم الطبقة الغربية الحديثة و شاهد الأنظمة الاجتماعية على منوال الرأسمالية فى أوروبا، فمال إلى
التعلم من الغرب وإصلاح الأنظمة السياسية والاقتصادية فى المجتمع الصينى التقليدى، وقد شئ حركة إصلاحية سياسية، معتمدا
على الإمبراطور "قوانغ شو" (١٨٧١م - ١٩٠٨م)، وفشل بعد ثلاثة أشهر ونصف فقط. قد نراه: مؤلفات عديدة ومنها شرح
كتاب الوسطية والاعتدال وشرح كتاب الحوار وشرح كتاب المتنبؤين وغيرها. انظر إلى موسوعة الفلسفة الصينية، جالغ دى
نيان، الصفحة ٨٥٤.

٢٤٩- انظر: الشرح اللفظى لكتاب الوسطية والاعتدال، لى كا هونغ، الصفحة ٢٦٨.

علماء الكونفوشيوسيين أيضاً، فيرى المفسر "جيتغ شوان" أن كلمة "المتقدمين" تشير إلى الملك أو الحاكم، والكلمة "المتأخرين" تشير إلى حاشيته أو وزرائه^{٣٥٠}. وكان العلامة "جو ثي" يقول إن "المتقدمين" يراد بالآداب الملوك الحكماء القدامى من أسرتي "شيا" وأسرة "شونغ" السابقين، و"المتأخرين" يراد بالحكيم في الدهر المعاصر وقتئذ كمثل الأستاذ كونفوشيوس. من حيث إن آداب الملوك الحكماء القدامى من هاتين الأسرتين مع أنها كانت حسنة، قد ضاعت من الشعوب ثقة بها مع مرور الدهر وفقدان وثاقها، فلا يتبعونها عملاً، وأما المتأخرين من الحكيم (مثل كونفوشيوس) مع تفوقه في مكارم الأخلاق، لكنه مفتقر إلى قوة الحكم والسلطة سداً ودعماً، فما كان ينقاد الجمهور لتعليماته طاعة^{٣٥١}. فنقول إن الرأي الثاني أصح وأنسب في مقامه.

والعبارة في النص " وإله إذا قدم الملك الفاضل سياسته الرشيدة أمام الملائكة والأرواح الغيبية يحصل الرضاء منهم، فذلك يدل على أنه عارف بإرادة السماء (تيان) وسنته"، فالمراد بها أنه كان قديماً الصينيون يعتقدون بأن الملائكة والأرواح الغيبية لهم قدرة خارقة العادة تنفع الإنسان وتضره، فإن الحاكم الفاضل ينبغي في سياسته الرشيدة أن ينال رضاء الملائكة والأرواح في عالم الغيب توفيقاً، كما أنه لا يمكن في تملكه على رعيته مخالفاً لإرادة السماء (تيان) باعتباره رب الأرباب والإله الأعلى، وإلا سيخلعه عن عرشه تعذيباً، وذلك كما دل عليه سفر الوثائق حيث قال: " إن السماء (تيان) يرى حيث يرى الشعوب، ويسمع حيث يسمعون."^{٣٥٢}

وأما العبارة " وإذا مرّ على سياسته الرشيدة للعصور حتى يظهر الحكيم من بعد مائة نال منه قبولاً، فذلك يدل على أنه عارف بطبيعة الإنسان وحاجاته الفطرية." فكان المراد بها أن عقل الإنسان الصريح متفق ومُتحد على حكمة سديدة، وشعور البشر وعواطفهم مشتركة بعضهم بعضاً مهما تتغير الظروف وتبادل العصور. فالحاكم الفاضل إذا حصل بسياسته الرشيدة على

٣٥٠- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كرونغ بينغ دة، الجزء الثاني، الصفحة ٣٨٧

٣٥١- انظر: الشرح للجمع للكتب الأربعة، قسم كتب الرمسية والاعتدال، جوشي، الصفحة ٢٦

٣٥٢- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، الجزء الأول، سفر الوثائق، وعد على الملك "زو وانغ"، الصفحة ١٧٤.

رضاون الملانكة والأرواح فى عالم الغيب، ونال ثقة رعيته الجمهور وانقيادهم له سمعا وطاعة، فسوف يكون قنوة حسنة للناس جيلا بعد جيل، وإن يظهر الحكيم بعد مائة جيل لكان يوافق معه ويستفيد منه.^{٢٥٢}

原文: 是故君子动而世为天下道, 行而世为天下法, 言而世为天下则。
远之则有望, 近之则不厌。

今译: 所以君子的语言行动能够使世世代代的人民遵行; 施于政治, 能够使世世代代的人民效法; 发为号令, 能够使世世代代的人民奉为准则。远方的人民景仰他的言行, 近处的人民学习他的言行而不生厌倦。

نص القطعة الثانية:

" لذلك ما كان الحاكم الفاضل يعمل عملا إلا وهو أصبح قنوة حسنة يقتدى بها كل الناس فى أنحاء البلاد جيلا بعد جيل؛ وما كان يحكم حكما سياسيا فى أوامره ونواهيه إلا وهو صار قانونا مطاعا عند كل الناس فى أنحاء البلاد جيلا بعد جيل؛ وما كان يتكلم فى الترغيب والترهيب إلا وهو يخل محل قاعدة ضابطة لاختيار كل الناس بالقبول والترك جيلا بعد جيل. فالشعوب فى بُعد المسافة يشتاقون إليه احتراماً، والرعية فى قرب المسافة يرغبون فى إتباعه حباً. "

الشرح:

قال العلامة " جوشي " فى بيان هذه القطعة: " إن الكلمة ' يعمل ' فى النص تشمل أقوالا وأفعالا. والقول ' قنوة حسنة ' يعنى الطريق التهج الذى يسلك عليه الناس كلهم؛ وهنا يشير إلى القوانين والآداب، فالأولى هى الحدود التى توجب كل واحد على إتباعه شرعا، والثانية هى المبادئ الأخلاقية التى يستند بها الإيمان تصرفاته سلوكيا. والقول ' فالشعوب فى بُعد المسافة يشتاقون إليه احتراماً ' وذلك يدل على أنه ذاعت شهرته الأخلاقية بين الشعوب البعيدة، فتشوقون

٢٥٢- انظر: الشرح اللفظي لكتاب الوسيط والاعتدال، لى كا مونج، الصفحة ٢٦٧-٢٦٩.

إليه احتراماً، وأما قوله ' والرعية في قرب المعافة يرغبون في إتباعه حباً ' فكان المراد به أن الناس حوله يتعلمون من أخلاقه الحميدة وهم مطمئن قلوبهم رضاءاً.^{٢٥٤}

وفي القطعة السابقة ذكر المؤلف " تش مي" الأمور الثلاثة الكبرى بالنسبة إلى الحاكم الفاضل، وهي تعليمات صارمة للسياسة الرشيدة، وهذا يدل على أن الحاكم الفاضل في نظر في الكونفوشيوسية ليس دوره للتسلط فحسب، بل هو راع يجمع بين الأخلاق الحميدة وبين الكفاءة الفائقة أيضاً، وهو المثل الأعلى يُسمى عند الكونفوشيوسية بـ " الملك الحكيم " الجامع بين سلطانه الأعلى وبين أخلاقه الأسنى ظاهراً وباطناً. وصارت أقواله وأفعاله قواعد ضابطة لجميع الناس، وكانت الآداب والقوانين التي منها سائرة و شائعة في أنحاء البلاد، نفعاً للبشرية مع مرور الأجيال والعصور القادمة.

原文：《诗曰》：“在彼无恶，在此无射。庶几夙夜，以永终誉。”
君子未有不如此二蚤有誉于天下者也。

今译：《诗经·周颂·振鹭篇》说：“夏，殷二王的后代，现在是我周朝的客人，他们在自己国家里没有人厌恶他，来朝廷助祭的时候，也没有一个人厌恶他。差不多朝朝夜夜，可以永远保全这个名誉了！”君王没有不这样，而能在天下很早享有盛名的呀。

نص القطعة الثالثة:

" وقال سفر القصائد في ذلك مدحاً: ما من أحد في وطنه^{٢٥٥} يرغب عنه، بل حباً وعشقا، وما من أحد في بلادنا يبتعد عنه بل قرباً ورضواناً. يجتهد في سعيه وراء الخير والفضل لئلا

٢٥٤- للشرح الجامع للكاتب الأربعة، قسم كتاب الوصية والاعتكاف، ج ١، الصفحة ٢٦

٢٥٥- وأما الضمير المحمود في هذه البيوت، فكما ذكر في تمهيد الشعر هذا حيث قال المراد به الأخيرين الوافدين من إمارتي " سونغ " و " تشي " إلى بلاط الملك لمملكة " تشو " المركزية، في عهد هؤلاء الأمراء الوافدين بين يدي الملك. وقيل: إن الضمير المحمود في الشعر يزداد به خلاصة إلى الأخير " وي تشي " الذي اشتهر بين العام والخاص بصلاحه وفضيلته، وكان أول أمير لإمارة " سونغ " عند إقطاعها عن مملكة " تشو " المركزية وقتئذ.

ونهاراً، فتشتهر سمعته الفاضلة مع مرور الزمن حمداً وذكرًا.^{٣٥٦} فما من الحاكم الفاضل إلا وهو أموة حسنة كما وصفه الشاعر هنا في نشر شهرته المبكرة في قلوب الناس سمعاً وطاعة.

الشرح :

وهذه القطعة تتبع القطعة السابقة يبين فيه المؤلف أن الحاكم الفاضل يهتدى إلى منهاج الوسطية والاعتدال، وينصب من نفسه قدوة حسنة على رعيته، وينال الثقة منهم بأخلاقه الحميدة. وأورد المؤلف هنا قصيدة من سفر القصائد، مدحا للأمير "وى تس"، تأكيداً على المهمة الأولى للحاكم الفاضل، وهي تهذيب نفسه وإصلاح ذاته على منهاج الوسطية والاعتدال.

وقال الحبر "كونغ بينغ دا" في بيان معاني القطعة هذه: "أورد المؤلف القصيدة التي تصور مشهد مثول الأمراء في بلاط الملك "ؤو زانغ" وعلى رأسهم الأمير "وى تس" من الإمارة "سونغ"، فمدح الملك "ؤو زانغ" في مأدب استقبلهم أن الأمير "وى تس" من ذوى الأخلاق الحميدة، فأحببه شعبه في بلده، كما نال رضواناً جفاً من العلم والخاص عند عاصمة مملكة "تشو" المركزية، وهو يسعى وراء الخير والفضل صباحاً ومساءً، فسيبقى حسن شهرته دائماً، تمثيلاً لفضائل الحاكم المثالي في سجل التاريخ".^{٣٥٧}

وفي الحقيقة، كان المؤلف "تس سي" يريد أن يعبر هنا بإيراده قصيدة المدح والثناء على سلوك الأمير "وى تس" عن الحياة المثالية التي يركض علماء الكونفوشيوسية وراءها طول حياتهم، لكي يظهروا بها القيمة الإنسانية الكاملة عندهم؛ حيث في نظر الكونفوشيوسية أن رسالة الحياة بالنسبة إلى رجل فاضل هي : إلى تهذيب الذات بالأخلاق الحميدة أولاً، وتحقيق الطموحة العظيمة في إصلاح المجتمع بفكرة الرحمة (رين) وتحقيق السياسة الرشيدة ثانياً، ونشر الأمن والسلام تحت السماوات والأرض نهائياً.

٣٥٦- سفر القصائد، قسم الأنتيد الطقوسية للمملكة "تشو"، الصفحة ٣٧٢.
٣٥٧- شرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، الجزء الثاني، كونغ بينغ دا، الصفحة ٣٨٩.

第三十章

原文：仲尼祖述尧舜，宪章文武，上律天时，下袭水土。譬如天地之无不持载，无不覆帔。譬如四时之错行，如日月之代明。万物并育而不相害，道并行而不相悖，小德川流大德敦化，此天地之所以为大也。

今译：仲尼能奉尧舜为宗，传述他们最高的道德，效法文王，武王，彰明他们最完备的法制。随时应变，上而取法天时自然的变化，下而严守范围，遵从水土自然发展之理。譬如地，没有一物不承载在它上面，譬如天，没有一物不覆盖在它下面。譬如春，夏，秋，冬，交替运行，譬如日月往来，交互照明。万物竞相繁育而不相妨害，大道如日月相互照明而不相违背。从小德看，像河川一样脉络分明而流动不息；从大德看，资源本厚，化育无穷。由此可以体察到天地之大了。

الفصل الثلاثون

التمهيد:

وفى هذا الفصل أتى المؤلف " تس سى " على المآثر العظيمة للأستاذ كونفوشيوس، من حيث إنه ورث تعاليم مكارم الأخلاق من الملكين الحكيمين " يائو " و " شون " وهما من أشهر الملوك الحكماء القدامى قبل عشرين قرناً قبل الميلاد فى تاريخ الصين القديم، كما أنه اقتدى بملوك الملكين الصالحين " زون وانغ " وابنه " زو وانغ " لمملكة " تشو "، وكان مجتمع الصين القديم التقليدى قد بلغ إلى مرحلة الازدهار والفضج فى أثناء حكمهما نظامياً وسياسياً، وبينما كان الأمير " تشو فونغ " شخصية حاسمة فى هذا المجال، لأنه هو الذى وضع النظم والآداب وأكملها، وهذه ما يعرف بـ " آداب تشو " فى تاريخ الصين القديم، وهى سلسلة من النظم والقوانين تشمل جميع المجالات المختلفة خلقياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فاتخذها الأستاذ كونفوشيوس قدوة حسنة لبناء الحكم الرشيد فى عصره، وقد بذل أقصى جهوده فى سبيل نهضة هذه الثقافة وآدابها القويمة ودعوة الأمراء والحكام إليها، لى يُعيد البلاد والمجتمع من حالة الاضطراب وحرب الشعواء

إلى حالة الاستقرار والسلام الناعم. وبما قدم من مساهمات جليلة في وراثته ثقافة الصين القديمة وتطويرها، شبه المؤلف " تش سي" في هذا النص مآثر الأستاذ كونفوشيوس بفضائل السماوات والأرض والشمس والقمر، التي لا يستغنى عنها الإنسان في حياتهم الواقعية هدى ونورا.

النص:

" كان الأستاذ ' جونغ يي ' ^{٣٥٨} يروى تعليمات الملكين الحكيمين " ياؤ " و " شون " ^{٣٥٩} فاتخذ مكارم أخلاقهما رشداً وهدى. كما يقتدى بمآثر الملكين الصالحين " يُونْ وَاَنْغ " و " وُوْ وَاَنْغ "؛ فقام بنهض نظام الآداب في عصره إصلاحاً وتجديداً. وهو من الأعلى اتبع القواعد التي تبادل بها الظواهر الفلكية في المواسم والطُفوس، ومن الأدنى اتفق مع المناظر البيئية والسموات التي تختص بها البلدان المختلفة. فإن السماوات تغطي كل الكائنات عناية، والأرض تحمل ثقل جميع الموجودات مهداة، والفصول الأربعة السنوية تتعاقب معتدلاً، والشمس والقمر يطلع ويغرب إضاءة. فكل الخليقة بين السماوات والأرض ينمي جنباً بجانب ويتعايش بعضها مع البعض انسجاماً وازدهاراً، وجميع الطرق في جريان الحوادث الكونية بين السماوات والأرض يناسب بعضها بعضاً بلا ضرر ولا ضرار. وإن المآثر الصغيرة للسماوات والأرض تسيّر دائماً مستمراً كالأنهار تجري واضحة سيرها ومترابطة فروعها، وإن الفضائل الكبيرة للسماوات والأرض تربي الكائنات كلها وتنميها ازدهاراً، وهذا هو السبب الذي يصبح به السماوات والأرض عظيمة وكبيرة. "

الشرح:

يقين " كونغ بينغ دا " مقاصد هذا النص وقال: " أشار المؤلف " تش سي" في هذا الفصل إلى أن فضائل الأستاذ كونفوشيوس كان مثله في تهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع مثل مآثر

٣٥٨- " جونغ يي " : لقب الأستاذ كونفوشيوس، ذكر هنا بلقبه تشوفاً وتعظيماً.

٣٥٩- الملك الحكيم " ياؤ " قد عرفناه في التمهيد، ممكن الرجوع إليه . وأما الملك الحكيم " شون "، قد ذكرناه في الفصل السادس والفصل السابع عشر على صورة تفصيلية، فارجع إليه.

السموات والأرض في تنمية الكائنات وتطويرها سموا وعظما، وهو الوارث الروحي للحكيم
القديمين "يَاو" و"شون" مصدرا فكريا، والمقتدى المجتد بالملك الحكيم "وون وانغ" وابنه
الملك الحكيم "وو وانغ" منها تطبيقيا.^{٢٦٠}

قال "تشين تشونغ" ^{٢٦١} في شرح القول في النص " يروي تعليمات الملكين الحكيمين
القديمين "يَاو" و"شون" فاتخذ مكارم أخلاقهما رشدا وهدى"، وقال إنهما قد وصلا إلى كمال
شخصيتهما بمكارم الأخلاق، فالتقى بهما الأستاذ كونفوشيوس وينسب طريقته إليهما منبعا فكريا.
وأما الكلام فيه ' يقتدى بمآثر الملكين الحكيمين "وون وانغ" و"وو وانغ"، فقام بنهض نظام
آدابهما إصلاحا وتجديدا؛ لأن النظم والقوانين في عهد المملكة لأسرة "تشو" قد بلغت كمالها
مجهزة تامة، فالأستاذ كونفوشيوس تمسك بهذه النظم والآداب واتخذها إرشادا وتديلا".^{٢٦٢}

وقد اتفق العلماء الكونفوشيوسيون على أن الأستاذ كونفوشيوس قد ورث مهمة عظيمة من
الملكين الحكيمين القديمين "يَاو" و"شون" كمرجع فكري أسيسي، ومن الملكين الحكيمين "وون
وانغ" و"وو وانغ" - مؤسسا مملكة أسرة "تشو" - كمصدر تطبيقي أصولي، حيث ورث
قواعد النظم والآداب من المملكة "تشو" وطورها تجديدا، لكي يحاول بإصلاحه هذا على إعادة
المجتمع المضطرب إلى حال السلام والازدهار مرة أخرى. وهذه هي التعليمات الكونفوشوسية
ومقاصدها الفكرية التي تسعى ورائها. فكان عهد الملكين الحكيمين القديمين "يَاو" و"شون" في
نظر الكونفوشوسية عهدا شائع الطريق المستقيم فيه، كما اتخذوا عصر الملكين الحكيمين "وون
وانغ" و"وو وانغ" عصرا مزدهرا بنظام آدابه الكاملة، فاعتبروا هذين العهدين معيارا للمجتمع
المثالي ورمزا لفترات السلام والرخاء في تاريخ الصين القديم. وكان الأستاذ كونفوشيوس في مع

٢٦٠- انظر: شرح والتطبيق للكتب الثلاثة عشر، الجزء الثاني، كونغ ييلنغ داء، الصفحة ٢٩٠.

٢٦١- تشين تشونغ: المعلم الكونفوشوسي (١١٥٩م - ١٢١٧م) في عهد الأسرة "سونغ" الجنوبي، وهو من أشهر ملاب للعلامة
"جو شي"، وله متجزات كبيرة في البحث والنزاسة في مذهب الكونفوشوسية، وخاصة في دعوته إلى الاتجاهات العقلية لأستاذ
العلامة "جو شي"، وقد ترك مؤلفات عديدة، وجمعت في مجموعة المسود "تي شي" الكبيرة تحتوي على خمسين مجلدة. انظر إلى
موسوعة الفلسفة الصينية، الصفحة ٥٣٥.

٢٦٢- انظر إلى التشرح اللفظي لكتاب الوسطوية والاعتدال: لن كا هونغ، الصفحة ٢٧٢.

أنه لم يحصل على عزة السلطان في حياته واقعيًا، ولكنه قد تمتع بكمال مكارم الأخلاق من حيث إنه أصبح وارثًا روحيا لهؤلاء الملوك الحكماء السلف ومصطلحا فكريا ترك أثرا عميقا في تكوين شخصية مجتمع الصين كلها، فيقلبه العلماء الكونفوشيوسيون بـ "الملك الحكيم بدون العرش".

وشرح هذا النص للعلامة "جوشى" وقال: "كلامه ' وهو من الأعلى أتبع القواعد التي تبادل بها الظواهر الفلكية في المواسم والطقوس ' أى كان يعرف القوانين الكونية ويتمشى معها. والعبارة في النص: ' ومن الأدنى اتفق مع المناظر البيئية والمؤثرات التي تختص بها البلدان المختلفة: ' يعنى إدارة أمور البلاد بحسب الحقائق الثابتة فيها مناسبة للأوضاع والأحوال لها.^{٣٦٢} وكل ذلك يدل على أن الأستاذ كونفوشيوس فائق حكمته واسع معرفته، ومن الأعلى تتناول علومه علم الفلك فيطبع السنة المملوئية، ويناسب سلوكه لها تماما، ومن الأدنى يعرف أحوال بلاد الصين وسكانها، فوجه فيها وفقا للحاجات الواقعية.

ثم قام المؤلف " تس سى " بالمدح والثناء على الفضائل العظيمة للسموات تغطى كل الكائنات تحتها عناية، وللأرض تحمل ثقل جميع الموجودات عليها مهدا، والماثر الكبيرة للشمس والقمر إضاءة على الأرض، وتعاقب الفصول الأربعة معتدلا. وفي أسلوب الحمد والثناء على المظاهر الطبيعية مجاز وكناية للمدح والثناء على الفضائل الجليلة للأستاذ كونفوشيوس، فمثله كمثل السموات في ستورها لكل الكائنات عناية، ومثل الأرض في حملها لثقل جميع الموجودات عليها مهدا، ومثل تصرفات الأستاذ كمثل الفصول الأربعة السنوية في تعاقبها معتدلا، ومثل الشمس والقمر في تغيراتهما من الطلوع والغروب إشراقا وضياءا. يبين المؤلف بهذا الضرب أن منهاج الوسطية والاعتدال الذي جاء به الأستاذ كونفوشيوس هو واسع عظيم وشامل كامل!

والقول في النص " فكل مخلوق بين السموات والأرض ينمى جنبا بجنب ويتعاش بعضهما مع البعض انسجاما وازدهارا، وجميع الطرق في جريان الحوادث الكونية بين السموات والأرض يتناسب بعضها بلا ضرر ولا ضرار " وهذا القول وجيز اللفظ عميق المعنى قد

٣٦٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال، جوشى، الصفحة ٢٦- ٢٧.

تبيّن لنا أن الكون في نظر الكونفوشيوسية يمتلئ بأحكام الطبيعة المتنوعة لا تحصى لها ولا تعدّ، وفي هذه القوانين الكونية لا نجد تعارضا ولا تناقض، بل كل الكائنات الموجدة بين السماوات والأرض ينمى جنباً بجنب ويتعايش بعضها مع البعض انسجاماً وازدهاراً، وهذه هي الأصول الأساسية للنظرية الكونية الكونفوشيوسية، فالإنسان صفوة الموجودات في الكون، فلا يمكن للإنسان أن يقيم سعادته على أساس إضرار الكائنات الأخرى وإيذائها، كما لا يمكن لدولة أو أمة أن يبنى تطورها وازدهارها على أساس إضرار ومعاانة الأمم الأخرى، ويؤكد الكونفوشيوسية بهذه النظرية الكونية تأكيداً كثيراً أن الإنسان جميعه باختلاف أقوامه ودوله، عليه أن يتعايش ويتقدم معا ويتعاون جنباً بجنب.

وعلى أساس هذه النظرية الكونية الأخلاقية، قد كوّنت الكونفوشيوسية مسئولية الوعي والإدراك في حماية البيئة، تدعو إلى المعيش المنسجم مع عالم الطبيعة وإلى العلاقة المتفقة بينها وبين جنس الإنسان، فقال كتاب الحوار في ذلك: " كان الأستاذ يصيد السمك بالشص لا بالشبك، و يصيد الطير بالسهم إذا طار في الجو ولا يصيده إذا بات في عشه." ^{٢٦٤} كما أن هذه النظرية الكونية قد أثرت في السياسة الرشيدة الكونفوشيوسية، فتدعو إلى تعميم السلام والسعادة تحت السماوات والأرض، فلا تصادم بين الشعوب في العالم ولا تعارض بين الثقافات المختلفة، بل تنشذ الانسجام والوئام بين الإنسان والطبيعة.

والقول في النص " وإنّ المآثر الصغيرة للسماوات والأرض تسير دائماً مستمراً كالأنهار تجري واضحة سيرها ومترابطة فروعها، وإنّ المآثر الكبيرة لهما تربى الكائنات كلها وتتميها ازدهاراً، وهذا هو السبب الذي صار به السماوات والأرض عظيمة وكبيرة." وهذا أيضاً يبيّن حقيقة السنة السماوية في عنايتها بالنشأة والتمية للموجودات المتنوعة في الكون بأمره. وقال العلامة " جُو شِي " في شرح ذلك: " ستور السماوات للكائنات عناية وحمل الأرض لثقلها مبهاداً، وتعاقب الشمس والقمر طلوعاً وغروباً وتتابع الفصول الأربعة السنوية ذهاباً وإياباً. وكل

ذلك يدل على أن تعدد الكائنات وتنوعها بلا ضرر ولا ضرار نتيجة الفضائل الصغيرة للسموات والأرض في سيرتهما المتحركة الدائمة، كما كان تعايش الموجودات وإزدهارها جنباً بجنب مسبب الفضائل الكبيرة للسموات والأرض في ثباتهما الساكن الواسع، الفضائل الصغيرة هي الأعراض الجزئية للكل، والفضائل الكبيرة هو المرجع الكلي للتغيرات. وكان المؤلف يتكلم هنا عن فضائل السموات والأرض، ويستعمل أسلوب التشبيه لبيان ما ذكر في النص السابق.^{٣٦٥} أي كان المؤلف "ثس سي" يشبه دورة الأستاذ كونفوشيوس وفضائله في إرشاد الناس وإصلاح المجتمع بمآثر السموات والأرض في حفظهما على سلام تنمية الخليفة وتطورها.

٣٦٥- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوصية والاعتقال، جو شي، الصفحة ٢٧.

第三十一章

原文：唯天下至圣，为能聪明睿智，足以有临也；宽裕温柔，足以有容也；发强刚毅，足以有执也；齐庄中正，足以有敬也；文理密察，足以有别也。

今译：只有天下最伟大的圣人，才能聪无不闻，明无不见，睿无不通，知无不达，自然完全能够做君主统治天下了。有了仁，宽宏舒裕，温和柔顺，完全能够包容天下。有了义，奋扬强壮，刚健峻毅，完全能够固守正理。有了礼，齐肃庄严，执中守正，完全能够恭敬处事。有了智，文章条理周密，精审详察，完全能够明辨事理。

الفصل الواحد و الثلاثون

التمهيد:

إن الحكيم هو أعلى المثل لشخصية إنسانية قد نال تقديرا وتقديسا عند الكونفوشيوسية، أشار المؤلف "تس سي" في هذا الفصل إلى أنه لا يمكن أن يحمل المسؤولية الخطيرة لحكم البلاد وإدارتها إلا الحكيم الكامل الأخلاق يستحق به أن يكون حاكما وملكا لها. إذن، كيف كان الحكيم يُعتبر في نظرية "تس سي"؟ وما هي مؤهلاته ومواهبه الطبيعية التي يجب على الحكيم أن يتصف بها؟ وفي هذا الفصل يخبرنا المؤلف أن الحكيم فطين غاية الفطنة يأتي بالحكمة والمعرفة فطريًا، فهو بصير وحكيم مدرك، وعارف بكل شيء. بينما يتمتع بغاية السمى بمكارم الأخلاق، وفضلا عن ذلك متصف بالصفات الأربعة العظيمة من الرحمة والاعتدال والأدب والمعرفة، ويبلغ المقام الأعلى الخلقى، ألا وهو صفة الصنق والإخلاص؟ فلذا إن الحكيم هو الذى له قدرة كاملة يحمل بها مهمة حكم البلاد وسياستها، ويتقن إدارة التربية والتعليم للناس عامة، ويبتث السلام والأمن تحت السماوات تامة.

وهذا الفصل انقسم إلى ثلاث قطع، والقطعة الأولى التالية سوف تصور لنا هذه الصفات

العظيمة عند الحكيم عند الكونفوشيوسية بصورة واضحة، نأتى إليها :

نص القطعة الأولى:

" ما من أحد تحت السماوات إلا الحكيم الأعظم ببعيد نظره وفطير ذكائه، متأهل ليكون ملكا راعيا لجميع الشعوب؛ إذ كان بصفته في التسامح والحنان كفى به رحيمًا وحليما لرعيته، وبصفته في العزم والصلابة كفى به ثابتًا وحازما لأوامره، وبصفته في الاعتدال والوقار كفى به ورعا ويقظا لنواحيه، وبصفته في كمال التفكير ووضوح البيان كفى به فاصلا بين الحق والباطل لإرشاد رعيته. "

الشرح:

قد شرح "جيفغ شولن" مقاصد هذا النص بمعناه الإجمالي وقال: " إذا لم يتَّصف ملك بتلك الصفات، ولم يبلغ المقام الأخلاقي الذي ذكر في هذا النص، فهو لا يقدر على أن يملك البلاد ويحكمها. وفي الحقيقة كان المؤلف " تس سي" يعبر في هذا النص عن تأسفه للشديد على أن الأستاذ كونفوشيوس لم يقدر له من نيل عزة التسلط والحكم مع أنه قد اتَّصف بتلك الصفات ووصل إلى المقام الأخلاقي جميعا." ^{٣٦٦}

وأول شيء للملك الحكيم الذي أشار إليه هذا النص هو أنه لابد أن يتَّصف بالبصيرة والحكمة والعقل بعيد النظر، وإذا اتَّصف بهذه الصفة فقد كفى به أن يحكم جميع الناس، لأنَّ مع هذه الصفة الخلقية يأتي إلى اتصافه بمكارم الأخلاق كلها مثل التسامح والحنان، والعزم والصلابة، والإعتدال والوقار، وكمال التفكير ووضوح البيان كما جاء في النص. وقال العلامة " جو شي" في شرح معاني هذا النص: " إن كمال البصيرة والحكمة وبعيد النظر لا يتَّصف أحد بهذه الصفات إلا مفطورا عليها." ^{٣٦٧} أي هذه الصفات ليست مكتسبة بجهود الإنسان، بل مفطور بالسماء (تيآن). وهذا الكلام للعلامة " جو شي" يليق ما ذكر في القطعة الثالثة عشر من الفصل العشرين: " والمخلص الصادق يحسن ويعتدل في أفعاله بدون كسب وكلفة، وينال الحق واليقين

٣٦٦- الشرح والتطبيق للكتب الثلاثة عشر، " كونغ بينغ دا "، الجزء الثاني، الصفحة ٣١٥.

٣٦٧- الشرح الجليح للكتب الأربعة، جو شي، الصفحة ٦٩.

بدون جهد ولا تفكر، ويوافق في أخلاقه وسلوكه مع منهاج الوسطية والاعتدال بهدوء وأناة، ألا وهو الحكيم ! " وأما الأخلاق التي تُكرت في هذا النص من صفات التسامح والحنان - العزم والصلابة - الاعتدال والوقار - كمال التفكير ووضوح البيان، فهي في نظر العلامة " جو شي " مقابلة لمبادئ الأخلاق الأربعة الأساسية من الرحمة والعدل والآداب والحكمة عند مذهب الكونفوشيوسية.^{٣٦٨}

وقوله في النص " كان بصفته في التسامح والحنان كفى به رحيمًا وحليماً لرعيته. " يعنى أنه ذو مكارم الأخلاق الكاملة من طباع لطيفة ورحب الصدر يسع كل شيء، وهذه من صفة الرحمة. وقوله " وبصفته في العزم والصلابة كفى به ثابتًا وحازمًا لأوامره. " يراد به أنه يفكر على تحديد النظم والآداب، ويعطى من نفسه مثالا بتطبيقها، وهو صارم وصاب العزيمة في العمل بها، وهذه من صفة العدل. والقول فيه " وبصفته في الاعتدال والوقار كفى به ورعا ويقظا لنواحيه " يعنى أنه ساكن ومهيّب يعتدل في معالجة الشؤون السياسية بدون أى تفريط ولا إفراط فيها، وبذلك ينقاد له من جميع الناس بالتقدير والإجلال، وهذه من باب الآداب. وأما العبارة " وبصفته في كمال التفكير ووضوح البيان كفى به فاصلا بين الحق والباطل لإرشاد رعيته " فهذا يعنى أنه باعتباره الملك الحكيم على مكانة شريفة، كان متميزا واضحا بين الصواب والخطأ وثاقب النظر ودقيق الملاحظة في حقائق الأمور، وهذه من باب العلم والحكمة. " ^{٣٦٩}

يرى المؤلف " تس سي " في هذا النص أن الحكيم الكامل الأخلاق كان مفطورا على جبلة الفطنة والبصيرة ونفاذ الرؤية والحكمة والعقل بعيد النظر وكان متصفا بالأخلاق الأربعة من الرحمة، والعدل، والآداب، والمعرفة، فكفى به أن يقابل كل الأمور في حكم الدولة بربط جاش ويعالج بهدوء وأناة مشاكلها الشتى على أحسن وجه. فضلا عن ذلك إن ما تصرف به الحكيم الكامل الأخلاق من القول والفعل وما حذره من النظم والآداب، وكل ذلك سوف يكون خيرا

٣٦٨- انظر: الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، الصفحة ٦٩.

٣٦٩- انظر: إلى البر المتقى - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، ليو تينغ يو وكون شينغ تشونغ، دار طباعة الديمقراطية والقانونية بالصين ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى، الصفحة ٢٢٠.

معروفا وفضلا كبيرا على الناس جيلا بعد جيل، ويستفيد الإنسان منه سواء كان قريبا أو بعيدا. وسوف يتحدث المؤلف حول هذا الفضل الكبير والخير المعروف للحكيم الكامل الأخلاق في القطعتين التاليتين، ويفصله مزيدا من الدقة والعمق، لننظر الآن إليها فيما يلي:

原文：溥博渊泉，而时出之。溥博如天，渊泉如渊。见而民莫不敬，言而民莫不信，行而民莫不说。

今译：至圣的德，广阔博大像深不可测的泉水，时时涌出，无穷无尽。圣人周遍广阔好像是天一样，静深有本，好像泉水一样。人们见到他的仪容，没有一个不尊敬；听到他的命令，没有一个不信从；看到他的政事，没有一个不欢悦。

نص القطعة الثانية :

" وإن فضائل الحكيم الكامل الأخلاق واسعة وشاملة مثل ماء النبع العميق ينبع في كل أن ولا ينقطع، وإن أخلاقه عظيمة مثل السماوات الشاسعة، وعميقة مثل ينبوع في الهاوية بعيد قعرها. فلذلك، الحكيم الكامل الأخلاق لا أحد يرى ملامحه إلا تملكه إحساس بالمهابة والإحترام، ولا أحد يسمع كلامه إلا صدقه تصديقا ثابتا، ولا أحد يشاهد أفعاله إلا سره سرورا وإعجابا. "

الشرح:

هذه القطعة تتابع القطعة السابقة وتوضح بخطوة إلى الإمام الشخصية المثالية للحكيم الكامل الأخلاق ومزلقته السامية الخلقية. وقال " كونغ بين دا " في ذلك: " إن هذه القطعة فسرت أكثر فأكثر أن الأستاذ كوتفوشيويس يكن كل ما يتصف بها الحكيم الكامل الأخلاق من الفضائل والمآثر، ويظهرها في وقت يليق به ظهورها. ولا مكان يشرق فيه الشمس ولا أرض يضيء القمر عليها إلا وأهله يقدره تقديرا ويعجبه إعجابا. " ٣٧٠

وقال العلامة "جو شي" في شرح المعاني اللفظية لهذه القطعة: " القول فيها ' فضائل الحكيم الكامل الأخلاق واسعة وشاملة ' أي أخلاقه واسعة وبعيد المدى في تأثيرها على حياة

٣٧٠- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر كونغ بينغ دا، الجزء الثاني، الصفحة ٣٩٢.

الإنسان. والقول فيها ' ماء النبع العميق ' أى هو ساكن وعميق، وله مصدر أصلى يصدر منه الماء. والكلمة فيها " ينبع " أى يعين ويرى. ويراد هنا أن الفضائل للحكيم الكامل الأخلاق (وهي البصيرة و الحكمة والعقل بعيد النظر مع الرحمة والعدل والأداب والمعرفة) ممتلئة فى باطنه وكامنة فى داخل قلبه ومكتشفة ومشاهدة فى ظاهره بتصرفاته فى الوقت المناسب لها.^{٢٧١}

وفى نظرة المؤلف " تنس سي " أن صفة الصدق والإخلاص هى حالة من الحالات الباطنية تكمن فى داخل قلب الحكيم الكامل الأخلاق، كما أنها مصدر أصلى يصدر عنه البصيرة والحكمة والعقل بعيد النظر مع الأخلاق الأربعة من الرحمة والعدل والأداب والمعرفة، لأن صفة الصدق والإخلاص هى قاعدة أساسية للفضائل كلها، وهذه الفضائل الخمسة تكمّل فى تصرفات الحكيم الكامل الأخلاق وفى سلوكه الظاهرة، فلذا يشاهد الناس مكارم أخلاقه ويراهم بقوله وفعله. ويبدو أن المؤلف تفى فى هذا النص على الفضائل والمآثر للحكيم الكامل الأخلاق عموماً، ولكن يشير به إلى الأستاذ كونفوشيوس خصوصاً.

原文：是以声名洋溢乎中国，施及蛮貊；舟车所至，人力所通，天之所覆，地之所载，日月所照，霜露所队，凡有血气者，莫不尊亲，故曰配天。

今译：所以，他的名声充满华夏，并且逐渐传播到边远的南蛮北貊等少数民族地区，凡是车船可通到的地方，凡是车人力可通的地方，凡是天所覆盖的地方，凡是地所承载的地方，凡是日月照临覆盖的地方，凡是霜露所坠落的地方，这些地方凡是有血气的人，没有一个不尊他为君主，亲他如父母。所以说至圣的德与天相匹配。

نص القطعة الثالثة:

" فذاعت سمعته على بلاد الوسط^{٢٧٢} كلها، حتى امتدت شهرته بعيدة إلى بلدان هجيّة

٢٧٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، ج ١، دار الكتب " قش-لو"، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٢، الصفحة ٢٧.
٢٧٣- بلاد الوسط : وفي الزمن القديم البدائي كانت أمة " هوا تشيا " أمّس مملكتها في وادي النهر الأصفر الخصيب الذي يتدفق عبر سهل شمالها، وهم أباء أهل الصين الآن، وقد ظنوا أن بلادهم تقع في وسط العالم، فسموا هذه البلاد الوسط، كما سموا الأراضي الأخرى المحيطة بها بالجهات (الأربعة)، واعتبروا هذه البلاد بلداناً هجيّة غير متقدّية، فكان بلاد الوسط سمار اسماً شرفاً لبلاد الصين في اللغة الصينية منذ ذلك الوقت.

في جنوبها ومناطق شمالها.^{٢٧٣} وأى مكان يمكن أن يصل إليه المركب والعربة، وأى أرض يستطيع الإنسان إليه سبيلا، وأى مكان يستره السماوات الزرقاء، وأى مكان تحمل الأرض ثقلها، وأى أرض يغطيها أشعة الشمس وضوء القمر، وأى مكان ينزل عليه الثلج والمطر، فليس كل واحد من أهل هذه الأماكن إلا وهم يقدرونه تقديرا عظيما ويحبونه حبا جما. فنقول إن الفضائل والمآثر للحكيم الأعلى يمكن أن يملك بالسماوات المرتفعة. "

الشرح:

وهذه القطعة جاءت لتلخيص القطعتين السابقتين تتحدث على أقصى تقدير عن عظمة الفضائل و المآثر للحكيم الكامل الأخلاق، وانتشار شهرته في بلاد الصين بأسرها، وأى أرض ما دام يعيش فيها البشر يحترمونه احتراما كبيرا ويحبونه حبا جما. وقال العلامة "جو شي" في شرحه: " الكلام في هذا النص ' أى مكان يمكن أن يصل إليه المركب والعربة، وأى أرض يستطيع الإنسان إليها سبيلا ' هو حديث على أقصى تقدير عن المدى لإنتشار شهرته. ولما القول ' إن الفضائل والمآثر للحكيم الكامل الأخلاق يمكن أن يماثل بالمساوات المرتفعة ' فالمراد بها أن تأثير الفضائل للحكيم الكامل الأخلاق ومآثره على الناس في أماكن كثيرة مثل السماوات الواسعة لتستورها الأرض كلها." ^{٢٧٤}

نبين هذا النص أن الحكيم الأعظم قد شاعت سمعته في بلاد الصين كلها حتى إلى البلدان خارجها، يعتقد الناس جميعهم بنظريته الأخلاقية ويحترم شخصيته العظيمة. وقد اتفق العلماء الكونفوشيوسيون كلهم على أن المراد بالحكيم الأعظم هنا هو الأساذ كونفوشيوس نفسه، حيث قد انتشر التعاليمات الكونفوشيوسية بعد وفاته انتشارا واسعا، فمنذ بداية عصر الممالك المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م)، قد صارت الكونفوشيوسية على رئاسة النظرية والاتجاهات الفكرية بارزة مؤثرة في مجال الفلسفة والأيدولوجية داخل الصين وخارجها حتى يومنا هذا.

^{٢٧٣}- بلاد جنوبها ومناطق شمالها: يشير إلى التوجهات غير المتصية إلى أمة "موا شيا" الذين يمشون حول وسط البلاد.

^{٢٧٤}- القرح الجلع لكعب الأريمة، جو شي، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٩٩.

وقال "جينغ رون واه" - العالم الكونفوشيوسي من جنوبي كوريا - في شرح هذه القطعة :
" وفي هذا الفصل أثنى المؤلف على الأستاذ كونفوشيوس أبلغ ثناء، باعتباره الحكيم الأعظم
يمثل السماوات الزرقاء المرتفعة بمكارم أخلاقه السامية، وقد حصل على التقدير والاعتناق من
كثير الناس، كما أنه صار ولي السماء (تيان) بفضائله النبيلة ومآثره العظيمة، وإذا نقرأ هذا
النص بالتفكير والتأمل في معانيه لنفهم هذا المجد البالغ والثناء الفائق عليه. وذلك كما سُمي ويلقب
بـ "الحكيم الأعظم والأستاذ الأول"، وما زال هذا لقب الشرف منقوشاً بخط واضح على الحجرة
أمام قبر كونفوشيوس في مسقط رأسه حتى يومنا هذا. " ٣٧٥

٣٧٥- أنظر: منهاج الوسطية والاعتدال - حكمة الإنسان العليا، بتأليف جينغ رون واه، كوريا الجنوبية، بترجمة جينغ تى تشنغ،
دار الطباعة هاي نان، ٢٠١٢م، الصفحة ٢٣١.

第三十二章

原文：唯天下至诚，为能经纶天下之大经，立天下之大本，知天之化育。夫焉有所倚？肫肫其仁，渊渊其渊，浩浩其天。苟不固聪明圣知达天德者，其孰能知之？

今译：只有天下至诚的圣人，才能掌握治理国家大事的法则，建立天下的大根本，知道天地变化生育的道理。除了诚，还有什么可依旁呢？至诚有肫肫然恳至的样子，这是他心里的仁德；至诚有渊渊然静深的样子，这是他心里的本源；至诚有浩浩然广大的样子，这是他心里的昊天。如果不是实实在在具有聪明圣哲的资质，能通达天赋的仁义礼智信大德，那么，有谁能知道是他（孔子）呢？

الفصل الثانى والثلاثون

التمهيد:

وقد أكد المؤلف "تس سي" فى هذا الفصل اتصالاً وثيقاً بين صفة الحكمة والبصيرة وبين صفة الصدق والإخلاص عند الحكيم الأعظم، وبين أن صفة الإخلاص والصدق باعتبارهما المقام الأخلاقى الأعلى لا يقدر على إتمامها إلا الحكيم الكامل الأخلاق، وبعبارة أخرى إن فضائل الحكيم الأعظم لا تكون كاملة إلا بصفة الإخلاص كل الخلوص وبصفة الصدق غاية الصفاء، فيرى "تس سي" أن الحكيم الأعظم (الأستاذ كونفوشيوس) هو الذى بلغ قمة الإخلاص وغاية الصدق - هذا المقام الأسمى - فى مكارم أخلاقه. وبالجمله، صفة الصدق والإخلاص الكامل صفة تقوم عليها قواعد سياسة الدولة ومبادئ تهذيب النفس وأصول تنمية الخلق، فلا يتمتع بهذا الخلق العظيم إلا الحكيم الذى يجمع بين علو الرشد وسمو الفضيلة.

النص:

"إنما الحكيم بكل إخلاصه يقدر على أن يتقن تنظيم خيوط الحرير المشطه للمبادئ الأساسية العامة إنقاداً، ويستطيع أن يؤسس القاعدة الكبرى الأساسية تأسيساً، ويعرف الحقائق

الطبيعية بتغير الموجودات وتمّوها معرفة تامة. وبدون صفة الإخلاص والصدق، على ماذا يعتمد الحكيم في هذه الأمور؟ انظر إلى وجهه يطفح بسيمات الصدق والإخلاص، وذلك ما انكشفت الرحمة من عمق قلبه، وإلى مزاجه يعتلىء بالسكون والعمق مثل النبع في الهلوية، وذلك ما تجذت معرفته الواسعة وأطلّعه العميق، وإلى مآثره العظيمة بفوض بالعالم كله، وذلك مثل السماوات المرتفعة تستر الخليقة كلها. وبدون الحكمة البصيرة والفضيلة السليمة، فمن يمكن أن يعرف الحكيم الأعظم (كونفوشيوسية) معرفة حقيقية ويفهمه قهما صحيحا؟^{١٩}

الشرح:

قال "جينغ شوان" في شرح هذه القطعة: " صفة المخلص بكل الإخلاص والصدق بغاية الصدق هي صفة مفطورة من السماء (تيان)، وهي صفة الأستاذ كونفوشيوس.^{٢٠} بين العلامة " جو شي" معاني هذا الفصل وقال: العبارة في النص ' تنظيم خيوط الحرير الممشطة ' كان مراده بأمور التنسيج الحريري، يعنى هنا في النص أنه يتقن خطوط الحكم الرئيسية تنسيقا وترتبا، ويجيد فن الحكم والإدارة تنظيمًا وإحكامًا. وقوله ' المبادئ العامة العالمية ' يعنى المبادئ الثابتة الدائمة في العالم لا تتغير أبدًا، هنا يراد بها العلاقات الخمسة الأخلاقية الإنسانية (وهي ما ذكرت سابقًا من علاقة الحاكم ومحكوميه وعلاقة الوالد بولده وعلاقة الزوج بزوجته وعلاقة الأخ بأخيه وعلاقة الفرد بالفرد الآخر أو بصديقه). وأما قوله " القاعدة الكبرى الأساسية " فهي كلّ ما يحتوى عليها الفطر الخير الإنساني. فلذا إنّما الفضائل للحكيم الكامل الأخلاق هي صادقة بكل صدق ومخلصة بكل إخلاص، لا يخلط بها أى باطل ولا كاذبة، فالحكيم الكامل الأخلاق قد حقّق تلك المبادئ الثابتة الدائمة تحقيقًا كاملاً وأدّى الواجبات لها تامة. وكلّ ما فعله وسلّكه صابر قواعدا وضوابطًا للناس، وهذا ما نريد بالقول " إنّما الحكيم الكامل الأخلاق بكل إخلاصه وصدقه يقدر على أن يتقن تنظيم خيوط الحرير الممشطة للمبادئ

٢٧٦- للشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، المؤلف " كونغ بينغ دا"، الجزء الثاني، الصفحة ٢٩٤.

الأساسية العامة إتقانا، ويستطيع أن يؤسس القاعدة الكبرى الأساسية تأسيساً. " ٣٧٧

شرح هذا النص العلامة "جوشي" باستمرار، وقال: "وبسبب أن الحكيم الكامل الأخلاق قد أظهر فطرته الخالصة بكل إخلاص وقد أبدى مزاجه الصادق بكل صدق ولم يخلط بها شيء من الأهواء والميول الإنسانية، وأن كل المبادئ والقواعد يقوم على أساسه (أي أساس للإخلاص والصدق)، فبقول النص هنا "إنما الحكيم الكامل الأخلاق الصادق كل الصدق هو يستطيع أن يؤسس القاعدة الكبرى الأساسية تأسيساً". وأما القول في النص "يعرف الحقائق الطبيعية بتغير الموجودات ونموها" فكان معرفة الحكيم الكامل الأخلاق المخلص الصادق لهذه الحقائق ليست من السمع والبصرة على أساس الحسيات فقط بل يدركها ببصيرته الثاقبة إدراكاً تاماً ويتفق معها إتفاقاً ضمناً، وما كان هذا الإدراك الواسع والمعرفة العميقة للحقائق الكونية عند الحكيم الكامل الأخلاق المخلص الصادق إلا هو بالطبع من إخلاصه غاية الخلوص ومن صدقه غاية الصفاء، ولم يكن معتمداً فيه على شيء بغير هذه الصفة ؟ " ٣٧٨

ثم القول في النص "انظر إلى وجهه يطفح بسمات الصدق والإخلاص، وذلك ما انكشف للرحمة من عمق قلبه، وإلى مزاجه يمثل به بالسكون والعمق مثل النبع في الهاوية، وذلك ما تبذت معرفته الواسعة وإطلاعه العميق، وإلى مآثره العظيمة يفوض بالعالم كله، وذلك مثل السماوات المرتفعة تستر الخليقة كلها." وهذا هو المدح والثناء البالغ على صفة الإخلاص غاية الخلوص وصفة الصدق غاية الصفاء عند الحكيم الكامل الأخلاق، وهذا المقام الأسمى والمعرفة التامة له لا يمكننا أن نتصورها بالألفاظ المجردة فقط، بل يحتاج إلى السعي وراءها والتطبيق الخلقى الدائم في حياته الواقعية، وهذا هو سبب قال به النص في آخر هذا الفصل على الإنكار الاستفهامي: "وبدون الحكمة البصيرة والفضيلة السليمة، فمن يمكن أن يعرف الحكيم الأعظم (كونفوشيوسية) معرفة حقيقية ويفهمه فهما صحيحاً ؟!" وهذا الكلام في النص يخبرنا أنه لا أحد يستطيع أن يفهم الحكيم الكامل الأخلاق فهما تاماً إلا ذوي المقام العالی الذين يضاهونه في

٣٧٧- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٧٠.

٣٧٨- المصدر السابق نفسه.

الأخلاق والفضائل. فلذلك تُحثُّ الكونفوشيوسية الإنسان باهتمامه الشديد على تهذيب النفس وإصلاح الذات، وعلى التضلع من العلم والتعمق بالمعرفة، وتؤكد كثيرا على التطبيق العملي للفضائل في حياته الواقعية لكي يحول حالاته النفسية ويرفع تهذيبه الذاتي ويدرك السنة السماوية والطبيعة الإنسانية بوسع الإدراك والمعرفة؛ لأنه عندما بلغ الإنسان إلى حد بعيد من التهذيب النفسى والإصلاح الذاتى، فسوف ينكشف له مقام الحكيم الكامل الأخلاق كشفا ظاهرا، وهو يدرك الحكيم الكامل الأخلاق إدراكا حقيقيا ويفهمه فهما صحيحا.^{٣٧٩}

وبالاختصار كان فى نظر المؤلف " تس سي" أن الحكيم الكامل الأخلاق أصبح حكيما وبصيرا بسبب أنما أنصف بصفة الإخلاص كل الخلوص وصفة الصدق غاية الصفاء، وهذه هي القاعدة الكبرى الأساسية لجميع الصفات الخلقية عند الحكيم الكامل الأخلاق، وهو على أساس هذه القاعدة الكبرى يشرع بتحديد القوانين والأحكام والآداب للمجتمع الإنسانية، فذلك يسهل عليه كمثل ما ينظر إلى الأرض من السماوات، ومناظر الأرض كلها تكون تحت مدى بصره ظاهرا. فلذا قد تبين فى الفصل السابق أنه لا أحد سوى الحكيم الكامل الأخلاق له صفة متاهلة لتأسيس الخطوط الكبرى لتنسيق الدولة وإدارتها، وتنظيم الأحكام والقوانين فى إكمال المجتمع الإنساني وإتصاب المبادئ العلمية الثابتة العالمية، والحكيم الكامل الأخلاق هو الذى لا يدرك فقط الحقائق الطبيعية بتغير الموجودات ونموها إتراكا واسعا وعميقا، بل يعلم الناس هذه الحقائق الكونية ويرثيهم على الاهتمام بها اثباعا للسنة السماوية فى العالم كله .

وأخيرا كان الأستاذ كونفوشيوس فى نظر المؤلف " تس سي" كالممثل الأعلى للإنسانية الكاملة الأخلاق المخلص كل الخلوص والصادق غاية الصدق، وهو عميق وهادى كالأرض، وفسيح واسع كالسماوات. كما قال " كونغ بينغ دا " فى ذلك : " هذا النص يثلى على عظمة مكانم أخلاق الأستاذ كونفوشيوس فى منهاج الوسطية والاعتدال لا إفراط ولا تفريط فيه".^{٣٨٠}

٣٧٩ - انظر: إلى البرز المنتهى - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٣٢٣ - ٣٢٤.

٣٨٠ - الفرج والتطويق للكتب الثلاثة عشر، " كونغ بينغ دا "، الجزء الثانى، الصفحة ٣٩٧.

第三十三章

原文：《诗》曰：“衣锦尚絺。”恶其文之著也。故君子之道，暗然而日章；小人之道，的然而日亡。君子之道，淡而不厌，简而文，温而理，知远之近，知风之自，知微之显，可与入德矣。

今译：《诗经·国风·卫风·硕人》篇说：“妇女穿锦绣衣服，外加粗麻单衣罩着。”这是厌恶锦绣的纹彩太显眼的缘故。所以君子的道，也同穿锦衣罩粗麻单衣一样，暗地里用功，不被别人知道，然而用功既久，学问自然一天天明显地表露出来。小人的道，与此相反，喜欢表露自己，但没有实际功力，不等日久，便一天天消亡了。君子的道，平淡而有实理，不被人所讨厌；简约而有文彩，温和而有条理。要知道远的事物，就要用近的事物来推测；知道风教别人，就要从自己做起；知道事物微小的开端，便推知将来显著的后果，能够这样用功，就可称得上是进入道德的高尚境界了。

الفصل الثالث والثلاثين

التمهيد:

وهذا الفصل هو فصل أخير لكتاب الوسطية والاعتدال وخاتم الكتاب. وله مميزة خاصة تختلف عن أخواته من الفصول السابقة، بأنه يتكون من ستة قطعات، ويدور حديثها حول استدلال المؤلف بثمانية بيوت مختلفة من سفر القوائد على بيان المقاصد المطلوبة عن طريق التدرج والترقية. ويوضع كل بيت في بداية كل قطعة نصية كمحور رئيسي، فتتبعه تلخيص المؤلف وتعلقه كنتيجة مثمرة، بينما كانت أخواته من الفصول السابقة - عددها اثنان وثلاثون فصلا - لم يستورد المؤلف من خلالها إلا ثمانية بيوت مختلفة فقط، ويوزعها متفرقا في نهاية الموضوع المتعلق كدعامة علمية لما نوقش قبله في بعض أماكن معينة بهذه الفصول العديدة. وكان المؤلف "سي سي" يلخص في هذا الفصل الأخير المقاصد الأساسية لكتابه الوسطية والاعتدال، ويسترجع خاصة من خلاله الموضوع المعروضة في الفصل الأول من فطرة الإنسانية المملوءة

وورعه الذاتي في محاسبة نفسه واعتداله بين السماوات والأرض، على أساس التناسق والاسترجاع بين أول الكتاب وآخره بعضهما بعضاً، وكشفاً لغاية قيم الأخلاق ومهمة فلسفة حياة الإنسان عند مذهب الكونفوشيوسية.

ومن أجل تحقيق المقاصد المنصوصة في هذا الفصل الأخير، قد اتخذ المؤلف " تس سي " أسلوب الكدرج والترقية في بيان الموضوع المعين بكل قطعة من القطعات الست، حتى يكون من خلالها صورة موجزة في تلخيص جواهر الكتاب وألبابه، وذلك كما يلي: القطعة الأولى تتحدث عن المبادئ اللازمة في تهذيب النفس. والقطعة الثانية تتناول أهمية محاسبة الذات ومراقبتها خلقياً. والقطعة الثالثة تبيّن ضرورة الورع والحذر الذاتي اعتقادياً. والقطعة الرابعة تتحدث عن فاعلية تأثير الغير بالأخلاق الحميدة اجتماعياً. والقطعة الخامسة تتناول نتيجة تعميم السلام والأمن بمآثر مكارم الأخلاق سياسياً. والقطعة السادسة تتبين حقيقة نروة الكمال في مكارم الأخلاق هو تحقيق الإنسان اتحاد الخلق مع إرادة إله السماء (تيان) نهائياً. ونلقى الآن إلى النص للقطعة الأولى، وهو :

النص من القطعة الأولى:

" قال الشاعر: ' تلبس ثياب غرسها من حرير مطرّز، وتغطّي عليه من غزل الكتان رداءً بسيطاً. ' ^{٣٨١} كراهية في ألوانه اللماعة أمام الأعين. ولذا كانت أخلاق الرجل الفاضل خفية وكامنة في باطنه، ولكن شمائله تتجلى في ظاهره جلياً يوماً ليوماً. وبالعكس على ذلك، كانت أخلاق الرجل الطالح مبهرجة ومفتخرة في ظاهره، ولكن مع مرور الزمن تنكشف رذائله في الحياة الواقعية فتتلاشى مباهاتة في الهواء بقة. إنما أخلاق الرجل الفاضل كانت هادئة ومقموعة، فلا يكرهه أحد، فهو بسيط ومألوف في أعماله ولكن مرسوق مآثرها، وهو لطيف الطبع ومعتدل الأفكار، ولكن محكم المبادئ والمناهج. ومن ثمة يعرف حكم البعيد من علة

٣٨١- قصيدة الأمير الشريفة، جزء أناشيد الإمارة 'روي' لسفر القصائد، طبع الكتب التراثية بشأنها في السنة ٢٠٠٩ م. الطبعة الأولى، الصفحة ٨٩.

القريب، ويعرف أن إرشاد الناس ظاهرا من تهذيب نفسه باطنا، ويعرف النتائج الشاملة مسببة من مبادئها الدقيقة. وهكذا يرتقي إلى الحالة السامية من الأخلاق الحميدة.

الشرح :

قال الحبر " جينغ شوان " في بيان مقاصد هذا الفصل: " هذه القطعة تتحدث عن كون شخصية الرجل الفاضل سامية وعميقة، فيشير الناس إلى سموه وعمقه حمدا وإعجابا. وأما الرجل الطالح فكانت شخصيته دنينة، فيشير الناس إلى دنيته وسوءه ذمّا وتعجبا. والكلمة في النص ' بسيط ومألوف ' أى هادئ طبعه مثل الماء العذب في ذوقه البسيط. فكان الرجل الفاضل مع صراحة عقله يحصل على علامة التمييز، ومع اعتدال أخلاقه يحصل على لياقة الشخصية، وهو عارف بحقيقة الكل من أعراض جزئيته، وواقف على النتيجة الغائية من مبتدأها الأول.^{٣٨١} وقال " كونغ بينغ دا " في كشف مناسبة النص وشرح مقاصده : " هذا البيت مستورد من شعر ' الأميرة الشريفة ' لسفر القصائد، ثناء على مآثر الأميرة ' جوانغ جيانغ ' ^{٣٨٢} المشهورة، قال الشاعر فيه أن الأميرة الفتية غادرت وطنها إلى الإمارة ' وى ' ^{٣٨٤} في طريق زواجها، وهي تلبس من حرير مطرز ثياب عرسها، فتستكره ثيابها من ألوانه الساحرة الباهرة أمام الأعين والأنظار، فتغطى عنه من غزل الكتان رداءا خفيفا يستره. ولقد استعار المؤلف ' تس سي ' هذا البيت واستدل به على صفة الرجل الفاضل في تواضعه وتعفّفه، يكره إظهار مآثر أخلاقه أمام الناس تفخرا وتعجبا. فمدحه في النص: ' ولذلك كانت أخلاق الرجل الفاضل خافية وهادئة في باطنه، ولكن شمائله تتجلى جلّيا فظاهره يوما فيوم.' من حيث إن الرجل الفاضل بتواضعه العفيفة عندما قابله أحد لأول مرة ما استطاع أن يجد من مآثره شيئا ظاهرا، فكأنها خافية وهادئة،

٣٨٢- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ بينغ دا، الجزء الثاني، الصفحة ٣٨٧.
٣٨٣ - الأميرة "جوانغ جيانغ"، عاشت من بداية الربع للقرن الثامن قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، يشار إليها وقتئذ بحسن الجمال وصلاح الأخلاق. وهي شاعرة أولى في تاريخ الصين الأدبي. وكانت ابنة رشيده لأبيه " تشي جوانغ قونغ " (٧٩٥ ق.م - ٧٣١ ق.م في عرشه) " لإمارة " تشي"، فزوّجها أبوها الأمير "جوانغ جيانغ" (٧٥٧ ق.م - ٧٣٥ ق.م في عرشه) لإمارة " وى". وبعد زواجها كان شعوب الإمارة " وى " يحبون أميرتهم الوافدة هذه كثيرا فسمّوها بـ " الأميرة الشريفة"، فأنشدوا لها هذا الشعر ثناء على جمعها بين حسن الجمال و كرم الأخلاق.
٣٨٤- إمارة وى (١١١٥ ق.م - ٢٥٤ ق.م) كانت تقع بين شمالي مقاطعة خا نان وجنوبي مقاطعة خا نبي في شمالي الصين.

ولكن كلما عامله معاملة أكثر وجده من فضائله أبرز وأشرف. وبالعكس على ذلك كان المؤلف يكشف الرجل الطالح وشخصيته الدنيئة، وهو يقول ذمًا عليه: ' كانت أخلاق الرجل الطالح مبهرجة ومتفخرة في ظاهرها، ولكن مع مرور الزمن تنكشف زنايله في الواقعة، فتتلاشى مباهاته في الهواء بقة.' وذلك لأن الرجل الطالح كان متكبرا ومتعجبا بنفسه، فيبدو أن مظاهره مبهرجة ومتفخرة لمن رآه لأول رؤية، ولكن مع مرور الزمن ستوضح أخلاقه السيئة وشخصيته الدنيئة أمام الناس بكل الوضوح حتى يصبح كبريائه يبعث به الدهر بقة.^{٢٨٥}

وبعد دراسة هذه الشروح القيمة نقول: إن الفصل السابق يتحدث عن فضائل الحكيم الكامل الاخلاق مدحا وثناءا على بأنها قد بلغ إلى درجة المثل الاعلى في الإنسانية. وأما النص هنا في القطعة الأولى بهذا الفصل، فهو يتناول قضية إخلاص النية للمعلم في تهذيب نفسه، وترقيته للحالة الخلقية بصورة التدريج كما بيّنها النصوص من القطعات التالية للفصل حتى يصل أخيرا إلى قمة إكمال شخصيته المثلى عن طريق الجهود المكتسبة. ولذلك كان الرجل الفاضل لا يفخر بمكارم أخلاقه بل يقف منه موقفا هادئا وخافيا. فشير في الشعر بقوله " تغطى عليه من غزل الكتان رداءا بسيطا." وفي نفس الوقت كان الرجل الفاضل قلبه مملوءا بمكارم الأخلاق، وهو السبب المهم لظهور مآثر شخصيته تلقائيا في الحياة الواقعية فتجلى شمائله يوما فيوما، فيشير في الشعر بقوله " تلبس من حرير مطرّز ثياب عرسها ". فصفة الهدوء والبساطة والاعتدال صارت رداءا عفيفا على مآثر الرجل الفاضل في الخارج، بينما كانت خاصية الملاينة واللياقة والإحكام أصبحت لباسا باطنا على شخصيته السامية في الداخل. وأما الرجل الطالح فالحواله بالعكس على ذلك تماما، يتفخر بنفسه ويتكبر في ظاهره ولا يتمتع إلا أخلاق سيئة وسلوك دنيئة، فمع مرور الزمن ستتجلى قبايحه أمام الناس وسيبعث بكبريائه الدهر.

والجدير بالذكر هنا أن المؤلف يختم هذه القطعة بثلاث أفعال المضارعة في الجملة الأخيرة حيث قال: " يعرف حكم البعيد من علة القريب، ويعرف إرشاد الناس ظاهرا من تهذيب النفس

٢٨٥- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كرونغ بينغ دا، الجزء الثاني، الصفحة ٢٩٧.

باطناً، ويعرف النتائج الشاملة من مبادئ الدقة. " إشارة إلى العظم هو أساس العمل. فمن لم يفهم واجباته أولاً، فهو لم يدخل باب التهذيب الأخلاقي حقّ دخوله.

原文: 《诗》云: “潜虽伏矣，亦孔之昭。” 故君子内省不疚，无恶于志。君子之所以不可及者，其唯人之所不见乎!

今译: 《诗经·小雅·正月篇》说: “鱼潜藏在很深的水中，但任然是明白可见的。所以君子从内心审察，反省，不感到惭愧，没有妨碍自己的心志。君子的修身慎独功夫别人赶不上的地方，也在于他能小心谨慎，在别人看不到的地方着力用功罢了。

النص للقطعة الثانية:

" قال سفر القصائد: ' اختفى السمك في أعماق الماء غوصاً، وما زال سيره ينكشف في عيون الناس وضوحاً'.^{٢٨٦} فلذلك كان الرجل الفاضل يحاسب نفسه ويراقب سلوكه احتياطاً، فلا يأتيه ضميره من رلة ولا يخزيه قلبه من ذم. ليس أبرز الشوائب للرجل الفاضل هو الورع والحذر، فالرجل الفاضل لا يستطيع أحد أن يسابقه ولا يدركه في أخلاقه الفاضلة بأنه يجاهد نفسه في جوانبها الخفية الدقيقة. "

شرح النص:

كان المؤلف في هذه القطعة يستدل بما في سفر القصائد على مجاهدة الرجل الفاضل في الورع والحذر الذاتي، فهو يحاسب نفسه دائماً ولا يخزه ضميره أبداً سواء أكان في السر والعلانية.

قال " كونغ بينغ دا " في شرح مناسبة عبارات النص وكشف مقاصدها المجازية قائلاً: " إنما هذا البيت يستورد من قصيدة ربيع الثاني لجزء اللياقة الصغرى بسفر القصائد، نقداً على بقى الملك وقلمه، وتأسفاً على أن الوزير الصالح الفاضل مع اعتزاله عن منصبه فازاً من طغيان

٢٨٦- قصيدة ربيع الثاني، جزء اللياقة الصغرى بسفر القصائد، الصفحة ٢٨٦.

الحاكم الباغى، ولكن ما زال تعرّض للاضطهاد المظلوم بسبب شهرة فضائله الخلقية وشمائله السلوكية. فكان مثله مثل السمك فز واختفى بنفسه فى أعماق البركة، ولكن لا يزال منكشف آثاره جلياً فى الماء الصافى، فما اقتدر على هروبه من يد الصيد وحيلته. وكان المؤلف " تس مي " يستورد هذا البيت هنا ويتّخذ من جانبه الإيجابى فقط، ويستعمله فى سبيل المجاز على مدح الرجل الفاضل من حيث أنه لن يعرض فضائله أمام الناس متباهياً بل يحافظ عليها ويضمّرها فى قلبه مطمئناً، كما كان السمك يختفى بنفسه فى عمق الماء هادئاً، ومع تعقّقه المتواضع ستظهر مآثر الرجل الفاضل طبيعياً فى الحياة الواقعية منظوراً جلياً. وأما العبارة فى النص ' كان الرجل الفاضل يحاسب نفسه ويراقب سلوكه احتياطاً، فلا يلقى ضميره من زلة ولا يخزّه قلبه من ذم. ' ونلفظ الزلة هنا معناه عيب، والمراد بهذه العبارة أن الرجل الفاضل كان يراقب نفسه خلقياً وسلوكياً عتفاً ونزهاً من كل زلة وعيب، وهو رجل عظيم الطموح وزاهد فى السمعة والجاه، وإذا فاته المنصب أو الجاه الدنيوى، فذلك لن يضرّ نيته الخالصة ولا ينقص من طموحه السامية شيئاً قط. " ٢٨٧

وقد وافق العلامة " جو شي " على شرح " كونغ بينغ دا " لهذا النص، ولم يزد فى بيانه كثيراً إلا أنه يؤكّد أهمية دلالة النص على قضية الورع والحذر الذاتى عند الوحدة والانفراد للرجل الفاضل، ويقول فى ذلك: " هذا النص كان يلتحق بالقضية ' ما من شىء خفى إلا منظوراً، وما من حركة دقيقة إلا مكشوفة. ' المذكورة سابقاً فى الفصل الأول من باب الاسفرجاع والاستكمال. والكلمة ' زلة ' هنا مراد بها معنى العيب والمثلية. والعبارة فى النص: ' لا يؤنبه ضميره من زلة ولا يخزّه قلبه من ذم. ' أى يطمئن قلبه بأنه زكى وصاف من كل خطأ وذنب، وذلك لتأكيد أهمية محاسبة الرجل الفاضل نفسه بكلّ ورعه عند الخلوة والوحدة. " ٢٨٨

بعد بيان المبادئ المعتمدة للرجل الفاضل فى دخوله إلى باب تهذيب نفسه بالأخلاق الحميدة فى القطعة الأولى كان المؤلف " تس مي " فى هذه القطعة يعرض للقراء خطوة تالية فى

٣٨٧- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر الكونفوشيوسية، كونغ بينغ دا، الجزء الثانى، الصفحة ٢٣٩.

٣٨٨- الشرح الجامع للكتب الأربعة- قسم كتاب الوسطية والاعتدال- جو شي، الصفحة ٧٢.

طريق ترقية الرجل الفاضل في تهذيبه الأخلاقي، وهو الورع والحذر الذاتي عند الخلوة والوحدة، عن طريق محاسبة نفسه وتركية نيته سرا وعلانيا.

فالإنسان إذا كان في الأماكن العامة وهو تحت مراقبة الأعين والأسماع، فما من أحد إلا وهو محاسب نفسه ومتحذر في أعماله مهما كان طوعا أو كرها، ويحاول أن يعرض للآخرين جانب محاسنه إعلاما ويستتر عيوبه عن أبصارهم إخفاء. ولكن عندما انقلب منقلباً إلى مكان لا يراه أحد، فكثير من الناس يطلقون سراحهم لأنفسهم، وهذه هي الأحوال العامة لأكثر الناس في مناسبة السر والخلوة. ولكن الرجل الفاضل يفوق الآخرين بشخصيته المثلى في هذه الأحوال كلها. وإن بقي في مكان سرى لا يراه أحد سواه، لن يترك نفسه هواه بل ينزهها عن كل خطأ أو ذنب عفيفاً ذاتياً، وما هي حالة الرجل الفاضل في محاسبة نفسه بكل ورع وحذر، وإن كان في السر والخفاء، ولم يطلب من ذلك إلا من أجل طمئينة قلبه والتعفف في شخصيته.

原文：《诗》云：“相在尔室，尚不愧于屋漏。”故君子不动而敬，不言而信。

今译：《诗经·大雅·抑篇》说：“仿佛在冥冥中被许多人在注视着你的居室，你仍然能够问心无愧，对得起西北隅屋漏的神明。”所以君子没有行动时，就先存恭敬之心；没有开口说话时，就先存诚信之心。

النص للقطعة الثالثة:

" قال سفر القصائد: ' عندما تبقى في غرفتك منفرداً، فلنكن بقلبك ورعاً وحذراً حتى لا تستحي من مراقبة الملائكة في زاوية (وُو لُو) ٢٨٩. ٢٩٠ ' فلذلك كان الرجل الفاضل يحافظ نفسه على حالة الورع قبل أعماله ويدوم بنيته على حالة الوفاء قبل كلماته. "

٢٨٩- قصيدة الاحتياط من جزء اللبقة الكبرى في سفر القصائد، الصفحة ٢٤١.

٢٩٠- زاوية " وُو لُو "، زاوية مقدسة تقع في زاوية الشمالي الغربي لغرفة الجلوس يوضع فيها محراب من أجل تقديم القرابين للملائكة. وقد اعتقد قديما الصين أن الملائكة تنزل في المحراب وترفع منه ليلاً ونهاراً يراقبون أحوال صاحب البيت.

الشرح:

وفى هذه القطعة كان المؤلف يستدل أيضا بقصيدة من سفر القصائد على أن ملأ الرجل
الفاضل فى محافظة نفسه على الحذر والورع الذاتى لم تقتصر على درجة التهذيب الأخلاقى كما
تتبين فى القطعة السابقة فحسب، بل تترقى من الدرجة الخلقية إلى الدرجة العقائدية، أى من
درجة الحذر والورع من أعين الناس مدحا ونمّا إلى درجة الورع والتقوى من مراقبة الملائكة
حياء وعفة.

قال الحبر " كونغ بينغ دا " فى بيان مناسبة الجمل النصية وشرح معانى العبارات فى هذا
النص: " هذا البيت يستورد من قصيدة الاحتياط لجزء اللياقة الكبرى فى سفر القصائد، وكان
المؤلف يستدل به على أن الرجل الفاضل عندما يبقى فى بيته وحيدا منفردا أو فى زاوية ' وو لآو ' ^{٢٩١}
وهى مكانة مستقرة لا يدركها عين ولا سمع من الناس، فهو لن يطلق سراجه ويترك نفسه لهواه
أبدا، بل يستحيى من مراقبة الملائكة ورعا وتقيا، وإذا كانت هذه هى حالة الرجل الفاضل فى
الخفاء والغيب، فكيف حالته فى الجهر والعلانية أمام أعين الناس وأسماعهم من الحذر
والاحتياط؟ فاستدل المؤلف بهذا البيت على أن الرجل الفاضل يحافظ نفسه ويدأوم قلبه على حالة
الحذر والورع الذاتى خلقيا وعقائديا فى أى مكان وفى أى وقت، كما نصّ بقوله: ' فلذلك كان
الرجل الفاضل يحافظ نفسه على حالة الورع قبل أعماله ويدأوم بنيته على حالة الوفاء قبل
كلماته. ' وهكذا كان الرجل الفاضل فى قمة الورع والحذر الذاتى، فما عمل عملا حتى يفوز
بالناس احتراماً، وما إن تكلم حتى يثق به الناس تصديقا. " ^{٢٩١}

وأكد العلامة " جو شي " أهمية محافظة حالة الورع والحذر الذاتى فى تهذيب النفس خلقيا
وتزكية النية عقائديا وهو يقول: " هذا النص يسترجع بما ذكر سابقا فى الفصل الأول مثبتا أن
الرجل الفاضل يدأوم بنفسه على حالة التحذر والاحتياط فى كل أحواله سرا وعلانيا، وهو يحافظ

٢٩١- الشرح والتعليق للكعب الثلاثة عشر، كونغ بينغ دا، الجزء الثانى، الصفحة ٣٩٣.

بنيتة المخلصة ويتقى بورعه الصادق قبل أقواله وأفعاله، فذلك يدل على أن جهوده في تهذيب نفسه أزكى وأخلص. " ٢٩٢

ومن هذه الشروح القيمة لهذا النص وجدنا أن في نظر المؤلف أن قيم الأخلاق عند الرجل الفاضل في مذهب الكونفوشيوسية لا تعتمد على اعتبار المجتمع وتقدير الناس بالمنصب أو الجاه، بل يتأسس على وعيته الباطنة وضميره اليقظ أخلاقياً، فبعد بيان حالة الاحتياط والحذر عند الخلوة والوحدة من جانب الأخلاق في القطعة السابقة، ارتقى المؤلف في هذه القطعة إلى جانب الاعتقاد متيناً في محافظة الرجل الفاضل نفسه على الورع والتقوى الذاتي، يتقى دانماً في حالة سكونه الروحية وطمأنينته الفطرية صادقاً ومخلصاً، فلا يستحي من مراقبة الملانكة في الغيب ولا يخزيه ضميره سواء أ كان سراً أو علاناً، بل يداوم نيتته على التحذر والتواضع قبل أعماله ويحافظ نفسه على الورع والصدق قبل أقواله. ففوز بالناس احتراماً وهو في سكونه الواعي وينال منهم ثقة وهو في هدوءه البقظ، وذلك كما قال الشيخ " تسايغ تش " صاحب كتاب المعرفة الكبرى وهو يعتبر قنوة حسنة في الورع والتقوى عند العلماء الكونفوشيوسيين، وهو يقول في مرض موته: " إن من أهم مكارم الأخلاق للرجل الفاضل ثلاثة: كان وقوراً في مظاهره السلوكية، فتجنب تصرفاته عن الغلطة والطيش، وكان سديداً في ملامحه المرئية فتقرب هيناته من الصدق والوفاء، وكان محكما في كلامه المسموع فتبتعد أحاديثه عن الدناءة والسخافة. " ٢٩٣

原文: 《诗》曰: “奏假无言，时靡有争。” 故君子不赏而民劝，不怒而民威于鉄钺。

今译: 《诗经·商颂·烈祖篇》说: “进行盛大的宗庙祭祀时，人人肃立无言，这是由于天下太平而无争讼的缘故。” 所以君子虽然不用奖赏，而能达到使老百姓劝化向善的目的；虽不发怒，而老百姓怕他比刀斧还要厉害。

٢٩٢- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، دار الكتب " تشي لو " الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢، ص: ٢٩
٢٩٣- كتاب الحوار يشرح " جو شي " والفصل الثامن والمصنفة ٧٥.

النص للقطعة الرابعة:

" قال سفر القصائد: ' إن كل واحد من الحاضرون يقف صامتا ومحترما عندما مشهد الطقوس في المعبد، وذلك لأنه هناك لا شكوى ولا دعوى قضائية بل انتشر السلام والأمن تحت السماء'.^{٣٩٤} ولذلك كان الرجل الفاضل، لم يرغب الناس بالمكافأة المالية في إتباعهم الفضائل، بل يتواصرون بها حباً ويفزون من القبائح كرها، ولم يرهبهم بالحدود القاسية، بل يخافون منها كما يخافون من السيف والسكين. "

شرح النص:

والنص في هذه القطعة يلحق بما ذكر سابقا، ويؤكد به المؤلف أن الرجل الفاضل إذا أكمل تهذيب نفسه بإخلاص نيته خلقيا وسلوكيا، فسوف يؤمن به الناس يقتلون لأوامره ونواهيه سمعا وطاعة، وهو لم يكلمهم بكلام شديد للوعيد، بل يتأثرون في شخصيته المثلى اقتداء. ومن ثم ارتقى الرجل الفاضل مع إكمال شخصيته أولا إلى درجة أسمى في إرشاد الناس وإصلاح المجتمع كقدوة حسنة يستتير بها من حوله نورا وهدى.

قال الحير " كونغ بينغ دا " في بيان مناسبة عبارات النص وتوضيح مقاصدها: " هذا البيت مأخوذ من قصيدة ' الأسلاف الشرفاء ' في جزء أناشيد التراتيل القربانية لمملكة الأسرة ' تانغ ' بسفر القصائد، حمدا وثناء على مآثر مؤسس المملكة الملك الحكيم " تانغ " ^{٣٩٥} وكان الشاعر يصف فيه أنه لما قدم الملك القرايين لأسلافه وعلى رأسهم الملك الحكيم " تانغ " مخلصا ومتواضعا وأنشد في معبد الأباء بنشيدة التراتيل هذه وفورا، فالحاضرون في مشهد الطقوس كانوا يقفون احتراما وسكينة يعم قلوبهم السلام والطمينة. وذلك دليل على استقرار المجتمع وازدهار البلاد، إذ كان جميع الناس يتعايشون بعضهم بعضا بلا ضرر ولا ضرار، وكل واحد

٣٩٤- قصيدة الأسلاف الشرفاء، جزء أناشيد التراتيل القربانية لمملكة أسرة " تانغ " بسفر القصائد، الصفحة ٣٩٤.
٣٩٥- الملك الحكيم " تانغ "، قد مر تعريف سيره في حاشية الصفحة الخامسة في الفصل الأول لرسالتنا هذه، فارجع إليه.

من هم يقتادون لأوامر الملك الصالح ونواحيه سمعا وطاعة. وامتنورد المؤلف ' تم سي ' هذا البيت هنا استدلالا به على أن الرجل الفاضل بورعه المخلص وسكوته الصادق يفوز بالناس ثقة وتصديقا. " ٢٩٦

قال العلامة " جو شي " في كشف مآثر الورع والحذر الذاتي للرجل الفاضل: " إن هذا النص يتابع ما سبق ذكره من محافظة الرجل الفاضل نفسه على الحذر والورع سرًا وعلائيًا، والمؤلف يؤكد في هذا النص مآثر التزكية النفسية خاصة، من حيث يترقى بفضائله الخلقية إلى نزول رضوان الملائكة وتبريكها عقائديًا، وقد بلغ حينئذ إلى قمة الخضوع والخضوع بأزكى النية، فلا حاجة إلى ترهيب للناس بالكلام والوعيد، بل الناس يتأثرون بشخصيته المثلى سمعا وطاعة ويتخذون أنفسهم اقتداء به. " ٢٩٧

وفي نظر مذهب الكونفوشيوسية أن الرجل الفاضل كقدوة حسنة في الإنسانية لم يقتصر هدفه في قيم الأخلاق وفلسفة الحياة بكمال شخصيته في محاسبة النفس عفة ومحافظة قلبه على الحذر الذاتي فحسب، بل يترقى إلى درجة أسمى في إكمال غيره إرشادا وإصلاحا، عن طريق القوة المؤثرة الروحية من عند نفسه، وهي قوة فعّالية واجبة تحثه على بذل جهوده الأقصى في تهذيب نفسه أكمل فأكمل من ناحية الذاتية أولا، وفي نفس الوقت هي أسوة حسنة وقوة جذابة محركة تدعو عامة الناس حوله إلى اتباع الخير والفضائل حبا وهو لم يرغبهم بالمكافأة المالية، وترشدهم إلى ترك الشر والقبائح كرها وهو لم يهددهم بالعقاب الشديد بل يخافون من غضبته مخافة السيف القاطع، وهذه هي الشخصية المثلى للرجل الفاضل وهو ورع وتقي وصادق ومخلص ومتواضع يهذب بها عامة الناس تزكية وإصلاحا وهم لا يشعرون جبرا ولا قهرا بل يقتدون به وينقادون له رضاء وقناعة.

٢٩٦- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ يونغ داه الجزء الثاني، الصفحة ٢٩٧.

٢٩٧- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، قسم الكتاب الوسطية والإعتدال، الصفحة ٧٤.

原文：《诗》曰：“不显惟德，百辟其刑之。”是故君子笃恭而天下平。

今译：《诗经·周颂·烈文篇》说：“天子的德性岂不明显呀，四方诸侯都要效法他呢！”所以君主笃实，恭敬，以至诚之心感化百信，就能使天下太平。

النص للقطعة الخامسة :

" قال مثير القصاد : ' أ ليست فضائل الملك الحكيم تتجلى جلّية مشرفة ؟ ففقدى بها الأمراء والأشراف . ' ^{٣٩٨} ولذلك إذا كان الرجل القاضل يرشد الشعوب بصدقه المخلص وورعه المتواضع فسوف ينفادون له سماعا وطاعة، وسيعم السلام تحت السماء استقرارا .

الشرح:

هذا النص يتابع ما ذكر في القطعة السابقة تأكيدا بمآثر الصديق والإخلاص والورع في إصلاح المجتمع وضمانة أمن البلاد، من حيث إن الملك الحكيم إذا بهذب نفسه ويكمل شخصيته على أساس مكارم الأخلاق باطنا فسوف تتجلى فضائله جلّية مشرفة كالشمس المضيئة، ومع معاملته غيره بالرحمة والتواضع سوف يتأثر به رعاياه - عامتهم وخلصتهم - في تهذيب أنفسهم وسعيهم إلى الخير والمعروف، حتى يعم السلام والأمن أنحاء البلاد جميعها .

قال " كونغ بينغ دا " في شرح مناسبة النص وجوه دلالة عباراته قائلا: " هذا البيت مأخوذ من قصيدة الأمراء الفضلاء في جزء التراتيل القربانية لمملكة الأسرة ' تشو ' بسفر القصاد، مدحا لمآثر الملك الحكيم ' ژون وانغ ' مؤسس المملكة ' تشو '، وأسلوب الاستفهام في العبارة: ' أ ليست فضائل الملك الصالح تتجلى جلّية مشرفة ؟ ' تفيد المعنى للتأكيد والمبالغة في الإثبات، فالملك الحكيم يشرق أخلاقه ويتجلى بها طبيعيا، ومن ثم كان الأمراء والحكام في البلاد كلها يقتدون به

٣٩٨- قصيدة الأمراء الفضلاء من جزء أناشيد التراتيل القربانية لمملكة أسرة " تشو " في سفر القصاد، الصفحة ٣٥٢ .

سمعا وطاعة. استدلل به المؤلف هنا علياشراف الرجل الفاضل بأخلاقه الحميدة في تمثيله بمكارم أخلاق الملك الحكيم 'وون وانغ'، لكي يرشد بها الناس إرشادا وأهتداءا.^{٢٩٦}

وقال العلامة "جو شي" من باب استرجاع مقاصد النص الخلقية لما ذكر سابقا، مبيّنا لمآثر الفضائل الهامة في تحقيق منهاج الوسطية والاعتدال، وهو يؤكد في ذلك: " العبارة في النص 'أ ليست فضائل الملك الصالح فتجلى مشرقا جليا ؟ ' وكانت تفاصيل معناها تسترجع إلى ما ذكر في الفصل السادس والعشرين، إشارة إلى سمو مكارم الأخلاق للملك الحكيم وعمق مآثرها المستمرة، وهذه القطعة تتابع القطعات السابقة من هذا الفصل وتبين أن الملك الحكيم يتّصف بمكارم الأخلاق المشرقة الجلية، فيقتدى بها الأمراء والأشراف كالقدوة الصنة، كلما ازدادت فضائله ستوا وعمقا إزدادت تأثيراتها بعدا وسعة. والقول ' بصدقه المخلص وورعه المتواضع ' تشير إلى أنه صادق مخلص، وحذر ورع، ويفضلها كان السلام والأمن بعم أنحاء البلاد استقرارا. وكل ذلك يرجع إلى سمو شخصيته وعمق تأثير أخلاقه، فتأثر به جميع الناس في تركية أنفسهم طوعا وانقيادا، وتلك هي الحالة المثلى في منهاج الوسطية والاعتدال ومآثره في إصلاح المجتمع الإنساني. " ^{٢٩٧}

استفدنا من هذه الشروح أنه في نظر المؤلف " تس سي " كان الورع القلبى والصدق الذاتى فى شخصية الرجل الفاضل. لم يلعب دوره فى تهذيب النفس خلقيا وإخلاص النية اعتقاديا بل يحتل أيضا مكانة مهمة فى هدى الناس اجتماعيا وتأمين البلاد سياسيا. ولذلك استدلل المؤلف هنا بقصيدة الأمراء الفضلاء عليا بالملك الصالح كالرجل الفاضل ما كان شرفه يقوم على عزّة السلطة وحدها بل كانت مكارم أخلاق وهو أجد شيء فى تأثير قلوب الناس كقدوة حسنة لتحقيق انسجام المجتمع واستقرار الدولة، وما هى تسمى عند مذهب الكونفوشيوسية بـ " الأمثلة الخلقية فى نظام السياسة والإدارة "، وذلك كما نجده عند مؤسس المذهب الأستاذ كونفوشيوس فى كتاب الحوار بما يذكر فى هذا الموضوع عندما سأل تلميذه " تس لو " عن الرجل الفاضل، فقال: " هو

٢٩٩- الشرح والتطبيق للكتب الثلاثة عشر، كوانغ يينغ داه، الجزء الثالث، الصفحة ٢٩٤.
٤٠٠- للشرح الجامع للكتب الأربعة، جوشي، قسم الكتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٧٣.

الذي يهذب نفسه بالورع. " قال: " أ هكذا فقط؟ " فأجاب: " تهذيب نفسه لإصلاح من حوله
سلاماً. " قال: " أ هكذا فقط؟ " فقال تهذيب نفسه لتأمين جميع الأمة استقراراً، فذلك شأن عظيم
مما كان يتأسف على العجز عنه الملكان الحكيمان 'ياو' و 'شون'. " ^{٤٠١}

原文: 《诗》曰: "予怀明德，不大声以色。子曰: "声色之于以化
民，末也。" 《诗》曰: "德輶如毛。" 毛犹有伦。 "上天之载，无
声无臭" 至矣!

今译: 《诗经·大雅·皇矣篇》说: "我上天赋予你文王明显的大德，不必张大有
声音的号令和严厉的脸色来治理人民。" 孔子说: "用声色来教化人民，这是无足
轻重的细微末节。" 《诗经·大雅·烝民篇》说: "德的轻，像毛一样。" 但是既
称为毛，还是有形迹可以比拟的。 不如《诗经·大雅·文王篇》说得好，: "上天做
事没有声音，没有气味。" 可以说妙到极点了!

النص للقطعة السادسة:

" قال سفر القصائد: ' ألعن (أى السماء- تيان) عليك (أى الملك الحكيم 'وون وانغ')
بمكارم الأخلاق، فلا تقل ' أفت ' إلى رعاياك قهراً ولا تجهم عليهم جهماً. ' ^{٤٠٢} فقال الأستاذ
كونفوشيوس تعليقا على ذلك: ' إنما تأديب الشعوب بالقهر فى الصوت والعيوس فى الوجه هو
أدنى درجة وأضعف طريق. '

وسفر القصائد قال أيضاً: ' إن مكارم الأخلاق كالريش خفة ورقة. ' ^{٤٠٣} ولكن الريش مع
خفتها له مثل فى الشكلية مشابها، بل قيل فى سفر القصائد أخيراً: ' إنما أثر السماء (تيان) فى
عنايته للكائنات وتنميتها لا صوت يسمع ولا رائحة تشم. ' ^{٤٠٤} ها هو المثل الأعلى والأكمل فى

مكارم الأخلاق يُضرب !

٤٠١- كتاب الحوار بين مرح جوشيه، الفصل الرابع طبر، الصفحة ١٠٢.

٤٠٢- قصيدة 'يا للجلال والإكرام' من جزء اللياقة الكبرى فى سفر القصائد، الصفحة ٣٣٧.

٤٠٣- قصيدة الشعوب للجماعين من جزء اللياقة الكبرى فى سفر القصائد، الصفحة ٣٤٥.

٤٠٤- قصيدة الملك الحكيم "وون وانغ" من جزء اللياقة الكبرى فى سفر القصائد، الصفحة ٣٧٢.

الشرح:

هذه القطعة هي القطعة الأخيرة في هذا الفصل تتابع ما ذكر في القطعات الخمسة السابقة وتلخص لها تلخيصاً على أسلوب التدرج في بيان أهمية الورع والحفر الذاتي في تهذيب النفس وإصلاح المجتمع خلقياً واعتقادياً وسياسياً، فاستدل المؤلف "تس سي" هنا بسفر القصائد على أن مكارم الأخلاق هي العروة الوثقى التي يتمسك بها الملك الحكيم لنجاحه في تهذيب قلوب الناس ورعاية شؤون المجتمع، وكانت فضائل الملك الحكيم مع سموها وكمالها ساكنة سليمة لا تعتمد على الجبر والقهر، فيتأثر رعاياه بشخصية المثلى تلقائياً ويقتدون به سمعاً وطاعة، فانتشر السلام والسعادة في أنحاء البلاد. وكان الملك الحكيم 'وون وانغ' بمقره الفريدة يصبح المثل الأعلى في الإنسانية، اقتداءً بصفة إله السماء (تيان) في علاقته بالكائنات كلها وهو هاديء في سكونه لا يسمع صوتاً ولا تشم رائحة. وقد كشف المؤلف "تس سي" في هذه القطعة الأخيرة تلك الأسرار كلها، استدلالاً من خلال ثلاثة بيوت مختلفة من سفر القصائد على أسلوب التدرج، سادتي إلى دراسته مستمعين بأراء العلماء الكونفوشيوسية الكبار في شرحه فيما يلي:

قال الجبر "كونغ بينغ دا" في بيان مناسبة العبارات في النص وشرح معانيها: "البيت الأول هنا مأخوذ من قصيدة 'يا للجلال والإكرام' في جزء اللياقة الكبرى بسفر القصائد، حمداً وثناءً على فضائل الملك الحكيم 'وون وانغ' حيث يمدح لهذا الملك الحكيم: 'لقد فضلك السماء الأعلى (تيان) على الآخرين بمكارم الأخلاق كأسوة حسنة، فانت مستغنى عن صوت جبر ومنظر قهر (لا تعامل الناس بكلمات خسنة ونظرات شذراء) في أمرك ونهيك'. فكان المؤلف 'تس سي' يستدل بهذا البيت على أن الرجل القاضل قد خطا خطوة الملك الحكيم 'وون وانغ' في تفضيله لإرشاد بمكارم الأخلاق على أسلوب الجبر والقهر ولامحها في تهذيب الأنفس وإصلاح المجتمع، فاستورد بعد هذا البيت قول الأستاذ كونفوشيوس تعلقاً له: 'إن الأصل المعتمد في تهذيب الأنفس هو القوة المؤثرة لمكارم الأخلاق، فلا حاجة وسائل الجبر والقهر، لأنها أدنى وأضعف واسطة في إصلاح المجتمع. وأما البيت الثاني في النص فكان قطعة مأخوذة من قصيدة

' الشعوب الجماهير' في جزء اللياقة الكبرى بسفر القصائد، مدحا لمتأثر الملك الحكيم 'شون' حيث قال الشاعر: 'إن مكارم الأخلاق كالريش خفة ورقة'. 'يعنى أن تهذيب قلوب الناس ورعاية شؤونهم بالأخلاق الحميدة كان أمرا سهلا وبسيطا لمن يستحق له بإقامته، وذلك كما ترفع الريشة إلى الهواء خفة ورقة، ثم علق المؤلف على هذا البيت بكلام الأستاذ كونفوشيوس حيث قال: 'ولكن مع خفتها كالريش وله مثيل في الشكلية للتشابه بينهما' يعنى مع أنه شيء رقيق جدا، مازال هناك شيء آخر مثيلا له في الشكلية للمحسوسة للتقارن بينهما. فاستدل المؤلف أخيرا بالبيت الثالث حيث قال فيه سفر القصائد: 'إنما أثر اله السماء (تيآن) في عنايته للكائنات وتنميتها بلا صوت يسمع ولا رائحة تشم'. فقال الأستاذ كونفوشيوس تعلقا له 'ها هو المثل الأعلى في مكارم الأخلاق يضرب'. 'إشارة إلى أن السماء (تيآن) في عنايته للكائنات لا صوت مسموع ولا رائحة مشمومة، بل هو في سكونه الهادئ، والكائنات كلها تتعايش بطبعها تحت عنايته الدائمة السجما. فاستدل المؤلف بما ذكر في هذا البيت على المدح لفضائل الملك الحكيم 'وون وانغ' في تهذيبه لقلوب رعاياه سليما بكل سلام وهدأ بكل هدوء، فكانت فضائل الملك الحكيم 'وون وانغ' هو المثل الأعلى في الإنسانية والخلقية سموا وخلودا، تبقى مع خلود السماوات والأرض نورا وهدى". ٤٠٥

وكشف العلامة "جوشي" أسرار الأحوال الثلاثة المذكورة في النص لوصف أفضلية مكارم الأخلاق في تهذيب القلوب وهو يقول: "لقد استورد المؤلف بيتا من قصيدة 'يا للجلال والإكرام' استدلالا على قوله 'أ لست فضائل الملك الحكيم لتجلى مشرقة ؟' الذي ذكر في القطعة السابقة، تأكيدا على مكارم أخلاق الملك الحكيم 'وون وانغ' بلا صوت قهر ولا منظر عبوس في تهذيب قلوب رعاياه، فاستدل بعد ذكر البيت هذا مباشرة يقول الأستاذ كونفوشيوس على أن صوت قهر ومظهر عبوس أدنى وسيلة في رعاية الجماهير وهم مجبورين. ولذلك كانت الحالة الأولى في البيت الأول لم يكف بوصفها لتجلية مكارم أخلاق الملك الحكيم 'وون وانغ'

وإشراق مآثره في تهذيب الأنفس، فجاء بعد هذا بقول الشاعر في قصيدة ' الشعوب الجماهير ' قائلا: ' إن مكارم الأخلاق كالريش خفة ورقة. ' وذلك يقترب إلى حالة الموصوف المطلوبة، ولكن المؤلف يربنا بالريش مع خفته الرقيقة ما زال له مثل تشابها، وهذا الوصف لم يستكمل أيضا مآثر مكارم الأخلاق الشاملة في تهذيب قلوب الناس سمع وطاعة. فجاء أخيرا ببيت من قصيدة الملك الحكيم ' وون وانغ ' ويقول الشاعر فيه: ' إنما أثر السماء (تيان) في عنايته للكائنات وتنميتها لا صوت يسمع ولا رائحة تشم. ' وها هو الوصف المطلوب يستوعب الحالة المثلى في تجلية مكارم الأخلاق وإشراق فضائل الورع والحر والذاتي كلياً. " ٤٠٦

وهكذا وصلنا معا يا أيها القراء الكرام إلى القطعة الأخيرة التي لخص فيها المؤلف معاني الفصل الأخير خاصة واسترجع أهم مقاصد الكتاب عامة، وهذه القطعة أيضا نقطة الانتهاء لرحلتنا العلمية في كتاب الوسطية والاعتدال عند المؤلف " تس سي".

كما وجدنا في هذه الدراسة إن للقطعة الأخيرة مميزات خاصيتين مختلفتان من القطعات الخمس السابقة، والخاصية الأولى هي أن المؤلف استدلل فيها ثلاثة بيوت من القصائد المختلفة، بينما استورد بيتا واحدا فقط للقطعات الخمس السابقة، دليلا على مميزاتها الخاصة من أخواتها الخمسة، وهي كما بيناها قبل الآن بأن المؤلف قام بتلخيص في هذه القطعة الأخيرة معنى هذا الفصل خاصة واسترجاع أهم مقاصد الكتاب بكلمة عامة.

وأما الميزة الثانية في هذه القطعة الأخيرة فهي أن الممدوح المشار في كل القطعات الخمسة السابقة هو الرجل الفاضل، فأسلوب التعبير لكل قطعة هو إيراد البيت المختار أولا كالدليل المبتدأ ثم يلحقه مآثر الرجل الفاضل كالنتيجة الخاتمة، كان أسلوبه مثلا: البيت المستدل به ثم يلحقه بقوله : " ولذلك كان الرجل الفاضل كذا كذا." على أسلوب التدرج في مدح مآثر الرجل الفاضل أكمل فأكمل من خلال القطعات الخمس السابقة كلها. وأما في القطعة الأخيرة هذه فكان الممدوح المشار فيها انقلب مدح مآثر الرجل الفاضل إلى الملك الحكيم " وون وانغ ". فما هو سر

٤٠٦ - الشرح والتعليق الجامع للكتب الأربعة، جو شي، قسم كتاب الوسطية والاعتدال، الصفحة ٧٣.

التغير للأسلوب التعبيري هنا وهناك، وكذلك ما هي العلاقة بين الرجل الفاضل وبين الملك الحكيم " وون وانغ " ؟

نقول إن الملك الحكيم " وون وانغ " وأمثلة من الملوك الحكماء السلف في تاريخ الصين القديم من الملك " يلو " والملك " شون " والملك " يو " والملك " شينغ " ، كان كلهم المثل العليا في الإنسانية والقيم الأخلاقية عند الأستاذ كونفوشيوس وعلماء مذهبه، وحيث إن هؤلاء الملوك الحكماء قد جمعوا بين أشرف مكارم الأخلاق وأعز السلطان الملكي في آن واحد، كما دل على ذلك كلام الأستاذ كونفوشيوس بنفسه حيث قال في كتاب الحوار : " للرجل الفاضل مخافات ثلاث: مخافة إرادة السماء (تِيَّان) تقياً، ومخافة أوامر كبار الدولة احتراماً، ومخافة أقوال الحكماء اقتداءً^{٤٠٧} " ونقول مستدركاً في ذلك: ألا ولقد جمع الملك الحكيم بين زمام الأمر والنهي وبين مكارم الأخلاق العظيمة؟ ألا وهو أحق للرجل الفاضل من المخافة والاقتداء به ؟

وإذا فهمنا العلاقة المتلازمة بين الرجل الفاضل والملك الحكيم على أساس نسبتها المتدرجة بعضها على بعض، نعرف أيضاً سرّ تغير أسلوب التعبير بين القطعة الأخيرة حيث ذكر فيها الممدوح المشار إليه هو الملك الحكيم " وون وانغ " ، وبين القطعات الخمس السابقة حيث ذكر الممدوح المشار إليه هو الرجل الفاضل، وذلك أسلوب عطف العام على الخاص، فالثناء على الرجل الفاضل في القطعات الخمس السابقة هو ثناء عام، وفي نفس الوقت هو مدح ضمني للملك الحكيم أيضاً. وأما المدح للملك الحكيم في القطعة الأخيرة فهو مدح حقيقي، كما هو في نفس الوقت ثناء عام على الرجل الفاضل الذي يجتهد بنفسه في الاقتداء بملوك الحكماء.

وبعبارة موجزة أن في نظر مذهب الكونفوشيوسية كان الملك " وون وانغ " وأمثلة من الملوك الحكماء السلف هم المثل العليا في الإنسانية وقيم الأخلاق، وهم كالقمر والنجوم يتلألأ في السماوات يضيء الإنسان، بينما كان الرجل الفاضل وأصحابه هم المصابيح المنيرة في الأرض يستنير بها عامة الناس في أخلاقهم ومناسكهم الحياة اليومية.

٤٠٧- كتاب الحوار بشرح جوشي ، الفصل السادس عشر، الصفحة ٢٢٠.

وكان المؤلف "تس سي" كولرث نسبي وعلمي للأستاذ كونفوشيوس تابعه في نظريته الأخلاقية الأمثلية بفلسفة حياة الإنسان وقيمتها، وقد طوّر هذه النظرية في كتاب الوسطية والاعتدال. من حيث أمس محورا مركزيا لكتابه على النظرية بأن الرجل الفاضل مع بلوغه ذروة الكمال في الخلق والعلم نظريا، يسلك منهاج الوسطية والاعتدال عمليا.^{٤٠٨} وكان جميع الفصول والموضوعات في كتابه يدور حول هذا المحور الأساسي بيانا واستنباطا، مما يكشف من خلاله بأن الحقيقة المثلى في الإنسانية وقيمتها هي تهذيب الرجل الفاضل نفسه أخلاقيا وروحيا، على محاسبة نفسه بالورع والحذر الذاتي، عن طريق منهاج الوسطية والاعتدال، حتى يتم شخصية نفسه أولا ويكمل شخصية الغير بأسلوب التعلم والتربية الأخلاقية ثانيا، ويوفق علاقات المظروفات كلها بالاعتدال والانسجام ثالثا، حتى يحقق بهذه الترفيات الروحية والأعمال الإصلاحية الهدف الأعلى في الإنسانية المثلى وهو الاتحاد الخلقى مع إرادة السماء (تيان) أخيرا. وما هي الغاية الأسمى في الإنسانية المثلى عند المؤلف "تس سي" والكونفوشوسية على سواء، وقد ذكرت هذه الوحدة الخلقية بين الإنسان وبين إرادة السماء (تيان) في سقر التبدلات قائلا: "إن السماء (تيان) يثبت ويخلد في تحركه، فالرجل الفاضل يثابر بنفسه على سعيه وراء الخير بجد واجتهاد."^{٤٠٩}

ونصب العلماء الكونفوشيسيون - سلفهم وخلفهم - رأيهم الروحية على هذا الهدف الاعلى طلبا وسعيا، حتى كان "تشانغ زى" يعبر عن مسؤولية العالم الكونفوشوسي كالرجل الفاضل وهو ينادى: "من أجل تثبيت الحق المطلق بين السماوات والأرض خالدا، ومن أجل تأمين معيشة الجماهير ماديا وإرشاد مطالبهم الروحية في اليوم، ومن أجل توريث وتفسير التعليمات الياقية للحكام الصالحين السلف في أمس، ومن أجل شق الطريق وتمهيد السبيل لنشر السلام والأمن في المجتمع للأجيال القادمين في المستقبل."^{٤١٠}

٤٠٨- ارجع إلى الفصل السابع وعشرون لكتاب الوسطية والاعتدال.

٤٠٩- الشرح والتعليق للكتب الثلاثة عشر، كونغ بينغ داه الجزء الأول، الصفحة ٣٤.

٤١٠- انظر: الحكمة الفلسفية في تاريخ الصين، دار الطباعة للغات الأجنبية بكين، الطبعة الأولى، ١٩١٠م، الصفحة ١٥٧.

الخاتمة

أ- خلاصة البحث:

الحمد لله، بعونه تعالى وصلت بعد هذه الجهود المتواضعة إلى نهاية رسالتي، ومن خلال عملي على نقل الكتاب ترجمة وشرحا، وجدت أن الكونفوشيوسية ليست مذهباً أخلاقياً، يسعى وراء الإصلاح الاجتماعي ويدعو إلى سعادة الإنسانية فحسب، بل هي تحتوي أيضا على الاعتقاد الديني ونظام الآداب وأفكار الفلسفة وقواعد السياسة. وإن كتاب الوسطية والاعتدال قد بين في بداية الفصل الأول هذا الاعتقاد الديني بالسماء الأعلى - تيان الذي فطر البشر على طبيعتهم الإنسانية، ليهتدوا بها صراطا سويا عن طريق التعلم والتربية في تهذيب أنفسهم وإكمال شخصيتهم.

وقد تخللت هذه النظرية الميتافيزيقية في جميع فصول كتاب الوسطية والاعتدال من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، متركزا على نقطتين أساسيتين: تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال، وتحقيق صفة الصدق والإخلاص في كل جوانب حياة الإنسان علما وعملا. وبالعبارة الأخرى: قدم المؤلف " تس سي " في كتابه دواء فعلا في علاج تيه النفوس وحيرتها خلقيا وإصلاح قلق المجتمع واضطرابه سلوكيا، فمن ناحية تحقيق صفة الصدق والإخلاص يعالج تيه النفوس ومطالبها علاجا خلقيا، كما أنه من ناحية تطبيق منهاج الوسطية والاعتدال يصلح قلق المجتمع ودعواه اصلاحا سلوكيا. وعلى أساس فهمي هذا لموقف المؤلف الإصلاحى المعالج، قرأتُ مصنفه كتاب الوسطية والاعتدال، ودرسته من ناحية الترجمة والشرح لتقديمه إلى القراء بالعربية والعالم الإسلامى، وها هي أهم النتائج البحثية التى وصلتُ إليها من خلال دراستى كما يلى:

الأول: من الناحية النظرية الاعتقادية، يرى كتاب الوسطية والاعتدال أن رب الأرباب لكل الكون أى الوجود المطلق هو السماء (تيان)، وكان " أثره فى إيجاد الكائنات وعنايته بها لا صوت يُسمع ولا رائحة تشم ". فعناية إله السماء (تيان) أيضا تتمكّن فى ذات الإنسان، حيث " إنما يهبه

السماء (تِيَان) للإنسان يسمّى بالطبيعة الفطرية "، وهو مصدر صفة الصدق والإخلاص فى قلب الإنسان، وبه يحقّق الإنسان الاتحاد الخُلُقَى مع إرادة السماء (تِيَان) عن طريق التهذيب والتربية.

الثانى: من ناحية نظرية الطبيعة الإنسانية، يدعى الكتاب خيرة الطبيعة الإنسانية، حيث "إنما يَهَبُه السماء (تِيَان) للإنسان يسمّى بالطبيعة الفطرية"، ففطرة الإنسان السماوية حسنة بريئة، مجبولة على الأخلاق الحميدة من الرحمة والعدل والأدب والحكمة والوفاء. وذلك كما يتبيّن فى النص: "الاهتداء بهذه الطبيعة الفطرية يسمّى بطريق الحق". أى عن طريق محاسبة النفس والورع الذاتى يظهر الإنسان فطرته الحسنة، وينزّه نفسه عن الشهوات والأهواء الشرهة، حتى يحقّق نجاحه فى إكمال شخصيته ذاتيا وإكمال شخصية غيره موضوعيا.

الثالث: من ناحية نظرية المعرفة، يدعو الكتاب إلى التوافق بين العلم والعمل والجمع بينهما، ويرى أن طريق الحقّ فى حياة الإنسان يتمثّل فى أخلاقه الذاتية ومسالكه اليومية التى تفتح أبوابها لكل واحد إدراكا وتطبيقا. وكيف يحقّق الإنسان هدفه فى الجمع بين العلم والعمل؟ قدّم هذا الكتاب فى ذلك الخطوات الثلاثة وهى: التعلّم الواسع مع السؤال الواعى أولاً، ثمّ عن طريق التفكير المتقنّى مع التبيين المحكم يرتقى بنفسه إلى علم اليقين ثانياً، ويطبّق ثالثاً ما تعلّمه وأتقنه فى الحياة الواقعية على ضوء منهاج الوسطية والاعتدال مثابرة، حتى يحقّق إنسانيته المثالية بجهوده المثقّة بين علم اليقين والعمل الدائم، استجابة لعناية السماء (تِيَان).

الرابع: من ناحية نظرية القيم الأخلاقية، يرى الكتاب أن أخلاق الإنسان الحميدة تتأسّس على الأصول الثلاثة الكبرى: الحكمة، والرحمة، والشجاعة. فمن التعلّم يصل إلى الحكمة، ومن العمل بالخير يحصل على الرحمة، ومن الحياء يعرف حقيقة الشجاعة. وأمّا العلاقة الاجتماعية فهى تتأسّس على المبادئ الخمس العامة: العلاقة بين الحاكم ووزرائه بالاحترام والوفاء، والعلاقة بين الأب وابنه بالرفقة والبرّ، والعلاقة بين الأخ وأخيه الصغير بالأنطاف والتواضع، والعلاقة بين الزوج وزوجته بالعدل والطاعة، والعلاقة بين الصديق وصاحبه بالمودة والعون. وكلّ هذه

الأصول الثلاثة الكبرى والقواعد الخمس المعتمدة ترافق الإنسان مع تهذيب نفسه بالورع الذاتي والإخلاص الوجداني، في سبيل إكمال شخصيته والعودة إلى فطرته السماوية.

الخامس: من ناحية النظرية السياسية، يتبين الكتاب السياسة الرحيمة، ويدعو إلى رعاية الحاكم رعيته بالأخلاق الحميدة؛ فعلى الحاكم أن يهذب نفسه بمكارم الأخلاق أولاً، ويولّى رجالاً صالحين أكفاء إدارة شؤون البلاد ثانياً، ويدعو رعيته إلى الأخلاق الحميدة ويعذلهم بنظام الآداب ثالثاً، حتى ينقاد الشعب لأوامره سمعاً وطاعة، ويجتمع إليه أقوام من جار الجنب احتراماً ومودة. وذلك كما يذكر في النص: " يستحق كل حاكم أن يتبع تسع قواعد أصولية في إدارة دولته ورعاية شعوبه، وهي: تهذيب الحاكم نفسه بقوة، واحترام الصالحين والفضلاء شرفاً، والمراعاة بصلة الرحم تقرباً، وتكريم الوزراء المعتمدين عزة، وتقدير خدمة الموظفين العوام تسامحاً، ورعاية شؤون الرعية الجماهير رحمة، وتجنيب عمال الحرفة والصناعة تعاوناً، وضيافة الوافدين والرسل الأجانب إكراماً، وموادة الأمراء في أنحاء البلاد بالسياسة الرشيدة تسليماً."

السادس: من ناحية النظرية المنهجية، يرى الكتاب أن الوسطية هي الحالة المثلى التي لا إفراط ولا تفريط، وأن الاعتدال هو الحال العادي الذي لا تبدل ولا تغير فيه، فمنهاج الوسطية والاعتدال صراط مستقيم يقوم عليه القواعد الكونية كلها، وهو عروة وثقى ليمسك الإنسان بها من غير عوج ولا انحراف. وعلى الإنسان أن يتأمل في الأمور ويتخذ أوسطها بدون إفراط ولا تفريط، حتى يصل إلى حالة الوسطية المثلى والانسجام التام، ويحقق رسالته العليا بأن يكون ثالث الثلاث الكبرى في الكون - السموات والأرض والإنسان - يعدل ويوفق نمو جميع الكائنات. وذلك كما يذكر النص: " إذا بذل الإنسان أقصى جهوده في الاهتداء بالوسطية والاعتدال سعياً وامتثالاً، ستستقر السموات والأرض بفضلها في مقامهما وفاقاً، وسينمو كل الكائنات بينهما ازدهاراً."

ب - الجوانب المبتكرة والجديدة في البحث:

إن الترجمة التي قمت بها لكتاب للوسطية والاعتدال شأنها كشأن بقية الكتب المترجمة إلى اللغة العربية من اللغات المختلفة قديما وحديثا، غير أنني أضفت فيها الجوانب المبتكرة الجديدة من نوعها، منها:

أولاً: لقد راجعت هذا الكتاب مرارا وتكرارا حتى أفهمه ثم أضوغة صياغة مناسبة للقراء الكرام للناطقين بالعربية، وأثبت نص الكتاب أيضا حتى يكون العمل متقنا وموثوقا به.

ثانياً: شرحت النص شرحا يناسب طبيعة الكتاب، وذلك بأقوال وتفسيرات العلماء والفلاسفة الذين أحبوا المساهمة العلمية في فهم هذه النصوص الفلسفة الأدبية شرحا وتسهيلا للكتاب، ونقلت أقوال العلماء والباحثين من أتباع الديانة في شرح الآراء الفلسفة لصاحب الكتاب بدقة وأمانة ووضعناها أمام القراء بدون حذف أو إضافة ونسجت كل النصوص إلى أصحابها وأثبت مراجعها في الهامش.

ثالثاً: علق على بعض النصوص وأبدت رأيي كباحثة ومترجمة عندما كان هناك شيء من التناقض في بلاي الأمر، وإثبت القول الراجح مع بيان وجه الترجيح بأمانة علمية تامة، وإني والحمد لله كمسلمة صينية أفهم اللغة الصينية وأتعامل بها وأعيش وسط المجتمعات الكونفوشيوسية الصينية وإذا وجدت المشكلة في التوفيق بين الآراء والنصوص كنت أرجع إلى من هو أقدر فهما وعلمنا حتى لا أخطئ ولا أحكم غيبيا على الأسلاف لأن لكل ديانة سواء سماوية أم وضعية قداسة عند أصحابها، ويجب أن نراعي بأمانة حيث أمرنا الله تعالى في كتابه بحفظ الأمانات وأدائها إلى أهلها، قال الله تعالى في القرآن الكريم: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مَبْصِيرًا).^(١)

رابعاً: أبرزت جانب التأليه في الديانة الكونفوشيوسية حيث إنها ديانة وضعية تؤمن بآله واحد وهو السماء (تيان)، غير أن الطرق العبادية والطقوس الدينية لم تطرح باعتبارها الغاية الأخيرة

في السعادة. وأما الحكيم كونفوشيوس، فهو مصلح ديني غير أنه يركز على الجانب الأخلاقي والنظام السياسي، ولم يدع أنه نبي أو رسول، فترك الباب مفتوحا للمصلحين الآخرين حتى بدلوا بدلوهم في الحفاظ على الجانب الأخلاقي والثقافي كوسيلة للحياة السعيدة بين الأجنام والشعوب.

٥ - التعليق:

إن كتاب الوسطية والاعتدال هو الأعمق والأصعب فهما من بين الكتب الكونفوشيوسية الأربعة، وقد تناول جميع نواحي حياة الإنسان اعتقاديا وأخلاقيا واجتماعيا وسياسيا ومنهجيا، مما جعل له أثرا كبيرا في تاريخ الصين منذ أربعة وعشرين قرنا حتى عصرنا الحاضر.

ومن خلال ترجمتي ودراستي هذه لكتاب الوسطية والاعتدال خاصة - ومع مطالعتي في الكتب المقدسة عند الكونفوشيوسية عامة - فإني كطالبة باحثة في تخصص مقارنة الأديان وجدت أن الكونفوشيوسية مع أنها ديانة وضعية، ففيها أفكار دينية ودعوى أخلاقية تقرب وتتفق مع مبادئ دين الإسلام الحق ومطالبه الأساسية، وسبب ذلك - في رأيي - يرجع إلى وجود بقايا من الرسائل السماوية في هذه الديانة الوضعية، ولقد أخذت هذه النتيجة استدلالا من النقل والعقل؛ فمن ناحية دلالة النقل نجد كثيرا من الآيات القرآنية تتحدث عن بعث الله تعالى نبيا ورسولا لكل أمة من أمم العالم بشيرا ونذيرا، وسنة الله هذه لا تبدل لها، قال عز وجل (لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ)^{٤١٢}، وقال تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)^{٤١٣}، وقال سبحانه (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ)^{٤١٤}.

ولهذه الدلالة القطعية القرآنية نجد كثيرا من الشهادات المعتمدة لها خلال الكتب الكونفوشيوسية المقدسة، ويكفي أن نورد بعض أقوال كونفوشيوس نفسه كدليل شاهد على هذا؛ لكي لا تطيل الكلام هنا، فلنأت إلى قوله المشهور في كتاب الحوار حيث قال: " وأما النبي

٤١٢- سورة يونس ١ رقم الآية ٤٧ -

٤١٣- سورة فاطر، رقم الآية ٢٤٧ -

٤١٤- سورة النساء، رقم الآية ١٦٤ -

والرجل الكامل الرحمة، فأثني لى أجترئ على الادعاء بهما ١٩ وإنما أجتهد بنفسى فى الاقتداء بطريق النبي، وفى استكمال حقيقة الرحمة، كما أبذل أقصى جهودى فى تعلم الناس وإرشادهم بلا ملل، فذلك هو شأنى أنا.^{٤١٥}

فمن قوله هذا نستفد نتيجتين نفيا وإثباتا: نفيا لنبوة كونفوشيوس كما دللت عليه عبارة النص، وإثباتا لوجود نبي ورسول قبل كونفوشيوس كما دلّ عليه إشارة النص، بل إثباتا لأخذ كونفوشيوس من هذه بقايا الرسالة السماوية وضمها إلى مذهبه.^{٤١٦}

وهذه حالة كونفوشيوس مؤسس المذهب فى هذا المجال، وعندما جاء وارثه الروحي والتسبي حفنده "نُس سى" مؤلف كتاب الوسطية والاعتدال، ورث بقايا الرسالة السماوية أيضا، وضمها فى كتابه هذا وعبر عنها بأسلوب الفلسفة الميتافيزيقية. فنجده أرجع الربوبية الأعلى والملكوت المطلق- كديهة صريحة بدون شك وريب - إلى السماء (تيان)، واتخذ مرجعه الأسمى الذى يبنى عليه مبادئ كتابه اعتقاديا وأخلاقيا وميتافيزيقيا، وهو يقول فى أول جملة من هذا الكتاب: "إن ما يهبه السماء (تيان) للإنسان يسمى بالطبيعة الفطرية." وأعقب على هذا بقوله: "وأتباع الإنسان لهذه الطبيعة الفطرية يسمى بطريق الحق، وتهذيب الإنسان وتركيز نفسه على طريق الحق يسمى بالتعلم والتربية." ثم يدور المؤلف بكتابه من خلال ثلاثة وثلاثين فصلا على هذه المقدمة الأولى كمحور رئيسي لكل تأليفه شرحا واستنباطا، حتى يختم تصنيفه بجملة أخيرة فى نهاية الكتاب تقول: "بل ذكر فى سفر القصائد: 'إنما أثر السماء (تيان) فى عنايته

٤١٥- كتاب الحوار، الفصل السابع، الصفحة ٧٢.

٤١٦- وقد ناقشت هذا الموضوع فى رسالتى لنيل درجة الماجستير "الفرد والمجتمع فى الكونفوشيوسية- دراسة نقدية فى ضوء الإسلام"، التمهيد، تحت العنوان "قضية نبوة كونفوشيوس"، الصفحة ١٣-١٨. يمكن الرجوع إليه، فلا نطيل الكلام هنا مرة ثانية. فموقفنا الأساسى فى هذه القضية هو كلام أبى الأعلى المودودى، فقال عن الإيمان بالأنبياء: "فنحن نؤمن بكل من عسى أن يكون جاء من رسول الله إلى بلاد الهند والصين وإيران ومصر وأفريقيا وأوروبا، وسائر نواحي الأرض وأرجائها، ولكننا لا نستطيع أن نقول عن فلان منهم بالضبط إنه كان أو لم يكن رسولا من الله، وذلك أننا لم نخبر عن ذلك بشيء، غير أنه لا يجوز لنا بحال من الأحوال أن ننمّ أو نذكرهم بالسوء أحدا من الذين يتبعهم رجال مختلف الديانات فى الأرض، وما أدراك إن كانوا من رسل الله حقاً، ثم بدل الناس دينهم من بعدهم، كما بدل أتباع موسى وعيسى عليهما السلام دينهما الحق من بعدهما، وإن كان لنا رأي نظره، فليكن عن طوقس ديانتهم ورسومهم فى موضعها الحاضر، لنسكت سكوتا تاما عن أسس هذه الديانات، لئلا يصدر عنا شيء يخالف الأدب فى شأن رسول من رسل الله." انظر: ألف باء الإسلام، الإمام أبو الأعلى المودودى، مكتبة التراث الإسلامى - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م، الصفحة ١٠٠-١٠١.

للكائنات وتنميتها لا صوت يسمع ولا رائحة تشم. ' ها هو المثل الأعلى في مكارم الأخلاق يُضرب. " وهو يسترجع بهذه الخاتمة الرائعة المقدمة الأولى في بداية الكتاب استكمالا. بل أكد المؤلف " ثس سى " العلاقة المتلازمة بين هذه العناية الربانية السماوية وبين عاقبة صاحب مكارم الأخلاق مرارا، وخاصة في الفصل السابع عشر حيث قال: " فمن يزرع حسنة يزرعه السماء (تيان) الأعلى فضيلة ونعمة، ومن يأت إلى السيئة يزرعه خسارة وهلاك. وقال سيفر القصاصد فيه: ' يا له من رجل فاضل قرحا وبشرا، ما أظهر أخلاقه حسنة وكريمة ! أمن بفضلها شعوبه سلاما ووفاقا، كُتبت له نعمة وبركة عظمى. ففُتّر له أن ينال العزة والسلطة، سُنّة السماء (تيان) قدرا مقدورا. ' فهذا البيت دليل على أن صاحب الأخلاق العظيمة كُتبت له عناية السماء (تيان) الأعلى ونصره. "

وعلى هذا الاعتقاد برُبوبية السماء (تيان) الأعلى، أسس المؤلف نظرياته الفلسفة كلها، فمن الناحية المنهجية يدعو إلى منهج الوسطية والاعتدال عن طريق الحذر والورع الذاتي؛ ومن الناحية الأخلاقية يدعو الناس إلى إثبات أقدامهم في الأصول الثلاثة الكبرى (الرحمة والحكمة والشجاعة) أولاً، حتى يتدرجوا إلى جميع مكارم الأخلاق ترقية؛ ومن الناحية الاجتماعية يعتمد على إكمال الإنسان شخصية نفسه أولاً وإكمال شخصية غيره ثانياً على أساس المبادئ الخمس العامة؛ ومن الناحية السياسية يرغب الحاكم في تطبيق السياسة الرشيدة على أساس القواعد التسع المعتمدة؛ ومن الناحية الأنطولوجية والمعرفية يدعو إلى ضرورة وجود صفة الصدق والإخلاص في وجود الكائنات وتطوراتها وخاصة مع معرفة أهمية صفة الصدق والإخلاص في تهذيب الإنسان نفسه علمياً وعملياً.

وإذا درسنا هذا الكتاب في ضوء الإسلام وتعليماته الحقّة، لوجدنا كثيراً من بقايا الرسائل السماوية في مذهب الكونفوشيوسية وكتبها المقدسة؛ إذ ما كان الاعتقاد برُبوبية السماء (تيان) الأعلى عند الكونفوشيوسية إلا وهو يقترب ويتفق مع مبادئ ربوبية الله تعالى في دين الإسلام،

وذلك كما قال الله سبحانه : (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)^{٤١٧} .
 وأيضا نجد أنه ما من دعوى الأخلاقية عند الكونفوشيوسية من الرحمة والعدل والحكمة والأدب والصدق.... والبخ، إلّا وهي تقترب وتتفق مع مطالب الإسلام الأخلاقية وتعليماته المرشدة، وذلك كما قال خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم : " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " .^{٤١٨}
 فكل ما وجدناه ممّا يوافق مبادئ الإسلام وتعليماته الحقّة من بقايا الرسالة السماوية في الكونفوشيوسية وكتبها المقدسة على وجه العموم، يمكن لنا أن نسيّته بالجانب الإيجابي لهذه الديانة الوضعية، وبه أدّينا واجب الأمانة العلمية في دراستنا الوصفية لكتاب الوسطية والاعتدال على وجه الخصوص. وأيضا من أجل أداء الأمانة العلمية يجب علينا أن نبين هنا- على ضوء الإسلام- الجانب السلبي لمذهب الكونفوشيوسية، وخاصة في كتاب الوسطية والاعتدال، وعلى رأس ذلك ضلالهم في مجال الألوهية بتأليه الملائكة والجانّ وتقديس أرواح الأباء وتقديم القرابين لهؤلاء جميعا^{٤١٩}، ممّا يدلّ على اندساس الوضعية في مجال الألوهية عند الكونفوشيوسية بجانب وجود بقايا الرسالة السماوية عندهم في مجال الربوبية خاصة، وذلك كما كشف الله تعالى للمسلمين عن أحوال هؤلاء وقال سبحانه : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)^{٤٢٠} .
 ويكفي أن نذكر هنا الجانب السلبي للكونفوشيوسية ببيان خطئهم في مجال الألوهية على سبيل المثال، لكي لا نطيل الكلام، ويمكن للقراء الرجوع إلى المباحث المتعلقة بهذا الموضوع بتفصيل في دراسات أخرى.^{٤٢١}

د- التوصيات:

أولاً: الإشارة العاجلة في السطور السابقة الجانب السلبي والجانب الإيجابي في الكونفوشيوسية من أجل التمهيد للبحث والدراسة المتقنّية في هذه الديانة الوضعية؛ لكي نردّ على ضوء

٤١٧- سورة الزخرف، رقم الآية ٨٤.
 ٤١٨- رواه مالك في الموطأ، برقم ٣٦٢٢. وقد صحّحه الألباني.
 ٤١٩- انظر: كتاب الوسطية والاعتدال، الفصول ١٦، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٩.
 ٤٢٠- سورة القمان، رقم الآية ٢٥.
 ٤٢١- انظر: رسالتى المتواضعة لنيل درجة الماجستير " الفرد والمجتمع في الكونفوشيوسية- دراسة نقدية في ضوء الإسلام"، الصفحة ١٤٢- ١٤٤.

الإسلام- نحن المسلمين عامة والطلاب الباحثين خاصة- ما في الكونفوشيوسية من الباطل، فنأخذ عبرة وعظة في سبيل إظهار حقانية الإسلام الخالدة في القول ببطلان الأديان والمذاهب الأخرى سواء، وقد قال الله تعالى في ذلك: (أَلَيْسَ لَكُم دِينُكُمْ وَآمَنْتُمْ عَلَىٰ نَفْسِكُمْ يُعْزِي وَيُزَيِّتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ بَيْنًا)^{٤٢٢}. كما يمكن من خلال دراستنا المستقصية في الكونفوشيوسية وكتبها المقدسة، نستخرج ما فيها من مبادئها المفيدة ودعواها الإيجابية التي توافق قواعد الإسلام السديدة وتعليماته المرشدة، فلنأخذها أساسا مشعركا في التبادل والتعارف بين الحضارة الإسلامية والثقافة الصينية فقط، بل نجعلها أسلوبا مقربا في دعوة أهل الصين اليوم إلى الإسلام، وذلك كما قال الله عز وجل: (أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^{٤٢٣}.

ثانياً: رجاء من العلماء المسلمين والباحثين المتخصصين أن يهتموا بمثل هذه الدراسات الجادة، حتى يتموا ترجمة الأسفار الخمسة والكتب الأربعة الكونفوشيوسية المقدسة من أمهاتها إلى اللغة العربية في المستقبل غير البعيد، وأن يهتموا ويدرسوا أغوار حضارة بلاد الصين عامة والكونفوشيوسية خاصة بدقة وعمق، ثم يقوموا بمقارنتها على ضوء الإسلام، إظهاراً لقيم الحضارة الإسلامية الربانية في كل المجالات دينياً واجتماعياً وخلقياً وسلوكياً، فيقدمونها إلى العالم، وخاصة أهل بلاد الصين، لكي يعرفوا الهداية الإسلامية الوسطية في الدنيا والآخرة جامعة بين مطالب المادة ودعوى الروح في إجابة كاملة لحاجات نفوس الإنسان، مما يجذبهم إلى أعمال الفكر والتأمل في كل الدينتين ليثبت أمامهم الحق ويدعوهم إلى الصراط المستقيم، وذلك كما قال الله تعالى: (قُلْ هُنَا سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ)^{٤٢٤}. وهي رسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال عز وجل في ذلك: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^{٤٢٥}.

٤٢٢- سورة المائدة، رقم الآية ٣.

٤٢٣- سورة النحل، رقم الآية ١٢٥.

٤٢٤- سورة يوسف، ورقم الآية ١٠٨.

٤٢٥- سورة الأنبياء، ورقم الآية ٢٨٧.

ثالثاً - مع تقدم التاريخ، حققت آسيا نهضتها الكاملة المعاصرة ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فتأثرت نهضة الشرق الذي يملك أكبر عدد من السكان وأوسع مساحة وأوفر ثروة في العالم خوف الغرب المستعمر أسس. وقلقه الأيديولوجي، فبدع متهدداً بدعوة "تصلام الحضارات"، وعلى رأس هؤلاء مفكرى الغرب العالم الأمريكى المشهور فى مجال الفلسفة السياسية "صموئيل هانتجتون" وهو يقول: "إن البزرة المركزية للصراع بين الأضداد فى المستقبل المنظور سوف تكون بين الغرب ودول عدة ستشكل رابطة بينها لتجميع بين أتباع الديانتين - الكونفوشيوسية والإسلام".^{٤٢٦} فخوف الغرب من الإسلام هذا أمر طبيعى لأن الإسلام دين الحق والسلام بقوله تعالى: (وَقَدْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ النَّبَاطِلُ إِنَّ النَّبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)^{٤٢٧}. وقال سبحانه أيضاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)^{٤٢٨}. ولكن الكونفوشيوسية بصفة ديانة وضعية قد قلق منها الغرب وخاف أيضاً وهذا يهمناء نحن المسلمين فى العالم الإسلامى عامة والطلاب الباحثين خاصة - أن نعرف ما سبب ذلك؟ والحل فى ذلك أن ندور فى أمهات الكتب المقدسة عند مذهب الكونفوشيوسية بنقطة وعشق. فإن الدراسة المقارنة فى مثل هذه الديانات الشرقية وخاصة بالكونفوشيوسية بما فيها من الأفكار الاعتقادية والأخلاقية والفلسفة دراسة ضرورية جداً، حتى نتضح أمام الدارسين المسلمين القيم العليا فى أديان الشرق الوضعية ومدى تأثيرها فى الناس وفى العالم الحاضر.

رابعاً - بجانب اتجاه نظرية "تصلام الحضارات" الغربية المتطرفة، هناك دعوة إيجابية بين مفكرى الشرق وعلماء الغرب المعتدلين، مسمية بنظرية "العهد المحورى الحضارى الجديد"^{٤٢٩} التى تقيم أسسها على مبدأ الحوار والتبادل الثقافى بين عدة الحضارات الممثلة العالمية وعلى

٤٢٦- تصارع الحضارات، صموئيل هانتجتون، ترجمة وتقديم الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، الندوة - المجلد السادس، العدد الأول شعبان ١٤١٥ الهجرى - كانون الثانى ١٩٩٥ م.

٤٢٧- سورة الإسراء، الآية ٨١

٤٢٨- سورة الحجرات، وآم الآية ١٢

٤٢٩- انظر: كتاب العهد المحورى The Great Transformation، المؤلف Karen Armstrong، بترجمة بلان يان بيث، دار الطباعة فى مقاطعة هاى ناز، ٢٠١٠ م. وانظر أيضاً إلى كتاب ملائكة الأديان The Unavoidable Dialogue - المؤلف Raimon Panikkar بترجمة وانج جى تشينج، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة سيتشوان، ٢٠٠٨ م.

رأسها حضارة الغرب والحضارة الإسلامية والحضارة الصينية بعضها لبعض. والجدير بالذكر أنه قد بدأ العلماء المسلمون والمفكرون الصينيون بعمل الحوار الحضارى بين الإسلام والكونفوشيوسية منذ أواخر التسعينات للقرن الماضى، وخاصة فى نوفمبر سنة ٢٠٠٩م أقيم مؤتمر الحوار الشهير بين الإسلام ومذهب الكونفوشيوسية فى بكين - عاصمة الصين، على إشراف العالم الممثل للكونفوشيوسية المعاصرة الدكتور "تو وي مينغ" والعالم المسلم المشهور الدكتور السيد حسين نصر فى جامعة بكين لمدة ثلاثة أيام، وحضر مؤتمر الحوار هذا كثير من العلماء من الدول المختلفة فى العالم. وفى هذا المؤتمر يري الدكتور "تو وي مينغ" والسيد حسين نصر أن حضارتى الإسلام والصين حين تتبدلان بحضارة الغرب أخذا وعطاء فى العصر الحديث، أحقّ بهما أن تعززان التبادل والحوار بين الحضارتين العظيمتين فى الشرق، أمام استجاب تحدى الأزم العالمية المعاصرة فى مجالات الإنسانية والبيئية فى القرن الحديث. وأرجو بشخصيتى المسلمة الصينية أن العالم الإسلامى يفتح ويوسع أبواب الحوار والتبادل ثقافيا واقتصاديا وسياسيا مع حضارة الصين مزائدة، وخاصة بين العلماء فى العالم الإسلامى وبين مفكرى الصين فى مجال البحث والدراسة أخذا وعطاء بعضهم بعضا.

خاتمة: وجدير بالإشارة والصراحة هنا كما نجد أن الوسائل الإعلامية الغربية تتواصل ليلا ونهارا تشويه سمعة الإسلام ونقل للصور المزورة القبيحة عبر قنواتها بدون تحقيق وأمانة وتتهم الإسلام بأفعال المسلمين المنسوبين إليه كذبا وزورا وتحاول جاهدة إخفاء مزايا الإسلام عن العالم كله حتى نجد كثيرا من الناس يبحثون عن الإسلام فلا يجدونه إلا عن طريق هؤلاء الملفقين الماجورين، هكذا نجد أهل الصين متعطشون لمعرفة الإسلام الصحيح وعن العالم الإسلامى، غير أن هذه الوسائل الإعلامية الغربية المتنفذة كالسيل الجارف لا تريد خيرا للإسلام ولأهل الصين بالذات.

ولذلك أتمنى أن تكون الحوارات بين العالم الإسلامى وبين الصين والأمم الشرقية متواصلة متزايدة، وأن تقوم بينهما علاقة التبادل والتعاون فى جميع المجالات الثقافية والاقتصادية

والسياسية مواجهةً جنباً بجنب لتحديات الغرب الفكرية والعسكرية في العصر الحاضر .

وأخيراً أقول إنه مع بذل أقصى الجهود في عملي البسيط لترجمة كتاب الوسطية والاعتدال من أمهات الكتب الكونفوشيوسية المقدسة إلى اللغة العربية، لا يمكنني أن أدع بأنه عمل بالتامة بل هو خدمة متواضعة للعلم والتبادل الحضاري بين الأمتين الصينية والإسلامية العظيمتين، كما أعتقد أنه هناك زلل ونقص في عملي المترجم والشرحى هذا- مع قصور يدي في العلم والمعرفة، فأرجو أن يرشدني العلماء الكرام ورفقائي الباحثون في هذا المجال، وجزاهم الله خير الجزاء !

وإنما كل عمل لمسلم إذا خلا هدفه من أن يرفع كلمة الله العليا فلا قيمة له ولا مشكور فيه. فأرجو أن يكون عملي البسيط في هذه الرسالة يخدم الإسلام والمسلمين في مجال مقارنة الأديان، حيث أحاول بجهدى المتواضع أن أمهد مادة أساسية للباحثين المسلمين في دراستهم لكتاب الوسطية والاعتدال خاصةً والكونفوشيوسية عامة، حتى يوسعوا ويكملوا دراستهم - على ضوء الإسلام - في هذه الديانة الوضعية، فيبينوا من خلال دراستهم المقارنة حق الإسلام ونوره أمام أهالي الصين وهم مليار وأربعمئة مليون نسمة اليوم.

وأختتم هذه الرسالة المتواضعة بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^{٤٣٠}. وقال عز وجل: (قُلْ إِنِّى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)^{٤٣١}.

٤٣٠- سورة الحجرات، رقم الآية ١٣.

٤٣١- سورة الأنعام، رقم الآية ١٦١-١٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب باللغة الصينية:

- ١- الأسفار الخمسة والكتب الأربعة المقدسة في الكونفوشيوسية. 四书五经
الأسفار الخمسة، لجنة التحرير للكتب الكلاسيكية المجلدة المخططة، دار طباعة نور الصباح
بكون ميونغ، ٢٠١٤م. 编 线装经典编委会 «五经»
الكتب الأربعة بتحرير يانغ تشون، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة شن تشي، ١٩٩١م.
«四书» 杨春霖 陕西人民出版社
- ٢- أطراف الحديث عن الثقافة الصينية، نانغ هوى جينغ، دار الطباعة الشرقية الطبعة الأولى
٢٠٠٨م. «中国文化漫谈» 南怀瑾
- ٣- إلى البرز المنتهى - شرح كتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، ليو تينغ يو،
و كون شينغ تشونغ، دار طباعة الديمقراطية والقانونية بالصين، الطبعة الأولى، سنة
٢٠١٠م. «止于至善» (大学, 中庸) 刘成有 孔新春
- ٤- الدراسات في الأفكار الكونفوشيوية في عهد أسرتي "سونغ" و"مينغ"، تيشن لى، دار
الطباعة بجامعة فودآن بشأنغهي سنة ٢٠١٠م. «宋明理学» 陈来
- ٥- الاتجاه العقلي والكونفوشيوسية المتجددة المعاصرة، شوى لينغ، دار الطباعة تشيانغ
تشونغ، سنة ٢٠١١م. «理学与现代新儒学» 许宁
- ٦- البحث والدراسة في الفلسفة الكونفوشيوسية، ليو شو شيان، دار طباعة الكتب التراثية
بشانغهاي سنة ٢٠١٠م. «儒家哲学研究» 刘述先

- ٧- تاريخ فلسفة الصين الحديثة، هونغ يو لان، مكتب سان ليان بكين، سنة ٢٠٠٩م.
- «中国现代哲学史» 冯友兰
- ٨- ترجمة الكتب الأربعة باللغة الصينية الحديثة، ليو جونغ فيان ولين سونغ، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة فوي جيو، سنة ١٩٩٠م.
- «四书全译» 刘俊田 林松
- ٩- للترجمة والتعليق على كتاب الوسطية والاعتدال، وانغ جي قوا، دار الطباعة بجامعة تدریب المعلمين بكين، السنة ٢٠١٢م.
- «中庸译评» 王治国
- ١٠- الترجمة الحديثة لـ "الشرح الجامع للكتب الأربعة"، لي شين، مكتبة با شو بمقاطعة سي تشون، سنة ٢٠١٢م.
- «四书集注全译» 李申
- ١١- تسع عشرة محاضرة في الفلسفة الصينية، مو زونغ سان، دار طباعة الكتب الكلاسيكية بشانغهاي سنة ١٩٩٧م.
- «中国哲学十九讲» 牟宗三
- ١٢- الحكمة الفلسفية في تاريخ الصين، بتحرير لجنة الكتب المتسلسلة، دار طباعة اللغات الأجنبية بكين، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م.
- «中国历代哲学智慧» 丛书編委会
- ١٣- خصائص الفلسفة الصينية، مو زونغ سان، دار طباعة الكتب الكلاسيكية بشانغهاي سنة ١٩٩٧م.
- «中国哲学的特质» 牟宗三
- ١٤- الدراسة العميقة في كتاب الوسطية والاعتدال، شي وي فونغ، دار طباعة المصنفين بكين، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.
- «中庸深解» 师为公
- ١٥- دراسة العرب عن الكونفوشيوسية ومعتقداتهم فيها، سي دي جوي، حولية جامعة شان دونغ سنة ١٩٩٤م، العدد الثالث.
- «阿拉伯人对儒学的研究与认识» 蔡德贵

- ١٦- الذات الفطرية والذات القلبية، موزونغ سان، دار طباعة الكتب الكلاسيكية بشانغهاي سنة ١٩٩٧ م. «心体与性体» 牟宗三
- ١٧- الرؤية النافذ في كتاب الوسطية والاعتدال باللغة الصينية والإنجليزية، دوى مينغ، دار الطباعة بجامعة الشعب، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م. «中庸洞见» 杜维明
- ١٨- ميخيل التاريخ لـ "س ما تشان"، دار طباعة الكتب التراثية بشانغهاي، سنة ٢٠٠٠ م.
- «史记» 司马迁 (西汉)
- ١٨- آداب مملكة "تيشو" - أمنية قديمة، فن شأو تين، دار طباعة الكتب التراثية بشانغهاي، سنة ١٩٩٧ م. «周礼- 远古的理想» 冯绍霆
- ١٩- سلسلة أسرة كونفوشيوس وذريته، كونفو، دار طباعة المكتبة الصينية، سنة ٢٠٠٩ م.
- «孔丛子» 孔鲋 (西汉)
- ٢٠- شرح الألفاظ وبيان الكلم، لـ "شيو شين" ٥٨ م-١٤٧ م، الصفحة ٤٦، مطبعة الكتب التراثية بشانغهاي الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣ م. «说文解字» 许慎 (东汉)
- ٢١- الشرح الجامع للكتب الأربعة، جو شي، دار الكتب "كشي لو" الطبعة الثاني، سنة ١٩٩٢.
- «四书集注» 朱熹 (南宋)
- ٢٢- الشرح والتعلق بكتاب المعرفة الكبرى وكتاب الوسطية والاعتدال، جانغ جو جنغ، دار الكتب و المعاجم بشانغهاي، الطبعة الأولى السنة ٢٠٠٧ م. (明) 张居正讲评 «大学·中庸»
- ٢٣- الشرح اللفظي لكتب الوسطية والاعتدال، لي كا هونغ، دار الطباعة بجامعة فو دان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ م. «大学直解 中庸直解» 来可泓

- ٢٤- فكرة جديدة في مذهب الكونفوشيوسية، فونغ بونغ تيشنغ، دار الطباعة بجامعة بكين، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩ م. «儒学新思» 龚鹏程
- ٢٥- القراءة الدقيقة في كتاب منشوس، شوى خونغ شين، دار الطباعة بجامعة فو دان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠ م. «孟子精读» 徐洪兴
- ٢٦- كتاب شيون تيمى، شيون تيمى، دار الطباعة بجامعة نان جينغ ١٩٩٧.
- «荀子» 荀况 (战国)
- ٢٧- الكونفوشيوسية الأصولية - مجموعات جديدة لـ "شونغ شى لى"، دار الطباعة بجامعة الصين الشعبية، سنة ٢٠٠٦ م. «原儒» 熊十力
- ٢٨- الكونفوشيوسية المتجددة المعاصرة - مجموعة الرسائل الثقافية الصينية، بتحرير فونغ زو شينغ، مكتب سان ليان بيكين، سنة ١٩٨٩ م. «当代新儒家» 封祖盛编
- ٢٩- كتاب تاريخ الصين، باى شوى، دار الطباعة الشعبية بمدينة شانغهاى سنة ١٩٩٧ م.
- «中国历史» 白寿彝
- ٣٠- مجموعة ميسرة للكتب الكلاسيكية الصينية، لجنة التحرير دار الطباعة لمجموعة ميسرة للكتب الكلاسيكية الصينية للمهاجرين الصينيين بيكين، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م.
- «国学经典一本通» 国学经典一本通编委会 编著
- ٣١- المبشرون وترجمة الكتب الدينية الصينية، جوى شو يانغ، دار الطباعة الشعبية بمقاطعة مي تشوان سنة ١٩٩٩ م. «福音传教士与中国宗教典籍的翻译» 朱述言
- ٣٢- الكونفوشيوسية وأديان الصين، جيلانغ جيكن، دار الطباعة لثروات الصين، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣ م. «儒学与中国宗教» 张践

- ٣٣- مجامع الشرح والتعلق للكتب الثلاثة عشر، بتحرير كونغ بينغ دا، دار مكتبة الصين،
الطبعة الأولى سنة ٢٠١١ م. «十三经注疏» 孔颖达 (唐)
- ٣٤- مجموعة الأحاديث للعلامة "جو ثي"، دار مكتبة الصين، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م.
«朱熹语录» 朱熹 (南宋)
- ٣٥- للمحاضرات في تاريخ الصين - فترة الربيع والخريف، وانغ قوي مينغ ويونغ شينغ نانغ،
دار الطباعة لإذاعة الصين الدولية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧ م.
- «中国历史大讲堂 - 春秋史话» 王贵民 应永深 杨升南
- ٣٦- موسوعة الفلسفة الصينية، دار الطباعة الموسوعية بشأنهاى، رئيس التحرير جيانغ دى
نيان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠ م. «中国哲学大百科全书» 张岱年主编
- ٣٧- منهاج الوسطية والاعتدال - حكمة الإنسان العليا جينغ رون وآه، من كوريا الجنوبية،
بترجمة جينغ تى تشنغ، دار الطباعة والنشر لمقاطعة هاى نان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢ م.
- «中庸—人类最高的智慧» 金容沃著 (韩) 金泰成译
- ٣٨- منهاج الوسطية والاعتدال، لي بى ريان، دار الطباعة لإذاعة الصين والتلفزيون بيكين،
الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢ م. «中庸—般若十大智» 李一冉
- ٣٩- منشور وتلميذه "لى ليو"، نانغ هوى جينغ، دار الطباعة الشرقية الطبعة الأولى ٢٠١٣ م.
«孟子与离娄» 南怀瑾

ثانياً: الكتب باللغة العربية

- ١- كتب الحديث النبوي الشريف.
- ٢- ألف باء الإسلام، الإمام أبو الأعلى المودودي، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م.
- ٣- الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام أبو حامد الغزالي، دار فتيبة دمشق ٢٠٠٣ م.
- ٤- تصارع الحضارات، صموئيل هانتينغتون، ترجمة وتقديم الدكتور عبد الفتاح، الندوة، المجلة السادسة، العدد الأول، ١٩٩٥ م.
- ٥- خلق المسلم، محمد الغزالي، دار القلم- دمشق، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨٦ م.
- ٦- العقيدة والاخلاق في الإسلام، الدكتور سامي عفي حجازي، مكتبة الإيمان ٢٠٠٦.
- ٧- القرآن والكون، الدكتور محمد عبد الله الشرفاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩١ م.
- ٨- كتاب الحوار ترجمة من اللغة الصينية إلى اللغة العربية، محمد مكين، دار هواتشنغ للنشر بقوانغتشو، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩ م.
- ٩- كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية - رسالة نيل الدرجة الدكتوراه بجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، زهرة الدين طيب (Ma XiaoPei) ٢٠٠٣ م.
- ١٠- الملل والنحل للشهرستاني، بتحقيق محمد سيد كيلاني، الطبعة الثانية دار المعرفة بيروت
- ١١- المعجم الوسيط، مكتب نشر الثقافة الإسلامية - كراتشي، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٢ هـ
- ١٢- الموارد الحديث، قاموس انكليزي - عربي، منير البعلبكي، د. رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين ٢٠٠٩ م.
- ١٣- المسلمون والخريطة الدينية العالمية المعاصرة، الدكتور دين محمد، مطبعة مجمع البحوث الإسلامية - الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م.

- ١٤ - الفرد والمجتمع في الكونفوشيوسية (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) - رسالة لنيل درجة الماجستير بجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، مريم سليمان (MA YUEXIANG) ٢٠٠٣م.
- ١٥ - عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزى محمد حميد، دار حطين للدراسات والترجمة - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

ثالثا : الكتب باللغة الإنجليزية :

١. The Four Books Translated by James Legge, Published by Hunan Publishing House in 1992.
٢. The Encyclopedia of Religion Editor in Chief, Mircea Eliade Macmillan Publishing Company 1987.
٣. The Sacred Books of the East edited by Max Müller, Published by the Oxford University Press between 1897 and 1910.
٤. An Insight of Chung yong, in English, by Du WeiMing, translated by Duan DeZhi into Chinese, Published by Bei Jing Peoples Publishing House 2008.
٥. A Globle History: From Prehitory to the 21 st Century, 7th edition, by L.S.Stavrianos, published by arrangement with the original publisher, Pearson Education Publishing as Prentice HallIne 1999.
٦. The Religious Traditions of Aasia. By Joseph M. Kitagawa, Published by RoutledgeCurzon, London, 2002.

فهارس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	١
الشكر والتقدير.....	٢-٤
المقدمة.....	٥-١٤
أ- أسباب اختيار الموضوع وأهميته.....	٦-٩
ب- منهج البحث وأهم المصادر المعتمدة في الترجمة والشرح.....	٩-١٢
ت- أهم المشاكل التي واجهتني في أثناء الترجمة والشرح.....	١٢-١٤
التمهيد.....	١٥-٣٦
المبحث الأول: لمحة عامة لتطورات مذهب الكونفوشيوسية في تاريخ الصين.....	١٥-٢٣
أ- فترة النشأة والتأسيس.....	١٥-١٦
ب- فترة التطور والازدهار في عهد الأسرة "هان".....	١٧
ت- فترة التلخيص الشامل وحركة استيعاب التحدي البوذية.....	١٧-١٨
ث- فترة التجديد والإصلاح في عهدي الأسرة "سونغ" والأسرة "مينغ".....	١٩-٢٠
ج- فترة الانحطاط والتحجر الفكري في عهد الأسرة "تشينغ".....	٢٠-٢١
ح- فترة النهضة الثقافية والتحديث الفكري في العهد المعاصر.....	٢١-٢٣
المبحث الثاني: المؤلف "تس سي" وكتاب الوسيطية والاعتدال.....	٢٣-٣٦
المطلب الأول: تعريف المؤلف "تس سي".....	٢٣-٢٦
أ- مولده وحياته العلمية.....	٢٣-٢٤
ب- نبذة عن حياة المؤلف "تس سي" التعليمية وتلقيه من جده الأستاذ كولفوشيوس.....	٢٤-٢٥
ت- عنة "تس سي" ونزاهته عن المياسة والمنصب.....	٢٥
ث- أعمال "تس سي" في التأليف والتصنيف.....	٢٥-٢٦
ج- وفاة المؤلف "تس سي".....	٢٦

٣٦-٢٦	المطلب الثاني : تعريف كتاب الوسطية والاعتدال
٢٨-٢٦	أ- تأليفه وأهميته بين الكتب المقدسة الكونفوشيوسية
٣٠-٢٨	ب- آراء العلماء في قيمة كتاب الوسطية والاعتدال إلى شيخ " تش سي "
٣١-٣٠	ج- محتويات كتاب الوسطية والاعتدال
٣٣-٣١	د- أشهر الفروع والتعليقات ل كتاب الوسطية والاعتدال
٣٦-٣٣	ج- الأعمال الصالحة في ترجمة الكتب المقدسة الكونفوشيوسية عند الغرب والعالم الإسلامي
٧٠-٣٧	الفصل الأول
٧٤-٧١	الفصل الثاني
٧٦-٧٥	الفصل الثالث
٧٩-٧٧	الفصل الرابع
٨١-٨٠	الفصل الخامس
٨٥-٨٢	الفصل السادس
٨٩-٨٦	الفصل السابع
٩٢-٩٠	الفصل الثامن
٩٦-٩٣	الفصل التاسع
١٠١-٩٧	الفصل العاشر
١٠٦-١٠٢	الفصل الحادي عشر
١١٤-١٠٧	الفصل الثاني عشر
١٢٢-١١٥	الفصل الثالث عشر
١٢٧-١٢٣	الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر.....	١٢٨-١٣١
الفصل السادس عشر.....	١٣٢-١٣٥
الفصل السابع عشر.....	١٣٦-١٤٠
الفصل الثامن عشر.....	١٤١-١٤٩
الفصل التاسع عشر.....	١٥٠-١٥٨
الفصل العشرون.....	١٥٩-٢٠١
الفصل الواحد والعشرون.....	٢٠٢-٢٠٥
الفصل الثاني والعشرون.....	٢٠٦-٢٠٩
الفصل الثالث والعشرون.....	٢١٠-٢١٤
الفصل الرابع والعشرون.....	٢١٥-٢١٨
الفصل الخامس والعشرون.....	٢١٩-٢٢٣
الفصل السادس والعشرون.....	٢٢٤-٢٢٣
الفصل السابع والعشرون.....	٢٣٤-٢٤٠
الفصل الثامن والعشرون.....	٢٤١-٢٤٧
الفصل التاسع والعشرون.....	٢٤٨-٢٥٤
الفصل الثلاثون.....	٢٥٥-٢٦٠
الفصل الواحد والثلاثون.....	٢٦١-٢٦٧
الفصل الثاني والثلاثون.....	٢٦٨-٢٧١
الفصل الثالث والثلاثون.....	٢٧٢-٢٩٠

٢٩٩ - ٣٠٩	الخاتمة
٢٩٣ - ٢٩٩	أهم نتائج البحث والدراسة
٢٩٥ - ٢٩٤	الجوانب المبتكرة والجديدة في البحث
٢٩٨ - ٢٩٥	التعليق
٣٠٢ - ٢٩٨	التوصيات
٣٠٩ - ٣٠٣	قائمة المصادر والمراجع
٣١٣ - ٣١٠	فهارس الموضوعات

